



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

منطقة تبوك

في عهد الملك عبد العزيز

١٣٤٤ - ١٣٧٣ هـ / ١٩٢٦ - ١٩٥٣ م

(بحث لنيل درجة الدكتوراة مقدم كجزء من متطلبات الحصول على الدرجة)

إعداد

مطلق بن صيَّاح البلوي

الرقم الجامعي: ٤٢٨٧٠١١١

إشراف الأستاذ الدكتور:

يوسف بن علي الثقفي

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

الإهداء

إلى والديّ مرحمهما الله تعالى، فقد سهرت ومرتبت، وبذلت الجهود التي تبذلها كل أم، بل حاولت بذل المزيد لتري ابنها وقد أحسن ما تصبو إليه، إلا أنها قضت وتركته على درب الحياة وحيدا... تركته مع الأمل الذي غرسه في نفسه، فعمل وما ينال يعمل، وسيبقى. لعل زهرة الأمل تنعقد بعون الله ثمرة ناضجة مفيدة.

مطلق

شكر وتقدير

الشكر أولاً لله سبحانه الذي استعنته فأعان ، واستهديته فهدى ، ورجوته التوفيق فوق ، فلولا عون الله وتوفيقه لما حظيت بمشرف قادر على تذليل الصعاب التي واجهتني أثناء إعداد هذا البحث ، فالشكر كل الشكر لأستاذي الدكتور يوسف بن علي الثقفي ، الذي فتح أمامي الآفاق العلمية ، ووجهني الوجهة السديدة ، وواكب خطواتي أثناء جمع مادة البحث خطوة خطوة ، مسدياً النصيح والإرشاد في كل مرحلة من مراحل كتابة البحث ، الذي أرجو أن يكون بحثاً علمياً رصيناً بقدر ما أراد.

والشكر موصول للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة ، ذلك الجهد الذي سيبدلونه في قراءة هذا البحث، والملاحظات التي سيدونها لإثرائه، تستوجب الشكر والتقدير والثناء .

والله ولي التوفيق

الملخص

يتناول هذا البحث تاريخ منطقة تبوك في عهد الملك عبد العزيز خلال الفترة ١٣٤٤ - ١٣٧٣ هـ/ ١٩٢٦ - ١٩٥٣ م، وقد تم اختيار المنطقة بسبب أهميتها من حيث الموقع؛ فهي تشكل الجزء الشمالي الغربي من الحجاز ، وتعد — عبر التاريخ — حلقة الوصل بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر، وأصبحت تحتل موقعاً استراتيجياً مهماً من الناحية العسكرية، وخاصة بعد أن احتلت القوى الصهيونية فلسطين القريبة منها. والسبب الآخر لاختيار منطقة تبوك موضوعاً لهذا البحث هو قلة بل ندرة ما كتب عن تاريخها بطريقة علمية مفصلة، إذ لا نجد عن تاريخها إلا مقالات تدرج تحت عنوان الثقافة العامة، أو نتفا قليلة تتناول بعض مدنها ومراكزها العمرانية في كتب التاريخ أو البلدانيات.

ويقع هذا البحث في أربعة فصول، تم التمهيد لها بتوضيح جغرافية المنطقة وتاريخها قبيل العهد السعودي. وقد عرّف الفصل الأول بمدن المنطقة وموانئها وجزرها، وكذلك أوضاعها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وأثر ضم منطقتي حائل والجوف إلى حكم الملك عبد العزيز عليها.

وتناول الفصل الثاني الحالة السياسية والعسكرية في المنطقة بعد ضمها إلى الحكم السعودي، ويتمثل ذلك في تطور العلاقة بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن، وأثرها على المنطقة، كما يتمثل في بعض حركات التمرد وخاصة حركة حامد بن سالم بن رفاة التي غزاها أمير شرق الأردن ألا إن الملك عبد العزيز تصدى لها بحكمة وحكمة؛ فأفشلها وقضى عليها قبل أن تستفحل. ثم أبرز الفصل الثاني الأهمية العسكرية لمنطقة تبوك، تلك الأهمية التي ازدادت كثيراً بسبب الصراع بين العرب والصهاينة الذين احتلوا فلسطين ، وأصبحوا قرييين من الحدود الشمالية الغربية للمملكة العربية السعودية.

وركز الفصل الثالث على تاريخ منطقة تبوك بعد ضمها إلى الحكم السعودي واستقرار أوضاعها، حيث تناول تنظيمها إدارياً وبحث ما أصبحت تستحوذ عليه من مؤسسات حضارية مثل : الإمارة والأمن والمحاكم الشرعية والبرق والبريد والجمارك وغيرها.

وأبرز الفصل الرابع مظاهر التطور الحضاري في منطقة تبوك من خلال تناول: توطين البادية ، والنهضة العلمية ، والنهضة الزراعية ، والرعاية الصحية ، والتجارة والصناعة ، وطرق الحج والنقل ، والمعالم التاريخية والأثرية.

المشرف الطالب
عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مطلق بن صيَّاح البلوي أ.د . يوسف بن علي الثقفي فضيلة الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم

Abstract

This research treats with the history of Tabouk region in the era of King Abdul Aziz , during the period from 1344 up to 1373 corresponding to 1925 up to 1953 . This region was selected due to its importance of its location . It represent the southern north from Hejaz and consider to be the connection ring between the Arab peninsula ,Sham countries and Egypt . It has an strategic location from the military aspect , especially after Israel occupied Palestine which is near to it . The other reason of selecting Tabouk region to be the issue of this research is the rare about what has been written about its history in a detailed scientific method . We cannot find about its history but reports lies under the title of public culture or a small amount of reports that handle some of its cities and constructional cities in the history books .

This research came in four chapters and a pavement . This pavement has a classification the geography of the region and its history before the Saudi era .As for the first chapter , it identifies the region's cities , its ports , its islands , its positions after the end of the first world war and the effect of joining Hail & Al-Jouf to the rule of king Abdul Aziz on it .

The second chapter of this research handles the political and military state of the region after its joining to the Saudi rule . This represented in the development of the relations between King Abdul Aziz and princess of East Jordan , and its impact on the region . Furthermore , it represented in some of movements of mutiny , especially the movement of Khalid Bin Salim Bin Rafadah which invaded by princess of East Jordan . King Abdul Aziz Confronts it wisely , so he failed it and ended it before its spread . Then, the second chapter clarifies the military importance of Tabouk region . This importance increased due to the conflict between the Arabs & Israel who occupied Palestine and became near from the northern east borders of Kingdom of Saudi Arabia .

As for the third chapter , it deals with the history of Tabouk region after its joining to the Saudi rule and the stability of its positions . This chapter handles its organizing administratively , and searches about what it has from a civilized organizations like the emirate , the security the Islamic law courts , posts , customs and others .

The fourth chapter highlights the manifestation of civilized development in Tabouk region in terms of nomadic settling , the scientific renaissance , the agriculture renaissance , healthy care , the commerce , industry , roads of Hajj & transport and the historical and antique features

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً، فقد استعنت به فأعان - سبحانه - قديراً، والصلاة والسلام على سيد المرسلين الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد،

فقد أدركت بعد أن استكملت متطلبات حصولي على درجة الماجستير بحث عنوانه (الوجود العثماني في شمال الجزيرة العربية ١٣٢٦ - ١٣٤١هـ / ١٩٠٨ - ١٩٢٣م) إن مناطق شمال شبه الجزيرة تفتقر إلى الدراسات العلمية المتخصصة التي تعرّف بها وبإمكاناتها في مختلف المجالات ، ومن مختلف الجوانب . ونظرا لسعة هذا الموضوع وتشعبه ، فقد وجهني أستاذي المشرف - جزاه الله خيرا - إلى الاقتصار على منطقة واحدة من مناطق الشمال محددًا منطقة تبوك ، للتعريف بتاريخها خلال فترة محددة قصيرة ، غير أنها حافلة بالأحداث الجسام، وتأتي امتدادا لفترة دراسي السابقة. وبذلك استقر الرأي على أن يكون موضوع هذا البحث (منطقة تبوك في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٤ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٦ - ١٩٥٣م).

وقد دفعني إلى اختيار منطقة تبوك لكتابة تاريخها الحديث سببان ، أولهما :

تهيب كثير من الباحثين الكتابة في تاريخ المنطقة لقلة المصادر التي تناولتها ، وضحالة المعلومات التاريخية التي تضمنتها تلك المصادر، وهو أمر فيه تحد كبير، ويتطلب جهودا مضاعفة لجمع المادة العلمية من مصادرها الأولية . وقد نهضت لهذه المهمة بتشجيع من أستاذي المشرف ، الذي عمل على تذليل كل ما واجهني من صعوبات في هذا المجال. أما السبب الثاني يتمثل في رغبتي الشخصية في الكتابة عن المنطقة التي أنتمي إليها ، للتعرف على مدى عراققتها ، وعلى مجرى الأحداث فيها ، وخاصة خلال الفترة ١٣٤٤ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٦ - ١٩٥٣م التي تعد من أهم فترات تاريخ المملكة العربية السعودية ، حيث تم خلالها توحيد المملكة ، وضم منطقة تبوك إليها بجهود الملك عبد العزيز آل سعود ، رحمه الله.

وقد بدأت منطقة تبوك منذ ضمها إلى حكم الملك عبد العزيز أن تشهد نقلة نوعية ، ليس من الناحية التاريخية فحسب ، وإنما أيضاً من النواحي السياسية والاقتصادية والزراعية والتجارية والاجتماعية والصحية والتعليمية وغيرها، وهذا الوضع الجديد لم تشهد المنطقة مثيلا له من قبل ،

ولذلك كان جديرا بالدراسة العلمية المتعمقة أن تبين أسبابه، وتوضح صورته التي أصبح عليها بالمقارنة بما كان عليه .

ولم تكن الكتابة في تاريخ منطقة تبوك مهمة سهلة ، ذلك أن جمع المادة العلمية الموثقة اعترضته صعوبات كبيرة ، كان من أسبابها قلة من كتبوا عن المنطقة، وخاصة من أهلها، وربما كان ذلك لبعدها عن المراكز العلمية المتوافرة في مدن الحجاز الرئيسة مثل جدة والمدينة المنورة ومكة المكرمة ، يضاف إلى ذلك تركيز الكتاب والباحثين في اهتمامهم على الحرمين الشريفين، وتجاوز مناطق الحجاز الأخرى وخاصة الشمال، وهو الأمر الذي دفعني للتوجه إلى البحث عن المصادر الأولية في إسطنبول، حيث المصادر العثمانية الغنية بالمعلومات عن المنطقة، وذلك أن الدولة العثمانية حكمت المنطقة - كما هو معروف - نحو أربعة قرون امتدت حتى أوائل الحكم السعودي.

ودفعني التنقيب عن المصادر الأولية لتاريخ منطقة تبوك أيضاً إلى البحث لدى العوائل في ساحل المنطقة؛ حيث وجدت أن بعض هذه العوائل التي عاصرت الأحداث تمتلك كنوزاً ضخمة من الوثائق التي تغطي الفترة العثمانية والشريفية والسعودية، غير أن عدداً من هذه العوائل لم يكن متعاوناً لسبب ما، إلا أن ما حصلت عليه من العوائل التي أكرمتني بالاطلاع على ماتملكه من وثائق كان وافراً، وبالغ الأهمية، وأعتقد أنه أثرى البحث كثيراً.

والجدير بالذكر أن غالبية الأهالي في ساحل منطقة تبوك يمتهنون التجارة، وهو الأمر الذي يسر لهم التواصل مع الآخرين من تجار ومسؤولين وأعيان كان بعضهم يوثق الأحداث، ويحتفظ بما يرد إليه من وثائق.

وقد أفدت في هذا البحث أيضاً من بعض الوثائق المحفوظة في دارة الملك عبدالعزيز العامة، وفي مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ففي هذه المكتبة وجدت كمية كبيرة من الوثائق الخاصة بالمنطقة عبر ملفات مختلفة، منها: وثائق الوجه، ووثائق المنطقة الشمالية الغربية، ووثائق الغبان ووثائق أبو صابر.

وشكلت وثائق محمود بن علي أبو سالم من محافظة الوجه بمنطقة تبوك مصدراً أولياً مهماً أفاد منه البحث كثيراً. وقد كان لهذا الرجل دور كبير في حفظ كميات وافرة من الوثائق، مما يدل على وعي يستوجب الشكر والتقدير، وقد حالف الحظ البحث بالاطلاع عليها ونشر كثير منها لأول مرة.

ومن الوثائق التي ينشرها هذا البحث لأول مرة أيضاً، وثائق حسين بن حمزة الفرشوطي الخاصة بالتعليم في مدن ساحل منطقة تبوك.

ومن الوثائق البالغة الأهمية أيضاً التي أفاد منها هذا البحث، وثائق الشريف الوكيل المويلحي التي نشر بعضها في دراسات سابقة، وحظي هذه البحث بنشر بعضها الآخر، وخاصة فيما يتعلق منها بأحداث حركة حامد بن سالم بن رفادة.

وأفاد هذا البحث كذلك من وثائق معهد الإدارة العامة بالرياض فيما يتعلق بالأمور الإدارية بمنطقة تبوك، ومن وثائق أحمد السلطان المتعلقة بأحد أمراء الوجه، وهو محمد بن سلطان.

وأفاد البحث كثيراً من كتاب (الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه)، الذي يعد مصدراً مهماً لتغطية الجانب التاريخي خلال فترة التوحيد، علاقات الملك مع كل من أمير شرق الأردن وبريطانيا وفرنسا. وأما الوثائق الهاشمية التي اطلعت عليها فقد عكست وجهة نظر الشريف حسين بن علي وأبنائه في الأحداث التاريخية التي مرت بالمنطقة خلال فترة الدراسة.

وإضافة إلى الوثائق المتوفرة لدى الأشخاص وفي المكتبات ومراكز البحث العلمي، اطلع الباحث على التسجيلات الصوتية المفرغة التي قامت بها دارة الملك عبد العزيز بالرياض بتسجيلها لبعض كبار السن من أهالي منطقة تبوك . كما قام الباحث بالتواصل مع شيوخ قبائل المنطقة وأعيانها، وإن لم تكن فائدة البحث منه كما كان مرجواً ومتوقعاً.

وهكذا حاولت ما وسعني الجهد، وبتوجيه مستمر من الأستاذ المشرف جزاه الله خيراً جمع المادة العلمية من مظاهها المتمثلة في الوثائق والمصادر والمراجع، ثم عكفت على الكتابة متتبعا الخطوات العلمية التي رسمها أستاذي بتأن ودقة، محاولاً مواكبة إرشاداته الهادفة إلى تغطية موضوع البحث وفق منهجية علمية مدروسة.

وقد جاء هذا البحث - إضافة إلى مقدمته - في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، وجاء التمهيد في مبحثين اثنين تناول أولهما جغرافية منطقة تبوك، وتناول الثاني تاريخ المنطقة قبيل العهد السعودي.

وركز الفصل الأول على كيفية دخول منطقة تبوك تحت حكم الملك عبدالعزيز، وذلك من خلال ثلاثة مباحث تناول الأول: مدن المنطقة وموانئها وجزرها، والثاني: أوضاع المنطقة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، والثالث: ضم الملك عبدالعزيز حائل والجوف وأثر ذلك على المنطقة، والرابع ضم الملك عبد العزيز منطقة تبوك.

وبحث الفصل الثاني: الحالة السياسية والعسكرية في منطقة تبوك بعد ضم المنطقة، وذلك في ثلاثة مباحث جاءت عناوينها على النحو التالي: المبحث الأول: العلاقة بين الملك عبدالعزيز وأمير شرق الأردن وأثر تلك العلاقة على المنطقة. والمبحث الثاني: موقف الملك عبدالعزيز من حركة ابن رفاة. والمبحث الثالث: أهمية منطقة تبوك العسكرية.

وكان التنظيم الإداري في منطقة تبوك محور اهتمام الفصل الثالث، وقد تم تناول هذا الموضوع في ستة مباحث هي: الإمارة، والأمن، والمحاكم الشرعية، والبرق والبريد، والجمارك، والبلديات.

أما الفصل الرابع فقد عكف على بيان مظاهر التطور الحضاري في منطقة تبوك، ونظراً لتنوع هذه المظاهر وتعددتها فقد تم تناولها في سبعة مباحث، هي: توطين البادية، والنهضة العلمية، والنهضة الزراعية، والرعاية الصحية، والتجارة والصناعة، وطرق الحج والنقل، والمعالم التاريخية والأثرية . وأما الخاتمة فقد تضمنت أهم نتائج الدراسة، وأهم توصياتها.

تمهيد

— جغرافية منطقة تبوك .

— تاريخ المنطقة قبيل العهد السعودي.

جغرافیة منطقة تبوك

أخذت منطقة تبوك اسمها من (تبوك) المدينة، وهو اسم قديم ذكر بعض الباحثين أن بطليموس استخدمه، حيث ذكر محلة تعرف باسم (تابوا Thapaua)، عند الحدود الشمالية الغربية لبلاد العرب السعيدة، ويعتبر هذا الاسم تحريفاً للفظ (تبوكا Thapaucha) أو تبوك^(١).

تشكل منطقة تبوك القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وقد سماها جغرافيو اليونان والرومان (بلاد العرب الصحرية) Arabia Petreae^(٢)، وعندما أسقط الرومان دولة الأنباط، التي كانت تمتد في جنوبي بلاد الشام وشمال غربي الجزيرة العربية، واحتلوا عاصمتهم البتراء عام ١٠٦م^(٣)، أطلقوا على المنطقة اسم (الكورة العربية) Provincia Arabia، وهو الأمر الذي يؤكد عروبتها وانتماءها لشبه الجزيرة العربية طبيعياً وبشرياً^(٤). ونظراً لأن منطقة تبوك تقع في شمال الحجاز فإنها تعد منطقة حجازية^(٥)، وقد أدى وقوعها في شمالي غرب شبه الجزيرة العربية بين جنوبي بلاد الشام والأراضي المصرية إلى تبعية أجزاء منها إلى هذه السلطة السياسية أو تلك حسب الأحوال السياسية السائدة، فقد خضعت للأنباط، ثم للرومان، ثم لدولة الغساسنة الموالية للرومان، وكان الغساسنة قد بسطوا سلطانهم على الأراضي الممتدة من جنوب دمشق حتى شمال غربي شبه الجزيرة العربية، وكانوا يتولون حماية الرومان من هجمات القبائل، وبذلك أصبحت منطقة تبوك تابعة لدولتهم، وظلت كذلك حتى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي^(٦).

(١) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة "نصوص، مشاهدات، انطباعات"، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، ط ٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٤٣٧؛ موزل: شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨٨م، ص ١٤٠.

(٢) محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤، ص ٩٦.

(٣) أحمد عويدي العبادي: الأردن في كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين حتى عام ١٨٨١م، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ج ١، ص ٤٠٠.

(٤) عبد الله الوهبي: الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مج ١، س ١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ٥٧.

(٥) عبد الله الوهبي: المقالة السابقة، مج ١، س ١، ص ٦٨.

(٦) محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ٥٦١ - ٥٦٢؛ سالم العيسى: تاريخ الغساسنة، دمشق، دار النمر، ٢٠٠٧م، ص ١٢٣، ١٢٦.

ويجد الباحث في الجغرافيا التاريخية لمنطقة تبوك أن حدودها لم تكن ثابتة، أو واضحة المعالم، كما أن تبعيتها السياسية اختلفت من عصر إلى عصر، فبعد هجرة الرسول محمد-صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة، واتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية، وبعد دخول منطقة تبوك في الإسلام أصبحت جزءاً من هذه الدولة^(١)، وكانت تدار منها، ثم أصبحت خاضعة لسلطة الدولة الأموية التي اتخذت من دمشق عاصمة لها، ثم لسلطة الدولة العباسية التي اتخذت من بغداد عاصمة لها، ثم تعاقبت الدول الإسلامية على إدارة المنطقة، وكانت في أوائل القرن الرابع الهجري العشرين الميلادي خاضعة لسلطة الدولة العثمانية. وكانت منطقة تبوك عبر تاريخها الإسلامي تحظى باهتمام خاص؛ لأنها تعد مدخلاً لقوافل الحاج الشامي، وقوافل الحاج المصري المتجهة إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولم تقتصر أهميتها على كونها مدخلاً لحجاج البر، وإنما لحجاج البحر أيضاً، حيث توجد موانئ عديدة على الساحل الشمالي للبحر الأحمر تابعة لمنطقة تبوك^(٢).

وقد تمثل اهتمام الدول المتعاقبة على حكم منطقة تبوك كطريق لقوافل الحاج، في إنشاء البرك والقلاع فيها، ودفع الأموال للقبائل المنتشرة في المنطقة إما استرضاء لها حتى لا تعتدي على القوافل، وإما طلباً لحمايتها من اللصوص وقطاع الطرق^(٣).

والجدير بالذكر هنا أن الدولة العثمانية قسمت إدارة منطقة تبوك بين دمشق والقاهرة، فكانت القلاع والقرى الداخلية تتبع دمشق، بينما تتبع الموانئ الساحلية الشمالية وقلاعها

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري: الأحوال العامة للجزيرة العربية عند البعثة النبوية، ندوة تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٤م، الكتاب الثالث، ص ٧-١٦.

(٢) عبد الفتاح حسن أبو عليه: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ١١-١٥؛ سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، جدة، قمامة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٤١.

(٣) أويليا جليبي: الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية وقدم لها الصفصافي أحمد المرسي، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٧١؛ محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، إعداد وتحرير محمد همام فكري، بيروت، بدر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص ٢٣٣؛ مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٧م، ص ٥٤-٥٥.

القاهرة^(١).

وحدثت تغييرات كبيرة بعد إتمام شق قناة السويس وافتتاحها أمام الملاحة، واحتلال بريطانيا مصر عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، فقد أدى ذلك إلى مبادرة السلطات العثمانية إلى ضم ساحل منطقة تبوك إلى سلطتها المباشرة بدلا من ولاية مصر العثمانية^(٢)، وأدى ذلك أيضا إلى الشروع في مد خط سكة حديد الحجاز بين دمشق والمدينة المنورة، وهو الخط الذي يعبر جزء كبير منه أراضي منطقة تبوك. وهكذا أصبحت الموانئ الشمالية، تتبع سياسيا وإداريا إمارة مكة المكرمة أما تيماء وتبوك فتتبع الوالي العثماني في دمشق^(٣).

وأصبحت منطقة تبوك بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وخروجها من شبه الجزيرة العربية، تتبع سلطة مملكة الحجاز التي اتخذت من مكة المكرمة عاصمة لها^(٤)، وبعد ضم الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود الحجاز سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م بما في ذلك منطقة تبوك، فقد أصبحت هذه المنطقة خاضعة لسلطة الدولة السعودية^(٥).

يستفاد مما تقدم أن السلطة السياسية داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها كانت تدرك أهمية الموقع الجغرافي لمنطقة تبوك، وأهمية اشتغال هذه المنطقة على موانئ ساحلية ضرورية للاتصال البحري، وخاصة مع مصر، ولذلك كانت تحرص على الاستحواذ عليها، وضمها إليها.

^(١) جورج أوغست فالين: رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ترجمة سمير سليم شبلي ومراجعة إبراهيم يزبك، بيروت، دار الوراق للنشر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٢١٧.

^(٢) صالح العمرو: النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخّل الحكومة البريطانية ١٨٨٤-١٩٠٦م، الدارة، ع ١، س ٥، ربيع الثاني ١٣٩٩هـ/ مارس ١٩٧٩م، ص ٢١٠-٢١١.

^(٣) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين الشريفين، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، مج ١، ص ٩٧؛ مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٩٣-٩٤.

^(٤) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، ط ٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٣١٢؛ وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي ١٩١٦-١٩٢٥م، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٧٣.

^(٥) هاري سانت جون فيليبي: العربية السعودية، ترجمة عاطف فالح يوسف، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٥١٣.

وتعرف منطقة تبوك جغرافياً بـ(شمال الحجاز)، وتطل هذه المنطقة على البحر الأحمر، وتوجد فيها البئر التي استقى منها النبي موسى، عليه السلام^(١). ويرى بعض الباحثين أن هذه المنطقة تضم أيضاً شمال خيبر، وتيماء، وتبوك، والعلا، وجنوب حقل، والعقبة، ومعان، والبتراء، والكرك، وأرض الغور الجنوبي في الأردن، وأطراف فلسطين الجنوبية^(٢).

ويرى باحثون آخرون أن شمال الحجاز ينحصر بين العقبة غرباً، ومنطقة الجوف شرقاً عبر خط وهمي يمر بمحاذاة شرق تيماء حتى المدينة المنورة جنوباً، أما غرباً فتتمدد حدود شمالي الحجاز على ساحل البحر الأحمر الشرقي من نقطة توازي موقع المدينة المنورة جنوباً حتى العقبة شمالاً^(٣). وهذا التحديد لشمالي الحجاز يجعل ضمنه أجزاءً من منطقة المدينة المنورة، وأجزاءً من منطقة الجوف إضافة إلى منطقة تبوك، وأجزاءً من جنوبي بلاد الشام. ويذكر هنا أن مظاهر السطح السائدة بين شمالي شبه الجزيرة العربية وجنوبي بلاد الشام متشابهة، فلا يوجد على سبيل المثال نهر عرضي، أو سلسلة جبال عرضية يمكن أن تشكل حداً طبيعياً بين المنطقتين، ولذلك تعتبر الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة امتداداً طبيعياً لجنوبي بلاد الشام أو العكس، لذا يصعب فصلهما عن بعضهما بحدود طبيعية^(٤).

وتقع منطقة تبوك بين دائرتي العرض 24.30° ، 29.52° شمالاً وخطي الطول 34.34° ، 40.12° شرقاً، ويحدها البحر الأحمر من الغرب، والمملكة الأردنية الهاشمية وأجزاء من منطقة الجوف والقرىات من الشمال، ومنطقتا المدينة المنورة وحائل من الشرق، ومنطقة

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٧٢م، ج ٤، ص ١٦١.

(٢) حمود بن ضاوي القشامي: شمال الحجاز، بيروت، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط ٣، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج ١، ص ٢٣.

(٣) عبد المعطي بن محمد سمسم: العلاقات بين شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين منذ أقدم العصور وحتى القرن السادس ق.م، القاهرة، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص ٤٩.

(٤) لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٩م، ص ٨٩-٩٢.

المدينة المنورة من الجنوب، وبذلك فإن حدودها الإدارية مشتركة مع الحدود الإدارية لثلاث مناطق هي الجوف والمدينة المنورة وحائل إضافة إلى الحدود الدولية مع الأردن والبحر الأحمر^(١).

وتبلغ مساحة منطقة تبوك ١١٦٤٠٠ كم^٢ أي ما نسبته ٥.٢% من مساحة المملكة العربية السعودية، بينما يبلغ أقصى طول للمنطقة ٨٣٦ كم تقريباً، وذلك على البحر الأحمر بدءاً بنقطة تقع شمال المدورة شمالاً، وانتهاءً برأس اللك جنوباً^(٢).

وتتوزع مساحة تبوك جيولوجياً على قسمين رئيسيين هما: الدرع العربي في الغرب، والرف العربي في الشرق^(٣). ويغطي الدرع العربي السهل الساحلي وجبال الحجاز ومدين، ويمتد بموازاة ساحل البحر الأحمر من الشمال إلى الجنوب على شكل مستقيم. ويبلغ طول الدرع العربي نحو ستمائة كيلومتر بينما يبلغ متوسط عرضه نحو سبعين كيلومتراً. ويقع أقصى عرض له وهو مائة وعشرة كيلومترات إلى الشمال من مدينة الوجه، بينما يبلغ أدنى عرض له ثلاثين كيلومتراً إلى الشمال من مدينة حقل. وينتهي حد الدرع العربي غرباً بالبحر الأحمر، بينما يتوافق حده الشرقي مع الحدود الشرقية لأحواض التصريف المائي لأودية البحر الأحمر. أما الرف العربي فيشمل بقية المنطقة بتشكيلاتها الهضبية، وتكويناتها الجيولوجية، وأهمها: هضبة حسمى، والسهول الشرقية، والهضاب الشمالية الشرقية، والصخور الرسوبية في تبوك. وتبلغ مساحة الرف العربي ٧٣٤٤٠ كم^٢، أي ما نسبته ٦٣% من إجمالي مساحة المنطقة^(٤).

وتوجد في منطقة تبوك عدة هضاب تتميز بتفاوت ارتفاعها، وتخللها سلاسل جبلية صغيرة ذات قمم عالية، ومن أهم هذه الهضاب: هضبة حسمى التي توصف بأنها: "أرض الجبال

(١) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك دراسة في الجغرافيا الإقليمية، رسالة ماجستير غير منشورة،

الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص أ.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) عبد الله بن ناصر الوليعي: جيولوجية وجيومورفولوجية المملكة العربية السعودية، الرياض، مؤسسة المنار

للطباعة والتجليد، ط ٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٣٥، ٥٩-٦٠.

(٤) سليمان بن صالح الخضير: المرجع السابق، ص ٥.

الشواهد، والملس الجوانب، لا يكاد القتام يفارقها"^(١). وتمتد هذه الهضبة من الحدود الأردنية شمالا حتى الطرف الشمالي لحرّة الرّحا جنوبا، وتبلغ مساحتها نحو ستة آلاف كيلومتر مربع، ويتراوح ارتفاعها ما بين ٨٠٠ و ١٥٣٩ مترا فوق سطح البحر، وتنحدر بشكل عام نحو الشرق والشمال الشرقي^(٢). وتتألف هذه الهضبة من الحجر الجيري، وتغطيها الصخور النارية، ويوجد في الجزء الشمالي منها صدوع طولانية متوازية. وتعد هذه الهضبة من المناطق المناسبة لتسرب المياه في طبقاتها الصخرية، وهو الأمر الذي جعلها تختزن كميات كبيرة من المياه الجوفية^(٣).

وتوجد في منطقة تبوك هضبة أخرى هي هضبة الحماد الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي منها، وتنحصر بين الحدود السعودية الأردنية شمالا وهضبة الحجاز جنوبا، وهضبة حسمى غربا حتى حدود منطقة الجوف شرقا. وتزيد مساحة هذه الهضبة على ٤٣٩٢٠ كم^٢، وهي عبارة عن هضبات وتلال صغيرة تنتشر بينها الأودية والمساقط المائية الجوفية^(٤).

وهناك أيضا هضبة الحجاز، وتقع إلى الجنوب الشرقي من هضبة حسمى، وهي عبارة عن أرض جرداء تسمى الجهراء، وتمتد حتى حرّة خير جنوبا. ويتراوح ارتفاع هذه الهضبة ما بين ٨٠٠ متر في الشمال و ١٢٠٠ متر في الغرب، وتقدر مساحتها بـ ١٨,٥٧٧ كم^٢، وتنتشر في

(١) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت، ج ١٢، مادة (حسم).

(٢) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك دراسة في الجغرافيا الإقليمية، ص ٤٢-٤٣؛ وانظر عن هضبة حسمى أيضا: ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٢٦٧.

(٣) عبد الرحمن صادق الشريف وحسن عبد القادر صالح: موارد المياه الجوفية في حوض النفوذ الرسوبي الكبير بالملكة العربية السعودية، القسم الأول، الدارة، ع ٤، س ٣، ١٤٠٦هـ، ص ١٥٠.

(٤) صلاح الدين بحيري: جغرافية الصحارى العربية، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٩م، ص ٢٤٣.

هضبة الحجاز التلال الصخرية التي تفصل بينها الأودية^(١). وتتميز هذه الهضبة بوجود عدد كبير من القمم الجبلية التي تبدو منعزلة وسط أراض أقل ارتفاعا، ومنها جبل طويق في أقصى الشمال الذي يعد من أكثر الجبال وعورة وتضرسا، ويمثل منطقة تقسيم مياه تمتد على جوانبها الأودية في أكثر من اتجاه^(٢).

وتنتشر في منطقة تبوك: الحرّات، وهي: مقذوفات بركانية تغطي من المنطقة مساحة تقدر بـ ٦٠٦٩ كم^٢، أي ٥,٢% من مساحتها، وتمتد هذه الحرّات بجوار المرتفعات الغربية، ويصل ارتفاعها في بعض المناطق إلى ١٣٠٠ م، وأهمها: حرّتا الرحا والعويرض اللتان تغطيان مناطق واسعة تحاذي جبال مدين من الشرق بدءا من جنوبي تبوك حتى حدود منطقة المدينة المنورة، وتشكل الحرّتان محورا طوليا باتجاه شمالي غربي يمتد مسافة ١٣٥ كم، وهما متصلتان تقريبا، إذ لا يفصل بينهما سوى شريط ضيق من المقذوفات البركانية. وتتميز حرة الرحا في منطقة تبوك باستواء سطحها واتساعها، حيث يبلغ عرضها في الشمال أكثر من خمسة وثلاثين كيلومترا، ثم تأخذ بالتضييق باتجاه الجنوب^(٣).

ويلاحظ أن هناك كثيرا من المخاريط البركانية الشبيهة بالجبال التي تتخلل الحرّات، وتتركز هذه المخاريط في الجزء الجنوبي من حرة العويرض، التي تتميز بشدة وعورتها وتضرسها وتموجها بأشكال متباينة^(٤).

(١) محمود طه أبو العلا: جغرافية شبه جزيرة العرب المملكة العربية السعودية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٩م، ج٢، ص٣٧.

(٢) محمد صبري محسوب، ومحمد إبراهيم أرياب، وعبد الله أحمد الغامدي: دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية الجوانب الطبيعية، القاهرة، دار الفكر العربي ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٠٧-١٠٨.

(٣) محمد أحمد الرويشي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، مكتبة التوبة، ١٤١٦هـ، ص٧٠؛ محمد صبري محسوب وآخرون: المرجع السابق، ص٥٤-٥٥؛ سليمان بن صالح الخضيري: منطقة تبوك، ص٤٧.

(٤) حسن سيد أحمد أبو العينين: أصول الجيومورفولوجيا: دراسة الأشكال التضاريسية لسطح الأرض، بيروت، دار النهضة العربية، ط٥، ١٩٧٩م، ص٢٢٨؛ سليمان بن صالح الخضيري: المرجع السابق، ص٤٨.

ويزيد من تنوع الطبيعة الجغرافية لمنطقة تبوك وجود المرتفعات الجبلية فيها، فهناك نطاق جبلي مرتفع يبدأ بجبال مدين في الشمال، ويمتد باتجاه جنوبي غربي حتى دائرة العرض ٢٦° شمال خط الاستواء، حيث تبدأ جبال الحجاز التي تشكل الجزء الأوسط من المرتفعات الغربية، وتستمر هذه المرتفعات جنوباً بموازاة ساحل البحر الأحمر. ويزيد طول هذا النطاق الجبلي من بدايته على الساحل الشرقي لخليج العقبة حتى اليمن جنوباً على ١٧٠٠ كم، بينما يتراوح عرضه ما بين ١٢٠ و ٢٠٠ كم. ويبدأ هذا النطاق الجبلي الضخم بقمم عالية يصل ارتفاع بعضها في الشمال إلى نحو ٢٦٠٠ م ، وخاصة قمم جبال مدين، ثم تبدأ بالانخفاض تدريجياً حتى دائرة العرض المذكورة آنفاً، والتي تبدأ عندها جبال الحجاز^(١). وفيما يلي فكرة موجزة عن جبال مدين، وجبال الحجاز، والأودية التي تتخللها:

جبال مدين

تبدأ هذه السلسلة الجبلية بجبل مبارك قرب العقبة، حيث الحدود الشمالية مع الأردن، وتمتد جنوباً بمحاذاة خليج العقبة. ويزداد عرض هذه الجبال بالاتجاه جنوباً، بينما يكون الساحل بينها وبين البحر الأحمر بالغ الضيق؛ بل يختفي الساحل في بعض المناطق؛ ولا يظهر إلا في جيوب متباعدة، ومنها الجيب الواقع قرب نهاية وادي عفال عند مصبه في خليج الخريبة. وجبال مدين من الناحية التضاريسية بالغة التعقيد^(٢).

ويقسم وادي عفال جبال مدين قسمين: شرقي مرتفع يمثل في جبال الشفا، وغربي أقل ارتفاعاً، غير أن هذا القسم ينحدر انحداراً شديداً نحو خليج العقبة، فلا يترك ساحلاً يذكر أما القسم الشرقي فينحدر باعتدال نحو هضبة الحسمى حيث تقع مدينة تبوك. وأعلى قمم جبال مدين هي قمة جبل اللوز التي ترتفع ٢٤٠٠ متر، ثم جبل القلوم الواقع إلى الجنوب منه بارتفاع ٢٣٩٨ متراً، ثم جبل الغراب بارتفاع ١٣٠٤ أمتار، ثم جبل نخلة بارتفاع ١٥٧٠ متراً. أما قمم القسم الغربي فأعلاها جبل الهوارة الواقع شمال غرب منابع وادي عفال، ويبلغ ارتفاعه ١٦٢٢ متراً. وهناك أودية تتجه شرقاً منها وادي ترف، وينبع من جبل السيالة الذي يبلغ ارتفاعه ١٥٠٠ متر، ومنها أيضاً: وادي البطينة، ووادي ريط، وغيرهما^(٣).

(١) محمد صبري محسوب وآخرون: دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية، ص ٨٦-٨٧.

(٢) محمد صبري محسوب وآخرون : ص ٨٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٩٠.

جبال الحجاز

تبدأ هذه السلسلة من الجبال عند دائرة العرض $30^{\circ}27'$ شمالاً بمواجهة مدينة ضبا الساحلية حيث يقع جبل الديسة، وتتجه نحو الجنوب الشرقي بموازاة الساحل حتى دائرة العرض $30^{\circ}27'$ شمالاً حيث تشمل منطقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة. وأهم جبال هذه السلسلة من الشمال إلى الجنوب: جبل الديسة الذي يبلغ ارتفاعه ١٢٩٧ متراً ويتصل شمالاً بجبال مدين، ثم جبل شار الذي يعتبر البداية الشمالية للسلسلة الجبلية الساحلية الموازية للسلسلة الجبلية الداخلية، ويبلغ ارتفاعه ١٠٠٠ متر^(١).

الأودية:

توجد في منطقة تبوك شبكة كثيفة من الأودية، وهذه الأودية يبلغ عددها ١١٣ وادياً تتخلل جبال مدين وجبال الحجاز وغيرها، وتختلف الأودية في أطوالها واتجاهاتها؛ فبعضها ذو تصريف خارجي، وهي الموجودة في غربي منطقة الدراسة، وتنتهي مصباتها في البحر الأحمر. ويبلغ عدد هذه الأودية ٨٤ وادياً. وبعضها الآخر ذو تصريف داخلي يصب في المناطق الداخلية شرقي المنطقة، وعدد هذه الأودية ٢٩ وادياً^(٢).

وتختلف أودية منطقة تبوك في أطوالها وقوة اندفاعها تبعاً لبعدها عن الجبال أو قربها من البحر الأحمر، فهي في الشمال مثلاً قصيرة شديدة الانحدار، قوية الاندفاع، وخاصة التي تنصرف إلى خليج العقبة. ولا يزيد طول معظم الأودية التي تصب في البحر الأحمر عن ٨٠ كم، أما الأودية التي يزيد طولها على ذلك فعددها محدود، وهي: عفال، والحمض، وداما، وثلبة، والاضلم، والشرمة، والمياه؛ فهذه الأودية تزيد أطوالها على ٩٠ كم^(٣).

وتتميز الأودية ذات التصريف الداخلي بطولها، وبطء انحدارها، وأطولها على الإطلاق هو وادي الأخضر الذي يبلغ طوله ٢٠٣ كم^(٤).

(١) محمد صبري محسوب وآخرون: دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية، ص ٩٠-٩١.

(٢) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٥٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٩.

(٤) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

ويلاحظ أن أودية منطقة تبوك تختلف في اتجاهاتها، فأودية البحر الأحمر تأخذ اتجاه الغرب والجنوب الغربي باستثناء وادي عفال الذي يتجه من الشمال إلى الجنوب. أما الأودية ذات التصريف الداخلي فاتجاهها الغالب هو الشمال والشمال الشرقي والشمال الغربي^(١).

والجدير بالذكر هنا أن الأودية في منطقة تبوك ليست دائمة الجريان؛ بل إن كمية الجريان السطحي فيها قليلة، وفي بعضها نادرة، ويرجع ذلك إلى كون المنطقة جافة قليلة الأمطار مما يحول دون تكوين مجار مائية، يضاف إلى ذلك أن قيعان الأودية فيها الكثير من الرواسب الحصوية التي تجعلها مرتفعة النفاذية، وهو ما يؤدي إلى تقليل كمية الجريان السطحي، وبالتالي فإن الأودية لا تمثل مصدرا ذا قيمة للمياه مما يجعل الاعتماد عليها لهذا الغرض شبه معدوم. غير أن نفاذية هذه الأودية أدت إلى وفرة المياه الجوفية التي تقدر في المنطقة بأكثر من ثمانية عشر مليار متر مكعب. وهذه المياه تقع ضمن الصخور الرسوبية؛ أي في الرف العربي، وتمتد على مساحة تقدر بثلاثي مساحة المنطقة^(٢).

ويصل عمق المياه الجوفية في منطقة تبوك إلى خمسة عشر مترا تحت سطح الأرض، وقد يصل في بعض الأودية مثل وادي عفال إلى ستين مترا^(٣). وتستخرج المياه الجوفية - كما هو معروف - عن طريق حفر الآبار التي تتفاوت إنتاجيتها تبعا لنوع تكوينها الجيولوجي الذي تستمد منه مياهها، إضافة إلى عمق البئر وعمرها. وتتناقص إنتاجية الآبار عادة باستمرار الضخ منها لأن تعويض الفاقد يقل كثيرا عن مقادير المياه المسحوبة؛ وذلك بسبب قلة المياه؛ وكثرة التبخر^(٤). وليس من شك في أن الموارد المائية الجوفية تكثر في نطاق الرف العربي بينما تقل في نطاق الدرع العربي؛ وذلك بسبب صخوره القاسية ضعيفة النفاذية للمياه.

وأهم مصادر المياه الصالحة للشرب في نطاق الدرع العربي هي أعالي أودية عفال وشرما وداما وأبا القزاز والمنجور. ومع أن هذه الأودية ذات إمكانية مائية معتدلة إلا أن أهميتها كمورد للمياه محدودة، غير أن هناك قرى عديدة تعتمد على هذه المياه، وأهمها: الديسة، وأبو العجاج،

(١) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٥٩.

(٢) المرجع السابق: منطقة تبوك، ص ١١٧.

(٣) عمر فاروق السيد رجب: المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، أرضه وسكانه دراسة أيكولوجية،

جدة، دار الشروق، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ١٤٤.

(٤) سليمان بن صالح الخضير: المرجع السابق، ص ١٢٣، ١٢٠.

والنابع، وشواق، وشعب، وقبقاب، وأبو سلمة، وبداء، والشرف، والبدع، ومقنا، وعينونة، وشرما، والسديد، والضرس، والمنجور، وغيرها^(١).

وتختلف نوعية المياه المستخرجة من أودية الدرع العربي من وادٍ لآخر، كما تختلف من موقع لآخر في الوادي نفسه، وذلك بسبب التركيب الصخري، وغالبا ما تكون المياه جيدة وصالحة للشرب والزراعة في أعلى الوادي بينما تزداد ملوحتها كلما اقترب من مصبه في البحر^(٢).

وتماثل المياه الجوفية في الرف العربي من حيث التركيب والنوعية مياه الدرع العربي، وتنتشر على نطاق واسع بالقرب من تبوك في أودية: فجر، والمبرك، والأثيلي، والأخضر، وهي مياه صالحة لزراعة بعض المحاصيل كالبرسيم والنخيل^(٣).

ويمكن قسمة موارد المياه في منطقة تبوك ثلاثة أقسام هي: المياه السطحية، والمياه الجوفية السطحية، والمياه الجوفية العميقة. وتتكون المياه السطحية فوق سطح الأرض بعد سقوط الأمطار وجريانها في الأودية والشعاب، والأمطار في منطقة تبوك قليلة لا تكفي للزراعة، ويقلل من فعاليتها ارتفاع درجة الحرارة التي تتراوح معدلاتها بين ٢٠ و ٤٠ درجة مئوية مما يؤدي إلى زيادة التبخر والتجفاف. يضاف إلى ذلك أن الأمطار غير منتظمة السقوط؛ إذ تكون في معظم الأعوام شحيحة، وهو الأمر الذي أدى إلى خلو المنطقة من الأنهار دائمة الجريان^(٤).

أما المياه الجوفية السطحية فتتكون عندما تتسرب مياه الأمطار عبر التربة إلى باطن الأرض، وتُحفظ في الطبقات السطحية الخازنة للمياه (Aquifers)، وأكثر ما توجد هذه الخزانات المائية في الأودية المنخفضة في جبال الحجاز ومدين، والأودية التي تجري في السهل الساحلي، إذ تتميز هذه الأودية بوجود غطاءات رسوبية غير متماسكة مكونة من الرمال والحصى التي رسبتها السيول، وهي ذات مسامية عالية يسهل تسرب المياه إلى باطن الأرض منها، وتجمعها في خزانات باطنية كبيرة^(٥).

(١) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ١٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٦.

(٤) عبد الحفيظ محمد السقا: الجغرافيا الطبيعية للمملكة العربية السعودية، جدة، دار كنوز العلم للنشر والتوزيع،

١٩٩٨م، ص ١٥٤.

(٥) محمد صبري محسوب وآخرون: دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية، ص ٢٤٣.

وتكثر المياه الجوفية العميقة في النطاق الرسوبي في إقليم الرف العربي الذي تقع عليه مدن: تبوك، وتيماء، وحالة عمار، وقد تجمعت هذه المياه قديماً، خلال العصور المطيرة في طبقات رسوبية في باطن الأرض، وتم اكتشافها في بداية عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠، وتعد تكوينات تبوك من أكبر الطبقات الحاملة لهذه المياه^(١).

ويشار هنا إلى أن سكان منطقة تبوك كانوا حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين الميلادي يعتمدون على المياه السطحية، حيث ينون خزانات لجمع ما يتدفق منها عبر الأودية خلال فصول الشتاء للإفادة، منها في فصول الصيف الحارة، وكانت هذه الطريقة مفيدة إلى حد ما، ثم أَسْتُغْنِيَ عنها بحفر الآبار الارتوازية لاستخراج المياه الجوفية^(٢).

ساحل منطقة تبوك

يتميز ساحل منطقة تبوك - إذا ما قورن بالساحل الشرقي على الخليج العربي - بضيقه الشديد، وإن كان يتسع في بعض المواقع مثل: حقل، وشمال الوجه. ومن أهم خصائص هذا الساحل أنه يمثل نطاقاً رملياً منبسطة السطح في معظمه^(٣).

ويمكن اعتبار ساحل منطقة تبوك ثلاثة أقسام؛ يقع أولها في أقصى الشمال على الجانب الشرقي لخليج العقبة، وهو ساحل صخري يتخذ اتجاهها عاماً بين الشمال الشرقي والجنوب الغربي مع تعرجات بسيطة حتى مدخل الخليج قرب جزيرة تيران، وذلك عند خط العرض ٢٨° درجة شمالاً. ويتميز هذا الساحل في جهاته الشمالية بالحافات الانكسارية الوعرة التي تشرف على مياه الخليج، وتصطدم بسفوحها الدنيا أمواج البحر. وقد قطعت مياه الأودية استمرار هذه الحافات الصخرية الجبلية الموازية لساحل البحر، وتمكنت هذه الأودية بمرور الزمن من تكوين دالات مروحية، يمكن مشاهدتها على شكل مساحات ضيقة من الأرض الرملية المنخفضة،

(١) محمد صبري محسوب وآخرون : دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ، ص ٢٤٤ .

(٢) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، دراسة في الجغرافيا الاقتصادية، بيروت، مؤسسة

الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٩١-٩٢.

(٣) محمد صبري محسوب وآخرون : المرجع السابق، ص ٨٢.

ومن أهم هذه الدالات: دلتا وادي نويح، ودلتا المبرك حيث يقع مرفأ حقل، ودلتا وادي الحمضية، وأم حرفين. وتتوافر في هذه الدالات مياه جوفية قليلة الملوحة يتم الحصول عليها بحفر الآبار غير العميقة؛ ذلك أن هذه المياه قريبة من السطح. ويغلب على هذا القسم من الساحل طابع الاستقامة، فتعاريجه قليلة، إلا إنه يشمل عدة رؤوس، أهمها: رأس القلاع، ورأس أبو علي، ورأس سويهل الصغير، ورأس سويهل الكبير، ورأس الشيخ حميد. وتظهر في الجزء الجنوبي من هذا القسم عدة شروم^(١).

ويتمثل القسم الثاني في الساحل الذي يبدأ من رأس القصبة، عند المدخل الشرقي لخليج العقبة، ويتجه منحرفا انحرافا بسيطاً نحو الشرق حتى بلدة الخريبة، مكونا خليج عينونة. وهذا القسم من الساحل منخفض ورملي^(٢).

ويبدأ القسم الثالث من بلدة الخريبة، ويتميز هذا القسم بصفة عامة باتجاهه من الشمال الغربي إلى الجنوب والجنوب الشرقي، ويكاد في مظهره العام أن يشكل خطاً مستقيماً هو عبارة عن صدع كبير، إلا أن هذه الاستقامة تنقطع في أماكن عديدة حيث تندفع مياه البحر داخل اليابسة، ويشكل اندفاع المياه في بعض الأماكن من هذا الساحل خلجاناً صغيرة أو رؤوساً، ولذا يبدو الساحل كثير التعاريج مما جعل بعضها يبدو كبيراً مما شكل مرسى طبيعياً، وتتوزع هذه المراسي على طول الساحل بدءاً برأس الشيخ حميد شمالاً الذي يبدأ عنده ما يُعرف بساحل مدين الذي يبلغ طوله ٣٢٢ كم، وينحصر ما بين خطي الطول ٤٠° ٣٤' و ٣٦° ٢٥' شرقاً ودائرتي العرض ٢٦° ١٥' و ٣٠° ٣٨' شمالاً. والجزء الشمالي من هذا الساحل منخفض ورملي، وتكثر أمامه الجروف والجزر المرجانية، أما بقية الساحل فمرتفعة حيث تقترب الجبال كثيراً من البحر، دون أن تترك منخفضاً أو سهلاً، حتى أن الحافات الصخرية والمرجانية تظهر مباشرة من الماء، ويرتفع بعضها أكثر من ثلاثين متراً، وخاصة عند رأس أبو مزاريب. أما إلى الجنوب من هذا الرأس فتأخذ الجبال بالابتعاد عن الساحل، ويتدرج السهل الساحلي في اتساعه حتى يصل عرضه إلى نحو ٤٠ كم عند الوجه^(٣).

(١) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٥٤

(٢) محمد أحمد الرويثي: المرجع السابق، ص ٥٤

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٥

ويبدأ القسم الأوسط الذي كان يعرف بساحل الحجاز جنوب الوجه ، وينحصر هذا القسم بين دائرتي العرض ٢١° و ٢٦° شمالا ويمتد نحو ٦٤٠ كم. وهذا القسم من الساحل منخفض بشكل عام، وتكثر فيه الكثبان الرملية التي تقع خلفها تلال ساحلية، وهذه التلال تقترب كثيرا من الساحل في الجزء الواقع بين الوجه وينبع^(١).

ويعتبر ساحل البحر الأحمر أكثر السواحل في العالم شعابا مرجانية، وأشهرها في هذا المجال، وتقل هذه الشعاب في منطقة تبوك وعند مصبات الأودية حيث ترتفع نسبة الرواسب وتقل الملوحة، وتنشأ الشروم. ولا يقتصر وجود الشعاب المرجانية على الساحل، وإنما توجد أيضا في عرض البحر مكونة جزرا مرجانية، وخاصة أمام أملج والخريبة، ففي هذه المناطق تكثر الجزر الصغيرة والبقاع الضحلة مما يشكل خطرا على الملاحة. غير أن تجنبها سهل؛ إذ يساعد صفاء المياه وسطوع الشمس على رؤيتها بسهولة مما يجنب السفن أخطارها. وهكذا يمكن حصر الشعاب المرجانية في منطقة تبوك بالساحل الممتد بين رأس الشيخ حميد شمالا والوجه جنوبا، وهي شعاب منعزلة، وساحلية^(٢).

وينتشر أمام ساحل البحر الأحمر في منطقة تبوك عدد كبير من الجزر، إذ يصل عددها إلى ١٢٨ جزيرة، وتقدر مساحتها الإجمالية بـ ٤٢٥ كم^٢، ومن هذه الجزر ١٢٢ جزيرة تمثل أرخبيلًا أمام الساحل الممتد بين الوجه شمالا وأملج جنوبا، وتستخدم هذه الجزر كمراكز لدراسة السواحل والأحياء المائية، ويستخدم بعضها قواعد عسكرية لحماية الساحل. ومعظم هذه الجزر صغيرة المساحة، وقد يختفي بعضها أثناء المد العالي، وتتميز بخلوها من السكان ومن أي نشاط بشري. ونظرا لأن كثيرا من هذه الجزر يقع أمام أو حول الرؤوس والخلجان؛ فإنها تعتبر خط تكسير طبيعيا للأمواج، وتساعد بذلك على حماية الخلجان من العواصف البحرية^(٣).

(١) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٥٦

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٨ - ٦١.

(٣) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٨-٢٩.

الكثبان الرملية

تمثل الكثبان الرملية جانبا مهما من جوانب الجغرافيا الطبيعية، وتغطي هذه الكثبان مساحة كبيرة من منطقة تبوك تتجاوز ٩٤٠٠ كم^٢، ولهذه الكثبان تأثير سلبي على خطوط النقل والمواصلات، وتسبب الكثير من المشكلات للعمران والزراعة. وتنتشر هذه الكثبان على هيئة نطاقات في أجزاء متفرقة من منطقة تبوك، وأهمها: النطاق الشرقي شرق تيماء، والشمال في حسمى، والجنوبي شرق مدينة أملج. ويعد النطاق الشرقي أكبرها مساحة، ويعرف باسم: النفوذ الكبير، وهو يمتد حتى حدود إمارة منطقة تبوك مع منطقة حائل بطول يزيد على مائة كيلومتر. ويغلب على هذا النطاق الأكوام الرملية التي يبلغ ارتفاع بعضها ١١٠٠ متر فوق سطح البحر^(١). ويغلب على النطاق الشمالي: الفرشات الرملية الضخمة، وهي تغطي أجزاء كبيرة من هضبة حسمى، وتخللها الحافات والتلال الصخرية. والكثبان الرملية في هذا النطاق مستطيلة، وبعضها متموج يمتد بموازاة اتجاه الرياح السائدة. أما النطاق الجنوبي الواقع شرق مدينة أملج فعبارة عن كثبان ساحلية يتراوح ارتفاعها بين ثلاثة وعشرة أمتار. وهو النطاق الأقل مساحة إذا ما قورن بالنطاقين السابقين^(٢).

ومن الأشكال المعروفة للكثبان الرملية في منطقة تبوك: النباك، والكثبان المتحجرة. أما النباك فهو أكوام من الرمال المتراكمة في كنف الشجيرات الصحراوية، ويتخذ بعضها شكل مثلث متساوي الساقين، يشير رأسه إلى اتجاه الرياح، وتشغل قاعدته الشجيرات الصحراوية التي تعترض الرياح الحاملة للرمال. أما الكثبان المتحجرة فهي تلك التي تماسكت حبيباتها بفعل الرطوبة فثبتت، وتكثر على ساحل البحر الأحمر^(٣).

^(١) والطنون كنيث: الأراضي الجافة، ترجمة عبد الوهاب شاهين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨م،

ص ١١٩-١٢٠.

^(٢) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٤٩-٥٠.

^(٣) سليمان بن صالح الخضير: المرجع السابق، ص ٥٤-٥٥.

المناخ:

يتألف مناخ منطقة تبوك مثل غيرها من المناطق من عدة عناصر هي: الحرارة، والأمطار، والرياح، والتبخّر، والرطوبة النسبية؛ وتؤثر في المناخ عوامل عديدة أهمها: الموقع، والتضاريس، والضغط الجوي. وتقع منطقة تبوك شمال مدار السرطان بين دائرتي عرض ٢٢°، ٢٤° و ٤٥°، ٢٩° شمالاً، فهي منطقة ممتدة من الشمال إلى الجنوب، ولامتدادها أثر في كمية أشعة الشمس التي تتعرض لها، وكذلك في طول ليلها ونهارها، وتوزيع درجة الحرارة على سطحها^(١)، ولذلك فإن معدلات الحرارة تتناقص كلما اتجهنا شمالاً، وخاصة في الشتاء.

وتطل منطقة تبوك غرباً على المسطح المائي المتمثل بالبحر الأحمر، بينما تطل شرقاً على مساحة شاسعة من اليابسة. وليس للبحر الأحمر من تأثير كبير على مناخ المنطقة، ذلك أن كمية ما يتبخّر من مياهه لا تكفي لتكوين السحب المطيرة بسبب ضيقه؛ فأقصى عرضه لا يتجاوز مائتي كيلومتر، ومسافة تأثيره لا تتجاوز ثلاثين كيلو متراً، وبالتالي فإن الأمطار تقل على الساحل وتندر في الداخل، ولا يكاد معدلها في الوجه على سبيل المثال يتجاوز عشرين مليمتراً^(٢). وقد أثر الاتساع النسبي لمنطقة تبوك وإحاطتها بكتل اليابسة من ثلاث جهات تأثيراً سلبياً قوياً على مناخها^(٣).

وتتكون تضاريس منطقة تبوك — كما ورد سابقاً — من الجبال والسهول الساحلية والهضاب الداخلية، وتحول السلاسل الجبلية الممتدة باتجاه عام من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي دون توغل المؤثرات البحرية في الداخل، ويجد من فعاليتها^(٤).

^(١) عبد العزيز طريح شرف: الجغرافيا المناخية والنباتية (الأسس العامة)، القاهرة، دار الجامعات المصرية،

ط١٩٧٨م، ص٧٢

^(٢) نعمان شحادة: فصلية الأمطار في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وآسيا العربية، قسم الجغرافيا، جامعة

الكويت، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت سلسلة رقم ٨٩ (شعبان ١٤٠٦هـ/مايو ١٩٨٦)، ص٢٧٢.

^(٣) عبد الحفيظ محمد السقا: الجغرافيا الطبيعية للمملكة العربية السعودية، ص١٥٧.

^(٤) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص٨١.

أما المنخفضات الجوية الناجمة عن الضغط الجوي، فهي منخفضات تتشكل في شرق البحر الأبيض المتوسط وتأثيرها محدود، ولا تصل إلى شمالي منطقة تبوك إلا أجزاء يسيرة منها، وهي في كثير من الأحيان منخفضات ضعيفة قليلة الأمطار، ولا تقوى أحياناً إلا على إثارة بعض العواصف الترابية^(١). أما منخفضات البحر الأحمر فتأثيرها أيضاً محدود في سقوط الأمطار أو زيادتها، ذلك أنها تتكون فوق هضبة الحبشة، ويصبح امتدادها ضعيفاً كلما ابتعدت شرقاً أو شمالاً عن مركز تكونها^(٢).

وتتميز منطقة تبوك بارتفاع درجة حرارتها، إذ يصل متوسطها إلى ٣٠°م في الصيف، وحوالي ٢٠°م في الشتاء، ولذلك تعتبر ذات مناخ صحراوي جاف. ويلاحظ أن فصول السنة الأربعة في المنطقة تختلف في طولها وتباين تغيراتها، ويكون هذا التباين أكثر وضوحاً في الداخل منه في الساحل، ففي الصيف أي خلال أشهر يونيو ويوليو وأغسطس تسيطر على المنطقة الكتلة الهوائية المدارية القارية الجافة، حيث تستقر الأحوال الجوية، ويكون الجو صحواً شديد الحرارة وشديد الجفاف، أما في فصلي الربيع والخريف فتسيطر الكتل الهوائية البحرية القطبية والقارية الاستوائية، وعندئذ تهب العواصف الشديدة وتنشط الرياح المثيرة للأتربة والغبار والرمال، ونادراً ما تسقط الأمطار والثلوج^(٣).

التربة والنبات الطبيعي

تؤثر في تكوين التربة في منطقة تبوك من حيث تركيبها وخصائصها وتوزيعها وصفاتها العامة عدة عوامل أهمها: نوع الصخور، والمناخ، والتضاريس، إضافة إلى عامل الزمن. وتعد النباتات مصدراً أساسياً للمادة العضوية في التربة، كما أن جذورها تحمي التربة من الانجراف، وتكسبها الكثير من الخصائص، غير أن هذا الأثر على تربة منطقة تبوك محدود بسبب افتقارها إلى غطاء نباتي كثيف، وذلك بسبب الجفاف^(٤).

(١) نعمان شحادة: فصلية الأمطار في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وآسيا العربية، ص ٢٩.

(٢) محمد الكليب: العوامل المؤثرة في مناخ الكويت، إدارة الأرصاد الجوية، الطيران المدني، الكويت، ١٩٨١م،

ص ١٥٧-١٥٩.

(٣) محمد أحمد الرويثي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٨٥.

(٤) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ١٤٠-١٤٥.

ويمكن تمييز عدة مواقع تتركز فيها التربة في منطقة تبوك، أولها: منخفض حوض تبوك، ويتكون من سهول شبه مستوية تنصرف إليها مجاري أودية كثيرة مختلفة الأطوال. ويقع هذا المنخفض بين هضبة حسمى في الغرب وجبال شرورى في الشرق. وتعتبر تربته طميية ملحية عميقة، ومعظم أراضي هذا المنخفض شديدة الملوحة باستثناء ما يقع منها إلى الشرق من مدينة تبوك على بعد ثلاثين كيلومترا. وثانيها: تربة منطقة الحماد الواقعة شمال وشمال شرق مدينة تبوك، وهي أراضي شبه مستوية، وذات انحدار بطئ، وقليلة العمق. وثالثها: مجاري الأودية المستوية في المناطق الجبلية، وتربة هذه المجاري في معظمها جيرية، وتتركز في أودية المرتفعات المواجهة لمدينة ضبا من الشرق، وهذه التربة عميقة تتخللها بروزات من الصخور النارية، وهي تربة طميية عميقة، يصل عمقها إلى نحو متر ونصف المتر. ورابعها: منطقة رأس الشيخ حميد عند التقاء البحر الأحمر بخليج العقبة، وهي سهول ساحلية تغطيها تربة طميية عميقة أيضا، وتختلط في بعض المواقع بطبقة من الجبس. وخامسها: منطقة شرق تيماء التي تتركز فيها التربة الجيرية، وتتخللها بروزات صخرية شديدة الانحدار^(١).

ويمكن تصنيف التربة في منطقة تبوك من حيث صلاحيتها للزراعة إلى ثلاثة أنواع: تربة صالحة للزراعة، وتربة يمكن زراعتها إذا تم استصلاحها، وتربة غير صالحة للزراعة. وتشكل التربة الصالحة للزراعة مساحة صغيرة نسبيا لا تتجاوز ١١.٨% من مساحة المنطقة، أي حوالي ١٣٧١٩ كم^٢، ويوجد هذا النوع من التربة في المناطق المحيطة بمدينتي تبوك وتيماء، وفي الأودية التي تخترق جبال مدين وخاصة وادي عفال. وتوجد التربة القابلة للزراعة إذا تم استصلاحها حول منتصف الطريق بين تبوك وبئر ابن هرماس، وفي شمال شرقي تبوك وشمال وجنوب مدينة تيماء، وفي بعض مناطق السهل الساحلي، وتبلغ مساحة هذا النوع من التربة حوالي ٤٤٩٨ كم^٢، أي ما يعادل ٣,٩% من مساحة المنطقة. وهذه التربة بشكل عام ضحلة مالحة خشنة القوام، وتغلب عليها الرواسب الرملية. ويمكن غسل هذه التربة بالرش لإزالة الأملاح الضارة، ومن ثم زراعتها^(٢).

(١) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ١٤٩-١٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٥-١٥٦.

أما التربة غير الصالحة للزراعة فمساحتها هي الأكبر، إذ تبلغ ٩٨١٨٣ كم^٢، أي ما يعادل ٨٤.٣% من مساحة المنطقة، وتغطي معظم منطقة تبوك، وتتميز هذه التربة بكونها ذات قوام شديد الخشونة، وغير عميقة، وغالبيتها من الكثبان الرملية والأراضي الصخرية وقمم الجبال، والحرث^(١).

ويمكن القول - بشكل عام - إن بعض المناطق المنخفضة تسود فيها التربة الغنية نسبياً بالمواد المعدنية التي حملتها الأودية والسيول من منحدرات المرتفعات الغربية، وتحت أقدام سلاسل هذه المرتفعات حيث المراوح الفيضية، إذ توجد التربة الطينية حيث تنوع النباتات الشوكية، بينما تسود نباتات : العرفج والسنت والرمث في الأودية. وتكثر نباتات الصبار والعشر في المنخفضات، وهذه النباتات مقاومة للجفاف؛ لتمييز أوراقها الشوكية السمكية بالقدرة على اختزان الماء في أوراقها. وتسود بعض النباتات البحرية مثل نباتات المانجروف في السهل الساحلي، أما المناطق الجبلية في منطقة الدراسة فتعد من المناطق الفقيرة بالغطاء النباتي^(٢).

الثروة المعدنية

تكتنز منطقة تبوك ثروة معدنية كبيرة^(٣)، فقد عرفت جبال مدين وأراضي شمال وادي الحمض بوجود المعادن فيها، وقد تم استخراجها قبل الميلاد بمئات السنين، ومما يدل على ذلك ما عثر عليه في المنطقة من آثار مناجم كثيرة مبشرة هنا وهناك^(٤). وتم في الوقت الحاضر اكتشاف كثير من المعادن في المنطقة، وخاصة في الجزء الغربي أي في منطقة الدرع العربي، غير أنها لم تستغل بعد، وأهم هذه المعادن:

١- الرمل الزجاجي (رمل السيليكا Quartz) ويتوافر على بعد ٥٠ كم غرب مدينة تبوك باحتياطي ضخم وبدرجة تركيز تصل إلى ٩٦% سيليكاً مع نسبة شوائب قليلة من طين الكاولين، ويستخدم هذا النوع من الرمال في صناعة الزجاج والسيراميك الزجاجي

(١) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك ص ١٥٦.

(٢) محمد صبري محسوب وآخرون: دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية، ص ٢٤٧.

(٣) محمد عبده يماني: الجيولوجية الاقتصادية، جدة، دار الشروق، ١٩٨٠م، ص ٥٧.

(٤) سليمان بن صالح الخضير: المرجع السابق، ص ٣٦٨.

وبعض الصناعات الكيماوية.

٢- الحديد (Iron ores) ويكثر جنوب خط عرض ٢٨° شمالاً في وادي الصواوين، وقد أجريت اختبارات على خامات الحديد في هذه المنطقة أثبتت وجود معدن الحديد بنسبة ٦٥%، ويمكن إنتاج حوالي مليوني طن سنوياً ولمدة لا تقل عن ٢٥ سنة.

٣- الكبريت (Sulphur) ويوجد في جنوب الوجه ومنطقة طوايل على بعد ٢٠ كم شمال ضبا، وفي وادي الكبريت على بعد ٣٠ كم جنوب شرق قرية مقنا.

٤- الملح الصخري (Rock salts) وينتشر في المنطقة السبخية المطلّة على البحر الأحمر، وتستخرج منه مادة الصودا الكاوية التي تستخدم في صناعة الصابون.

٥- النحاس: وتوجد أكبر كمية مترسبة منه في جبل الشظم على بعد ٥٠ كم إلى الشرق من الوجه، وتقدر كمية الاحتياطي الخام منه بما يزيد على المليون ونصف المليون طن.

٦- الرصاص والزنك: وتوجد خاماته في وادي الأزهم جنوب ضبا، وفي شمال أملج^(١).

الجغرافية البشرية لمنطقة تبوك

أدى الموقع المتميز الذي تحتله منطقة تبوك بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر إلى أن تكون ممراً ومقراً عبر العصور، وأدى إلى ذلك أيضاً تنوع مصادرها الطبيعية، ففيها الأراضي الصالحة للزراعة، وفيها المراعي الواسعة، وتقع على ساحل بحر يزخر بالأسماك، وتعدد موانئه التجارية^(٢). فقد استوطن البشر هذه المنطقة منذ عصور موعلة في القدم، إذ تؤكد المسوحات الأثرية أن فيها أكثر من ١١٨ موقعاً وشاهداً أثرياً على هذا الاستيطان الذي استمر دون انقطاع، وحتى الوقت الحاضر^(٣).

^(١) عبد الرحمن صادق الشريف: جغرافية المملكة العربية السعودية، الرياض، دار المريخ للنشر،

١٩٨٧م، ج ١، ص ٢٠٢-٢٠٦.

^(٢) نعم شقير: تاريخ سيناء، القاهرة، المركز العربي للبحث والنشر، ١٩٨٦م، ص ١٠٤.

^(٣) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٣٠.

وتشير مواقع تعدين النحاس التي عثر عليها في عدد من الأماكن مثل: مدين، أن الاستيطان البشري للمنطقة يرجع إلى عام ٤٥٠٠ ق.م، وقد قام هذا الاستيطان على استغلال الواحات لأغراض الزراعة، واستغلال المصادر المعدنية، وهو الأمر الذي نشطت بتطوره التجارة، وأصبحت معه منطقة تبوك مركزاً لشبكة واسعة من طرق التجارة بين شبه الجزيرة العربية جنوباً وبلاد الشام ومصر والبحر الأبيض المتوسط وبلاد الرافدين^(١). وقد قام المصريون في أيام الفراعنة بشق طريق عبر سيناء في شمال الحجاز حتى تيماء ومنها شمالاً إلى بابل وجنوباً إلى اليمن^(٢). وكانت صنعاء قبيل ميلاد المسيح وبعده- عندما ازدهرت مملكة الأنباط - ترسل البضائع صوب الشمال عبر الحجاز، حيث تلك الطريق المارة بين سلسلي الجبال المتوازيتين، فتصل إلى العلا (وكانت محطة الحدود النبطية)، وهناك يتسلم الأنباط تلك البضائع وينقلونها إلى تيماء حيث يتم فرزها ويرسل بعضها إلى الشام، ويرسل قسم منها إلى العقبة فالعريش فسيناء فمصر، ويرسل قسم آخر عن طريق حائل إلى بابل^(٣). وهكذا كانت أقصر طرق النقل وأكثرها سهولة بين جنوب الجزيرة العربية والبلاد المذكورة بما في ذلك مملكة الأنباط . وذلك لأنها كانت تمر عبر منطقة تبوك، ولذا أصبحت منذ أقدم العصور محطة مهمة تمر عبرها البضائع والتوابل من الجنوب إلى عالم البحر الأبيض المتوسط^(٤).

وقد شهدت الفترة الممتدة بين نهاية الألف الأولى قبل الميلاد وبداية القرن الخامس الميلادي ازدهار العديد من الحضارات التي كان لمنطقة تبوك نصيب وافر منها، ومن تلك الحضارات: النبطية، والرومانية، والبيزنطية، وقد أنشئت خلال الفترة المذكورة مراكز عمرانية عديدة منها الخريبة، وتبوك، ومقنا، وحقل، ومدين، والبدع، وتيماء، وغيرها^(٥).

(١) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، تعريب يوسف مختار الأمين، مراجعة وتدقيق عبد الله بن محمد المنيف، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٣٠.

(٢) دي لانسي اوليري: جزيرة العرب قبل البعثة ترجمه وعلق عليه موسى علي الغول، عمان، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٩٠م، ص ٤٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٩.

(٤) هاري سانت جون فيليبي: المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٥) موزل: شمال الحجاز، ص ١٣٢.

ومما لا شك فيه أن تلك المراكز العمرانية كانت في بداية أمرها محطات تجارية صغيرة، أنشئت قرب مصادر المياه، ثم نمت بمرور الزمن، وأصبح سكانها أيضا يمارسون التجارة مع القوافل، ثم أصبحت لهم تجارهم الخاصة مع القوافل ومع غيرها، حيث أصبحوا يتبادلون السلع من منتجاتهم المحلية بما تحضره تلك القوافل من سلع ومواد يحتاجونها^(١).

ولم يقتصر الاستيطان البشري على وسط منطقة تبوك الذي كان لطرق التجارة دور رئيسي فيه، وذلك أن تلك الطرق لم تقتصر بدورها على الداخل، إذ كانت هناك طرق أخرى توازي ساحل البحر الأحمر، تربط جنوبي شبه الجزيرة العربية ببلاد الشام، ولذلك نشأت محطات على هذه الطرق تطورت هي الأخرى بمرور الزمن وأصبحت مراكز عمرانية مثل: عينونة وحقل والحواء. وقد كانت الموانئ في ساحل منطقة تبوك تقوم بدور تجاري نشط مع موانئ غرب البحر الأحمر في مصر منذ القدم، وأسهم ذلك في إيجاد حركة تجارية واسعة في المنطقة الساحلية والقرية منها^(٢). وبعد انتشار المراكز العمرانية في الداخل والساحل ارتبطت ببعضها بطرق محلية، مما شجع أكثر على الاستيطان البشري في أرجاء المنطقة^(٣).

وأصبحت منطقة تبوك ذات أهمية بالغة كملتقى لتجار البر والبحر، وتزخر بالمحطات والموانئ التجارية، ولذلك أخذت القوى السياسية تحاول السيطرة عليها؛ لضمها والاستئثار بالامكانيات الكبيرة التي وفرها موقعها، وأدى ذلك إلى أن تصبح منطقة صراع دولي منذ ما قبل الميلاد، فقد حاول السيطرة عليها البابليون، والمدينيون (نسبة إلى مدين)، والمعينيون، والحيانيون، والأنباط، واليونان، والرومان^(٤). وكان الرومان بعد احتلال البتراء عاصمة الأنباط، وهزمتهم عام ١٠٦م، قد استخلصوا منطقة تبوك، وضموها إلى الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت تحت

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٦٠٦.

(٢) محمد عبد الرحمن برج: البحر الأحمر عبر التاريخ، الرياض، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية، ندوة البحر الأحمر، ١٤٠٦هـ، ص ٢١.

(٣) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٣٧٢.

(٤) محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ٤٩٣-٤٩٤؛ عواطف بنت أديب بن علي سلامة: أهل مدين، دراسة للخصائص والعلاقات ١٣٥٠-١١٠٠ ق.م، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ، ص ١١٠-١٢٢؛ سيد أحمد علي الناصري: الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالة، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، ص ٤٠١-٤٢٨.

سيطرتهم المباشرة، وأقاموا فيها عدة حاميات عسكرية، ثم اتفقوا مع الغساسنة العرب، الذين تحالفوا معهم على حماية مصالحهم في موانئ المنطقة من اعتداءات القبائل، وبذلك أصبحت المنطقة تخضع لسيطرة الرومان غير المباشرة، وظلت كذلك حتى قيام الدولة الإسلامية^(١).

ويشار هنا إلى أن القرنين الخامس والسادس الميلاديين شهدا صراعا شبه دائم بين الفرس والروم، وأدى ذلك إلى إصابة نظام التجارة بكثير من الفوضى والاضطراب، وتعرضت طرق القوافل التجارية ومحطاتها للمخاطر، ولذلك شهدت منطقة تبوك وقرائها الداخلية والساحلية ركودا ملحوظا، كان سببه انعدام التجارة المنقولة برا وبحرا خلال تلك الفترة^(٢).

وأخذت منطقة تبوك تستعيد مكانتها وأهميتها مع بداية العصر الإسلامي، فقد سعت الدولة الإسلامية بعد قيامها في القرن السابع الميلادي إلى مدّ نفوذها شمالا، ونشر الدين الإسلامي، وأرسلت من عاصمة الدولة: المدينة المنورة عددا كبيرا من الدعاة والسرايا، ثم قاد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - جيشا كبيرا في السنة التاسعة للهجرة غازيا تبوك إدراكا منه لأهميتها العسكرية، وقد أقام فيها عشرين يوما راسل خلالها عددا من قرى وقبائل المنطقة يدعوها إلى الإسلام، ثم عاد إلى المدينة المنورة بعد أن ترك عددا من الحاميات العسكرية في قرى المنطقة ومراكزها العمرانية^(٣).

وأصبحت منطقة تبوك إبان الفتوحات الإسلامية الأولى في العهدين النبوي والراشدي معبرا للجيوش الإسلامية المتجهة إلى بلاد الشام ومصر^(٤). وبعد توسع الدولة الإسلامية، وانتقال عاصمتها إلى خارج شبه الجزيرة العربية أصبحت منطقة تبوك أجزاء يتبع كل منها عاصمة الولاية الأقرب، وذلك وفق ما تراه السلطة السياسية، ولذلك توزعت إدارتها بين الحجاز ودمشق والقاهرة، ذلك أن المنطقة من حيث الموقع كانت على تماس مع الحجاز وبلاد الشام

(١) سالم العيسى: تاريخ الغساسنة، ص ١٢٦.

(٢) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٣٤ ؛ علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، الرياض، مطبعة سفير، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ١٤٦.

(٣) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م، ص ٥٩ ؛ أحمد الشبول: علاقة الأمة الإسلامية في العصر النبوي مع بلاد الشام وبيزنطة، الرياض، ندوة تاريخ الجزيرة العربية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، الكتاب الثالث، ص ١٦١.

(٤) عبد العزيز الدوري: الجزيرة العربية في عصر الخلفاء الراشدين، الرياض، ندوة تاريخ الجزيرة العربية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، الكتاب الثالث، ص ١٩٠.

ومصر، وكلها أصبحت أقاليم إسلامية. غير أن الأهم في هذا المجال هو أن منطقة تبوك أصبحت ممرا لعبور قوافل الحجاج الشامية والمصرية باتجاه الأماكن المقدسة في الحجاز، وأدى زخم القوافل وحركتها التي لم تشهد المنطقة مثيلا لها من قبل إلى إقامة الأسواق، وخاصة الموسمية، وتجمع السكان حولها لعرض منتوجاتهم المحلية وبيعها للحجاج. ولم تتوقف هذه الحركة النشطة إلا خلال فترة الحروب الصليبية^(١).

والجدير بالذكر هنا أن طرق الحج المصري والشامي كانت مطروقة قبل ظهور الإسلام - كما ذكر سابقا - وخاصة أن مصر والشام كانتا ترتبطان بروابط اقتصادية، وكانت القوافل التجارية بينهما تسير من دون انقطاع إلا إذا حالت الظروف السياسية والعسكرية دون ذلك. وقد مرت طريق الحج المصري بعدة فترات زمنية تغيرت خلالها مسالكها، فمنذ الفتح الإسلامي كانت تقطع منطقة تبوك من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة الساحل مرورا بحقل - ظهر الحمار - الشرف - مغاير شعيب - عينونة (عيون القصب) - المويلح - كفافة - بركة عترة - الوجه - أكر - الحوراء - ينبع. وعندما تعطلت هذه الطريق بسبب الحروب الصليبية في بلاد الشام، وتعرض قوافل الحج المصري لقرصنة الصليبيين ثم تغييرها إلى ميناء عيذاب على الساحل الغربي للبحر الأحمر^(٢). وقد ظلت طريق الحج المصري مستخدمة حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حيث تحولت حركة الحجيج إلى البحر الأحمر بعد تطور وسائل النقل بحرا وبرا وجوا.

أما طريق الحج الشامي فكانت أهم محطاتها في منطقة تبوك: حالة عمار - بئر ابن هرماس - تبوك - وادي الأخضر - قلعة المعظم والدار الحمراء. وظلت هذه الطريق مستخدمة حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي حيث استبدلت بسكة حديد الحجاز^(٣).

(١) خالد عزام حمد الخالدي: تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي ١٣٢ - ٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م، الرياض، الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، الإصدار الرابع، ص ٤٠٥-٤٠٦، ٤٠٩.

(٢) السيد محمد الدقن: سكة حديد الحجاز الحميدية: دراسة وثائقية، القاهرة، مطبعة الجبلاني، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٤٣، ٤٥.

(٣) السيد محمد الدقن: المرجع السابق، ص ٤٩.

ولم تقتصر فائدة سكان منطقة تبوك على ما كانوا يجنونه من أرباح عن طريق التبادل التجاري مع القوافل، وإنما كانوا يفيدون أيضا وخاصة القبائل البدوية من الأموال التي كانت تدفعها لهم الدولة الإسلامية إما مقابل عدم اعتدائها على القوافل، وخاصة قوافل الحج، وإما لحماية هذه القوافل أثناء مرورها عبر الأراضي والمحطات التي تقع في ديارها. وقد شكل ذلك مورد رزق مهما لقبائل المنطقة^(١). ولنا أن ندرك مقدار الفائدة التي كان يجنيها السكان من هذه القوافل إذا عرفنا أن حجمها كان كبيرا جدا في معظم الأحيان؛ فالقافلة بحجمها الكبير كانت تشبه الجيش، وقد ضم بعضها أكثر من ٢٥٠٠ جمل^(٢).

وشهدت موانئ منطقة تبوك أيضا حركة تجارية كبيرة بعد الفتح الإسلامي، ذلك أن الدولة الإسلامية سيطرت خلال القرون الأولى على معظم أسواق الشرق والغرب، وشكل البحر الأحمر جزءاً من أشهر خطوط التجارة البحرية الدولية، إذ كانت معظم التجارة بين أوروبا وبلاد الهند والصين تمر عبره، وكانت موانئ شمالي البحر الأحمر خلال العهد العباسي، أما في أيام الفاطميين بمصر فقد ازدادت الحركة التجارية فيها نشاطا ليس على الساحل الشرقي فحسب، وإنما على الساحل الغربي أيضا. وكانت الموانئ الشرقية الواقعة في منطقة تبوك تخدم القرى الداخلية في المنطقة، فميناء الخريبة كان يخدم مدين وتبوك وما حولهما، وميناء العويند كان يخدم وادي القرى، وميناء حوراء كان يخدم القرى القريبة منه حتى خيبر. غير أن نشاط الموانئ لم يكن مستمرا على وتيرة واحدة؛ لأنها كانت تتأثر سلبا أو إيجابا بالأوضاع السياسية التي تحدث إما في الحجاز أو في مصر، أو في بلاد الشام، فخلال الفترة الممتدة من النصف الثاني للقرن الخامس الهجري حتى بداية القرن السابع الهجري (١١-١٣م) ضعفت الحركة التجارية وغيرها في الموانئ، وأصابتها الركود، واقتصرت خدماتها على المنطقة الداخلية وحسب، وكان سبب ذلك - كما سبقت الإشارة - هو وجود الصليبيين قرب خليج العقبة، وتهديدهم المتواصل للملاحة في الجزء الشمالي من البحر الأحمر^(٣). وقد استمر هذا الركود إلى أن تمكن الأيوبيون في القرن السادس الهجري من القضاء على الصليبيين وطردهم من المنطقة، واستعادة السيطرة على ميناء العقبة، وهو ما أدى إلى بعث الحركة والنشاط في موانئ البحر الأحمر الشمالية والجنوبية من جديد^(٤).

(١) خالد عزام حمد الخالدي: تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية، ص ٢٧٩؛ آمنه حسين محمد علي جلال:

طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٨-١٥١٧م، مكة المكرمة،

جامعة ام القرى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٤٨-٥١.

(٢) دي لاسي اوليري: جزيرة العرب قبل البعثة، ص ٢٠٢.

(٣) علي ابراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٤٨-١٥٠.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٥١-١٥٢.

غير أن دور هذه الموانئ ما لبث أن ضعف مرة أخرى في أواخر العصر المملوكي بسبب انعدام الأمن^(١).

وكانت معظم موانئ البحر الأحمر، بما فيها الموانئ على ساحل منطقة تبوك تمارس النقل البحري بصورته التقليدية؛ فقد كانت الموانئ في كل من أملج والوجه وضباء تستخدم لشحن وتفريغ السفن، وتشتمل منشآت كل ميناء على رصيف مبني بالحجارة، وحوض مائي للإرساء، ومخازن للبضائع المستوردة المصدرة، ودوائر لإدارة المرفأ والجمارك، وأماكن خاصة لصناعة القوارب محليا، وتدل بقايا هذه المنشآت على ازدهار تلك الموانئ خلال العصور السابقة^(٢).

وهكذا يلاحظ الدارس المتعمق للجغرافية البشرية في منطقة تبوك أن هذه المنطقة كانت موضع استيطان بشري منذ عصور موعلة في القدم، وأن ما أهّلها لكي تكون كذلك هو موقعها بالدرجة الأولى، فهذا الموقع اضطر المتنقلين بين بلاد الشام وجزيرة العرب والعراق ومصر إلى عبورها، فأنشئت فيها محطات يستريح فيها العابرون، وما لبثت تلك المحطات أن تحولت. بمرور الزمن إلى مراكز عمرانية، أو قل: مستوطنات بشرية ساعد على نموها وفرة المياه في بعض الأماكن مثل الينابيع التي كانت تكثر في الواحات كما هو الحال في تبوك والعلا، ومياه الأمطار التي كان السكان يجمعونها في خزانات خلال فصول الشتاء، بعد أن تسيل في مضائق الأودية، وكذلك الآبار التي كانوا يحفرونها لاستخراج المياه الجوفية^(٣). وكان ساحل منطقة تبوك في كثير من مواقعها مكانا ملائما أيضا للاستيطان البشري، حيث أنشئت الموانئ، وما لبثت أن نمت قربها مراكز العمران التي تحولت إلى مدن، وعمل سكانها بالتجارة مثلما اعتمدوا على البحر لصيد الأسماك. ثم زاد عمران المنطقة في العهد الإسلامي حيث أصبحت تضم أكثر من محطة لخدمة الحجاج الذين يتزلون فيها أثناء ذهابهم إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج وإيابهم منها، وهم حجاج بلاد الشام والعراق ومصر.

وقد جعلت العوامل السابقة إضافة إلى تنوع المصادر الطبيعية من منطقة تبوك مكان استقرار بشري، حيث سكنتها القبائل التي أفادت من مراعيها الواسعة، والحضر الذين أفادوا من واحاتها الزراعية ومن ثرواتها ومن موقعها كمركز لشبكة طرق التجارة والحج. وليس أدل على عمران

(١) علي إبراهيم غبان : بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٤

(٢) محمد بن أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٣٩٨.

(٣) عبد الحفيظ محمد سعيد سقا: الجغرافيا الطبيعية للمملكة العربية السعودية، ص ٧٠.

المنطقة واستيطانها بشريا منذ أقدم العصور من قصة النبي شعيب -عليه السلام- مع أصحاب الأيكة، يقول الاصطخري في تعريفه بتبوك: "وتبوك بين الحجر وبين الشام على أربع مراحل نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل، وحائط ينسب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بُعث إليهم شعيب كانوا بها، ولم يكن شعيب منهم، وإنما كان من مدين، ومدين على بحر القلزم (الأحمر) محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب، ورأيت هذه البئر مغطاة قد بني عليها بيت، وماء أهلها من عين تجري لهم، ومدين اسم القبيلة التي كان منها شعيب، وإنما سميت القرية بهم، ألا ترى أن الله يقول: (وإلى مدين أخاهم شعيباً) (الأعراف: ٨٥)"^(١).

فمنطقة تبوك كانت عامرة بالسكان في أيام موسى -عليه السلام- وشعيب -عليه السلام- -ومما لا شك فيه أن الناس استوطنوها قبل ذلك بزمان طويل .

وكان سكان منطقة تبوك في العصور الإسلامية، وكان غالبيتهم من البدو، ينتمون إلى القبائل العربية : بلي، وجهينة، والحويطات، وشمر، وعتر، وبني عطية، وقد ساهمت هذه القبائل وغيرها في مختلف الأحداث التي مرت بالمنطقة وخاصة السياسية، حيث كانت تمتلك قوة عددية كبيرة، وتتوافر لديها الأسلحة والخيول والإبل^(٢).

^(١) إبراهيم بن محمد الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٢٤.

^(٢) أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق أحمد فؤاد متولي، والصفصافي أحمد المرسي، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م، ص ٢٠٨ ؛ جون لويس بوركهارت : البدو والوهابيين، ترجمة محمد الأسيوطي، د.ن، ١٩٨٨م، مج ١، ص ١١، ٣؛ حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية، الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ق ١، ص ٣٠، ٥٣، ٩٧، ١٨٨-١٨٩، ٢٠٥، ٢٦٤، ق ٢، ص ٥٦٣، ٥٤١.

**تاريخ المنطقة
قبيل العهد السعودي**

اهتمت الدولة الإسلامية عبر عصورها المختلفة بمنطقة تبوك اهتمامها بطرق الحج، وتأمين وصول الحجاج إلى الأماكن المقدسة بسلام وأمن، غير أن هذا الاهتمام كان يضعف أحياناً، و يضعف تبعاً لذلك دور المنطقة إذا ما شارفت سلطة الدولة على الانهيار، ومن أمثلة ذلك ما حدث في أواخر العصر المملوكي حيث انعدم أمن الطرق وأمن الموانئ على حد سواء^(١).

وآلت السلطة الإسلامية بعد المماليك إلى العثمانيين بعد انتصار السلطان العثماني سليم الأول على جيش المماليك بقيادة قانصوة الغوري في معركة مرج دابق في رجب ٩٢٢هـ/أغسطس ١٥١٦م^(٢)، وقد ترسخ الوجود العثماني في منطقة تبوك في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني (٩٢٧-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م)^(٣)، وأصبح العثمانيون بعد أن نشروا سلطتهم على البلاد يشرفون على تسيير قوافل الحج، ويؤمنون حماية الطرق، ويوفرون الجنود لهذه الغاية، ويدفعون الأموال للأهالي لمساعدتهم في هذا المجال^(٤).

وكانت قوافل الحج الشامي عندما تصل منطقة تبوك تنزل في حالة عمار، ثم في ذات الحج، ثم تبوك التي أنشأ فيها العثمانيون قلعة للحفاظ على أمن الحجاج ثم المعظم ثم الحجر فالعلا^(٥).

(١) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٤.

(٢) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقّي، بيروت، دار النفائس، ط ٨،

١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٣٢٠.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ط ٦،

١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٣٤.

(٤) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٣٨.

(٥) محمد لبيب البتوني: الرحلة الحجازية، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ب. ت، ص ٣٧١؛ سيد عبد المجيد بكر:

الملاحم الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٩٦.

ويدل اهتمام السلطات العثمانية بمنطقة تبوك على إدراكها لأهمية المنطقة لها كدولة إسلامية، ومن مظاهر هذا الاهتمام ما أشرنا إليه من إنشاء القلاع، وكذلك البرك ليس في الداخل وحسب لكن على الساحل أيضاً، وكانت قلعة تبوك، وقلعة المعظم، وقلعة المويلح، وقلعة الوجه وغيرها من الإنشاءات الكثيرة التي بنتها على طول طرق الحج من الأمثلة على ذلك^(١).

وأصبحت منطقة تبوك بعد خضوعها للسلطة العثمانية تتبع ولاية مصر العثمانيين، إذ إن المعلوم تاريخياً أن من يحكم مصر يحكم الحجاز، ويصبح صاحب النفوذ فيها، وكان أمير مكة الشريف بركات بن محمد الحسيني قد أرسل ابنه إلى السلطان سليم الأول أثناء وجوده في القاهرة، وذلك في المحرم من سنة ٩٢٣هـ / يناير ١٥١٧م معلناً ولاءه للدولة العثمانية؛ فأقر السلطان الأمير على إمارته^(٢). وأصبحت المنطقة منذ ذلك الحين تتأثر بما يحدث في ولاية مصر لارتباطها الإداري بها، وبما يحدث في ولاية الشام لقربها منها. وكانت ولاية الشام ذات سلطة ممتدة حيث تتبع لها الأجزاء الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة العربية القريبة منها، مثل الجوف، وترتبط معها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وكانت تمر في هذه الأجزاء قافلة الحج الشامي^(٣).

وتشير المصادر إلى أن منطقة تبوك خلال مواسم الحج في العهد العثماني كانت تشهد حركة نشطة. ليس في مجال التجارة وتبادل السلع فحسب، وإنما أيضاً في مجال الأمن والحماية، وفي مجال تعرض القوافل لاعتداءات القبائل، وقد كانت السلطات العثمانية تولي حماية القوافل عناية خاصة، حتى أن الوالي العثماني كان في كثير من المواسم هو الذي يقود القافلة، ففي عام ١٠٨١هـ / ١٦٧١م على سبيل المثال، قاد والي الشام حسين باشا قافلة الحج الشامي وبرفقتة خمسة آلاف ومائة وعشرون جندياً لحفظ الأمن، وحماية القافلة^(٤).

وكان قائد قافلة الحج يدفع الأموال لشيوخ القبائل لقاء تقديم بعض الخدمات للقافلة وحفظ أمنها، وكان على الشريف مكة أن يوزع الأموال على شيوخ القبائل، لكنه كان يحجبها أحياناً

(١) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٤٩-٥٥، ٥٧.

(٢) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٤م، ج ٥، ص ٧١، ١٥٠، ١٩٣.

(٣) جورج أوغست فالين: صور من شمالي جزيرة العرب، ترجمة سمير سليم شبلي ومراجعة يوسف إبراهيم يربك، بيروت، أوراق لبنانية، ١٩٧١م، ص ١٦١؛ مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٤) أوغست جلي: الرحلة الحجازية، ص ٧١.

مما يؤدي إلى هجوم تلك القبائل على قافلة الحج^(١).

وكانت السلطات العثمانية في كثير من مواسم الحج تعد قافلة لمساندة قافلة الحج الشامي أثناء عودتها من الديار المقدسة، وكانت هذه القافلة تلتقي مع الحجاج العائدين من الحجاز في الحجر، وترافقهم باتجاه تبوك، ومنها يعودون جميعاً إلى الشام^(٢).

وتعد الأسواق التي تقام في منطقة تبوك خلال موسم الحج من مظاهر الحركة النشطة التي أشرت إليها، إذ كانت القوافل تقيم سوقاً يؤمها أهل البادية وأهالي القرى المجاورة حيث تتم عمليات البيع والشراء، كما كانت قوافل الحجاج تتجمع قبل انطلاقها متجهة إلى الأماكن المقدسة، أو إلى بلادها بعد أداء فريضة الحج^(٣).

وأصبح الوجود العثماني في منطقة تبوك مهدداً في عهد الدولة السعودية الأولى، وخاصة عندما استولت هذه الدولة على منطقة الجوف عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م^(٤)، غير أن الدولة العثمانية تمكنت في عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/١٨٠٨-١٨٣٩م) من استعادة نفوذها على المنطقة بعد القضاء على الدولة السعودية عن طريق التعاون مع والي مصر محمد علي باشا^(٥).

وقد كانت قافلة الحج المصري تحظى باهتمام كبير من السلطان العثماني نفسه مثلها مثل قافلة الحج الشامي، وقد كانت تلك القافلة تصل إلى العقبة عبر سيناء ومن العقبة تسير إلى البدع، ومنها إلى قرية عيون القصب الواقعة شمال ميناء المويلح، ثم تصل إلى المويلح نفسها، ثم إلى دار أم سلطان الواقعة شمال بلدة ضبا^(٦). ويذكر هنا أن قافلة الحج المصري كانت لها عدة منازل

(١) أويليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص ٧١، ٧٥.

(٢) مأمون أصلان: قافلة الحج الشامي، عمان، دار الكندي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م، ص ٥٩-٦٠.

(٣) أويليا جلبي: المصدر السابق، ص ١٠٠؛ جورج أوغست فالين: صور من شمالي جزيرة العرب، ص ١٢٢.

(٤) عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه محمد ناصر الشثري، الرياض، دار الحبيب، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج ١، ص ١٨٢.

(٥) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الدولة السعودية الأولى ١١٥٨-١٢٣٣هـ/١٧٤٥-١٨١٨م، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ط ٦، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٢٢٨-٢٣٠.

(٦) عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري: درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٤هـ، ص ٤٤٧-٤٤٨؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة إمارات: حائل والجوف وتبوك وعرعر والقريات)، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ق ٣، ص ١٢٤٠.

في منطقة تبوك الساحلية، منها: الأزلم، واصطبل عنتر، وأملج، وقد كانت هذه الطريق الموازية لساحل البحر الأحمر تتفرع منها طريق أخرى تصل بين الوجه والمدينة المنورة^(١).

وتشير المصادر إلى أن قافلة الحج المصري كانت أفضل تسليحا وتنظيما من قوافل الحج الأخرى، ولذلك كان كثيرون من الحجاج يفضلون الانضمام إليها، وكانت السلطات العثمانية في مصر تدفع رواتب شهرية لشيوخ القبائل التي تمر القافلة عبر أراضيها لتوفير الأدلاء وكذلك الحماية للقافلة^(٢). وكانت هذه القافلة تتوقف في بعض الأماكن من منطقة الدراسة مثل: المويلح والوجه حيث تقام سوق يؤمها الأهالي من أجل المقايضة والبيع والشراء^(٣).

وهكذا يلاحظ أن قوافل الحج وحمايتها والإشراف عليها وتنظيمها شكل جانباً مهماً من تاريخ منطقة تبوك قبيل العهد السعودي الذي استقر في عهد الملك عبد العزيز، ومن مظاهر هذا الجانب إنشاء القلاع والبرك والآبار والمحطات، وتأسيس الحماية العسكرية لقوافل الحج الشامي والمصري على حد سواء. وقد كانت الدولة العثمانية تعمل باستمرار على تأكيد وجودها ونفوذها في المنطقة نظراً لقرىها من الحجاز موطن الحرمين الشريفين^(٤).

وقد عززت الدولة العثمانية وجودها في المنطقة بعد افتتاح قناة السويس في ١٥ شعبان ١٢٨٩هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٨٦٩م، وخاصة أن القناة ربطت موانئ الآستانة وموانئ شمال البحر الأحمر ربطاً مباشراً، ويسرت إيصال القوات والإمدادات العسكرية خلال وقت قصير^(٥).

(١) حمد الجاسر: في رحاب الحرمين، مجلة العرب، ج ٩-١٠، س ١٠، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٤٢٠؛ مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٥٣.

(٢) محمد حسين الشريف: المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٣٢٨؛ مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ٥٤-٥٥.

(٣) مطلق البلوي: المرجع نفسه، ص ٥٥.

(٤) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الرياض، مطبعة سفير، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٣١.

(٥) نبيل عبد الحي رضوان: الدولة العثمانية وغربي الجزيرة بعد افتتاح قناة السويس ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/ ١٨٦٩-١٩٠٨م، جدة، تهامة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٣.

وقد عززت قناة السويس قوة الدولة العثمانية في منطقة الدراسة وغيرها، وخاصة بعد أن استأثرت بحق اتخاذ الإجراءات التي تراها لحماية ممتلكاتها على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وذلك وفقاً لاتفاقية الآستانة التي عقدت عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م بشأن حماية حرية الملاحة في القناة^(١).

غير أن افتتاح قناة السويس، وقيام بريطانيا باحتلال مصر عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م أحدث تغييرات سياسية وعسكرية كبيرة كان لها أثرها على منطقة الدراسة، فقد قامت السلطات العثمانية بضم قلاع العقبة والوجه وغيرهما من القلاع الشمالية إلى إمارة مكة المكرمة إدراكاً منها لأهمية السيطرة على هذه المواقع وإبعاد الخط البريطاني عن الأماكن المقدسة في الحجاز^(٢). وحاولت التصدي بقوة لأي خطر أجنبي يقترب من المنطقة^(٣). وأخذت تعد وسائل ذلك فقد عززت القلاع القائمة على طريق الحاج المصري، وأنشأت قلاعاً جديدة، وقسمت الطريق عدة أقسام أوكلت حماية كل منها إلى القبيلة التي تقع حوله مضاربها، وقد أطلق على كل قسم اسم (درك). وبذلك تم توزيع مسؤولية المحافظة على الأمن بين القبائل^(٤).

ويذكر هنا أن معظم ساحل تبوك كان قبل الاحتلال البريطاني لمصر يتبع الإدارة المصرية، وعندما قررت الدولة العثمانية ضمه إلى مكة المكرمة احتجت بعض القبائل وخاصة القرية من المويلح وضبا، معللة احتجاجها بأن مركز ولاية الحجاز بعيد عنهم، وأن الطريق إلى مكة المكرمة محفوفة بمخاطر اقتتال القبائل، يضاف إلى ذلك أنهم اعتادوا على إشراف الإدارة المصرية عليهم؛ ذلك الإشراف الذي كان موجوداً حتى قبل الدولة العثمانية، وأن قوافل الحج المصري كانت تمر عبر الساحل منذ مئات السنين، وأن ارتباطهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي إنما هو مع

(١) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨٣م، ج٣، ص ١٢٠١.

(٢) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين الشريفين، ج١، ص ٩٧؛ صالح العمرو: النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية ١٨٨٤-١٩٠٦م، الدارة، ع ١، س ٥، ربيع الثاني ١٣٩٩هـ/مارس ١٩٧٩م، ص ١٩٦.

(٣) السيد محمد الدقن: سكة حديد الحجاز الحميدية، ص ١٩٦.

(٤) هشام محمد عجمي: قلاع الازم والوجه وضبا بالمنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية، دراسة معمارية حضارية، مكة المكرمة، جامعة ام القرى، ١٤٢١هـ، ص ٢٤.

مصر وليس مع الحجاز، وما دامت مصر قد وقعت في قبضة الاحتلال البريطاني فقد طالبوا بأن تتولى غزة التابعة لبلاد الشام الإشراف عليهم لقربها من بلادهم^(١). وهكذا كانت منطقة تبوك بصفتها منطقة حدودية بين بلاد الشام ومصر ترتبط إداريا بهذه الأقطار وذلك حسب الظروف السياسية.

ومن التغيرات المهمة التي وقعت بعد فتح قناة السويس تحول الحج المصري من البر إلى البحر، وبدء اليهود بيع بعض التحركات المشبوهة التي كانت تهدف إلى تأسيس مستعمرات يهودية على سواحل البحر الأحمر الشرقية، وهو الأمر الذي دفع السلطات العثمانية إلى المسارعة في ضم المنطقة إلى سلطتها المباشرة بدلاً من ولاية مصر التي أصبحت تحت الاحتلال البريطاني^(٢).

وأدى انتقال الحج المصري إلى البحر لإنشاء محجر صحي في الوجه للحد من انتشار الأمراض المعدية، وقد ساهم وجود المحجر في تكتيف حركة النقل، وخاصة نقل الحجاج من شمال البحر الأحمر إلى الأماكن المقدسة، وفي ظهور شركات النقل البحري، وساهم بالتالي في تنشيط الحركة التجارية^(٣). وشجع الازدهار الذي شهدته المنطقة السكان على الاستقرار في مساكن ثابتة بدلاً من التنقل، فازداد من رغبتهم في حياة البداوة مفضلين حياة الحضر. كما أن عديدين قدموا للاستقرار فيها من أماكن مختلفة، وفي مقدمتها مصر^(٤).

وطال التطور والتغيير الجوانب الإدارية أيضاً، فقد أصبحت كل من أمالج وضباء والمويلح والقرى الواقعة على ساحل البحر الأحمر في منطقة تبوك تابعة لمحافظة المدينة المنورة، وأصبحت الوجه قضاء تتبعه ناحيتا ضبا والمويلح وقراها. أما أمالج فأصبحت ناحية تتبع قضاء ينبع البحر^(٥).

(١) حمود بن ضاوي القناني: شمال الحجاز، ج ١، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) صالح العمرو: النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخّل الحكومة البريطانية ١٨٨٤-١٩٠٦م، الدارة، ع ١، س ٥، ربيع الثاني ١٣٩٩هـ / مارس ١٩٧٩م، ص ٢١٠-٢١١.

(٣) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٧.

(٤) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة (آثار المدن المعاصرة وعمارقتها التقليدية)، ص ٢٧١؛ محمد أحمد الرويثي: الوجه، الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٧١؛ موسى مصطفى العبيدان: مدينة ضباء بين الماضي والحاضر، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٧هـ، ص ٣٠.

(٥) سالنامه دولة عليّة عثمانية لسنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، مطبعة إحسان، ص ٩٦٨. وانظر حول التقسيمات الإدارية: ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٦٥م، ص ٢٤٠-٢٤١.

وأخذ سكان القرى خلال هذه الفترة يزدادون إقبالاً على الزراعة، وخاصة تبوك^(١)، بينما أخذ سكان المدن يزاولون التجارة ليس محلياً وحسب، وإنما كان بعضهم يقوم برحلات تجارية إلى بلاد الشام ومصر^(٢). وأما قبائل المنطقة فكانت تنتقل بمواشيها داخل المنطقة وخارجها، وخاصة في جنوبي بلاد الشام طلباً للماء والكلأ^(٣). وكان بعض رجال هذه القبائل يمتهون الغزو، فيعتدون على القبائل الأخرى وينهبون ماشيتها، أو يهاجمون القرى المجاورة، وقد أدت هذه الاعتداءات إلى قيام القرى بدفع ما كان يعرف بـ(الخاوة) إلى القبائل القوية طلباً لحمايتها. وهذه الظواهر السلبية كانت منتشرة في الداخل أكثر منها في الساحل حيث توجد حاميات عسكرية كانت في كثير من المواقع كافية لتأمين حماية السكان^(٤). وعلى الرغم من أن ظاهرة الغزو كانت ظاهرة بدوية اجتماعية إلا أن بعض الممارسات التي تقع خلالها مثل القتل لم يكن أمراً مقبولاً؛ لأنه يؤجج الصراع، ويزيده اشتعالاً^(٥).

ويدل ما كان يقع بين القبائل من تبادل للغزو أن السلطة العثمانية لم تكن تملك قبضة قوية في الداخل، وأما على الساحل فقد كانت القلاع العسكرية مشحونة بالجند والعتاد، ففي صفر عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م كان عدد الجنود في حامية الوجه-على سبيل المثال- خمسين جندياً، وهذا

(١) انطونان جوسين ورفائيل سافيناك: رحلة استكشافية أثرية الى الجزيرة العربية، ترجمة صبا عبد الوهاب الفارس، مراجعة سليمان بن عبد الرحمن الذيب وسعيد بن فاتر السعيد، الرياض، دار الملك عبد العزيز،

١٤٢٤هـ، ج ١، ص ٦٧-٧٣، ٤٩٩-٥٠٠.

(٢) جورج أوغست فالين: صور من شمالي جزيرة العرب، ص ٢١٩-٢٢١.

(٣) جورج أوغست فالين: رحلات فالين الى جزيرة العرب، ص ٢١٠-٢١١، ٢٣٣.

(٤) هشام محمد عجيبي: قلاع الازم والوجه وضبا، ص ٣٠-٣١.

(٥) خلف بن حديد آل مبارك: من وقائع وأحداث البدو، الكويت، مطبعة سفين العالمية، ط ٢ ١٩٩٧م،

الأمر الذي يدل على أن قبضة الدولة هناك كانت قوية^(١). غير أن هذه القبضة لم تلبث أن ارتخت بعد تحول الحاج المصري إلى البحر، وانشغال السلطة العثمانية بالتركيز على مشروع سكة حديد الحجاز^(٢).

وازدادت بضعف السلطة العثمانية سطوة القبائل، حيث أخذت تهاجم القرى، وترعب الأهالي، مما كان يضطرهم إلى مطالبة الحكومة العثمانية بإرسال قوات عسكرية لحفظ الأمن، كما فعل أهل المويلح مثلاً في ذي القعدة ١٣٣١هـ/أكتوبر ١٩١٣م^(٣).

وعلى الرغم من ضعف السلطة العثمانية بشكل عام للأسباب المذكورة، إلا أنها أدركت أهمية الساحل وموانئه، وخاصة بعد أن أبدت بريطانيا حرصها على ما يخدم مصالحها في البحر الأحمر، وأخذت تعمل كل ما من شأنه إعاقة الحركة التجارية بين الموانئ العثمانية، وذلك بعد احتلالها مصر وجنوبي البحر. والسلطة العثمانية أمام النفوذ البريطاني الذي أصبح واسعاً لا بد أن تعزز وجودها العسكري في المنطقة، وخاصة في الموانئ، ولا بد أيضاً من وقف تعديات القبائل على الأهالي، ولذلك تم تعزيز القوة العسكرية في أملج بعد تسلط أحد شيوخ قبيلة جهينة على الناحية، إذ أرسلت إليها قوة عسكرية من خمسة وعشرين رجلاً لحفظ الأمن. فقد حرص المسؤولون العثمانيون على وقف تعديات القبائل على النواحي، وعلى عدم الإخلال بحركة الموانئ من أجل وصول البضائع والإمدادات.

ولم تقتصر جهود الدولة العثمانية على تحصين الموانئ عسكرياً في مواجهة الموانئ المصرية التي سيطرت عليها البحرية البريطانية، فقد أنشأت ميناء قصارة ليكون بديلاً لميناء السويس الذي احتلته بريطانيا، وقد أدى إنشاء ميناء قصارة إلى تنشيط الحركة التجارية، وتعزيز واردات الدولة العثمانية من الرسوم الجمركية التي تدفع فيه، إضافة إلى أهمية الميناء العسكرية^(٤)..

(١) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين الشريفين، ج ١، ص ٤٩.

(٢) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٩٥-٩٧، انظر عن ضعف السلطة العثمانية على ساحل البحر الأحمر:

(٣) Alios Musil: Northern Hejaz, New York, Ams Press, 1926, p.130, 143, 145.

(٤) هشام محمد عجمي: قلعة المويلح، دراسة معمارية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٤) مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ٧٤، ٩٨.

وعلى الرغم من الإجراءات المختلفة التي اتخذها العثمانيون، وحرصهم الشديد على حفظ أمن الساحل إلا أن ذلك لم يحقق نتائج ملموسة، بل بدأت الأمور تخرج عن السيطرة المحكمة بسبب التعديات المستمرة التي كانت تقوم بها القبائل، وكان ذلك بتحريض من الشريف حسين بن علي أمير مكة، الذي كان على ما يبدو انه بيت أمرا ضد الدولة العثمانية، وأخذ يعمل على إضعاف سلطتها في المنطقة، فأوعز إلى بعض القبائل التابعة له محرضا إيّاها على مناكفة السلطة، بل وتشجيعها على مهاجمة موانئ ساحل منطقة تبوك وغيرها. ويدل على موقف الشريف حسين المناهض للسلطة العثمانية اعتذاره عن عدم مساعدتها في هذا المجال عندما طلبت عونه بصفته المسؤول عن شؤون القبائل لإيقاف تجاوزاتها الكثيرة، وخاصة في أملج^(١).

لقد أخذ الشريف حسين بن علي يعمل في أكثر من اتجاه استعدادا للثورة على الدولة العثمانية، وكانت منطقة تبوك ميدانا من ميادين استعداده، حيث عمل على كسب ود القبائل في المنطقة، واستمالتها إلى جانبه، وفي الوقت نفسه عمل على كسب الوقت، وصرف أنظار الدولة عما يخطط له، حيث تدخل أخيرا، وتمكن من وقف اعتداءات القبائل على أملج^(٢) موهما السلطة العثمانية بأنه معها، وفي الوقت نفسه كان يجري الاتصالات مع السلطات البريطانية تمهيدا لإعلان ثورته ضد تلك السلطة وعلى الرغم من الهدوء النسبي الذي شهدته منطقة تبوك وساحلها بعد تدخل الشريف حسين بن علي إلا أن تحركات القبائل المناوئة للسلطة العثمانية ما لبثت أن ازدادت في أعقاب دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى، وهو الأمر الذي دفع الدولة إلى تطوير استراتيجيتها في المنطقة، حيث أسست نقاطا عسكرية على ساحل البحر الأحمر ترتبط بقيادة الجيش الرابع في الشام، وأمرت قوة من الجند بالمرابطة على الساحل، وقامت ببعض الإجراءات الهادفة إلى توعية السكان بضرورة وقوفهم إلى جانبها في الحرب، حيث حثت أئمة

(١) مطلق البلوي : العثمانيون في شمال الجزيرة العربية ، ص ٩٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠١.

المساعد على القيام بهذه التوعية، وعلى استمالة القبائل^(١).

وفكرت الدولة العثمانية - في إطار الإجراءات الهادفة إلى تعزيز قبضتها على ساحل البحر الأحمر - في إنشاء سكة حديد بين العلا والوجه، لردع القبائل، وتقوية نفوذها وهيبتها في المنطقة، غير أن تسارع الأحداث التي أدت إلى نشوب الحرب العالمية الأولى حال دون تنفيذ هذه الفكرة، وهكذا يلاحظ أن اهتمام الدولة العثمانية بساحل منطقة تبوك كان كبيراً، وقد بذلت جهوداً كبيرة لجعله آمناً وفعالاً، غير أن بريطانيا قوت وجودها في البحر، وأحكمت السيطرة على معظم موانئه مما دفع الدولة إلى إتباع استراتيجية مختلفة، وذلك بتركيز قوتها على طول سكة حديد الحجاز التي تتيح لها تحريك قواها العسكرية، وتهديد الأسطول البحري البريطاني في البحر الأحمر^(٢).

وكانت الدولة العثمانية قد بدأت تنفيذ سكة حديد الحجاز في محرم ١٣١٨هـ / مايو ١٩٠٠م، واحتفلت بوصوله إلى المدينة المنورة في ٢٥ شعبان ١٣٢٦هـ / الأول من سبتمبر ١٩٠٨م، ولم يكن تنفيذ هذا المشروع أمراً سهلاً لا من حيث التمويل، ولا من حيث الأمن، غير أن السلطات العثمانية تمكنت من التغلب على المشكلات التي اعترضت تنفيذه، فقد جمعت التبرعات وفرضت الضرائب، فتغلبت على الصعوبة المالية^(٣)، أما من حيث الأمن فقد كانت القبائل تعارض مد السكة معارضة شديدة، ولذلك قاومت أعمال مدها وخاصة في منطقة تبوك، حيث كانت القبائل تشن على عمال السكة ومحطاتها الهجوم تلو الهجوم، وتسطو على المعدات، وشهد عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م الكثير من هذه الأعمال، مما اضطر السلطات العثمانية إلى تخصيص قوة عسكرية من خمسة آلاف جندي لتأمين الحماية اللازمة^(٤).

(١) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٠٢-١٠٤.

(٢) مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ١٠٥، ١١٧.

(٣) السيد محمد الدقن: سكة حديد الحجاز الحميدية، ص ٧٥؛ سعد أبو دية: استراتيجية الخط الحديدي الحجازي

والأمن بالبحر الأحمر، المجلة التاريخية للدراسات العثمانية، ع ٩-١٠، ١٩٩٤، ص ١٨؛ خالد السعدون:

مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز أسبابها وتطوراتها، الدارة، ع ٢، ص ١٤، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ص ٤٨.

(٤) السيد محمد الدقن: المرجع السابق، ص ٢٤٤؛ خالد السعدون: المقالة السابقة، الدارة، ع ٢، ص ١٤،

١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ص ٥١؛ مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ١١١.

ونجحت الدولة العثمانية في مد سكة حديد الحجاز التي كان لها أثر إيجابي على منطقة الدراسة، فقد أقامت الدولة محجرا صحيا في تبوك، وزاد عدد الحجاج المارين بتبوك؛ إذ وصل في عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م - على سبيل المثال - نحو ستة وعشرين ألفاً^(١)، وأنشئت بالقرب من محطة تبوك منازل جديدة، وسوق. وبدأ بذلك ازدهار تبوك عمرانيا وكذلك تجاريا^(٢). وأخذت الدولة تستجيب لمطالب الأهالي بضرورة توطين القبائل^(٣). وإن كانت هذه الاستجابة محدودة بسبب إنشغالها بما هو أهم، وهو الاستعداد لخوض الحرب ضد الحلفاء.

وكان لسكة حديد الحجاز دور في تنمية المنطقة اقتصاديا، وبدأت المنتجات الشامية تتدفق عليها، وازداد الاستقرار قرب محطاتها، حيث أخذت القرى تنمو باطراد بعد أن تشجع كثيرون على الاستقرار فيها^(٤). ويمكن القول باختصار أن سكة حديد الحجاز والتأثيرات والأحداث المرتبطة بها قد شكلت جانبا مهما من تاريخ منطقة تبوك قبيل العهد السعودي.

وبدأت الأحداث تتسارع باتجاه الحرب العالمية الأولى، فبعد اندلاعها في أوروبا أمرت الدولة العثمانية جيوشها بالتعبئة العامة، ووجهت جهودها السياسية والعسكرية لتجميع الطاقات المحلية لأمرأى جزيرة العرب، وتسخيرها للمجهود الحربي^(٥)، ومن هؤلاء الأمراء: ابن رشيد في حائل الذي كان مهتدا من قبل الملك عبد العزيز آل سعود، وأمير مكة الشريف حسين بن علي، والملك عبد العزيز نفسه وغيرهم، سعيا إلى توحيد الصف العربي العثماني ضد الحلفاء أرسل ناظر الحرية العثماني إلى الملك عبد العزيز في ذي الحجة ١٣٣٢هـ/ أواخر يناير ١٩١٤م برقية يطلب

(١) عبد الناصر إحسان كعدان: أشهر الرحالة من الأطباء العرب الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ القرن العاشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢١هـ، ج ٢، ٧٩٨-٨٠٢.

(٢) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١١٨.

(٣) محمد كرد علي: رحلة إلى المدينة المنورة، مجلة المقتبس، مج ٧، ج ٧، ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، ص ٥١٢-٥١٤، ٥١٧.

(٤) إبراهيم السايح: مدائن صالح من مملكة الأنباط إلى قبيلة الفقراء، القاهرة، دار البستاني للنشر والتوزيع، ص ١١٤-١١٥.

(٥) جبار يحيى عبيد: التاريخ السياسي لإمارة حائل ١٨٣٥-١٩٢١م، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ١٨٦.

فيها التخلي عن استعداداته لشن حملة ضد ابن رشيد، ومساعدة الدولة العثمانية في حربها ضد الحلفاء^(١). وأبلغت أمير مكة في ٢٢ محرم ١٣٣٣هـ / ١٠ ديسمبر ١٩١٤ بنيتها إرسال حملة إلى قناة السويس طالبة منه الاشتراك في هذه الحملة بقوة من الحجاز، وطالبت أميري حائل والجوف بالتصالح فيما بينهما، وحث ابن رشيد على عقد صلح مع الملك عبد العزيز آل سعود^(٢).

غير أن الأمور ساءت بشكل عام وسارت بما لا تشتهي السلطات العثمانية، فقد أعلن الشريف حسين بن علي الثورة عليها في شعبان ١٣٣٤هـ / يونيو ١٩١٦م وذلك أملا في تحقيق تطلعاته الخاصة، حيث كانت تتملكه الرغبة في الزعامة المطلقة، مما دفعه أيضا إلى الاستناد على بريطانيا لتحقيق هذه التطلعات^(٣). وأما الملك عبد العزيز فقد أعلن الحياد^(٤)، بينما كان آل الرشيد في حائل، وآل الشعلان في الجوف، وآل الصباح في الكويت قد اتخذوا مواقف باهتة من تأييد السلطات العثمانية لا يسمح المقام بالخوض في تفاصيلها.

وكان الملك عبد العزيز آل سعود يرى أن الشريف حسين بن علي يرغب في الاستقلال بأي ثمن، وأنه وأسرته كانوا على استعداد لأن يقوموا بالخديعة والوقعة بين شعوب المنطقة خدمة لمصالحهم^(٥). أما الملك عبد العزيز نفسه فقد كان وقوفه على الحياد خلال الحرب العالمية الأولى خطوة تدل على ذكاء متوقد، وبصيرة نافذة، فقد أدرك ما ستؤول إليه الأحداث، وأخذ يستعد من أجل توظيف ما ستؤول إليه لمصلحته.

(١) خالد السعدون: أحداث في تاريخ الخليج العربي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠١م، ص ١٦٢.

(٢) عوض البادي: الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط ٢،

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٤٣٥؛ مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٧٠.

(٣) جورج انطونيوس: يقظة العرب، ترجمة إحسان عباس وناصر الدين الأسد، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٨،

١٩٨٩م، ص ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٤-٢٢٥.

(٤) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢،

١٣٧٩هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ٢١٦.

(٥) مطلق البلوي: المرجع السابق ص ٢٠٤.

وانتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م بهزيمة الدولة العثمانية، وأصبحت بريطانيا هي صاحبة النفوذ في المنطقة بعد خروج السلطات العثمانية منها، وأخذت تعزز المعونات المقدمة للقبائل، وكذلك للحسين بن علي الذي نجحت ثورته في إخراج العثمانيين من الحجاز، ومن منطقة تبوك بدعم من القوات البريطانية^(١).

وقد أعلن أهالي منطقة تبوك وقبائلها بعد انتهاء الحرب ولاءهم لسلطة الحسين بن علي، وأرسلوا وفوداً إلى مكة المكرمة لتأكيد هذا الولاء^(٢). ومن جهتها أبدت بريطانيا اهتمامها الكبير ليس بمنطقة تبوك وحسب، وإنما بشمالي الجزيرة العربية ككله ومن مظاهر ذلك إرسالها وفداً إلى المنطقة في شهر رمضان ١٣٤٠هـ/ مايو ١٩٢٢م لإقناع نوري الشعلان أمير الجوف بضم أراضي قبيلة الرولة بما في ذلك الجوف وسكاكا إلى إمارة شرقي الأردن التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى، وقد ضم الوفد أحد مهندسي السكك الحديدية، حيث كانت بريطانيا تنوي مد سكة حديد بين بورسعيد في شمال مصر والكويت على الخليج العربي، عبر شمال شبه الجزيرة العربية^(٣). غير أن تطور الأحداث، وتمكن الملك عبد العزيز آل سعود من ضم المنطقة إلى المملكة العربية السعودية - كما سيأتي في الفصل الأول من هذه الدراسة - حال دون تنفيذ نوايا بريطانيا في المنطقة.

وبخلاصة القول في جغرافية منطقة تبوك الطبيعية والبشرية، وتاريخها قبيل العهد السعودي أن هذه المنطقة كانت تشكل على الدوام وحدة جغرافية اقتصادية اجتماعية، فقد هيأ لها موقعها بين بلاد الشام ومصر والحجاز لعب دور أساسي في السياسة الدولية، وأتاح لها النمو والإزدهار، وخاصة أنها شكلت ممراً وملتقى لحجاج بلاد الشام ومصر، وأحياناً حجاج العراق وإيران أيضاً.

(١) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط ٣، ١٤٢١هـ — / ٢٠٠١م،

ص ١٩٣؛ مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٢٣٨.

(٢) حمود بن ضاوي القنامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ٣٦٤-٣٦٥.

(٣) عوض البادي: الرحالة الأوروبيون في شمال شبه الجزيرة العربية، ص ٤٨٤؛ جمال محمود حجر:

الآثار السلبية للسياسة الغربية في شمال شبه الجزيرة العربية، الدارة، ع ١، س ١١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م،

ص ١٣٣-١٣٤؛ مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ٣١٤

الفصل الأول

دخول منطقة تبوك تحت حكم الملك عبد العزيز

- أ- مدن المنطقة وموانئها وجُزرها .
- ب- أوضاع المنطقة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.
- ج- ضم الملك عبد العزيز حائل والجوف وأثر ذلك على المنطقة.
- د - ضم الملك عبد العزيز منطقة تبوك .

مدن المنطقة وموانئها وجُزرها

أنشئت في منطقة تبوك عبر تاريخها مراكز عمرانية كثيرة، تطور بعضها فأصبح مدنا كبيرة عامرة، كما أنشئت حول كثير من المحطات التي أقيمت أصلا لخدمة حجاج بيت الله الحرام، أو سكة حديد الحجاز قرى عامرة. وكانت موارد المياه والواحات الزراعية أيضا أماكن جذب للسكان، حيث استوطنوها واستقروا فيها مكونين تجمعات سكنية، ما لبثت أن كبرت - بمرور الزمن - حتى أصبح بعضها مدنا عامرة، ولم يقتصر ذلك كله على داخل المنطقة وإنما تجاوزته إلى ساحلها على البحر الأحمر، حيث كثرت الموانئ وتنوعت سعةً ووظيفةً، وشهد بعض تلك الموانئ نشاطا تجاريا كبيرا مما اقتضى الاستيطان البشري قربه، وأدى الاستيطان الذي كان محدودا في البداية إلى نمو المدن قرب الموانئ. وهكذا أصبحت منطقة تبوك تضم عددا من المدن الداخلية والساحلية، وتشكل تلك المدن والموانئ، وكذلك الجزر التي يزرع بها البحر الأحمر محور هذا المبحث.

ويمكن القول أن نشأة المراكز العمرانية في منطقة تبوك داخلا وساحلا أدت إليها عوامل متضافرة، ولعل أهم هذه العوامل: التضاريس، والموقع الفلكي، ووفرة موارد المياه، وتوافر الطرق ووسائل النقل، وكذلك توافر الخدمات والأمن^(١)، وفيما يلي تعريف بهذه المراكز العمرانية، وكذلك بالموانئ والجزر في منطقة تبوك:

(١) جمال حمدان : في العلاقة بين السكان والتضاريس: دراسة في جغرافية السكان، مجلة كلية الآداب، المجلد التاسع، الجزء الأول، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٩٥ ؛ عبد الوهاب محمد وهيبة : في جغرافية السكان، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٩م، ص ٤٥ ؛ صبحي أحمد السعيد: نمط التوزيع المكاني والتركيب الوظيفي لمراكز الاستيطان البشري في منطقة نجد، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ١٤٩ .

أ- المدن :

تيماء

"بالفتح والمد"، وكانت تسمى : تيماء اليهودي، لأن حصنا للسمو آل بن عادياء اليهودي كان يشرف عليها^(١)، وهو حصن الأبلق* ، وقد وردت بهذا الاسم في أشعار العرب؛ قال الأعشى: ^(٢)

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله
وورد بتيماء اليهودي أبلق

وقال بعض الأعراب: ^(٣)

إلى الله أشكو، لا إلى الناس، أني
بتيماء تيماء اليهود غربُ
وأني بتهباب الرياح موكل
طروب إذا هبت عليّ جنوبُ

وتيماء على وزن فعلاء من التيم^(٤). وقد ورد اسمها في (جغرافية بطليموس): Thaima ، وكان يقصد بها واحة تيماء. ووردت في التوراة باسم تيمما Tema^(٥).

تقع مدينة تيماء في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية عند تقاطع خط الطول

^(١) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٧.

* ينسب بناء هذا الحصن إلى (عاديا)، الجد الأول للسموأل، وقد كان مبنيا من حجارة سود وبيض، وقيل: سمي الأبلق لأن في بنائه بياضا وحمرة، وقيل لأنه بني من حجارة مختلفة الألوان، وكان هذا الحصن يشمل كل مدينة تيماء حيث أحاطها بسور عظيم تضم قصورا عديدة، وحدائق وزراعات ؛ حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٣٩١-٣٩٢.

^(٢) ياقوت بن عبد الله الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٧.

^(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

^(٤) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،

ج ٢، ص ٥٣.

^(٥) حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، ٣٣٠ ، ٣٨٠.

٢٩، ٣٨° شرقاً مع دائرة العرض ٣٨، ٢٧° شمالاً^(١). وتبعد تيماء عن مدينة تبوك إلى الجنوب الشرقي منها ٢٦٤ كم، بينما تبعد عن مدينة العلا إلى الشمال الغربي منها ١٥٠ كم^(٢). وقد ذكر ياقوت الحموي أن تيماء "بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، على طريق حاج الشام ودمشق"^(٣).

وتقع تيماء من الناحية التضاريسية في منخفض من الأرض، حيث تنحدر السيول إلى هذا المنخفض من الجنوب ومن الشرق مارة بالمدينة وبساتينها، ثم تتجه السيول إلى الشمال حتى تصل إلى سبخة واسعة محاطة من الجهة المذكورة بتل صخري مرتفع^(٤).

وتحيط بتيماء تلال مرتفعة، ويمكن أن ترى منها قمم جبلية صغيرة ترتفع فوق الصحراء في الجنوب الغربي من المدينة، وأبرز هذه القمم قمة جبل غنيم الذي يشكل سلسلة آكام مرتفعة الرؤوس^(٥).

وتعتبر مدينة تيماء تاريخياً من مدن المملكة الموغلة في القدم، وقد وصفها الحميري بأنها من أمهات القرى "وكانت أمة من العماليق نزلوا في قديم الزمان الحجاز، وكان ملكهم بتيماء يقال له الأرقم بن أبي الأرقم، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله وعتوا عتواً كبيراً، فلما أظهر الله - عز وجل - موسى - عليه السلام - على فرعون وأهله وجنوده وطئ الشام وأهله، وبعث بعثاً من بني إسرائيل إلى الحجاز وأمرهم أن لا يستبقوا منهم أحداً بلغ الحلم، فأظهرهم الله - عز وجل - عليهم فقتلوه حتى انتهوا إلى ملكهم بتيماء، الأرقم بن أبي الأرقم، فقتلوه"^(٦).

وتدل الوقائع والأحداث التاريخية أن تيماء ظهرت على المسرح السياسي منذ حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، فقد وردت في الكتابات الآشورية، كما ذكرتها التوراة على أنها مركز تجاري

(١) أسعد عبده: معجم الأسماء الجغرافية، جدة، مكتبة المدني، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١١٠.

(٢) محمد بن حمد التيمائي: تيماء، الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ط ٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ص ١٧.

(٣) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٧.

(٤) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٣٢٥.

(٥) حمد الجاسر: المصدر السابق، ص ٣٢٦.

(٦) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان،

مهم، وموطن لبعض القبائل العربية. ويذكر في هذا المجال أن أحد الملوك البابليين، وهو (نابونيديس) اتخذ تيماء مقرا له، وبني فيها قصرا شبيها بقصره في بابل، وعاش فيها عشر سنوات خلال الفترة (٥٦٦-٥٣٩ ق.م)^(١). وتعرضت تيماء في عهد الملك الفارسي كورش لحملة استهدفت طرد الأنباط من تيماء، وقد احتلها بعد أن كانت آخر معقل من معاقل الإمبراطورية البابلية يصمد في وجه الغزاة من الفرس^(٢).

ويعتبر وجود بئر هداج التي تعتبر أعظم بئر في شبه الجزيرة العربية منذ القرن السادس قبل الميلاد تقريبا. سبباً رئيساً للاستيطان البشري في تيماء، ومن ثم نشأتها لتكون - أول الأمر - محطة تمر بها القوافل التجارية^(٣).

وكانت تيماء بؤرة عظيمة للتجارة في شمال شبه الجزيرة العربية، فقد كانت متصلة مع بابل عن طريق حائل، ومع مصر عن طريق معان فالعقبة فسيناء، ومع سوريا عبر الطريق الصحراوية المباشرة مع بصرى، وكذلك عن طريق معان - البترا - بصرى. وكانت تيماء تتصل عن طريق العقبة مع غزة وتجارة البحر الأبيض المتوسط وفلسطين، فقد أصبح الوصول إليها أيسر بعد إنشاء طريق تراجان، الإمبراطور الروماني المعروف. وكانت معظم هذه الطرق قد شقها البيزنطيون^(٤).

وقد دخلت تيماء الإسلام بعد إرسال الرسول -صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد إلى دومة الجندل لفتحها، حيث صالحه ملكها الأكيدر بن عبد الملك على الجزية، فبادر أهل تيماء أيضا إلى مصالحته صلى الله عليه وسلم. وقد أصبحت تيماء منذ عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م) حامية عسكرية، وقاعدة متقدمة تتجمع فيها جيوش المسلمين المتجهة إلى الشام^(٥).

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ٢٧٢؛ حامد إبراهيم أبو درك: دراسة نقدية ومقارنة لبعض المعالم الأثرية في تيماء بشمال غرب الجزيرة العربية من خلال نتائج الاستكشافات الأثرية، الرياض، مطبوعات الإدارة العامة للآثار والمتاحف، ١٤٠٦هـ، ص ٤-٥.

(٢) دي لاسي اوليري: جزيرة العرب قبل البعثة، ص ٦٨.

(٣) محمد بن حمد التيمائي: تيماء، ص ١٧، ٣٢.

(٤) دي لاسي اوليري: المرجع السابق، ص ١٢١.

(٥) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، الرياض، مؤسسة التراث، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٣٠٥.

وأصبحت تيماء في صدر الإسلام مدينة حصينة، واستمر الاستيطان البشري فيها طوال التاريخ الإسلامي، وأصبحت - كما يذكر بعض الجغرافيين المسلمين - أعمر من تبوك^(١). فهي "مدينة قديمة واسعة البقعة، كثيرة النخيل، هائلة البساتين، غزيرة الماء مع خفة عجيبة وعين مليحة تخرج في شباك حديد إلى بركة ثم يتفرق في البساتين، ولهم آبار حلوة، الجامع فيها والعمارات حول السوق، وكل ثمرها جيدة"^(٢). وقد وصف الإدريسي تيماء بأنها حصن عامر، وبنية أزلية "وتيماء مياه ونخيل، ومنه تمتاز البادية"^(٣).

وتعرضت تيماء في منتصف القرن السادس الهجري تقريبا (سنة ٥٥٢هـ) إلى زلزال شديد، كان من الجوائح العظيمة التي شملت بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، ويقال - كما تروي بعض المصادر - أن طوفانا اجتاحتها فهجرها أهلها، وظلت كذلك حتى أوائل القرن الحادي عشر الهجري حيث قام شخص من قبيلة ثمر باستيطانها وأعاد ترميم بئر هداج، فعمرت المدينة من جديد^(٤). ثم ما لبثت قبيلة ثمر أن سيطرت على المدينة مع باقي النواحي الشمالية، وكان ذلك في القرن الثاني عشر الهجري السادس عشر الميلادي، حيث استوطنتها بعض الأسر من تلك القبيلة، فأصبحت تحت النفوذ المباشر للأسرة. وقد حكمت أسرة آل رمان تيماء حتى أواخر سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، وفي هذه السنة تولى إمارتها خالد بن أحمد السديري الذي شق في وسطها شارعا يصل إلى قصر ابن رمان الذي أنشئ سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م ولا يزال قائما^(٥). ويلاحظ من يتتبع تاريخ تيماء أنها كانت مدينة عريقة، خلفت الأمم السابقة فيها

(١) عماد الدين إسماعيل أبو الفداء: تقويم البلدان، بيروت، دار صادر، د.ت، ص ٨٩.

(٢) محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٩م، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) محمد بن محمد الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم المكتبة، ١٩٨٩م، ج ١، ص ٣٥٢.

(٤) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٣٩٥؛ محمد بن حمد التيمائي: تيماء، ص ٣٢.

(٥) حمد الجاسر: المصدر السابق، ص ٣٤٧-٣٤٨.

آثاراً تدل على قدمها من ناحية، وعلى أهميتها من ناحية أخرى^(١)، وربما كان من أهم تلك الآثار: حجر تيماء الموجود في متحف اللوفر بباريس، وهو حجر منقوش باللغة الآرامية، ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد. والكتابات والرسوم الثمودية التي عثر عليها في قمة جبل غنيم. والبقايا الأثرية التي ما تزال شاهدة على عراقلة المدينة عبر العصور، وبخاصة قبل الميلاد، ومن ذلك القسم الغربي من واحتها، حيث يضم هذا القسم تلالاً أثرية تبلغ مساحتها أربعة وستين هكتاراً، تحيط بها مجموعة من الأسوار الحجرية الضخمة^(٢).

ويبدو أن تيماء كانت في العصور القديمة واحة المياه، بل كانت تقع على ضفاف نهر عظيم ينحدر من الجهة الغربية الجنوبية ثم يتجه إلى الشمال الشرقي، غير أن عوامل الجفاف أثرت في جريان هذا النهر، ولم يبق إلا الآثار الدالة عليه، ومنها بعض الينابيع التي عرفت منذ القرن الأول الهجري^(٣).

ويذكر هنا أن واحة تيماء تضم ثلاثة أقسام أهمها أوسطها، ففي هذا القسم تتجمع بساتين النخيل الواسعة التي تتوسطها بئر هداج. والجهة الشمالية من هذا القسم تقع على طول حافة مسطح السبخة، وفي الجنوب تبدو أنقاض تيماء القديمة التي كانت ذات يوم مقاما لملك بابل. وتنفصل الضاحية الجنوبية من تيماء عن الواحة بقناة واسعة هي قناة وادي السيفية، وكانت مياه هذا الوادي في الأزمنة القديمة تروي مناطق شاسعة من الحقول^(٤).

ونظراً لأهمية تيماء عبر التاريخ، واشتمالها على كنوز أثرية قيمة اجتذبت عدداً كبيراً من الرحالة والجغرافيين الأجانب والمسلمين، منذ القرن التاسع عشر الميلادي، فقد زارها الرحالة جورج أوغست فالين (Wallin) عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٥م، وعاد إلى زيارتها عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م. وزارها الرحالة كارلو جورماني (Carlo Guormani) عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٤م. وفي عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٧م زارها الرحالة (Doughty) مرتين. أما الرحالة الفرنسي هوبر (Huber) فقد زار تيماء مرتين كانت الأولى بمفرده عام

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية،

ص ٣٠٥-٣٠٧.

(٢) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٣٥٥-٣٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠٧-٤١٣.

(٤) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ١٥٥-١٥٦.

١٢٩٦هـ/١٨٧٩م والثانية بصحبة الألماني أوتنج (Euting) عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م. وقام جوسين (Jaussen) وسافياك (Savighac) بزيارة تيماء سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، ونظم مورتيز (Mortz) حملة لزيارتها قبيل الحرب العالمية الأولى، ثم قام الرحالة السياسي البريطاني جون فيلي (Philby) بزيارة المدينة عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م^(١).

وزار تيماء من الباحثين والجغرافيين السعوديين: عبد القدوس الأنصاري عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، وحمد الجاسر سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م. وقد دون جميع الذين زاروا تيماء من الرحالة والجغرافيين مشاهداتهم وانطباعاتهم، وكانت مدوناتهم مرجعا مهما للباحثين في تاريخ تيماء وآثارها. وقد كان آخر هؤلاء فريق علمي من جامعة الملك سعود، فقد زار المنطقة عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ونشر بعض مشاهداته في دوريات علمية متخصصة^(٢).

وقد مرت تيماء خلال أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين بأحداث خطيرة، وظروف صعبة، وخلال هذه الفترة كانت تيماء تتمتع بحالة من شبه الاستقلال مع فترات من الاعتماد نسبيا على قوة إمارة آل الرشيد في حائل، غير أن المدينة وخاصة ضواحيها الشرقية والغربية تم تدميرها، وكذلك تخريب معظم بساتينها ومزروعاتها فأصبحت مجرد أنقاض وخرائب. وقد لحق بها هذا الدمار بشكل كبير عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م^(٣).

وبدأت تيماء تشهد تغيرا إيجابيا عندما حل فيها السلام والأمن بعد أن تم ضمها إلى المملكة العربية السعودية، كما سيأتي في المبحث الرابع من هذا الفصل غير أن الجدير بالذكر هنا هو أن هذه المدينة شهدت خلال النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي تراجعاً في عدد سكانها، فقد كان في عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م (١٥٧٧٥) نسمة، وتراجع هذا العدد في عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م إلى (١٣٠٠٠) نسمة فقط^(٤).

وتشكل تيماء في الوقت الراهن إحدى محافظات منطقة تبوك، ويتبعها عدد من المراكز هي: مركز الجهراء، ومركز عردة، ومركز الكتيب، ومركز الجبعاوية، ومركز مديسيس، ومركز أبيط، ومركز العسافية^(٥).

(١) حامد إبراهيم أبو درك: دراسة نقدية ومقارنة لبعض المعالم الأثرية في تيماء، ص ٥.

(٢) حامد إبراهيم أبو درك: المرجع السابق، ص ٥-٦.

(٣) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ١٥٨-١٦٣.

(٤) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٥) محمد بن حمد السميير وآخرون: آثار منطقة تبوك، الرياض، وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف،

تبوك:

ضبط ياقوت الحموي اسمها فقال: " بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف" ^(١). وأشار حمد الجاسر إلى أن تبوك تلفظ " بفتح التاء المثناة الفوقية وضم الباء الموحدة بعدها واو فكاف" ^(٢). وكانت هذه المدينة معروفة منذ القدم باسم: تباوا (Thaupaua)، وهو اسم يرى موزل انه تحريف لكلمة: تبوكة (Thapaucha)، أو تبوك "إذ ينطبق المكانان كل منهما على الآخر" ^(٣). وهذا الاسم (تباوا) الذي ذكره بطليموس يعني أن المدينة عرفت به، أو باللفظ المحرف عنه (تبوك)، قبل الإسلام.

وتزعم المصادر العربية أن اسم (تبوك) لم يطلق على المدينة إلا في عهد المسلمين، وأنه اشتق من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجلين أحذا يحركان الماء القليل في عينها بسهمين لكي يكثر "وما زلتما تبوكان؟! " ^(٤). وفي رواية أخرى أنه - صلى الله عليه وسلم - خاطب الجمع قائلاً: "ما زلتم تبوكانها؟! " فسميت تبوك ^(٥).

وقد وقع هذا الحدث أثناء غزوة تبوك التي قادها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السنة التاسعة للهجرة، حيث طلب من جنده المتقدمين ضمن طلائع الغزو ألا يمسوا عين الماء فيها، غير أن رجلين سبقا إلى العين، وكانت تنبض بشئ من الماء، فأدخلا فيها سهميهما لعل الماء يزيد فيها، وعندما علم الرسول بذلك غضب وقال لهما ما قال، ومن ثم عرفت باسم تبوك ^(٦). وزعمت المصادر الإسلامية في سبب تسمية تبوك بهذا الاسم غير صحيح؛ لأن معظم تلك

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ٢، ص ١٤.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ٢٤٩.

(٣) حمود بن ضاوي القشامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ٩٣؛ حمد الجاسر، المصدر السابق، القسم الأول، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٤) ياقوت بن عبد الله الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥.

(٥) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار، ص ١٣٠؛ حمود بن ضاوي القشامي: المرجع السابق، ج ١، ص ٩٣؛ حمد الجاسر: المصدر السابق، القسم الأول، ص ٢٥٠.

(٦) خالد سعيد الدريس: دراسة إقليمية لمنطقة تبوك، الدارة، ع ٤، س ٥، رجب ١٤٠٠هـ / يونيو ١٩٨٠م، ص ٢٥٣.

المصادر ذكرت في حديثها عن غزوة تبوك، أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - "عزم على غزوة تبوك"، ويعني ذلك أنها كانت معروفة بهذا الاسم قبل أن يغزوها. وقد روي عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يُضحى النهار فمن جاءها منكم فلا يمسّ من مائها شيئا حتى آتي.." ^(١). وقد ورد هذا الحديث في كتاب الفضائل من صحيح مسلم.

ويذكر هنا أن البوك معناه: إدخال اليد في شيء وتحريكه، ومنه: بك الحمار الأتان إذا نزا عليها، يبوکها بوکا. وتروي المصادر وهي تروي غزوة تبوك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ركز في عين تبوك عترته ثلاث ركزات، فجاشت ثلاث أعين، فهي تهمي بالماء إلى الآن ^(٢).

ولم تحدد كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين موقع تبوك تحديدا دقيقا، فقد ذكر البلاذري أنها من أرض الشام ^(٣)، وقال الاصطخري: "تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل نحو نصف طريق الشام" ^(٤). وجاء في معجم البلدان أن تبوك: "موضع بين وادي القرى والشام"، وأنها - نقلا عن أبي زيد - "بين الحجر وأول الشام" ^(٥). وزاد الحميري في تحديد موقع تبوك أنها "أقصى أثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي أنه لم يقدر بنفسه جيشا غازيا بعد تبوك شمالا.

(١) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٣٧؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ٢٥٠؛ حمود بن ضاوي القناني: شمال الحجاز، ج ١، ص ٩٣؛ هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٢٢٩.

(٢) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤.

(٣) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٩.

(٤) إبراهيم بن محمد الاصطخري: المسالك والممالك، ص ٢٤.

(٥) ياقوت بن عبد الله الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤.

(٦) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار، ص ١٣٠.

وتقع مدينة تبوك فلكيا عند تقاطع خط الطول ٣٦° ، ٣٧° دقيقة شرقا، مع دائرة العرض ٢٥° ، ٢٨° شمالا^(١). وقد كانت منذ أقدم العصور محطة مهمة على الطريق الرئيسي بين الشمال والجنوب، وهو متغير تعبره القوافل القادمة من الشرق فالجنوب فعالم البحر الأبيض المتوسط. ومما لاشك فيه أن الأنباط استخدموا هذه الطرق في توسيع مملكتهم حتى مدائن صالح وما بعدها جنوبا، كما أن قوافل الحجاج، وخاصة قافلة الحج الشامي التي ظلت تستخدمها حتى مطلع القرن العشرين الميلادي، حيث حلت محلها حينئذ سكة حديد الحجاز^(٢).

ويعتبر موقع تبوك متوسطا في شمالي شبه الجزيرة العربية، ففي شرقها تقع تيماء وحائل والجوف، وفي الشمال قريات الملح وحالة عمار، وفي الغرب حقل والبدع ومقنا والمويلح وضبا، وفي الجنوب العلا ومدائن صالح . ولتبوك أهمية خاصة يدررها المسافر من الشام إلى الحجاز، أو من الحجاز إلى الشام. فأرضها منبسطة وسهلة إذا ما قورنت بالجبال الوعرة المسالك باتجاه الحجاز، وبالرمال والسيخات التي يصعب السير فيها أيام الأمطار باتجاه الشام. ولذلك كان لا بد أن يأخذ قسما من الراحة في تبوك قبل مواصلة سفره شمالا أو جنوبا، وخاصة أن فيها الكثير من الماء العذب والبساتين^(٣).

ويعد موقع مدينة تبوك في شمال غرب الجزيرة العربية موقعا متميزا من حيث السطح العام، ومن حيث وفرة المياه، بالأخص الجوفية، ولذلك شهدت تحركات كثيرة لحساب التجارة والمصالح المشتركة بين الشام والجزيرة العربية، وقد استقطب موقعها الجغرافي وما يتميز به الراغبين في الاستقرار قبل ظهور الإسلام، وبعده، وبسبب استراتيجية هذا الموقع سعت السلطة السياسية في كل من جزيرة العرب والشام إلى السيطرة عليها^(٤).

(١) عمر عبد الماجد سيد: مناسيب وإحداثيات مدينة تبوك، أفنان، النادي الأدبي بمنطقة تبوك، ع ١٤،

١٤٢٩هـ، ص ٧٨-٧٩؛ عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ١١؛

حمود بن ضاوي القثامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ٨٣.

(٢) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٣) حمود بن ضاوي القثامي: المرجع السابق، ج ١، ص ٨٩-٩٠.

(٤) خالد سعيد الدريس: دراسة إقليمية لمنطقة تبوك، الدارة، ع ٤، ص ٥، رجب ١٤٠٠هـ / يونيو ١٩٨٠م،

وقد كان الصراع واضحاً على تبوك في بدايات ظهور الإسلام، فقد كان الروم هم أصحاب السلطة الغالبة على بلاد الشام كلها، وقد سيطرت على تبوك، واتخذت منها مركزاً متقدماً، ولذلك بادر المسلمون إلى غزوها في السنة التاسعة للهجرة، وفتحوها صلحاً محققين بذلك هدفين كبيرين أولهما درء خطر الروم الذي كان يتهددهم، وثانيهما فتح الطريق أمام المسلمين لنشر دعوتهم شمالاً^(١).

وظلت تبوك طوال العهد الإسلامي مهمة لقوافل الحاج الشامي، وقد أنشأ فيها العثمانيون عام ٩٩٧هـ/١٥٨٩م قلعة لخدمة هذه القوافل، وكان الهدف من إنشائها حماية موارد المياه، وحماية القوافل من اللصوص وقطاع الطرق، وخاصة أن مدينة تبوك كانت تقام فيها أثناء مواسم الحج سوق لتبادل البيع والشراء. وهذه القلعة الموجودة في الجزء الجنوبي من المدينة تتكون من ثلاثة طوابق، ولها فناء تتوسطه بئر للمياه. وقد تم ترميم القلعة عام ١٠٦٤هـ/١٦٥٣م^(٢).

وقامت الدولة العثمانية - بعد إنشاء سكة حديد الحجاز في أوائل القرن العشرين الميلادي - ببناء محطة في تبوك، تقع إلى الشمال الشرقي من القلعة، وهذه المحطة التي تقع حالياً في حي العزيزية كانت توجد فيها طاحونة هوائية لضخ الماء من بئر بجانب سكة الحديد، وكانت فيها أيضاً غرفة تحت الأرض تستخدم مستودعاً للذخيرة، وربما لسجن المجرمين. ويذكر هنا أن العثمانيين أثناء إنشاء سكة حديد قاموا بهدم وإزالة البيوت المتناثرة في المنطقة الواقعة شرق القلعة؛ لينشئوا مكانها سوقاً واسعة منظمة، وفي الوقت نفسه خططوا قرية الجديدة، وخصصوا فيها مواقع البناء للسكان الراغبين في الإقامة بتبوك^(٣).

ويلاحظ من تتبع تاريخ تبوك أنها مدينة قديمة ذات موقع متميز، وخاصة على طريق الحج الشامي، وقد وجدت في منطقتها آثار تدل على عراقتها^(٤)، وأدى موقعها الاستراتيجي إلى

(١) خالد سعيد الدريس: دراسة إقليمية لمنطقة تبوك، الدارة، ع ٤، س ٥، رجب ١٤٠٠هـ / يونيو ١٩٨٠م، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) هشام محمد عجيمي: قلعة تبوك، مجلة أم القرى، السنة الأولى، ع ٢، ١٤٠٩هـ، ص ١٤١-١٤٩.

(٣) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٤) فايز السعيد: نقوش أثرية من تبوك، الدارة، ع ٤، س ٢٩، ١٤٢٤هـ، ص ١٢٤.

الاهتمام ببسط النفوذ عليها قديما وحديثا، وقد ظهرت فيها قديما عدة كيانات سياسية منها: مدين، والأنباط، والغساسنة حلفاء الروم، وقد كانت دولة الأنباط تحكم تبوك حكما غير مباشر عبر شيوخ القبائل ورؤساء القرية الخاضعين لحكم الملك النبطي^(١)، وحكم الغساسنة المنطقة بالطريقة نفسها. وكان الروم يعتبرونها حصنا أماميا في مواجهة العرب ومن ثم المسلمين الذين تمكنوا من بسط نفوذهم عليها في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن ثم أصبحت في العهد الإسلامي منزلا مهما من منازل الحج الشامي، وقد عمل العثمانيون على أن تكون آمنة فحصنها، وطوروها بعد مد سكة حديد الحجاز. وبعد ضمها للمملكة العربية السعودية عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م أصبحت تتبع إداريا الحجاز باستثناء تيماء^(٢). وزاد الاهتمام بها، حيث أخذت الدولة تعمل على دعم وتنمية الاستقرار فيها، وعلى تجهيزها لكي تكون قاعدة عسكرية كبيرة من أجل تأمين حدود الدولة من خلال السيطرة على الموقع المتحكم بتحريك التجارة والحج في الشمال، ومن أجل دعم الدول الشقيقة في الشمال: الأردن وسورية، ومساندة قدرتهما القتالية فيما إذا احتاجتا إلى ذلك. وأصبحت تبوك ضمن هذا التوجه تنمو بسرعة، وتتسع عمرانها، وتكثر سكانا، وتحتل درجة عالية على سلم أولويات التطوير^(٣).

لقد أصبحت تبوك - كما كانت في الماضي - منطلقا لشبكة مواصلات، وهذه الشبكة تم تحديثها، حيث استبدلت بمعظم الطرق الترابية طرق معبدة سريعة تربط المدينة بالأردن فسورية، وبالمدينة المنورة، وحقل، وغيرها^(٤).

وانتعشت الزراعة في تبوك بعد تدفق الماء غزيرا فيها، فأرضها خصبة، ومياهها عذبة، وتمتلك نحو خمسة آلاف كم^٢ من الأراضي الصالحة للزراعة. ولذلك أصبحت أراضيها المزروعة فعلا

^(١) لطفي عبد الوهاب يحيى: الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي، الرياض، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الكتاب الثاني، ص ٩١-٩٣، ٩٨ - ٩٩.

^(٢) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٨٦-١٩٠.

^(٣) خالد سعيد الدريس: دراسة إقليمية لمنطقة تبوك، الدارة، ع ٤، س ٥، رجب ١٤٠٠هـ / يونيو ١٩٨٠م، ص ٢٥٤-٢٥٥.

^(٤) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ١٠.

بساتين غناء. يضاف إلى ذلك أن تبوك أصبحت مدينة حديثة ذات شوارع معبدة وتخطيط جيد. وقد زاد عدد سكانها كثيرا خلال فترة وجيزة^(١)، مما يدل على أنها أصبحت منطقة جذب للسكان ففي عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م كان عدد سكانها (٧٤٦٩٢) نسمة، وازداد هذا العدد عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ إلى (١٧١٠٠٠) نسمة^(٢). وبذلك تعد مدينة تبوك هي المدينة الأولى في المنطقة من حيث عدد السكان، وهي حاليا عاصمة المنطقة الإدارية، وتتبعها محافظات: تيماء وضباء والوجه وأملج وحقل والبدع. كما يتبعها عدد من المراكز، منها: مركز القليبة، ومركز بجدة، ومركز شقري، ومركز البديعة، ومركز اللوز، ومركز الرحيب^(٣).

البدع :

بكسر الباء الموحدة وإسكان الدال، وآخره عين مهملة^(٤). والبدع : لفظ يطلق على البئر المحفورة حديثا، أما إذا كانت البئر قديمة ثم حفرت فتسمى بعيثة (مفرد بعايث) ، وقد توسع في معنى البدع فأصبح يطلق على القرية التي أنشئت حول البئر^(٥). والبدع هي مكان شعيب عليه السلام، ومغائره الثابتة بالدلائل التاريخية التي كانت تعرف باسم أرض مدين^(٦).

تقع البدع في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية على خط الطول ٣٥° شرقا ودائرة العرض ٢٧° ٢٨° شمالا، وتبعد عن مدينة تبوك عاصمة المنطقة الإدارية ٢٢٧ كم ، إلى الغرب منها^(٧). وتبعد عن المويلح حوالي ١٠٠ كم شمالا. وتعتبر البدع واحة داخلية من واحات منطقة تبوك^(٨)، تبعد عن ساحل البحر الأحمر ٧٣ كم^(٩).

(١) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ١٠.

(٢) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٦٤.

(٣) محمد بن حمد السمير وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ٢٤.

(٤) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ١٧٣ ؛ عاتق بن غيث البلادي:

المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٨.

(٥) حمد الجاسر: المصدر السابق، القسم الأول، ص ١٧٢.

(٦) عاتق بن غيث البلادي: المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٨.

(٧) عبد الفتاح بن أحمد الرئيس: البدع، الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ص ١٧.

(٨) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية ، ص ٣٢.

(٩) عاتق بن غيث البلادي: المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٨.

وتقع البدع تضاريسيا في الوادي الأبيض (وادي عفال) مقابل سهل عينونة إلى الشمال منها. وتحرس الطريق الشمالية الجنوبية، وأما مغاير شعيب التي تدعى أيضا (المقابر النبطية) الموجودة في البدع فمحفورة في صخر الجبل، وتكثر قربها أنقاض المباني. وقد زارها كثيرون من الرحالة الغربيين، منهم: ربل (Ruppell)، وبيرتون (Burton)، وموزل (Musil)، وسانت جون فيلي (Philpy). وقد كشف الرحالة والجغرافيين أهمية البدع، حيث كانت محطة رئيسية على طريق التجارة بين جنوبي الجزيرة العربية والشمال، ومركز مهما من المراكز الميدانية^(١).

ومدين التي أصبحت البدع تطلق عليها أو على جزء منها كانت تتميز بموقعها الجغرافي، إذ تشكل نقطة التقاء الهلال الخصيب بشبه جزيرة سيناء ووادي النيل من ناحية، وشبه الجزيرة العربية في جزئها الشمالي الغربي من ناحية أخرى. وقد كان لهذا الموقع آثاره الاقتصادية والبشرية والحضارية التي استمرت في عصور ما قبل التاريخ وما بعده، وتركت بصماتها الواضحة على منطقة الشرق الأدنى القديم، وخاصة أنها أي أرض مدين كانت تعد محطة تجارية بريّة وبحرية لقربها من خليج العقبة. وقد كانت مدين ميدانا لنشاط عدد من الأنبياء والرسل مثل: إبراهيم الخليل، وإسماعيل، وشعيب، وموسى عليهم السلام^(٢).

وقد أورد بطليموس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي مدين باسم مديانا (Modiana)، وحدد موصل موقعها فذكر أنها تشمل الأطلال الواقعة إلى الشرق من تريم^(٣). وتدل أضرحة الأنباط في مدين أنهم سكنوها فترة من الزمن^(٤). وهناك ما يشير إلى أنها ازدهرت اقتصاديا

^(١) عواطف بنت أديب بن علي سلامة: أهل مدين، دراسة للخصائص والعلاقات ١٣٥٠ - ١١٠٠ ق.م، ص ٨٧.

^(٢) رشيد سالم الناضوري: حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر، الرياض، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م الكتاب الثاني، ص ٧١-٧٣.

^(٣) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٣٢.

^(٤) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الثالث، ص ١٢١٠.

وحضاريا في عهدهم، وأنها ارتبطت بمينائهم الرئيس على البحر الأحمر، وهو ميناء لوكي كومي (عينونة) أو (القرية البيضاء) حتى سقوط مملكتهم على يد الرومان عام ١٠٦م^(١).

وبدأت مدين عهدا إسلامي بسرية بعثها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقيادة زيد بن حارثة الذي أصاب فيها سببا "فبيعوا، وفرق بين الأمهات وأولادهن، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم سيكون، فقال: ما لهم؟ فأخبر خبرهم، فقال: لا تبيعوهم إلا جميعا"^(٢).

وأصبحت البدع (مدین) في عهدا إسلامي إحدى محطات قوافل الحاج المصري، وقد أشار ابن خرداذبة إلى ذلك في كتابه المسالك والممالك، إذ ذكر في وصفه الطريق من مصر إلى مكة المكرمة: "ثم إلى إيلة (العقبة)، ثم إلى حقل، ثم إلى مدين..^(٣)".

وأسهب الورثياني في وصف طريق الحاج والمسافات بين محطاتها، ومنها مغار شعيب، أي مدين، أو كما أصبحت تسمى (البدع)، قال: "ونزلنا بين العشاءين في بسيط أفيح ثم ارتحلنا منه يوم الثلاثاء ونزلنا عيون الاقصاب بعد العصر، وهي ماء جار في مضيق بين جبلين في محل كثير القصب والدبس، وفي أعلى الوادي نخل وأرض صالحة للحرث قلما يخلو ذلك المحل من أعراب نزلوا به فيكثر الخوف، ويعظم ضررهم لا سيما مع نزول الليل، فيأخذ الناس حذرهم فيطلعون الرماة إلى أعلى الوادي مراقبين حتى يأخذ الناس حاجتهم من الماء ويكتفوا فيأتي الرماة لئلا يظلمهم على شفير الوادي. وعند منزل الركب مسجد مبني بالحجارة المنحوتة ومنبر بإزائه... ثم ارتحلنا إلى بندر المويلح وبنينا الأخبية بحيث تقرب الأمواج من الأستار، وماء هذا البندر كثير حلو فيه آبار كثيرة وبساتين حسنة ونخل، وهناك حصن كبير وفيه عسكر وأمير، وتخزن فيه الميرة والفول كثيرا، وعلى بابه سوق كبير يوجد فيه غالب المحتاج، وبه مرسى حسنة تنزل بها

^(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية،

ص ٣١١؛ هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ٤٣٥-٤٣٦.

^(٢) عبد الله بن عبد العزيز البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر، ١٩٥١م، ج ٤، ص ١٢٠١.

^(٣) عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة: المسالك والممالك، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩١م، ج ١، ص ١٤٠.

السفن القادمة من السويس والقادمة من جدة ومن القصير... ثم سرنا إلى مرحلة يقال لها ظهر الحمار، وهي محطة عالية كثيرة الأوعار، يصعد إليها من عقبتين، واليمين أوسع من اليسرى في المسلكين... ومدة السير إليه ثمانية من الساعات... ثم سرنا إلى بين الجرفين، وهو مكان كأن الجبال قد قسمت به شطرين، يحترز منه أن يقذف بالحجاج في أيام السيل إلى البحر المالح الأجاج... ومنها إلى الشرفة، وهي بطول السرى متصفة، تتعب فيها الجمال ولو رحلت بلا أحمال، لما فيها من الوهاد، والطلوعات الشداد، وخلف جبالها قبيلة بني عطية... ومدة السير إليها خمس عشرة ساعة من غير ريب وبعدها المغار المعروف بمغار شعيب (البدع)، وهو غار يتبرك به الناس، وترى فيه الحظ الإيناس، وبه الماء العذب والنخيل، وشجر المقل والأثل والظل الظليل... ومدة السير إليه ثماني عشرة ساعة... ثم منها إلى عيون القصب... ومدة المسير إليها عشر ساعات... ثم ارتحلنا منها إلى بندر المويلح المشهور ورأينا بساحله المراكب من السويس والطور^(١).

وأشار الحميري أيضا إلى أن "مدين في الطريق من مدينة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى مصر، وهي بين جبال شامخة متكائة، وبقر مدين البئر التي استقى منها موسى عليه السلام، وقد بني على رأسها بيت من صخر فيه قناديل معلقة، وبها كهف شعيب كان يؤوي إليه غنمه، وفي الجبال التي هناك بيوت منقورة في صخر صم قد حفر في البيوت قبور..."^(٢). وقد عرفت البدع عند الرحالة المسلمين بعد القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي باسم (مغير شعيب)^(٣). وربما كان سبب هذه التسمية وغلبتها على مدين (البدع) هو أن هذه المدينة الإسلامية وباقي القرى والمدن في المنطقة قد اندثرت في أواخر القرن السادس

(١) الحسين بن محمد السعيد الورثياني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والآثار المشهور بالرحلة الورثيانية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٧٤م، ص ٣٤٠-٣٤٣؛ سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار، ص ٥٢٥-٥٢٦.

(٣) محمد بن حمد السميير وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ٣٦؛ علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٥٦.

المجري الثاني عشر الميلادي، غير أن واحة البدع ظلت منهلاً من مناهل المياه بالمنطقة، وظلت مغاير شعيب هي الشاهد على تاريخها العريق، وبها سميت^(١).

وكانت مدين قبل اندثارها عامرة كثيرة المياه والمزارع والبساتين، وقد وصفها اليعقوبي في القرن الثالث الهجري بأنها "مدينة قديمة عامرة، بها العيون الكثيرة، والأنهار المطردة العذبة، والأجنة والبساتين والنخل، وأهلها أخلاط من الناس"^(٢). وكانت مدين في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي أكبر من تبوك^(٣). وقد بدأت أوضاع مدين تميل إلى الاندثار منذ منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، وهو ما دفع الإدريسي إلى وصفها بأن بها "معايش ضيقة، وتجارات كاسدة"^(٤). ويعتقد أن سبب ذلك هو عدم مرور قافلة الحاج عليها منذ ذلك التاريخ حتى عهد العثمانيين حيث استعادت موقعها كمترل من منازل الحاج المصري، وكمنطقة صالحة للاستقرار البشري، وخاصة في أواخر ذلك العهد، يدل على ذلك كتاب قائم مقام العقبة إلى الباب العالي في ١٨ رمضان ١٣٢٨هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٩١٠م متحدثا عن أهمية البدع التاريخية، وما تتوفر عليه من بساتين ونخيل يرشحها لأن تكون منطقة استقرار، خاصة أن المنطقة تشتمل على موانئ تجارية ذات موقع استراتيجي مثل ميناء قصارة إلى الغرب من البدع على ساحل البحر الأحمر، وهو ميناء مهم تنقل البضائع عبره إلى الموانئ المصرية مما أوجد حركة تجارية نشطة^(٥).

وقد تطورت البدع في القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي، وازداد عدد سكانها حتى بلغ سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م (٣٤٦٣) نسمة^(٦)، وقد كانت وفقا للتنظيم الإداري القديم للمملكة العربية السعودية تتبع إمارة ضبا، ثم أصبحت مركزا من المراكز التابعة لإمارة منطقة تبوك^(٧).

(١) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٥٦.

(٢) أحمد بن واضح اليعقوبي: البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م، ص ٩٩.

(٣) إبراهيم بن محمد الاصطخري: المسالك والممالك، ص ٢٤.

(٤) محمد بن محمد الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ١، ص ٣٥١.

(٥) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٠٤.

(٦) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٦٤.

(٧) عبد الفتاح بن أحمد الرئيس: البدع، ص ٢٢-٢٦.

أملج :

الأصل في اسم هذه المدينة أن يكون مركبا من كلمتين : (أُمُّ لَجْ) ، وقد كان كذلك، غير أن التخفيف طال هذا الاسم المركب، فسكنت الميم ووصلت باللام، وأصبح اسمها مفردا، أي كلمة واحدة: (أملج) . بضم الهمزة، وتسكين الميم بعدها لام مضمومة.

ومدينة (أملج) لم تكن معروفة بهذا الاسم قديما، وإنما كانت تعرف باسم: (الخوراء)، ويرجح حمد الجاسر أن اسم (أملج) أطلق على الخوراء في القرن العشرين الميلادي " لأننا نجد اللواء محمد صادق باشا - وقد مر بالموضع في سنة ١٢٩٧هـ - (١٨٨٠م) - يسميه الخوراء، بل نجد البتوني الذي دون رحلته بعد سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) وهو يصف طريق الحج الساحلي سير ركب الحمل لا يذكر اسم أملج بل الخوراء"^(١).

والخوراء بالفتح والمد، وصفها ياقوت الحموي بأنها منهل، " وقيل: الخوراء مرفأ سفن مصر إلى المدينة، وقد خبرني من رآها في سنة ٦٢٦ أنها ماء ملحة، وبها أثر قصر مبني بعظام الجمال، وليس بها أحد ولا زرع ولا ضرع"^(٢). أما محمد عبد المنعم الحميري فقد ذكر أن الخوراء "مدينة في ساحل وادي القرى بها مسجد جامع وثمان آبار عذبة، وبها ثمار ونخل، وأهلها عرب من بلي وجهينة"^(٣).

ويرى البحث أن الخوراء كانت ميناء له شهرة تاريخية قديما، تقع على البحر الأحمر شمال ينبع، وجنوب الوجه، وقد ذكرتها كتب الرحلات كثيرا لوقوعها على طريق الحج الساحلي، وقد ظلت معروفة إلى أوائل القرن العشرين الميلادي، وحل محلها بعد ذلك ميناء أملج^(٤)، ثم أصبحت

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣١٦.

(٣) محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار، ص ٢٠٥.

(٤) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ٤٦٣.

المدينة تسمى أملج، مع أن هذه التسمية الأخيرة كانت تشمل موقعا إلى الجنوب من الحوراء بنحو سبعة كيلومترات، كما أن الموقع الفلكي للحوراء وأملج مختلف قليلا، فالحوراء تقع عند تقاطع خط الطول $12^{\circ} 37'$ شرقا مع دائرة العرض $25^{\circ} 08'$ شمالا، بينما تقع أملج عند تقاطع خط الطول $13^{\circ} 37'$ شرقا مع دائرة العرض $25^{\circ} 05'$ شمالا^(١).

ويرى البحث - في ضوء ما تقدم - أن التعريف بأملج يقتضي التعريف بالحوراء، وهذه المدينة الأخيرة كانت فيما مضى عبارة عن تلال رملية تحتوي على بعض الوحدات المعمارية المبنية بحجر (الفروش) البحري والحجر الجيري، وقد وجد فيها العديد من كسر الفخار الإسلامي^(٢). وكانت الحوراء قبل ميلاد المسيح تسمى (لويكة كومة)، وقد كانت معروفة بهذا الاسم عندما غزاها القائد الروماني أوليوس غالوس سنة ٢٥ أو ٢٦ قبل الميلاد مستهدفا الاستيلاء على مينائها الذي كان أعظم ميناء للأنباط، ومنه كانت تنقل البضائع إلى عاصمتهم البتراء^(٣). و(لويكة كومة) أو (لوكي كومي) تعني بالعربية: المدينة البيضاء، وقد اختلف الباحثون في تحديد موقعها، إذ رأى بعضهم أنها تقع حول ميناء ينبع، ورأى آخرون أنها تقع شمال ميناء أملج في موقع مدينة الحوراء الأثرية. وهناك من يرى أنها تقع في ميناء الخريبة شمال ضباء، قرب واحة عينونا، وقد تأكد هذا الرأي الأخير عقب اكتشاف موقع ميناء أكر كومي جنوب مدينة الوجه^(٤).

وقد أصبحت الحوراء في العهد الإسلامي مدينة عامرة مسورة بما آبار وجامع، وقد كانت كذلك في أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي. ووصفها من زارها في أواخر القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي بأنها: "أحساء على شاطئ البحر، غزيرة، وماؤها ملح خبيث منكر الرائحة لا يكاد يجرع"^(٥).

(١) أطلال، ع ٧، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، ص ٤٥.

(٢) المقالة السابقة، ص ٤٦.

(٣) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ٤٦٣.

(٤) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، (بحث النقل البحري في موانئ شمال الحجاز خلال العصور الإسلامية)، ص ١٤٣-١٤٤.

(٥) حمد الجاسر: المصدر السابق، القسم الأول، ص ٤٦٤-٤٦٥.

ووصف الجزيري الحوراء بأنها "قرية من قرى الحجاز يباع فيها العجوة والسّمك، يصاد بها في قوارب لطاف، وماؤها حفاتر مالحة جدا، وهي بجانب البحر الملح، والمراكب المتجهة إلى الحجاز تستقي منها. وبها شجر الأراك"^(١). أما الخياري فقد وصف الحوراء كمترل من منازل الحجاج بأنه "مخضر العرصات، وفيه أشجار الطلح العظام التي تظل الجماعة.." ^(٢). ووصف الرحالة كبريت الحوراء فذكر أنها "تشتمل على أشجار ملتفة، وبها شجر الأراك وأطيّار متنوعة، إلا أن ماءها في غاية الكدورة.." ^(٣).

وكان ميناء الحوراء يقوم في المنطقة المعروفة الآن باسم أم لج على مسافة ثلاثة أميال فقط، وموقع مدينة الحوراء التي كشفت آثارها منذ عهد غير بعيد إنما هو على مقربة من أم لج ^(٤).

وما يمكن استنتاجه مما تقدم هو أن الحوراء كانت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بلدة عامرة^(٥)، ويبدو أنها اندثرت في نهاية القرن المذكور، وأصبحت "ليس بها أحد ولا زرع ولا ضرع"^(٦). أما آثارها فتمتد على مساحة كبيرة، وقد كشفت التنقيبات عن أن بيوتها كانت مبنية بالحجر الجيري، وكانت الغرف في هذه البيوت مبلطة بالآجر، وكانت أبوابها تزدان بزخارف جصية كتابية ونباتية وكانت بعض بيوتها تشتمل على رحى لطحن

^(١) عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، ص ٥٢٨.

^(٢) إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري: تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، تحقيق رجاء محمود السامرائي، بغداد، وزارة الثقافة، ١٩٨٠م، ج ٢، ١٢٥.

^(٣) محمد بن عبد الله الحسني المدني: رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد طنطاوي، بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط ٢، ١٣٨٥هـ، ص ١٤.

^(٤) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٥٢٧-٥٢٨.

^(٥) محمد بن محمد الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ١، ص ٣٥٠.

^(٦) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣١٦.

الحبوب^(١). ويرى الرويثي أن الحوراء ظلت تؤدي دورها كمرفأ مساعد لفرضة ينبع من أجل استقبال الحجاج القادمين من مصر، وظلت تؤدي هذا الدور حتى عام ٦٥١هـ ، وهي السنة التي يعتقد أنه ظهر فيها مرفأ أملج المجاور لها^(٢).

ويمكن اعتبار تاريخ أملج امتدادا لتاريخ الحوراء، وفي ضوء هذا الاعتبار يمكن القول أن مدينة أملج أدت دورا كبيرا كميناء من موانئ البحر الأحمر حيث اشتهر بالتجارة الخارجية مع الموانئ الأخرى على البحر المذكور، هذا إضافة إلى شهرتها بصيد السمك، وصناعة القوارب التي وصفها بعضهم بأنها لطيفة، وذلك تعبيرا عن دقة الصنع^(٣).

وقد كانت مدينة أملج القديمة تتكون من محلتين: شمالية وجنوبية يفصل بينهما الميناء، وكانت المحلة الشمالية تشتمل على سوق البلدة ومسجدها الجامع وقصر الإمارة ومبنى المالية والبلدية وسلاح الحدود وبيوت التجار والموظفين، أما المحلة الجنوبية التي تعرف بمحلة الصيادلة فهي محلة حديثة^(٤).

وتعد مدينة أملج من المدن السعودية الجاذبة للسكان، فقد كان عدد سكانها عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م سبعة آلاف نسمة، ووصل هذا العدد عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م إلى عشرين ألف نسمة^(٥). هذا، وتبلغ مساحة محافظة أملج ١٠.٨٠٠ كم^٢، ويتبعها عدد من المراكز هي: مركز الشبحة، ومركز الحرة الشمالية، ومركز الشدخ، ومركز العنجة^(٦).

(١) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٨٤.

(٢) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٣٩٣.

(٣) سهيل سليمان الصبحي: أملج، الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٨.

(٤) علي إبراهيم غبان: المرجع السابق، ص ٢٨٦.

(٥) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٦٤.

(٦) محمد بن حمد السميير وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ٣٢.

الوجه :

بلفظ (الوجه) المعروف، وكان هذا الاسم يطلق على واد من أودية تهامة يتزله الحجاج القادمون بطريق الساحل من مصر أو الشام، كما كان يطلق على ميناء يقع في مصب ذلك الوادي في البحر الأحمر^(١). وتقع في هذا الوادي قلعة الزريب^(٢) التي تبعد عن الوجه باتجاه الشمال الشرقي ثمانية كيلومترات^(٣). والجدير بالذكر هنا أن وادي تهامة يرد في المصادر التاريخية والجغرافية باسم: وادي الوجه للدلالة على قلة مائه، ذلك أن من معاني الوجه في معاجم اللغة العربية: القليل من الماء^(٤). وقد أطلق اسم الوجه على الميناء في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث لم يرد في المصادر التي سبقت ذلك^(٥). ثم أصبح الوجه اسماً للمدينة التي قامت على هذا الميناء، وعلى منهل الماء الذي يقع حيث توجد قلعة الزريب العثمانية^(٦).

تقع مدينة الوجه ضمن ما يعرف عند الباحثين باسم أرض مدين^(٧)، وتقع فلكيا عند تقاطع خط الطول ٣٦°، شرقا ودائرة العرض ١٤°، شمالا^(٨). وكانت المدينة عند نشأتها تقع في سهل ملحي منخفض محاذ للساحل يمتد بين منطقة التلال المحيطة بشرم حبان Habban والشعاب المرجانية المحاذية لساحل البحر الأحمر. وقد ظلت محصورة في هذه المنطقة حتى عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت تتوسع باتجاه الهضبة الشمالية والجنوبية اللتين

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الثالث، ص ١٣٤٩.

(٢) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٨.

(٣) أطلال، ع ٧، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، ص ٤٥.

(٤) محب الدين محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ، ج ٩، ص ٤١٩.

(٥) حمد الجاسر: كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب، العرب، س ١٢، عدد القعدة والحجة ١٣٩٧هـ، ص ٢٢١-٢٣٠.

(٦) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٨.

(٧) هاري سانت جون فيلي، أرض مدين، ص ٤٨٧-٥١٥.

(٨) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ١٢٩؛ محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٤٠٩.

يفصل بينهما الشرم ووادي زريب. وقد نتج عن هذا التوسع أن أصبحت المدينة متدرجة الارتفاع عن سطح البحر، ويبلغ أقصى ارتفاع لها عشرين متراً^(١).

كانت الوجه في العصور القديمة جزءاً من مملكة الأنباط الذين امتدت مملكتهم إلى الجنوب منها بأكثر من مائة وخمسين كيلومتراً^(٢). ويدل على قدم مدينة الوجه وعراقتها كثرة المواقع الأثرية فيها، وهي مواقع نقوش ورسوم صخرية ومواقع استيطان بشري ترجع إلى عصور تاريخية سابقة للإسلام، ومنها نقوش ثمودية، ونبطية. وقد استوطنت منطقة الوجه منذ العصر الجاهلي قبيلة بلي القضاعية، ثم شاركتها في استيطانها حديثاً عدد من قبائل الحويطات^(٣).

وأصبحت الوجه في عصرها الإسلامي ملتقى لطرق المواصلات البرية والبحرية، وبذلك فإنها تمثل حلقة الوصل بين اليابس والماء. ويذكر هنا أنها تبعد عن العلا مائة وتسعين كيلومتراً، وعن أملج مائة وخمسين كيلومتراً، وعن ميناء ضبا مائة وخمسة وخمسين كيلومتراً، بينما تبعد عن العاصمة الإدارية للمنطقة: تبوك نحو أربع مائة كيلومتر^(٤).

وتعد الوجه محطة مهمة من محطات قوافل الحج المصري، وقد أخذت تؤدي دورها كمركز استراتيجي لحماية تلك القوافل، وكذلك كمركز تجاري بين الموانئ المصرية ومنطقة تبوك على مدى القرون، منذ القرن الأول للهجرة حيث انتشر الإسلام في بلاد الشام، وفي شمالي إفريقيا والأندلس^(٥).

وتزخر الوجه التي تمتد من قرية المنجور جنوباً إلى مركز القريضة شمالاً، ومن ساحل البحر الأحمر غرباً إلى بدا شرقاً، تزخر بالآثار الإسلامية من مبان وبرك وآبار اهتم بوصفها الرحالة المسلمون وغيرهم، ومنها: آثار أكري واليعسوب، حيث توجد في أكري التي تعد محطة على طريق الحاج المصري، وتقع على أحد روافد وادي الحمض بقايا بركة عثمانية.

(١) محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٤١٠.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٤٥-٤٦.

(٣) محمد أحمد الرويشي: الوجه، ص ٢٧-٢٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٣-٣٤.

بينما توجد في اليعسوب، (اسم مكان يقع قريبا من البحر). أحساء ماء كانت تنزل عليها قافلة الحجاج، وقد بدأ ذكر هذا المكان يظهر في المصادر ابتداء من العصر المملوكي^(١). ومن هذه الآثار أيضا تلك المباني التي أنشئت في بلدة الوجه القديمة خلال القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري التاسع عشر والعشرين الميلادي، وأهمها: مسجد الأشراف، ومسجد البوق، ومسجد البديوي، والسوق القديم، والقلعة العثمانية، وجزء من سور مدينة الوجه، والفنار وعدد من المساكن القديمة، وهي مبان وآثار جميعها عثمانية^(٢).

وقد ظل منهل الوجه في منطقة الزريب يخدم طريق الحج المصري الساحلي حتى أواخر العصر العثماني باستثناء فترة انقطاع استمرت من نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري حتى عام ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م، وقد كان سبب هذا الانقطاع انعدام الأمن في أواخر العهد الفاطمي، وسيطرة الصليبيين على العقبة التي كانت تشكل المفتاح الرئيس للطريق البرية الوحيدة بين سيناء والحجاز.^(٣) وبالإضافة إلى منهل الوجه كان وادي الوجه يتوفر على عدد من الآبار المطوية العذبة المياه التي يرجع تاريخها إلى أيام المماليك والعثمانيين^(٤).

ويذكر هنا أن شرم الوجه يعد المرفأ الطبيعي الأحسن والأفضل بين المراسي الصغيرة الواقعة إلى الشمال والجنوب منه، وقد كان السكان يستخدمونه لرسو قواربهم وسفنهم الصغيرة التي كانت تنطلق منه إلى موانئ البحر الأحمر الأخرى^(٥).

وكان الحجاج يتعرضون أحيانا في الوجه مثل غيرها من الأماكن في أرجاء المنطقة وشبه الجزيرة العربية التي تمر بها قوافلهم لاعتداء القبائل البدوية، ومن ذلك ما وقع سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م حيث أوقعت فيهم القبائل مقتلة عظيمة، وانهبوا، وكانوا من المغاربة.

^(١) عبد الله محمد بن محمد الحيحي العبدري: الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، الرباط، وزارة الثقافة،

١٩٦٨م، ص ١٦٢.

^(٢) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ٢٥-٢٦.

^(٣) محمد ليب البتوني: الرحلة الحجازية، ص ٣١؛ علي إبراهيم غبان: المرجع السابق، ص ٢٩-٣١.

^(٤) عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة، ج ٢، ص ١٣٢٠، ١٣٨٩؛

عبد الله محمد العبدري: المصدر السابق، ص ١٦١؛ علي إبراهيم غبان: المرجع السابق، ص ٢٢-٤٤.

^(٥) محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٤١١، ٤١٣.

ومن جهة أخرى كان الحجاج يتزاحمون على ماء الوجه، وقد تقع بينهم بسببه مشاجرات وخصام، وهو ماء يكثر أو يقل بحسب المواسم، فإن قل المطر أو انحبس كما حصل في سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٢م كان الحجاج لا يجدون في الوجه ما يروي ظمأهم وظمأ دوابهم، وقد يؤدي ذلك إلى موت كثيرين^(١).

وقد نقل حمد الجاسر عن النابلسي قوله: "الوجه هو المنزل الثامن عشر من منازل الحجاج، وهي قلعة عامرة بين جبال بها أربعة أبراج، وفيها منارة، وفيها أناس يسكنونها، وعندها آبار من المياه التي تغلب عليها الملوحة، ولها بركة تمتلئ أيام الحجاج"^(٢).

ويمكن القول إن الوجه نشأت في البداية مستوطنة بشرية صغيرة، أفاد سكانها من قربها من البحر، فمارسوا حرفة صيد الأسماك، ثم أصبحوا وسطاء التجارة بين مصر وبداية الحجاز، وكان يتم عن طريقها تصدير السمن البلدي، والفحم النباتي، والحناء، والأغنام. بينما كان يتم استيراد المواد الغذائية التي يحتاجها سكانها وغيرهم^(٣).

وقد مر تطور الوجه المعاصرة بثلاث مراحل تمتد أولها من أوائل القرن الرابع عشر الهجري أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حتى الأربعينات الهجرية الستينات من القرن العشرين، وكانت في بداية هذه المرحلة مستوطنة صغيرة تقع في المنطقة السهلية الضيقة المحاطة بالهضبة من الشمال وبالسور من الشرق والجنوب الشرقي. وقد نمت وتطورت في الشريط الضيق بمحاذاة الساحل حتى أصبحت تغطي في أواخر الخمسينات من القرن العشرين الميلادي مساحة تزيد على خمسة وثلاثين كيلومترا مربعا.^(٤) وكان في المدينة خلال هذه المرحلة ثلاثة مساجد، وزاويتان، وحوانيت على الشاطئ، وثمانية صهاريج يحفظ فيها ماء المطر ويباع لسكان الوجه والحجاج. وكان في قلعة الوجه آبار مبنية عمق الواحدة خمسة أمتار، وقطرها متران. وحتى سنة

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الثالث، ص ١٣٤٩-١٣٥٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٥٠.

(٣) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٤١٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ٤١٦-٤١٧.

١٣١٩هـ/١٩٠١م كان بالوجه خمسة عشر بيتا بعضها من طبقة، وبعضها الآخر من طبقتين. وازداد عدد بيوتها فوصل سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م أربعين بيتا، وأصبحت في منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين بلدة صغيرة بعض بيوتها مبني من الحجر^(١). ومما لا شك فيه أن الوجه تعرضت للانكماش خلال الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢-١٣٣٦هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م بسبب وقوعها في منطقة الصراع السياسي، وخاصة بين السعوديين والهاشميين، غير أنها بعد دمج أقاليم الجزيرة العربية، وقيام المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م عادت إلى النمو والازدهار^(٢).

وقد بلغ عدد سكان الوجه خلال المرحلة الأولى نحو ألفي نسمة، أما في المرحلة الثانية، حيث أخذت تنعم بالأمان والاستقرار في العهد السعودي فقد أصبح عدد سكان المدينة يزداد مما أدى إلى توسع المدينة بالاتجاه إلى سطح الهضبة المجاورة للوجه القديم. ويمكن اعتبار عام ١٩٦٥م بداية فترة التوسع الحقيقي للمدينة، وبداية ظهور الأحياء السكنية الحديثة. وقد شيدت في أوائل هذه الفترة بعض المباني الحكومية والمدارس الحديثة وكذلك المباني السكنية الفخمة. وخلال هذه الفترة انتقلت السوق من المدينة القديمة على الساحل إلى الهضبة، وقد أقيم في الوجه مطار حديث^(٣).

وشهدت المرحلة الثالثة التي بدأت عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م طفرة في نمو مدينة الوجه العمراني شمالاً وشرقاً، وقد تضاعفت مساحتها، وأصبحت تضم أربعة أحياء رئيسية هي: الوجه القديمة، وحي الخالدية، وحي الغريقة، وحي الطلعة. وقد رافقت هذه المرحلة نشاطات صندوق

(١) حافظ وهبه: جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة ، دار الآفاق العربية، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ،

ص ١٩، ٢٣ ؛ محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٤١٧.

(٢) محمد أحمد الرويثي: المرجع السابق، ص ٤١٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٢٠-٤٢١.

التنمية العقاري في المملكة الذي بدأ نشاطه في الوجه عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م^(١).

والجدير بالذكر أن مدينة الوجه لم تعد تعاني مشكلات الحصول المستمر على المياه العذبة، فقد أنشئت فيها محطة لإزالة ملوحة مياه البحر وذلك سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م. والمياه العذبة التي ستوفرها هذه المحطة ستزيد على حاجة سكانها. وقد عبر الشاعر أسعد مجحوم عن فرحة الناس بهذه المحطة التي لن يعطش الناس بعدها قائلاً:

وَيْلَقَاكَ بِالْوَجْهِ الْبَشُوشِ رَجَالُهُ	إِذَا نَرَادَ مَاءُ (الْوَجْهِ) نَرَادَ جَمَالُهُ
وَأَنْعَمَ بِهِ (وَجْه) قَدْ تَحَسَّنَ حَالُهُ	فَكُلَّ وَجْهٍ النَّاسِ فِي (الْوَجْهِ) فَرِحَهُ
إِذَا شَاءَ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ ^(٢)	فَلَا عَادَ لـ (الْوَجْهِ) الْجَمِيلِ جَفَافُهُ

والجدير بالذكر أن مدينة الوجه هي إحدى المدن السعودية الجاذبة بقوة للسكان، فقد ازداد عدد سكانها من خمسة آلاف عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م على سبيل المثال إلى ثمانية عشر ألفاً عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م^(٣). وقد أصبحت الوجه محافظة واسعة تبلغ مساحتها ثلاثة عشر ألفاً وثلاثمائة كيلو متر مربع، ويتبعها عدد من المراكز العمرانية وهي: مركز أبو القزاز، ومركز بدا، ومركز المبخور، ومركز الكر، ومركز النابع، ومركز خرباء، ومركز عنتر، ومركز الدبوب^(٤).

(١) محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٤٢١

(٢) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ١٣٠.

(٣) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٦٤.

(٤) محمد بن حمد السميير وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ٣٠.

ضباء :

ذكرها ياقوت الحموي بلفظ (ضبة) وقال: " بلفظ واحدة الضباب.. اسم أرض، وقيل: ضبة قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام وبجذائها قرية يقال لها بدا " ^(١).

وذكرها محمد بن عبد المنعم الحميري بلفظ (ضبا) دون أن يضبط الاسم، وقال: " من عمل المدينة النبوية، وهو مرفأً للسفن مأمون، وفيه آبار عذبة، وشجر المقل فيه كثير، وبين ضبا ومدين جبال شامخة متكائدة " ^(٢).

ووردت في بعض المعاجم والكتب الحديثة: (ضبة): بضم الضاد المعجمة، والتخفيف ^(٣). وقد جمع علي غبان صور الاسم المختلفة في المصادر فذكر أنه "ضبة عن المقدسي وياقوت، وظة عند الحربي واليعقوبي، وضبا عند العذري الأندلسي والبكري، وظبا عند ابن حوقل في الخريطة التي رسمها للجزيرة العربية، وعند الإدريسي" ^(٤). ويفضل الشيخ حمد الجاسر أن يكون الاسم بالطاء أحت الطاء، بعدها باء موحدة مفتوحة فألف: (ظبا) ^(٥). وأرى أن السبب في اختلاف صورة الاسم هو أن المدينة لم تستمر عمارتها عبر العصور، فقد اندثرت قروناً طويلة، ولم يعد لها حضور باسم ثابت مثل غيرها من المدن، وعندما أعيدت عمارتها في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي اتخذ لها اسم بصورة مشابهة ومستمدة من الصورة القديمة، حيث سميت ضباء.

^(١) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥٢.

^(٢) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار، ص ٣٧٦.

^(٣) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٥، ص ١٨٧.

^(٤) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٣٠.

^(٥) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الثاني، ص ٨٠٦، ٨٠٨ ؛ حمد الجاسر: في شمال

غرب الجزيرة، الرياض، دار اليمامة للنشر والبحث والترجمة، ط ٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٤٢٦.

تقع ضباء عند تقاطع خط الطول ٣٥، ٤٠° شرقاً مع دائرة العرض ٢١، ٢٧° شمالاً، وتشتمل على قلعة تطل على البحر الأحمر، وثلاثة آبار مطوية عمقها عشرة أمتار فيها ماء صالح للشرب^(١).

وتتكون مدينة ضباء القديمة من حيين رئيسيين هما حي الساحل وحي القرفاء، ويشغل حي الساحل الشريط الساحلي الضيق المحصور بين شاطئ البحر والتلال المرتفعة التي يقوم عليها حي القرفاء، وبه توجد أقدم منازل البلدة كما يوجد به السوق القديم والمسجد الجامع والقلعة والميناء والمباني القديمة للحمارك والمالية والبلدية، ومنازل هذا الحي تتداخل مع المحلات التجارية والمخازن والوكالات، ويعرف الجزء الشرقي بإسم الخرج وقد امتد إليه العمران قبل نهاية القرن الهجري الثالث عشر، أما حي القرفاء فقد اشتق اسمه من طبيعة موقعه فكلمة القرفاء وصف للأرض المرتفعة، والقرفاء من الأرض التي يقتلع منها عروق الشجر، ويشكل هذا الحي الجزء الأكبر من المنطقة السكنية في البلدة القديمة، وفي عهد الملك عبد العزيز توسع النطاق العمراني لهذا الحي، وفي عهده أيضاً تم بناء قلعة وذلك عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٢م، من الحجر الجيري الأبيض على تل صخري مرتفع يطل على البحر الأحمر، وعلى الحي القديم لمدينة ضباء، وتعد هذه القلعة معلماً تاريخياً مهماً من معالم المدينة^(٢).

ويجمع تخطيط مدينة ضباء القديم بين نظام الأحواش الذي انتشر في تخطيط المدن الإسلامية في نهاية العصر العثماني، ونظام التخطيط الحديث الذي يعتمد على وجود شوارع مستقيمة متلاصقة في شكل بلكات، وقد استخدمت الأحواش في حي الساحل الذي عاصر فترة الحكم العثماني، بينما شاع نظام التخطيط الحديث في حي القرفاء. ويقع السوق القديم في نقطة متوسطة من حي الساحل، ويتكون من مجموعة كبيرة من المحلات التجارية "الوكالات" تحيط بمنطقة واسعة خالية من البناء اتخذت في الماضي مناخاً لجمال البادية التي كانت تجلب إلى السوق الأغنام والسمن والفحم والخطب، وتحمل منه الحبوب والقهوة والملابس والعطارات والبهارات وكل ما تحتاجه من زاد، وكانت تفضى إلى مناخة السوق ستة شوارع: اثنان من جهة الشرق أحدهما متوسط العرض يمر عبر السوق، والآخر ضيق ومتعرج يمر عبر المنازل الواقعة خلف الجزء الشرقي من السوق، وشارعان من جهة الشمال يصلان السوق بحي القرفاء وبالقلعة وينتهي بدرج يهبط إلى مستوى المناخة، وشارعان جهة الجنوب الغربي أحدهما يؤدي إلى

(١) أطلال ، ٧ع ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية ، ص ٤٤؛

موسى مصطفى العبيدان : مدينة ضباء بين الماضي والحاضر ، ص ١٥.

(٢) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٧١-٢٧٤.

المسجد الجامع والآخر يؤدي إلى الميناء، وكان هذا السوق القلب النابض للمدينة القديمة حيث تمتلئ أرجاء المناخة بالناس للتسوق، وكانت المحلات التجارية تسمى حواصل أو وكالات^(١).

وتعتبر ضباء من موانئ منطقة تبوك القديمة، فقد ورد له ذكر في القرون الهجرية الأولى إلا أنها درست بمرور الزمن ولم يعد لها ذكر إلى أن حفرت آبارها في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، ومع ذلك ظل اسمها محتفيا حتى القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي حيث أخذ يظهر عند بعض الرحالة المسلمين كمحطة من محطات قوافل الحاج المصري^(٢). أما المدينة فقد بدأت إعادة عمارتها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي^(٣).

ويتميز ميناء ضباء بقرب آباره من شاطئ البحر، وبانحناء خوره وامتداده في اليابسة، وخلوه من الشعاب. وقد كانت هذه المميزات الطبيعية توفر للسفن في العصور القديمة ملاذا آمنا عند هبوب الرياح والعواصف، وتتيح لها الاقتراب كثيرا من الشاطئ.

ويتكون الميناء من رصيف واحد يعرف باسم السقالة، وقد أنشئ هذا الرصيف في عهد العثمانيين ثم وسع ومد في طوله في عهد الملك عبد العزيز ثم في عهد الملك خالد، وقد بدأت توسعة الميناء وتحديثه عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م، وأصبح رصيفه يمتد بطول خمسين مترا داخل البحر ولا يتجاوز عرضه عشرين مترا، وبحوار رصيف الميناء كان يوجد مبنى البلدية ومبنى المالية ومبنى الجمرك. ويعتبر عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م التاريخ الحقيقي للنشاط التجاري لمدينة ضباء، وهو تاريخ افتتاح ميناء ضباء التجاري الذي أخذ يعمل على تنشيط الحركة التجارية والصناعية والنقل بين محافظة ضباء والموانئ المصرية^(٤).

(١) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٧١-٢٧٤.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ق ٢، ص ٨٤٣.

(٣) موسى مصطفى العبيدان: مدينة ضباء بين الماضي والحاضر، ص ٣١.

(٤) علي إبراهيم غبان: المرجع السابق، ص ٣٠، ٢٧٩؛ أمل علي عايد البلادي: النشاط الاقتصادي لميناء ضباء وأثره في الحياة الاجتماعية ١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-١٩٥٣م، رسالة دكتوراة غير منشورة، جدة، كلية التربية للبنات، الأقسام الأدبية، قسم التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، ص ٢٨٩.

وقد ساعد على تجمع السكان في منطقة ضباء، ومن ثم نمو المدينة حول هذا المرفأ توافر مصادر المياه الدائمة للسكان، وضباء تقع عند مصب وادي ضحكان في البحر الأحمر، وتنتشر قرب مصبه الآبار الجوفية^(١).

ويلاحظ أن مدينة ضباء أخذت تنمو ويزداد عدد سكانها خلال النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، ففي سنة ١٣٩١/١٩٧١م مثلاً كان عدد سكانها ٣٥٠٠ نسمة، وقد ارتفع هذا العدد إلى ٨٠٠٠ نسمة عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م^(٢)، وهو الأمر الذي يعكس اهتمام الدولة السعودية بمنطقة تبوك بشكل عام، وبمحافظة ضباء بشكل خاص، فضاء التي شهدت تراجعاً ملموساً في أواخر العهد العثماني، وخاصة بعد مد سكة حديد الحجاز، حيث انتقل معظم النشاط وخاصة الاقتصادي إلى الداخل، استعادت أهميتها في العهد السعودي، وأصبحت محافظة تبلغ مساحتها ١٢,٨٠٠ كم^٢، وتضم عدداً كبيراً من المراكز هي: مركز أشواق، ومركز الخريبة، ومركز شرما، ومركز المويلح، ومركز الديسة والعامود، ومركز صدر، ومركز شغب، ومركز الخريطة^(٣).

وقد شهدت ضباء في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي قفزات حضارية وتنموية كبيرة، حيث تنوعت المشاريع التي تدعم البنية التحتية والخدمات الضرورية. وكان للمشاريع التي تشرف عليها وتنفذها بلدية ضباء أثر إيجابي كبير في تطور المدينة والمحافظة، ومن ذلك تعبيد الشوارع في الأحياء القديمة والجديدة، وبناء الحدائق والتشجير، ومد شبكات المياه. يضاف إلى ذلك أن مدينة ضباء أصبحت تضم محطة لتحلية المياه، وشركة أسمنت، وقرى سياحية.

(١) محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر ص ٣٨١-٣٨٢.

(٢) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٦٤.

(٣) محمد بن حمد السميّر وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ٣٠.

المويلج :

" بضم الميم وفتح الواو، بعدها مثناة تحتية ساكنة، فلام مكسورة، فحاء مهملة"^(١). "وقد يسمى المويلجة". وكانت المويلج تسمى (النّبك)^(٢)، والنّبك جمع (نبكة)، وهي الأكمة أو التل الصغير أو الأرض التي فيها صعود وهبوط^(٣). ويرى ياقوت الحموي أن معنى النّبك: الرابية من الرمال اللينة^(٤). والتضاريس التي أشار إليها الفيروزآبادي وياقوت الحموي متوافرة في المويلج. ويطلق اسم النّبك على مواضع في الجزيرة العربية وغيرها، "وهو بفتح النون وإسكان الباء بعدها كاف، ويظهر أنه من الأسماء القديمة التي جهل أصلها"^(٥). ومن الواضح أن المويلج كانت تسمى (النّبك) أيضاً، وظلت معروفة بالاسمين حيناً من الدهر، ثم نُسي اسم النّبك في منتصف العصر المملوكي (بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)، واستمر الاسم الثاني (المويلج)^(٦). ويرى البحث أن سبب تغيير الاسم من (النّبك) إلى (المويلج) بمرور الزمن هو أن منزل النّبك، أحد منازل الحاج المصري، كان معروفاً بملوحة آباره، فتحول الاسم إلى المويلج، تصغير (مالح). ويذكر الجزيري أن المويلج اسم أتى النّبك من ملوحة مائه^(٧).

تقع المويلج على خط الطول ٢٧°، ٣٥° شرقاً، ودائرة العرض ٤١°، ٢٧° شمالاً^(٨)، وهي على ساحل البحر الأحمر الشرقي شمال ضباء، وتبعد عنها خمسين كيلومتراً^(٩).

وقد كانت النّبك في القرون الهجرية الأولى مرفأً تلجأ إليه السفن المارة بالبحر الأحمر، فهي

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الثالث، ص ١٢٩٢.

(٢) عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة، ص ٤٥، ١٠٤.

(٣) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م،

مادة (نّبك).

(٤) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٥) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٦٠٢.

(٦) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ٢٢.

(٧) عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري: المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٨) أطلال، ع ٧، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، ص ٤٤.

(٩) عاتق بن غيث البلادي: المرجع السابق، ج ٨، ص ٢٩٧.

من مراسي الطريق إلى القلزم، وكانت منهلا من مناهل طريق الحج المصري. وقد ذكرها الرحالة والمؤرخون المسلمون في القرنين الثالث الهجري والرابع الهجري التاسع عشر الميلادي. ومنهم أبو إسحاق الحربي المتوفى سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م، وقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٢٠هـ^(١).

وقد وصف الجزيري المويلح كما كانت في سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م فقال: "يسير إليها أولا بين جبال وكهوف وحدرات متعددة ومحاطب شجر... والمحطة بجانب البحر الملح، وبها صيادون للسّمك في قوارب لطاف، ويجلب إليها الدقيق والفول والفاكهة من الطور في جلاب صحبة النصارى للبيع على الحجيج، ويحصل بذلك رفق للركب، ويوجد بها الحشيش لعلوفة الجمال والأغنام، في الغالب تجلبه العربان... والسراق بها كثير خصوصا ليلا لكثرة محاطب الشجر، وأكثر ذلك في حالة الإياب، فقد شاهدنا ذلك كثيرا"^(٢).

وبدأت المويلح تحظى بالاهتمام في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون المتوفى سنة ٧٤١هـ/١٣٤١م، حيث بنى فيها بئرين لسقي قوافل الحجاج في الجزء الشمالي من واحة المويلح قرب شاطئ البحر^(٣). وقد تم إصلاح البئرين المذكورين في عهد السلطان المملوكي قانصوة الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م)^(٤).

ولم يقتصر الإعمار المملوكي في إعمار واحة المويلح على بناء الآبار وإصلاحها، وإنما بنوا أيضا برجا للمراقبة لم يبق منه في الوقت الحاضر سوى آثاره^(٥).

وازدادت أهمية المويلح في أوائل العصر العثماني فقد تم اختيارها ميناءً للتموين من مصر،

(١) إبراهيم اسحق الحربي: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض

١٣٨٩هـ، ص ٦٥١؛ قدامة بن جعفر: كتاب الخراج وصناعة الكتابة، بيروت، إحياء التراث العربي،

١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٧.

(٢) عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة، ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٧٨.

(٤) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٠٤.

(٥) حمود بن ضاوي القشامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ٣٤٥.

وأنشأ فيها السلطان سليمان القانوني قلعة ضخمة عام ٩٦٨هـ/١٥٦٠م ، وهذه القلعة مبنية بالحجر المشذب، وتبلغ مساحتها الإجمالية ١١٦٣ مترا مربعا، ويوجد في كل ركن من أركانها برج، ويحيط بها سور مرتفع مزود بفتحات لاستخدام الرماة من أجل المراقبة والدفاع. وبني في داخل القلعة مسجد وبئر ماء، وتشتمل القلعة على أكثر من سبعين غرفة، إضافة إلى سكن خاص للمسؤول عنها^(١).

وتقع قلعة المويلح على بعد خمسمائة متر من البئرين المملوكيتين، وهي على تلة تشرف على البحر. وقد أنشئ مع مشروع القلعة إضافة إلى البئر الموجودة داخلها ثلاث آبار أخرى تقع في بطن الوادي إلى الشرق من القلعة^(٢).

والجدير بالذكر أن قلعة المويلح، كونها تقع على طريق الحاج المصري، كانت لها أهمية بالغة، حيث تخزن فيها المؤن للحجاج والذخائر لحمايتهم وحماية موارد المياه التي كانت كثيرا ما يتم الاستيلاء عليها من قبل البدو، ويمنع الحجاج من استخدامها^(٣).

ويذكر موزل أن العيون التي تقع في واحة المويلح كانت على شئ من الملوحة فعلا. وإن المنزل المسمى بالمويلح يقع على ساحل البحر الأحمر على طريق الحج المصري، وهو منزل غزير المياه، وإن كانت صالحة بعض الشئ. أما قلعة المويلح فقد كانت - كما يذكر موزل نقلا عن عبد الغني النابلسي الذي حج عام ١٦٩٤م (١١٠٥هـ) - أنها كانت عامرة طوال العام^(٤).

وكان السلطان العثماني سليمان القانوني قد أنشأ قلعة المويلح عام ٩٦٨هـ/١٥٦٠م ، وهي قلعة كبيرة تبلغ أطوال أضلاعها كما يلي: الشمالي ١٠٩ أمتار، والجنوبي ٨١٧ مترا، والشرقي ٩٧ مترا، والغربي ١٠٧,٩٠ أمتار. وفي كل ركن من أركان القلعة أربعة أبراج تساند أسوارها، ويحيط بالقلعة سور علوي مزود بفتحات لاستخدام الرماة من أجل المراقبة والرمية. وتشتمل القلعة على مسجد وبئر ماء، وغرف يزيد عددها على السبعين، بالإضافة

(١) هشام محمد عجمي: قلعة المويلح، ص ١١٤.

(٢) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٠٤-١٠٦.

(٣) حمود بن ضاوي القنامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ٣٤٥.

(٤) موزل : شمال الحجاز ، ص ١٤٩-١٥٣.

إلى سكن خاص للمسؤول عن القلعة، أما المساحة الإجمالية للقلعة فتبلغ ١١٦٦٣ مترا مربعا^(١). وكانت القلاع والحاميات بما فيها قلعة المويلح تتبع ولاية مصر العثمانية، ولكن عندما احتلت بريطانيا مصر انتقلت تبعيتها إلى نظارة الحربية العثمانية، وذلك في ٦ شعبان ١٣٠٣هـ/٢١ مايو ١٨٨٥م^(٢)، وأصبحت تحت السلطة العثمانية الفعلية عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢م^(٣). وقد تعرضت قلعة المويلح للقصف من البحر على يد الإنجليز عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م، وأدى ذلك إلى تدمير واجهتها الشمالية والغربية، وانسحاب القوات العثمانية الموجودة فيها. وقد آل حكم المويلح إلى ملك الحجاز علي بن الحسين الذي اضطر إلى تسليمها للملك عبد العزيز آل سعود في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ/ ١٧ ديسمبر ١٩٢٦م^(٤). ولمعرفة مدى التطور الذي حققته المويلح نذكر هنا أنها كانت في سنة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م عبارة عن مساكن من عيشش إلا بيتين أو ثلاثة، ومخازن لتجارة الفحم والخطب والسمن والعسل، وكان أهلها نحو مائة شخص ما عدا العربان، وكان السكان يزرعون بعض الخضار، والحمى متسلطة عليهم دائما، وكذا داء الطحال بسبب اقتياتهم بالبلح قبل استوائه لأن الخنطة عندهم عزيزة جدا^(٥). وتجدد الإشارة هنا إلى أن سكان المويلح كانوا منذ القدم أهل نخل وزرع، وقد وصل عدد أشجار النخيل فيها عام ١٤٠١هـ/١٩٨٠م حوالي نصف مليون نخلة. وتعتمد الزراعة في المويلح على مياه الآبار والأمطار وأهم ما يتعامل به أهل المويلح وفقا للطبيعة البدوية المحيطة: الرعي والمتاجرة بالمواشي^(٦).

(١) هشام محمد عجيمي: قلعة المويلح، ص ١١٤-١١٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٦.

(٣) هشام محمد عجيمي، قلاع الازم والوجه وضبا، ص ٢٠٦.

(٤) حمود بن ضاوي القثامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ٣٦٤-٣٤٧.

(٥) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الثالث، ص ١٢٩٤.

(٦) حمود بن ضاوي القثامي: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٥٥.

حقول:

بالفتح ثم السكون^(١)، وهي مدينة قديمة كان اسمها: أجكاله (Agkale)، وقد وردت بهذا الاسم في جغرافية بطليموس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي^(٢).

حدد ياقوت الحموي موقع حقول فذكر أنها "دون أيلة (العقبة) ستة عشر ميلاً". ونقل عن ابن الكلبي أن "حقول ساحل تيماء". وعن أبي سعيد أنها أي حقول "قرية بجانب أيلة على البحر"^(٣).

ويمكن من استقراء النصوص السابقة الاستنتاج بأن حقول تقع على خليج العقبة، وهي إلى الجنوب من مدينة العقبة على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً. وتبعد حقول عن مدينة تبوك، مركز منطقة تبوك الإدارية مائتين وخمسة وخمسين كيلومتراً. وتحتل الزاوية الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية على تقاطع خط الطول ٥٧، ٣٤° شرقاً مع دائرة العرض ١٨، ٢٩° شمالاً^(٤). وتعد حقول -حسب موقعها- مدينة حدودية، إذ لا تبعد عن خط الحدود السعودي الأردني سوى خمسة عشر كيلومتراً^(٥).

وقد كانت حقول تنظيماً تتبع منطقة القريات الإدارية ومنطقة تبوك التخطيطية، فبالساحل السعودي الشمالي على خليج العقبة كان قسمين: شمالي يتبع منطقة القريات، وجنوبي يتبع منطقة تبوك، ومع ذلك كانت منطقة تبوك التخطيطية تضم الجزء الواقع بين حدود منطقة تبوك الإدارية والحدود الدولية بين المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية. وكانت منطقة حقول تقسم تخطيطياً قسمين أيضاً هما: المنطقة الساحلية والمنطقة الجبلية، وظل هذا التقسيم المضطرب إلى حد ما حتى أواخر عقد الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي حيث أصبح الساحل

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٢) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٣٢؛ موزل: شمال الحجاز، ص ١٣١.

(٣) ياقوت بن عبد الله الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٤) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٥٤.

(٥) حمود بن ضاوي القثامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ١٦٣.

السعودي على خليج العقبة بأكمله ضمن منطقة تبوك الإدارية والتخطيطية دونما فصل أو تجزئة^(١).

وتقع حقل في منخفض من الأرض كان خوراً من البحر الأحمر تنحدر إليه أودية عديدة، وشاطئ حقل صخري، وتقع منازلها على الشاطئ، ويمكن من هذه المنازل مشاهدة طرف خليج العقبة، وميناء إيلات (الإسرائيلي)، وجبال الطور^(٢). ويذكر هنا أن حقل كانت في الماضي منطقة خصبة، وافرة المياه، وقد كان فيها لعزة صاحبة كثير بستان ذكره في شعره فقال^(٣):

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلاً بحقل لكم يا عنز، قد نراتنا حقلاً
نجا الشرباء كل آخر ليلة تجودهما جوداً، وتردفه وبلاً

والأودية التي تصب في خور حقل تأتيه من الشرق من جبال حسمي، وتحصنها الجبال من الناحيتين الجنوبية والشمالية، ولذلك كانت تشكل خطراً على المدينة عندما يقوى جريان المطر فيها، حيث تصبح فوهة واسعة متدفقة المياه. وكانت أرض حقل تبت النخيل وأشجار الفواكه^(٤).

وتتوفر حقل على آبار مياهها قليلة الملوحة، ولذلك كان يتزود الحجاج بالماء منها، وقد أشار الجزيري إلى ذلك حيث ذكر أن: "العادة القديمة أن يتغدى الركب بآخر حقل، لأجل التزود من الماء، وفي بعض السنين - في نيف وأربعين (وتسعمائة) - شرب بعض أهل الركب من الماء المذكور فحصل لهم خلل في عقولهم، وبعضهم يتفاوت في ذلك، وأقاموا على ذلك نحو ثلاثة أيام، وعوفوا من ذلك، فيقال أن تلك الحفرة المشروب منها كان بها نوع من النبات يسمى

(١) المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون البلدية والقروية، وكالة الوزارة لتخطيط المدن، منطقة تبوك مخطط

التنمية الشاملة، استراتيجية التنمية الشاملة، تقرير ٤، مشروع ٢١١، إعداد المستشار: أ.أس.أتش/

انترناشيونال/ الراجحي، ربيع الأول ١٤٠٧هـ/نوفمبر ١٩٨٦م، ص ٦٧-٦٨.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ٤٥١.

(٣) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٤) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٥٩.

الدائرة، خالط أجزاء الماء، فحصل منه ذلك"^(١). وعلى الرغم من ذلك كانت آبار حقل بصفة عامة طيبة الماء^(٢).

وتشير معظم الدراسات التاريخية إلى أن حقل كانت في أول الأمر قرية صغيرة ثم توسع الاستيطان فيها بعد العصر الأموي، وقد نسب إليها أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث الحقلي المتوفى سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م وكان جده أعين بن الليث الحقلي مقيماً بحقل أيضاً، وقد توفي ١٧١هـ/٧٨٧م^(٣)، ويدل ذلك على أن حقل كانت منذ زمن متقدم عامرة بالسكان، وخاصة أنها تقع على طريق الحج المصري، وفيها ميناء كان يخدمهم، ويخدم الحركة التجارية أيضاً.

ويعتبر ميناء حقل من أقدم الموانئ على خليج العقبة، ويقع عند انبعاث الساحل إلى الغرب. وقد ظل هذا الميناء حتى سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م مجرد مرسى صغير ترتاده بعض السفن الشراعية الصغيرة إلى جانب قوارب الصيد المحلية، ثم استخدم ميناء لزوارق خفر السواحل، وأصبح منذ عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م من أهم مراكز قوات سلاح الحدود وخفر السواحل السعودي^(٤).

وقد كانت الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م سبباً مباشراً للاهتمام بميناء حقل الذي أصبح أحد المواقع الاستراتيجية للقوات السعودية في خليج العقبة، حيث بدأ تطويره، وكذلك تطوير مدينة حقل بسبب موقعها المجاور للتجمعات السكانية الكبيرة في منطقتي تبوك والقريات اللتين شهدتا نهضة عمرانية واقتصادية اقتضت

(١) عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة، ص ٥٠٢.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ٤٥١.

(٣) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧٨؛ وانظر: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني: كتاب الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان،

١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٢، ص ٢٤١.

(٤) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٣٨٨-٣٨٩.

استيراد كميات كبيرة من مواد البناء وغيرها^(١).

وقد أقيم ميناء حقل الحديث (القريظ) في الجزء الساحلي الأوسط من جنوب حقل، وأصبح هذا الميناء يستقبل البواخر الكبيرة نسبياً، التي تبلغ حمولتها ستة آلاف طن. وتصل خدمات هذا الميناء إلى معظم أجزاء شمالي المملكة العربية السعودية، وخاصة منطقة تبوك. كما تصل خدماته إلى: القصيم والرياض والقريات وضبا^(٢).

وهكذا أصبحت مدينة حقل تشهد نمواً سريعاً من حيث الاتساع والسكان، ففي عام ١٣٩٠هـ/١٩٧١م لم يتجاوز عدد سكانها ألفي نسمة، بينما أصبح عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ثمانية آلاف وستمئة نسمة^(٣). ويعد ذلك مؤشراً على أن المدينة سائرة في طريق النمو وال عمران والاتساع^(٤).

ب - الموانئ :

شكل ساحل تبوك عبر العصور التاريخية منطقة بالغة الأهمية للقوى المحلية والمجاورة على حد سواء، ويرجع ذلك إلى توسط الموقع بين تلك القوى، وكذا قربه من الطرق البرية القديمة (طريق البخور) التي كانت تربط بلاد اليمن وبلاد الشام ومصر، تلك الطرق التي ارتبطت بها تجارة غنية بين هذه البلاد، لقد كان لكل ذلك دور كبير في إبراز أهمية المنطقة، التي ازدادت بعد انتشار الإسلام، حيث أصبحت إحدى طرق الحج الرئيسية^(٥).

لقد عمل الأنباط منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وكذلك القوى الخارجية التي تسلمت إلى المنطقة من اليونانيين والرومان على إيجاد منافذ بحرية لها على الساحل خدمة لأغراضها العسكرية

(١) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٩٠-٣٩٢.

(٣) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، ص ٢٦٤.

(٤) المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون البلدية والقروية، وكالة الوزارة لتخطيط المدن،

منطقة تبوك - مخطط التنمية الشاملة، تقرير ٤، مشروع ٢١١، إعداد المستشار: أ.ر. أس. أ.تش/

انترناشيونال/ الراجحي، ربيع الأول ١٤٠٧هـ/نوفمبر ١٩٨٦م، ص ١٣.

(٥) محمد أحمد الرويثي: المرجع السابق، ص ١٧١.

والتجارية، ومن هنا نشأ صراع بين تلك القوى على المنطقة، ونشأ الاهتمام بالفرضيات الموجودة على الساحل، تلك الفرضيات التي تطور بعضها بمرور الزمن إلى موانئ مهمة^(١).

ويمكن القول - في ضوء الوقائع التاريخية- أن الأنباط الذين كانوا يسيطرون على شمالي شبه الجزيرة العربية، وأرجاء واسعة من جنوبي بلاد الشام، هم السبب في نشأة الموانئ في ساحل منطقة تبوك، وقد بدأ ذلك بإيجاد فرضيات بحرية لهم على طول ساحل البحر الأحمر الشرقي من العقبة شمالاً حتى ينبع جنوباً، وقد كان هدفهم من وراء ذلك هو السيطرة على الطريق البحري، بعد أن فرضوا سيطرتهم على طريق التجارة البرية، وهيمنوا على التجارة العربية وطرقها^(٢).

وكانت إحدى أهم الفرضيات التي سيطر عليها الأنباط في الجزء الشمالي من ساحل منطقة تبوك، هي إرجا (Erga) الواقعة إلى الجنوب من ميناء الوجه الحالي بحوالي أربعين كيلو متراً^(٣). و(إرجا) ميناء أنشأه اللحيانيون* الذين كانت لهم علاقة مع البطلمة (٣٢٣-٣٠ ق.م) حكام مصر. وكان يتم في إرجا تجميع تجارة جنوبي الجزيرة العربية لتصدر منها إلى الموانئ البطلمية في مصر^(٤).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأنباط لم تكن علاقتهم حسنة مع اللحيانيين، وكانت غالباً ما تنشأ بينهم مناشات، وخاصة بعد ضعف نفوذ البطلمة حلفاء اللحيانيين في المنطقة،

(١) محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٧١.

(٣) إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عهد البطلمة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦م، ج ٢، ص ٤٠٠.

* اللحيانيون: يرجع نسبهم إلى لحيان بن هذيل بن مدركة، وقد أنشأوا مملكة لحيان العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، وقد مر حكمهم للمنطقة بثلاث مراحل استمرت الأولى من عام (٢٠٠٠ ق.م إلى ١٧٠٠ ق.م)، والثانية في الفترة (١٣٠٠ ق.م إلى ٢٠٠ ق.م)، والثالثة (١٠٧ - ١٥٠ م)، وقد كانت لهم علاقات تجارية مع الدول المجاورة وخاصة مع البطلمة في مصر. إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عهد البطلمة، ج ٢، ص ٤٠٠-٤٢٠.

(٤) جورج فضل حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر،

القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٥٨م، ص ٥٨.

وانحسار نفوذهم، وقد أخذ الأنباط يتطلعون إلى الاستيلاء على مملكة اللحيانيين والانتقام منهم بسبب تحويلهم تجارة العطور والبحارات إلى مصر مباشرة دون المرور بعاصمتهم البتراء مما أثر على اقتصادهم. وقد تمكن الأنباط من القضاء على مملكتهم في مرحلتها الأولى^(١).

وكان نفوذ البطالمة في ساحل منطقة تبوك قد ازداد في عهد اللحيانيين، وبعد ضعف اللحيانيين وانحسار نفوذهم تم إهمال فرضة إرجا، حيث أنشأ البطالمة منفذا بحريا آخر إلى الشمال منه، وهو ميناء (أمبلوني) (Ampeloni) الذي ظلوا يستخدمونه لخدمة مصالحهم الاقتصادية حتى انهيار دولتهم في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، وفي تلك المرحلة سيطر الأنباط على جميع ساحل منطقة تبوك^(٢).

واختفت أهمية ميناء أمبلوني في عهد الأنباط، وحل محله ميناء (لوكي كومه) Leuke Kome الذي ازدهر في عهد الرومان^(٣)، وقد استخدم الرومان هذا الميناء في عهد الإمبراطور أغسطس لفرض سيطرتهم على بلاد العرب، والاستيلاء على تجارة القوافل العربية وطريقها، واستتراف كنوز بلاد العرب الجنوبية، فقد وجه الإمبراطور المذكور سنة ٢٤ ق.م حملة بقيادة والي مصر ايليوس جالوس Aelles Gallus لتحقيق الغايات المشار إليها، واستخدمت تلك الحملة ميناء لوكي كومه، إلا أن الحملة فشلت، ولم تحقق أيًا من أهدافها. والسبب أن الجيش الروماني لم يكن مهياً لحروب الصحراء، ولم يكن قادته مدربين على ذلك^(٤).

والجدير بالذكر هنا أن ميناء (لوكي كومه) على الرغم من ارتباط شهرته بالرومان الذين استخدموه على نطاق واسع إلا أنه كان معروفا ومستخدمًا قبلهم، ويعتقد أنه كان قبل وصول الحملة الرومانية ميناءً نبطيا تجاريا كبيرا^(٥).

(١) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٤٤.

(٢) محمد أحمد الرويشي: الوجه، ص ١٩-٢١.

(٣) جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٥٨.

(٤) محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ١٧٣؛ دي لاسي أوليري: جزيرة العرب

قبل البعثة، ص ٩٠؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ٤٦٣.

(٥) محمود عبد الله أمين: الجغرافيا التاريخية لحوض البحر الأحمر، أسبوط، المطبعة الحديثة، ١٩٧١، ص ٩٥.

وأصبحت موانئ ساحل منطقة تبوك خلال القرون الخمسة الميلادية التي سبقت ظهور الإسلام بالجمود والركود والتدهور، والسبب هو الحروب الطاحنة بين الفرس والروم خلال هذه الفترة، والتي إلى تدهور الأحوال الاقتصادية وخاصة في الجنوب العربي، ولم تعد التجارة التي كانت تمر عبر تلك الموانئ نشطة كما كانت في السابق، وخاصة بعد تغلغل النفوذ الفارسي في اليمن ، وانتقال مركز الثقل السياسي إلى العرب الشماليين في العراق وبلاد الشام^(١).

وكانت قوة عرب الحجاز في مكة ويثرب قد ظهرت قبيل ظهور الإسلام، وسيطرت على تجارة الطريق البرية الشتوية والصيفية^(٢)، وبظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي، واتخاذ المدينة المنورة عاصمة للدولة الإسلامية الفتية انتقل مركز الثقل التجاري وغير التجاري من موانئ ساحل منطقة تبوك إلى الساحل الأقرب لمدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة مثل جدة وينبع^(٣).

وظلت موانئ منطقة تبوك مهملة، وتدهورت أيضا الموانئ الأخرى على طول ساحل البحر الأحمر الشرقي خلال العصرين الأموي والعباسي، وذلك لسببين: أولهما انتقال الأهمية من البحر الأحمر إلى الخليج العربي باتخاذ دمشق ثم بغداد عاصمة للدولة الإسلامية. والسبب الثاني اكتشاف البرتغاليين رأس الرجاء الصالح، وبالتالي اختيار طريق بحرية جديدة بعيدة عن البحر الأحمر، وتحول معظم التجارة عبر الطرق البرية إلى هذه الطريق البحرية الجديدة مما كان السبب في تدهور موانئ البحر الأحمر وأقول معظمها^(٤).

وقد استعادت موانئ ساحل منطقة تبوك خاصة، وموانئ البحر الأحمر بشكل عام حيويتها بعد شق قناة السويس عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م ، فقد أصبحت هذه الموانئ تؤدي دورها كمراكز استراتيجية لحماية قوافل الحجاج القادمة من بلاد الشام ومصر، كما أصبحت تستقبل بعض البواخر الصغيرة التي تنقل التجارة مما يحتاجه سكان المنطقة، وتعود محملة ببعض المنتجات

(١) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ١٧٤ .

(٢) جورج فضل حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور الوسطى، ص ١٠٣-١٠٦.

(٣) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٤ ؛ ناصر خسرو علوي: سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة ، مطبوعات معهد اللغات، كلية الآداب، جامعة فؤاد، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، ص ٦٦.

(٤) محمد أحمد الرويثي: المرجع السابق، ص ١٧٨ .

الزراعية والحيوانية إلى الموانئ المصرية والسودانية^(١).

وزاد الاهتمام بموانئ ساحل منطقة تبوك بشكل خاص في العصر العثماني، وخاصة في الفترة المتأخرة من ذلك العصر أي خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين، حيث أصبحت الدولة العثمانية مضطرة إلى تحصين المنطقة لحماية قوافل الحاج المصري من اعتداءات البدو المتكررة عليها، وكذلك لمواجهة الإنجليز بعد احتلالهم مصر. وقد أشار البحث عند تناول مدن المنطقة إلى بعض الموانئ وتحصيناتها التي استهدفت أول ما استهدفت حماية قوافل الحاج، ومن بين تلك التحصينات إنشاء القلاع من أجل إقرار الأمن في الأماكن القريبة منها، والدفاع عن الساحل الشرقي للبحر الأحمر^(٢).

وللتعرف على وظائف القلاع العثمانية التي أنشئت بالقرب من موانئ ساحل منطقة تبوك، وإظهار ما لهذه القلاع من أهمية في ترسيخ النفوذ العثماني في المنطقة نشير إلى أن كلاً من هذه القلاع كان يعقد فيها مجلسان، عسكري، ومدني. وكان المجلس العسكري يعقد داخل القلعة، وهو يتشكل من ناظر القلعة رئيساً، ورئيس الجنود ورئيس المدفعية أعضاء. وكانت مهمة هذا المجلس هي الفصل في قضايا العسكريين، أما المجلس المدني، فكان يسمى مجلس الأهالي، وكان يعقد أيضاً داخل القلعة، ويتألف من ناظر القلعة، وعضوية رئيس الجنود ورئيس المدفعية أيضاً، ومهمة هذا المجلس هي النظر في الطلبات والدعاوى التي يقدمها الأهالي والفصل فيها^(٣).

وأهم القلاع التي أنشئت قرب الموانئ على ساحل منطقة تبوك هي: قلعة المويلح، وهي قلعة ضخمة أنشأها السلطان العثماني سليمان القانوني عام ٩٦٨هـ/١٥٦٠م، وتبلغ مساحتها الإجمالية ٢١١٦٦٣م^(٤)، وقد سبق أن تناولت هذه القلعة بتفصيل أكثر.

ويقع برج ضبا إلى الجنوب من قلعة المويلح على تلة تشرف على ساحل البحر الأحمر، ويبدو أن هذا البرج هدم، ثم أعيد بناؤه عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، وهدم مرة أخرى عام

(١) محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ١٧٨.

(٢) هشام محمد عجيبي: قلاع الازم والوجه وضبا، ص ١٠٣-١٠٤.

(٣) هشام محمد عجيبي: المرجع السابق، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) هشام محمد عجيبي: قلعة المويلح، ص ١١٤.

١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ، حيث أنشئت بدلا منه قلعة ضبا السعودية، وتطل هذه القلعة على ميناء ضبا، وتتكون من طابقين؛ يستخدم الطابق الأول المكون من ثلاث غرف لإقامة الجنود، بينما يتكون الطابق الثاني من غرفة واحدة لإقامة رئيس الجند، وهذه القلعة محاطة بسور فيه فتحات للمدافع^(١).

وتوجد إلى الجنوب من قلعة المويلح قلعة الوجه التي أنشئت معها في السنة نفسها، أي ٩٦٨هـ/١٥٦٠م ، وهذه القلعة ذات بناء محكم، مستطيلة الشكل، تبلغ مساحتها أكثر من ٢٥٥٠ مترا مربعا، وفي كل ركن من أركانها برج. ويقع مدخلها في ضلعها الغربي، ويفضي هذا المدخل إلى فناء أوسط تحيط به ثلاث حجرات ربما أعدت لخزن ودائع الحجاج، أو لخزن ما كان يجلب من أقوات لهم ولسكان المنطقة. كما يوجد في الفناء مصلى صغير، وحجرة رابعة ذات مساحة كبيرة. وعلى الضلع الشرقي لفناء القلعة أقيمت وحدتان سكنيتان ووحدة خدمات. وفي الجهة الشمالية للفناء توجد بئر القلعة ومسجدها وسبع حجرات صغيرة ربما استخدمت سكنا للجنود^(٢).

وإلى الجنوب من قلعة الوجه بنيت قلعة أملج للدفاع عن ميناء أملج والساحل، وإقرار الأمن في بلدة أملج. وقد تخدمت هذه القلعة خلال الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨م)، حيث تعرضت لقصف الأسطول البريطاني^(٣).

وكانت موانئ ساحل منطقة تبوك تتعرض باستمرار لتعديات القبائل، وخاصة في أعقاب دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ضد الحلفاء، وكانت تلك القبائل تنهب ما يصل إلى الموانئ من بضائع ومؤن، وهو الأمر الذي أرهق السلطة العثمانية، وصرف كثيرا من جهودها لمواجهة تلك التعديات وإحباطها^(٤).

(١) هشام محمد عجيبي: قلاع الأزمن والوجه وضبا، ص ٨١-٨٢.

(٢) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ٦٤-٦٥، ٦٧.

(٣) الكولونيل لورنس: ثورة في الصحراء ١٩١٦-١٩١٨م، ترجمة: رشيد أكرم، ١٩٤٩م، ص ٦٨؛

حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ق ١، ص ٤٦٣.

(٤) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٩٩.

وقد ظلت موانئ ساحل منطقة تبوك تؤدي دورها بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٦هـ/١٩١٨م وهزيمة الدولة العثمانية، بل أخذت هذه الموانئ تعود إلى النمو والتطور والازدهار في العهد السعودي، وذلك نتيجة لعدة عوامل أهمها^(١):

- قيام المملكة العربية السعودية الذي نجم عنه أن أصبحت المنطقة الساحلية على البحر الأحمر جزءاً من الكيان السعودي الموحد.
- ازدياد أهمية موقع هذه الموانئ في طريق قناة السويس وخطوط الملاحة البحرية المنتظمة.
- اكتشاف النفط في شرقي المملكة، حيث صلب ذلك تغير إيجابي كبير في الظروف الاقتصادية للبلاد، وأسهم في بناء الموانئ الحديثة.
- الأهمية الدينية للمنطقة، حيث تضم الحرمين الشريفين اللذين يفد لزيارتهما ملايين المسلمين كل عام، مما أدى إلى استمرارية أهمية هذه الموانئ.

وتعد موانئ أملج والوجه وضباء من أهم الموانئ الطبيعية (Natural Harbours) على ساحل منطقة تبوك، وقد ساعدت عوامل جغرافية وتاريخية واقتصادية على نشأتها وتطورها، وتتمثل العوامل الجغرافية في توافر مياه الشرب الدائمة عن طريق الآبار الجوفية المنتشرة حول هذه الموانئ^(٢).

أما العوامل التاريخية فلها دور كبير في نشأة بعض الموانئ وتطورها، وكذلك تطور المدن التي أنشئت قربها، وقد سبقت الإشارة إلى أن ميناء المويلح هو أحد هذه الموانئ التي حظيت بشهرة تاريخية، وقد أنشئت إلى جواره وجوار أملج والوجه وضباء أيضاً مراكز عمرانية. وكان لها دور مهم في حماية طريق التجارة والحج ظلت تؤديه إلى عهد قريب^(٣).

وأثرت العوامل الاقتصادية أيضاً في نشأة وتطور الموانئ الطبيعية على ساحل منطقة تبوك، وتتمثل هذه العوامل في شحن السفن وتفريغها، وكذلك في صيد الأسماك، وقد كانت ممارسة هذه الأعمال بارزة بشكل واضح في موانئ أملج والوجه وضباء، التي استفادت

(١) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٧٨، ٣٨٢-٣٨٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٨٢-٣٨٣.

أيضا من مواقعها الجغرافية المقابلة للساحل المصري، مما أدى إلى أن يصبح سكانها وسطاء للتجارة بين مصر وبادية الحجاز، وهو الدور الذي مارسوه منذ عهد الأنباط والبطالمة والرومان، وظلوا يمارسونه حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين الميلادي.^(١)

ومما لا شك فيه أن النقل والمواصلات كان لهما دور كبير في تطور موانئ المويلح وضبا والوجه وأملج، فقد عملت الطرق البرية القديمة بين العقبة ومكة المكرمة عبر المدينة المنورة، والتي كانت تسير عليها قوافل الحجاج القادمة من الشام ومصر على بروز أهمية الموانئ المذكورة كمحطات للاستراحة وتقديم الخدمات. وقد ظل النقل والمواصلات يؤديان دورهما حتى مد سكة حديد الحجاز التي وصلت المدينة المنورة عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ثم أخذ هذا الدور يضعف عندما بدأ الحجاج يعتمدون وسائل أخرى للحج، منها: الانتقال بحرا وجوا^(٢).

الجزر:

يتوفر ساحل منطقة تبوك على عدد كبير من الجزر الصغيرة غير المأهولة، وعلى جزيرتين لهما أهمية استراتيجية هما: تيران، وصنافر، ذلك أنهما تسيطران على الملاحة في شمالي البحر الأحمر، وخاصة في مضائق تيران، ويمكن الاستفادة منهما في الأغراض الدفاعية والعسكرية^(٣).

تيران:

تلفظ بكسر التاء بعدها ياء مشاة تحتية ساكنة فراء فألف فنون^(٤)، وكانت تعرف بإسم تاران^(٥)، وهي جزيرة تقع في الطرف الشرقي عند مدخل خليج العقبة، بين خطي الطول

(١) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٣٨٤-٣٨٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٨٦-٣٨٧.

(٣) ناصر عبد العزيز العرفج: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر، الرياض، وزارة الخارجية، معهد الدراسات

الدبلوماسية، ندوة البحر الأحمر، ١٤٠٦هـ، ص ٥٠.

(٤) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ق ١، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٩؛ عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٧.

٣٠° ٤٠' ٣٤" وخطي العرض ٥٥° ٢٧' ٠" و ١° ٢٨' ٠" (١)، ويفصل بينها وبين رأس الشيخ حميد خور ضيق من البحر، ويمكن أن ترى الجزيرة منه رأي العين (٢).

وتبلغ مساحة جزيرة تيران نحو ٦١ كم ٢، فطولها عشرة كيلومترات، ولا يتجاوز عرضها في أوسع منطقة منها خمسة كيلومترات (٣).

ويصل متوسط ارتفاع جزيرة تيران ٣٢٠ مترا. بينما يزيد ارتفاع أعلى قمة فيها على خمسمائة متر، وتتكون الكتلة الرئيسية للجزيرة من صخور من الحجر الجيري الشعابي والطين والحجر الرملي، وتظهر هذه التكوينات في السفوح الجنوبية الغربية للجزيرة، أما السفوح الشمالية الشرقية فتتكون من الحجر الجيري الشعابي البلايستوسيني المرفوع. وتباين أشكال الأرض بين السفوح الشمالية الشرقية والسفوح الجنوبية الغربية، فالسفوح الأولى قليلة الانحدار ويغطي ساحل معظمها شعاب مرجانية، أما السفوح الأخرى فشديدة الانحدار، وتتكون من تتابعات من المدرجات البحرية (٤). والطرف الشمالي الغربي للجزيرة عبارة عن شبه جزيرة رملية قليلة الارتفاع، ترتبط بالجزيرة الأم ببرزخ، وتتصف أقصى نقطة في هذا الطرف بأنها منخفضة ومستوية السطح (٥).

وتشبه جزيرة تيران من حيث الموقع على مدخل خليج العقبة الباب في مضيق يعرف بها (مضيق تيران) (٦).

ويبدو أن جزيرة تيران في الأزمنة القديمة كانت آهلة بالسكان، وكان "يسكنها قوم يقال لهم (بنو جدان)، يستطعمون الخبز ممن يجتاز بهم، ومعاشهم السمك، وليس لهم زرع ولا ضرع

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ق ١، ص ٢٦٩.

(٢) عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٧؛ حمد الجاسر: المصدر السابق، ق ١، ص ٢٦٩.

(٣) فهد بن سعود بن عبد الله بن سعود: الأهمية الاستراتيجية لخليج العقبة من ١٩٤٨م إلى ١٩٨٧م (دراسة في الجغرافيا السياسية)، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٥٠؛ حمد الجاسر: المصدر السابق، ق ١، ص ٢٦٩.

(٤) عبد الله بن ناصر الوليعي: جيولوجية وحيومورفولوجية المملكة العربية السعودية، ص ٢١٠-٢١٢.

(٥) فهد بن سعود بن عبد الله بن سعود: الأهمية الاستراتيجية لخليج العقبة، ص ٥٠.

(٦) عاتق بن غيث البلادي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٧-٨.

ولا ماء عذب، ويوتهم السفن المكسرة، ويستعذبون الماء ممن يمر بهم" ^(١). أما اليوم فهي خالية من السكان ^(٢).

صنافر:

بكسر الصاد، وتسمى أيضا صنابير، وهي جزيرة صغيرة تقع إلى الشرق من جزيرة تيران على بعد كيلومترين ^(٣)، وتتوسطها مرتفعات شمالية غربية، ويظهر في الجزء الشرقي منها عدد من التلال الجيرية ذات القمم المحدبة، ويبلغ ارتفاع أعلى هذه القمم ١١٢ مترا، بينما يبلغ ارتفاعها بالقرب من طرفها الجنوبي الشرقي ٤٢ مترا فقط ^(٤). وتشبه جزيرة صنافر من حيث التكوينات الصخرية والنشأة جزيرة تيران، غير أنهما تختلفان من حيث المنسوب، إذ لا يتجاوز متوسط ارتفاع جزيرة صنافر ٦٧ مترا ^(٥).

وتتوسط جزيرتا تيران وصنابير عدة مضائق بحرية تفصل بين اليابس الآسيوي والإفريقي، غير أن تلك المضائق لا تصلح للملاحة باستثناء القوارب عبر ممرات ضيقة وخطرة، أما مضيق تيران فيتراوح عرضه بين سبعة كيلومترات في شماله وعشرة كيلومترات في جنوبه، ويمتد لمسافة خمسة كيلومترات، وهو مجهز بوسائل الإرشاد الملاحي. أما عرض المضيق عند العمق فيبلغ حوالي كيلومتر. وتقسّمه الشعاب المرجانية إلى ممرين رئيسيين، أحدهما يقع شرق المضيق، وتصعب فيه الملاحة بسبب ضحالته وضيقه وقوة هبوب الرياح فيه، والثاني يقع إلى جوار ساحل سيناء،

^(١) عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٧.

^(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ق ١، ص ٢٦٩.

^(٣) عبد الله بن ناصر الوليعي: جيولوجية وجيومورفولوجية المملكة العربية السعودية، ص ٢١٠.

^(٤) فهد بن سعود بن عبد الله بن سعود: الأهمية الاستراتيجية لخليج العقبة، ص ٥١.

^(٥) عبد الله بن ناصر الوليعي: المرجع السابق، ص ٢١٠؛ فهد بن سعود بن عبد الله بن سعود:

المرجع السابق، ص ٥٠.

وهو الممر الأكبر والأصلح للملاحة^(١).

وقد كانت لجزيرتي تيران وصنافر أهمية استراتيجية بالغة في الحرب العربية الإسرائيلية، وكانت تلك الأهمية هي ما دفع مصر إلى طلب السيطرة عليهما لمواجهة القوات الإسرائيلية التي احتلت قرية أم الرشراش والمنطقة المحيطة بها، وحولتها إلى ميناء بحري (ميناء إيلات)، وذلك خلال فترة الهدنة التي دعا إليها مجلس الأمن في محرم ١٣٦٨هـ / نوفمبر ١٩٤٨م، وقد تخلت المملكة العربية السعودية لمصر عن الجزيرتين السعوديتين مؤقتاً في ربيع الآخر ١٣٦٩هـ / فبراير ١٩٥٠م^(٢)، وبذلك أصبحت الجزيرتان في مواجهة التهديدات الإسرائيلية^(٣).

ويذكر هنا أن تحويل أم الرشراش ومحيطها إلى ميناء أتاح للمحتلين الصهاينة منفذاً بحرياً على خليج العقبة والبحر الأحمر، وأدى إلى إنقطاع الاتصال المباشر بين جناحي العالم العربي الشرقي والغربي^(٤).

ويمكن القول بشكل عام أن منطقة تبوك، بما فيها من مدن وموانئ وجزر، كانت تتأثر بشكل مباشر بالأحداث السياسية، وكانت مصلحة الإدارة السياسية في تسييرها لحكم المنطقة تتقدم على مصلحة الأهالي^(٥).

وقد سبقت الإشارة إلى أن ساحل منطقة تبوك لم يفقد أهميته بعد افتتاح قناة السويس، وتحول كثير من قوافل الحج المصري من البر إلى البحر عبر القناة، إذ ظل عدد كبير من الحجاج يستخدمون طريق البر، وهو الأمر الذي اضطر الدولة العثمانية إلى دفع الأموال لشيوخ القبائل

(١) فهد بن سعود بن عبد الله بن سعود: الأهمية الاستراتيجية لخليج العقبة، ص ٥١-٥٣.

(٢) عبد الله عبد المحسن السلطان: البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، الرياض، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية، ندوة البحر الأحمر، ١٤٠٦هـ، ص ٩٠.

(٣) صلاح الدين مصطفى الدباغ: السيادة العربية على خليج العقبة ومضيق تيران، دراسة قانونية، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٦٧م، ص ٢١.

(٤) ناصر عبد العزيز العرفج: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر، الرياض، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية، ندوة البحر الأحمر، ١٤٠٦هـ، ص ٤٩-٥٠.

(٥) حمود بن ضاوي القثامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ٣٦٦-٣٦٧.

لقاء حماية قوافلهم^(١).

ويدل على أهمية ساحل منطقة تبوك سعي الدولة العثمانية إلى تعزيز موانئه وتحصينها عسكريا بعد أن أصبحت في خط المواجهة مع البحرية البريطانية في الموانئ المصرية المقابلة، كما عملت على إيجاد ميناء قصارة بدلا من ميناء السويس الذي سيطرت عليه بريطانيا. وقد أصبح ميناء قصارة نشطا تجاريا تتم فيه عمليات البيع والشراء ما بين ساحل المنطقة القريب من الميناء، وربما ساحل منطقة تبوك كله. وقد دفعت الحركة التجارية النشطة الدولة العثمانية إلى إيجاد مركز للرسوم الجمركية.

يضاف إلى ما تقدم ما سبقت الإشارة إليه من رغبة بريطانيا في إنشاء خط سكة حديد عبر منطقة تبوك، وهو مشروع كانت - كما يبدو - تريد تنفيذه بعد انتهاء الحرب، وهو الأمر الذي يؤكد أهمية المنطقة في السياسة الدولية.

^(١) Aliso Musil : Northern Hijaz . p . 39.

أوضاع المنطقة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى

بدأت قبضة الدولة العثمانية على أملاكها المترامية الأطراف بالارتخاء منذ خلع السلطان عبد الحميد الثاني، يوم الثلاثاء ٧ ربيع الآخر ١٣٢٧هـ / ٢٧ أبريل ١٩٠٩م، على يد الاتحاديين^(١)، وقد خسرت الدولة في ظل السلطة الجديدة مساحات شاسعة من أملاكها في أوروبا الشرقية، حيث اقتطعت منها شبه جزيرة البلقان في أعقاب حرب البلقان ٢٤ جمادى الثانية ١٣٣١هـ / ٣٠ مايو ١٩١٣م، وأثر ذلك على وضعها السياسي والعسكري في ولاياتها الأخرى، بما فيها الولايات العربية. وفي هذه الأثناء اندلعت الحرب في أوروبا، وكان سببها المباشر مقتل ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرانز فرديناند (Archduke Franz Ferdinand) على يد أحد أعضاء المنظمات السرية الصربية في سراييفو (Sarajevo)، وذلك في ٥ شعبان ١٣٣٢هـ / ٢٨ يونيو ١٩١٤م، فقد أدى ذلك إلى إعلان النمسا والمجر الحرب على الصرب في ٦ رمضان ١٣٣٢هـ / ٢٨ يوليو ١٩١٤م، وإعلان روسيا مساندتها لحكومة الصرب، حيث كانت روسيا تعتبر نفسها حامية وراعية العنصر السلافي في شبه جزيرة البلقان^(٢). وبدأت الدول الأوروبية تتكتل ضد بعضها، وقد أسفر هذا التكتل عن معسكرين، ضم الأول: ألمانيا والنمسا، وضم الثاني: روسيا وفرنسا، ثم انضمت إليهما بريطانيا. وأصبح المعسكر الأول يعرف باسم : دول المحور، بينما عرف الثاني باسم : دول الحلفاء^(٣).

* الاتحاديون هم أعضاء جمعية تركيا الفتاة التي تكونت في بدايتها من عدد قليل من تلاميذ مدارس الطب العسكرية في استانبول، ومن بعض الأتراك الآخرين المناوئين للسلطان عبد الحميد الثاني، وكانت غالبيتهم من النصارى، وقد هربوا إلى أوروبا، ووجدوا من دولها الدعم والتأييد، والمساندة، وما لبثوا أن غيروا اسم الجمعية إلى (جمعية الاتحاد والترقي)، وكانوا ذوي ميول علمانية، متعصبين للقومية التركية بدل تعصبهم للإسلام. انظر: عايض الروقي: حروب البلقان وأثرها على الحركة العربية في المشرق العربي العثماني ١٣٣٠-١٣٣٢هـ / ١٩١٢-١٩١٣م، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٤٧، ٦١، ٦٥.

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٧١٠.

(٢) عايض الروقي: المرجع السابق، ص ٢٦٨، ٣٥٧.

(٣) محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة، ١٩٧٦، ص ٣٦٣.

وقد أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا في ١٠ رمضان ١٣٣٢هـ / الأول من أغسطس ١٩١٤م ، وبذلك اندلعت الحرب العالمية الأولى^(١). وكانت الدولة العثمانية التي تمثل أهمية كبرى في ميزان القوى المتناحرة ما تزال على الحياد، في الوقت الذي كانت أنظار الدول الأوروبية الاستعمارية تتوجه إلى أملاكها، متطلعة إلى استعمار هذه الأملاك^(٢).

وبينما كانت وقائع الأحداث تتفاعل بسرعة في أوروبا، بدأت إرهابات انضمام الدولة العثمانية إلى جانب دول المحور تظهر بسرعة، فقد ألغت الامتيازات الأجنبية للدول الأوروبية في أملاك الدولة العثمانية، وأمرت جيشها بالتعبئة العامة في ١١ رمضان ١٣٣٢هـ / ٢ أغسطس ١٩١٤م^(٣) ، وأخذت تحشد الجهود السياسية والعسكرية لأمرء الجزيرة العربية، وتسخرها للمجهود الحربي^(٤).

وقد أعلنت الدولة العثمانية الحرب على الحلفاء في ٢٣ ذي الحجة ١٣٣٢هـ / ١١ نوفمبر ١٩١٤م ، وأعلن السلطان العثماني محمد رشاد في اليوم نفسه الجهاد ضد الحلفاء^(٥). وقامت السلطات العثمانية أيضا بتشديد الرقابة على شمالي البحر الأحمر، وتقوية الموانئ والقلاع، وضاعفت الجند هناك، وأمدتهم بالأسلحة والذخيرة، وأسست قوة من راكبي الإبل من أهالي المنطقة لمساعدتها^(٦).

وتعزيزا لجهودها الحربية قامت السلطات العثمانية أيضا بحشد الإمارات العربية إلى جانبها، وخاصة أمير مكة، وأمير الجوف، وأمير حائل الذي حثته تلك السلطات على عقد صلح مع الملك عبد العزيز^(٧).

(١) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٦٥.

(٢) عايض الروقي: حروب البلقان وأثرها على الحركة العربية في المشرق، ١٣٣٠-١٣٣٢هـ / ١٩١٢-١٩١٣م، ص ٣٥٨.

(٣) مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

(٤) جبار يحيى عبيد: التاريخ السياسي لإمارة حائل ١٨٣٥-١٩٢١م، ص ١٨٦.

(٥) جلال يحيى: العالم العربي الحديث، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨م، ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٦) مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٧) أنظر التفاصيل: جمال باشا (الكبير): مذكرات جمال باشا، ترجمة على أحمد شكري، تحقيق عبد المجيد محمود، بغداد، دار البصري، ١٩٦٣م، ص ٢٢٣ ؛ مطلق البلوي: المرجع السابق : ص ١٧٠-١٧١ ؛ نجده فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، بيروت، دار الساقي، ط ٢، ٢٠٠٠م، مج ٢، ص ٣٣٠.

ولمعرفة أوضاع منطقة تبوك بعد الحرب العالمية الأولى لا بد من معرفة ما آلت إليه جهود السلطة العثمانية في تجميع القوى السياسية والعسكرية في شمالي شبه الجزيرة بشكل عام قبل تلك الحرب، فقد سعت إلى وقوف أمراء العرب إلى جانبها عسكرياً، ولذلك اتبعت معهم سياسة الاحتواء، على الرغم من أن بعضهم، وخاصة أمير مكة الحسين بن علي كان يتربص بالدولة العثمانية، ويتحضر للثورة ضدها^(١). وحاولت السلطة العثمانية إنهاء الخلاف بين الملك عبد العزيز آل سعود وابن رشيد، الذي سعت بشكل حثيث إلى إشراكه في مجهودها الحربي^(٢). كما سعت إلى دفع إمارة الجوف للاشتراك مع القوات العثمانية في ميادين القتال^(٣).

وبينما كانت السلطات العثمانية منهمكة في محاولات رص الصفوف ضد الحلفاء كان أمير مكة الحسين بن علي يتصل بالقبائل لاجتذابها إلى جانبه، ويخطط لتخريب خط سكة حديد الحجاز، وقد كلفت تحركات أمير مكة الدولة العثمانية الكثير من الأموال، وشنت جهودها، حيث اضطرت إلى توزيع أموال ومؤن على شيوخ القبائل أكثر مما يوزعه الأمير، كما اضطرت إلى توجيه بعض قواتها لحماية سكة الحديد^(٤).

وكان أمير حائل ابن رشيد يتعرض لإغراءات الدولة البريطانية وضغوطها؛ لاستمالاته إلى جانبها، وهو الأمر الذي زاد من أعباء العثمانيين الذين كان عليهم الوقوف في وجه تلك التحركات البريطانية^(٥).

وقد أعلن الحسين بن علي الثورة على الدولة العثمانية في شعبان ١٣٣٤هـ / يونيو ١٩١٦م، وهو الأمر الذي زاد من أعبائها، أيضاً حيث شرعت في توجيه أمراء الشمال

(١) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٧٤.

(٢) عبد الله صالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة العبيكان، ط ٤، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ج ٢، ص ١٤٨.

(٣) خالد السعدون: موقف إمارة حائل من الحرب العالمية الأولى كما صورتها الوثائق البريطانية، الدار، السنة التاسعة، العدد الثاني، ١٩٨٣م، ص ٣٢؛ سليمان موسى: الثورة العربية الكبرى ووثائق وأسانيد، عمان، دائرة الثقافة والفنون، ١٩٦٦م، ص ١٥٩.

(٤) مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٥) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي، بيروت، ١٩٦٢م ج ٣، ص ٨٥؛ نجدة فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج ٣، ص ٥٢٤.

للقوف أمام هذا الخطر الداخلي بعد ما كانت تدعوهم إلى الاشتراك معها في التصدي للأخطار الخارجية^(١).

ويمكن وصف الوضع في منطقة تبوك والمناطق الأخرى في شمالي شبه الجزيرة العربية قبل الحرب العالمية الأولى بأنه كان غير مستقر لصالح الدولة العثمانية، وكان وضعاً متبايناً، فابن رشيد أمير حائل كان يظهر الولاء للدولة ويطن النوايا العدائية تجاهها، وكذلك كان ابن شعلان، أمير الجوف، الذي سرعان ما انكشفت نواياه العدائية ضدها، وأما أمير مكة الحسين بن علي فلم يخف نواياه، وإنما أعلن الثورة ضد السلطات العثمانية مما أربكها، وشتت جهودها^(٢).

ويلاحظ أن أمراء العرب في شمالي الجزيرة العربية قد غلبوا مصالحهم الذاتية على مصلحة الدولة العثمانية، أو قل: على المصلحة العليا للدولة، فاتخذ كل منهم الموقف الذي يتفق ومصلحته، بل كان بعضهم يغير موقفه وفقاً لمجرى الأحداث^(٣).

وقد لعبت بريطانيا دوراً رئيسياً في زعزعة الثقة بين أمراء العرب من جهة، والدولة العثمانية من جهة مقابلة، وقد عمقت هذا الدور عندما تمكنت من إقناع أمير مكة بأنها ستدعم ثورته ضدها. وكانت بريطانيا تدرك تماماً أن سلخ البلاد العربية عن الدولة العثمانية سيحقق لها النصر على السلطات العثمانية في المنطقة، وخاصة أن هذه البلاد تشكل الجزء الأكبر من أملاك الدولة العثمانية^(٤).

ولذلك سعت بريطانيا إلى فتح جبهة داخلية ضد العثمانيين يتولاها بعض أمراء العرب، مما سيؤدي إلى استنزاف جزء كبير من جهود السلطات العثمانية العسكرية والسياسية، وضمن هذا الإطار عملت بريطانيا على عرقلة أي جهد تقوم به تلك السلطات لتوحيد

(١) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٨٥-١٨٧.

(٢) المرجع نفسه: ص ١٩٢-١٩٨.

(٣) جبار يحيى عبيد: التاريخ السياسي لإمارة حائل ١٨٣٥-١٩٢١م، ص ١٨٦.

(٤) جلال يحيى: العالم العربي الحديث، ص ١٢٧.

القوى في المنطقة ضد بريطانيا^(١).

لقد أغرت بريطانيا أمير مكة الحسين بن علي بالثورة ضد الدولة العثمانية واعدة إياه بأنها بعد انتهاء الحرب ستقيم دولة عربية مستقلة بزعامته، ولم يكن ذلك الوعد سوى وسيلة لدفعه إلى الانقلاب على سلطة الدولة وضعفعتها، فبريطانيا لم تكن في حقيقة الأمر تهتم إلا بمصلحتها الذاتية، ولم تكن ترى في الحسين بن علي وأمراء شمال الجزيرة سوى شيوخ قبائل، يمثل كل منهم نفسه^(٢).

ولم تقتصر بريطانيا في إثارة الفتنة داخل الدولة العثمانية على أمراء العرب، وإنما تجاوزتهم إلى شيوخ القبائل أيضاً، وقد ركزت جهودها على شيوخ القبائل في المنطقة، حيث أخذت تتصل بهم، وتغريهم، ومنهم شيخ قبائل بلي سليمان بن رفاعة الذي اتصلت معه في جمادى الأولى عام ١٣٣٣ هـ / أبريل ١٩١٥ م^(٣). وقد عبر لورنس عن هدف بريطانيا من هذه الجهود وهذه الاتصالات بقوله : " .. ذلك أنه تكمن بها فكرة تمزيق الأتراك (العثمانيين) إلى قطع "^(٤).

ويمكن تلخيص المواقف في منطقة تبوك بشكل خاص، أو في شمالي الجزيرة العربية بشكل عام أثناء الحرب العالمية الأولى بأن ابن رشيد أمير حائل ظل مستمرا في إظهار ولائه للدولة العثمانية، على الرغم من المحاولات الكثيرة التي بذلتها السلطات البريطانية إما مباشرة أو عبر الحسين بن علي لكسبه إلى جانبها، أو على الأقل لضمان حياده^(٥). وكان نوري الشعلان،

(١) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٠ م، ص ٢٩٩.

(٢) مايكل آش: لورنس ملك العرب غير المتوج، ترجمة فاطمة نصر، القاهرة، إصدارات سطور، ٢٠٠٠ م، ص ١٩٧-١٩٨، ٢٠٧.

(٣) نجدة فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج ٣، ص ١٠٧.

(٤) توماس إدوارد لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة محمد نجار، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص ١١٤.

(٥) محمد الزعاري: إمارة آل رشيد في حائل، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م، ص ١٧٥-١٧٦ ؛ خالد السعدون: موقف إمارة حائل من الحرب العالمية الأولى، الدارة، السنة التاسعة، العدد الثاني، ١٩٨٣ م، ص ٣٧-٣٨ ؛ نجدة فتحي صفوة: المصدر السابق، مج ٢، ص ٧٦٩.

أمير الجوف متحفظا إزاء انضمامه العلني للحلفاء، غير أنه كان متعاطفا مع ثورة الحسين بن علي، وقد أفاد هذا التعاطف بريطانيا كثيرا، حيث أصبح خط حديد الحجاز والقوات العثمانية في منطقة تبوك يعانين من غارات القبائل المتتابعة^(١). وأما أمير مكة الحسين بن علي، فقد أعلن الثورة على العثمانيين - كما سبق القول - وكان أبنائه: وخاصة الأمير فيصل والأمير عبد الله يقودان قواته في معارك متلاحقة ضد العثمانيين، تلك القوات التي أصبحت تشكل الجناح الأيمن للقوات العسكرية البريطانية.

وامتد نفوذ أمير مكة الحسين بن علي أثناء الحرب إلى منطقة تبوك، فقد تحركت جيوشه النظامية، وكذلك قوات القبائل التي انضمت إليها في الحجاز، تحركت بقيادة ابنه فيصل، تساندها بريطانيا ماديا وعسكريا إلى ميناء أملج بعد أن انضمت إليها قبائل منطقة تبوك نفسها واستولت على الميناء في ١٥ شوال ١٣٣٤هـ / ١٥ أغسطس ١٩١٦م، وأخذت تغير على خطوط الاتصالات العثمانية الساحلية الممتدة بين أملج والوجه^(٢). ثم واصلت قوات فيصل تحركها في أراضي المنطقة، واستولت على الوجه، وأصبحت تسيطر على ساحل المنطقة كله. وقد اتخذ فيصل من الوجه قاعدة انطلق منها للسيطرة على أراضي المنطقة الداخلية، إضافة إلى العقبة ومعان^(٣).

وكان بعض الجنود العرب الموجودين في حامية الوجه العثمانية قد انحازوا إلى قوات الأمير فيصل بن الحسين، حيث اتصلوا به وهو في طريقه إليهم^(٤)، وأدى انتزاع الوجه إلى سيطرة الحلفاء على كل من ضبا والمويلح^(٥)، وكانت القبائل قد دعمت جيش الأمير فيصل في تحركه بين العقبة ومعان، وهو الأمر الذي مكن الأسطول البريطاني من احتلال العقبة

(١) سليمان موسى: الحرب في الحجاز، عمان، د.ن، ١٩٨٩م، ص ١٥١؛ نجدة فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج ٣، ص ٦٤٦.

(٢) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٢٤١.

(٣) توماس إدوارد لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ص ١٩٢؛ مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٤) سليمان موسى: المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٥) توماس إدوارد لورنس: المصدر السابق، ص ١٩٢.

في ١٨ رمضان ١٣٣٥هـ/ ٦ يوليو ١٩١٧م^(١). وبعد احتلال العقبة انتقلت إليها قوات الأمير فيصل أو قوات أخيه الأمير عبد الله، وتمكنت هذه القوات النظامية معززة بدعم القبائل الموالية للحسين بن علي من احتلال تبوك في ٦ محرم ١٣٣٧هـ/ ١٢ أكتوبر ١٩١٨م^(٢).

وكان الحسين بن علي قد أعلن نفسه ملكا على البلاد العربية في ٦ محرم ١٣٣٥هـ/ ٢ نوفمبر ١٩١٦م، وكان أعيان مكة المكرمة قد اجتمعوا في مؤتمر وقرروا منحه هذا اللقب، وبعد بضعة أشهر اعترفت به ملكا كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، ولكن ليس على البلاد العربية، وإنما على الحجاز وحسب^(٣).

وكان الشريف حسين بن علي يمني نفسه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بأن يسيطر على الأرض العربية كلها، وخاصة بعد أن كالت له بريطانيا الوعود بذلك، في الوقت الذي كانت فيه تتآمر مع حليفتها فرنسا على اقتسام أملاك الدولة العثمانية^(٤). فقد كانت بريطانيا قبل الحرب وأثناءها تعقد المعاهدات السرية والعلنية التي تخدم مصالحها الذاتية في العالم العربي، وليست تلك التي تخدم الملك حسين الذي خدعته بوعودها الكاذبة^(٥).

لقد كان الشريف حسين في حربه ضد العثمانيين مدفوعا بتلك الأمنيات، وتلك الوعود، ومع ذلك استغرقت الجهود الحربية التي بذلتها قواته للسيطرة على منطقة تبوك نحو عامين كاملين^(٦)، وبالسيطرة عليها أصبحت المنطقة خاضعة لمملكة الحجاز التي خرجت القوات العثمانية منها في ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ يناير ١٩١٩م، وقد تم نقل تلك القوات بعد استسلامها عبر موانئ المنطقة: الوجه وضباء إلى الموانئ المصرية، وبذلك انتهت الحرب

^(١) فائز الغصين: مذكراتي عن الثورة العربية، دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٧٠م، ج ٢، ص ٤٣٧.

^(٢) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٢٤٦.

^(٣) جيمس موريس: الملوك الهاشميون، ترجمة يوسف المقدادي، مراجعة خالد دحبور، عمان،

الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص ٤١.

^(٤) جيمس موريس: المرجع السابق، ص ٥٧-٥٨.

^(٥) يوسف بن علي الثقفي: الهدف الأرفع لمعاهدة فيصل - وايزمن العام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م،

دراسة تحليلية نقدية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ، ص ٣٢-٣٣.

^(٦) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ٧٣.

العالمية الأولى فيما يتعلق بالجزيرة العربية^(١).

وبخروج القوات العثمانية من شمالي الجزيرة العربية انتقلت السيطرة عليها إلى بريطانيا، وإن كانت سيطرة غير مباشرة، وقد ترتب على ذلك ظهور مملكة الحجاز إلى العلن بشكل واضح^(٢).

ولم يكن ملك الحجاز الحسين بن علي يملك من السلطة أو المال ما يتيح له السيطرة الكاملة على منطقة تبوك، أو إعادة تصليح سكة حديد الحجاز المارة بالمنطقة بعد تحريرها أثناء الحرب، وذلك على الرغم من تشكيله لجنة برئاسة ولده علي عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م لهذه الغاية، تلك اللجنة التي لم تفعل شيئاً ذا بال، مما أبقى على صعوبة تسيير القطار في المنطقة^(٣). هذا وقد جاورت مملكة الحجاز كلا من إمارة آل الرشيد في حائل أو إمارة الشعلان في الجوف المحيطتين بمنطقة تبوك من الشرق والشمال، كما جاورت إمارة آل سعود في وسط نجد^(٤).

وكانت السلطات البريطانية القريبة من المنطقة تعمل باستمرار على تأجيج العداء بين القوى العربية المسيطرة على الجزيرة العربية، وكانت تهدف من وراء اتباع سياسة (فرق تسد) التي عرفت بها إلى تثبيت وجودها، و تكريس نفوذها في العراق، وفلسطين^(٥). ومع ذلك ظل الحسين بن علي وأميراً حائل والجوف يتقربون من بريطانيا، وقد كان وضع الأولين أفضل، وخاصة الحسين بن علي الذي كان يطمح إلى السيطرة على الجزيرة العربية كلها، وهو الأمر الذي جعله يغدق المؤن والذخائر على أمير حائل، ويحرضه على الملك عبد العزيز آل سعود في نجد^(٦).

(١) إليكسي فاسيليف: تاريخ العربية السعودية، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٢٠٠٠، ص٣٢٢؛ عبد الله بن الحسين: مذكراتي، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٨م، ص١٥٢-١٥٣.

(٢) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص٢٦٨.

(٣) فردريك بيك: تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، تعريب بهاء الدين طوقان، عمان، الدار العربية للتوزيع والنشر، د.ت، ص١٩٢.

(٤) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العربية، ص ٣١٢.

(٥) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص٧١.

(٦) سليمان الغنام: البيئة السياسية الإقليمية والدولية في شبه الجزيرة العربية إبان نهوض الملك عبدالعزيز لتأسيس الدولة السعودية الحديثة، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص١٠٦؛ موزل: تاريخ ابن رشيد، العرب، ج٧، س١٠، محرم وصفر ١٣٩٦هـ/يناير وفبراير ١٩٧٦م، ص٥٨٣.

ويذكر هنا أن العلاقات بين الحسين بن علي وإمارة آل رشيد في حائل ظلت خاملة معظم الأوقات أثناء الحرب العالمية الأولى، وكانت أقرب إلى الفتور والجفاء، غير أن عداءهما المشترك تجاه الأمير عبد العزيز حولها إلى نوع من التفاهم، بل طالب ابن رشيد بالتحالف مع الحسين الذي استغل الموقف، وطالب بدوره ابن رشيد بالخضوع لسيادته، وقطع صلته بالدولة العثمانية، غير أن ابن رشيد كان يرغب في أن تكون سيادة الحسين إسمية لا أكثر، بل طالب باسترجاع السلطة المباشرة على تيماء التي كان الحسين قد مد نفوذه إليها، فرفض الأخير.

وهكذا كان الوضع في منطقة تبوك بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى غير مستقر، إذ كانت تتجاذب المنطقة عدة قوى، وذلك كله في ظل السيطرة البريطانية غير المباشرة على شمالي شبه الجزيرة العربية، وكانت كل من هذه القوى تحاول العمل لتحقيق أهدافها الخاصة، وتحالف أو تعادي بعضها وفقاً لمصالحها الذاتية. ومن هنا كان دعم الملك الحسين بن علي للأمير حائل ضد الملك عبد العزيز آل سعود، وضد أمير الحوف نواف الشعلان، الذي إنحاز بدوره إلى جانب الملك عبد العزيز، واتفق معه ضد إمارة حائل^(١).

ومن جهة أخرى بدأ الصراع مع نهاية الحرب العالمية الأولى يظهر بشكل أكثر وضوحاً بين الحسين بن علي والملك عبد العزيز آل سعود، وذلك في ظل الفراغ السياسي الذي نجم عن غياب النفوذ العثماني، وفي ظل ضعف الأمراء الآخرين^(٢).

وقد أدى الفراغ السياسي أيضاً إلى بروز أمراء آخرين مثل عبد الكريم بن رمان، الذي استغل ما شهدته المنطقة من فوضى واضطراب، ونصب نفسه أميراً على بلده تيماء، وحكمها حكماً فعلياً بعد أن سيطر على الأوضاع فيها^(٣).

(١) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٢٦٩.

(٢) حسين النجار: السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣، ج ١، ص ٤٣٥.

(٣) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ١٠٦، ١٦٠، ١٦١.

وعاد رجال القبائل في ظل الظروف التي سادت عقب هزيمة العثمانيين إلى سابق عهدهم من قطع للطريق، وسلب للحجاج، ولم يتمكن الحسين بن علي من كبح جماحهم، بل زاد من هيجانهم معاملته السيئة لهم، وافتقاره إلى القوة الكافية لإخضاعهم^(١).

وهكذا، ساد الاضطراب والفوضى منطقة تبوك، ولم تعد آمنة. وأصبحت الرحلات على سكة حديد الحجاز غير منتظمة بسبب ما لحقها من تخريب على أيدي قوات الأمير فيصل وقوات الأمير عبدالله ابني الحسين بن علي، ورجال القبائل المواليين لهما، وذلك خلال الحرب العالمية الأولى^(٢).

وأدى انقطاع الاتصال بين شمال الجزيرة العربية بما في ذلك منطقة تبوك وبين البلاد المجاورة لها: العراق وبلاد الشام بما فيها فلسطين التي وقعت تحت الاحتلال الأجنبي، أدى إلى حصر أهالي الشمال في مناطقهم، ولم يعد بإمكانهم تجاوزها طلبا للعمل أو جلبا للبضائع. وزاد الأمر سوءاً أن الأهالي كانوا يتبعون أمراء مختلفين، كثرت بينهم الحروب التي زادت السلطات المحتلة سعيها بما كانت تنشره من فتنة بينهم. وبذلك تراجعت منطقة تبوك وغيرها من مناطق شمال الجزيرة إلى الوراء، حيث تدهور اقتصادها، واختل أمنها، وأصبحت مرتعاً لقطاع الطرق^(٣).

وكان لتخريب سكة حديد الحجاز أثر بارز في تدهور أوضاع المنطقة، فقد أصبح قطع المسافة بين المدينة المنورة وخارج شبه الجزيرة العربية لمن يتاح له السفر يحتاج إلى شهر كامل، بعد أن كان يستغرق أربعة أيام فقط^(٤). يضاف إلى ذلك أن وجود الاحتلال البريطاني في فلسطين ومصر حدّ كثيرا من حركة القبائل إلى فلسطين طلبا للكأ، ومن حركة سكان الحواضر إلى فلسطين ومصر من أجل التجارة وتبادل المصالح، وهذا الانكماش الذي فرضته ظروف الاحتلال لمصر وفلسطين ومن ثمّ شرق الأردن أمر لم يعتده سكان منطقة تبوك من قبل، بل أدت تلك الظروف إلى انقطاع الاتصال المباشر بين القبائل التي اضطرتها الصراعات السياسية التي

(١) حسين محمد نصيف: ماضي الحجاز وحاضره، القاهرة، مطبعة خضير، ١٣٤٩هـ، ص ١٠٠.

(٢) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٢٧٠.

(٣) مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٤) خير الدين الزركلي: عامان في عمان، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ص ٤٦.

كانت سائدة قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها إلى الهجرة خارج شبه الجزيرة العربية وبين القبائل التي بقيت في المنطقة^(١).

يضاف إلى ما تقدم بشأن الأوضاع في منطقة تبوك بعد الحرب العالمية الأولى، أنّ الملك حسين بن علي الذي أصبحت المنطقة تحت نفوذه قد اضطر إلى إهمالها بسبب انشغاله بالطموحات الكبيرة التي مكن نفسه بتحقيقها، فلم يكن هدفه تبوك أو الحجاز أو الجزيرة العربية وحسب، وإنما امتدت أنظاره إلى الخارج حيث العراق وبلاد الشام في الوقت الذي كان يفتقر فيه إلى القوة والإمكانات^(٢).

وهكذا فإن آمال الملك حسين بإنشاء إمبراطورية عربية يرأسها أثار سلبا على سلطته في المنطقة^(٣). وكان من أبرز نتائج ضعف السلطة استفحال بعض القبائل التي عاثت في كل مكان، وعودة الأعراف والعادات القبائلية لتنظم العلاقات فيما بينها، كما أن هذه القبائل أخذت تسطو على القوافل التجارية، ومنها تلك التي كانت تنقل البضائع بين موانئ الساحل حتى العقبة^(٤). وقد أصبحت منطقة تبوك بعد أن تدهور فيها الأمن، وفقدت الاستقرار، وبعد أن ساءت أحوالها كل هذا السوء، تترقب من يعيد إليها أمنها واستقرارها.

(١) سلامة محمد الهريفي: أضواء على دور قبيلة بلي في الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، مؤسسة المختار،

ط ٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٢٢.

(٢) يوسف بن علي الثقفي: الهدف الأرعن لمعاهدة فيصل - وايزمن، ص ٢٩-٣١.

(٣) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٠١.

(٤) زينب عبد المجيد البطوش: تاريخ قضاء العقبة ١٨٩٢ - ١٩٢٤م، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،

١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ص ١١٥-١١٦.

**ضم الملك عبد العزيز حائل والجوف
وأثر ذلك على المنطقة**

احتدم الصراع السياسي داخل شبه الجزيرة العربية بعد خروج العثمانيين منها في ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/يناير ١٩١٩م^(١)، وكانت كل من القوى المتصارعة، المتمثلة في الأمير عبدالعزيز آل سعود في وسط نجد، والحسين بن علي ملك الحجاز، وآل الرشيد في حائل، ونوري الشعلان في الجوف تحاول بسط نفوذها، والاستحواذ على ما في أيدي القوى الأخرى^(٢)، ولم يكن هذا الصراع دائراً بعيداً عن أنظار الحكومة البريطانية، فهي القوة الأجنبية ذات السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية غير المباشرة على شبه الجزيرة برمتها، وذات النفوذ الفعلي على شواطئها الشرقية والغربية والجنوبية، إضافة إلى أنها أصبحت تحتل عسكرياً: العراق وجنوبي سورية وفلسطين ومصر^(٣).

ولم تكن علاقة القوى المتصارعة داخل شبه الجزيرة العربية مع بريطانيا بالدرجة نفسها من القوة، وإنما كانت متفاوتة؛ فالأكثر قرباً وارتباطاً مع الحكومة البريطانية هو ملك الحجاز الحسين بن علي، فقد عقد معها تحالفاً استراتيجياً قبيل قيام الحرب العالمية الأولى وأثناءها، منقلباً على الدولة العثمانية الإسلامية التي احتضنته زمناً طويلاً، وقاد ثورته المسلحة ضد العثمانيين في الحجاز، وفي شمال غرب شبه الجزيرة العربية، وظل يساند السلطات البريطانية حتى نهاية الحرب، وهزيمة الدولة العثمانية، وخروجها من شبه الجزيرة العربية والمشرق العربي عامة^(٤).

ويتلو ملك الحجاز من حيث قوة ارتباطه وقربه من الحكومة البريطانية نوري الشعلان أمير الجوف، ثم آل الرشيد في حائل. أما الأمير عبدالعزيز آل سعود فكان الأكثر بعداً عن الحكومة البريطانية، إذ كانت العلاقة بينه وبينها محكومة بقدر إفادته منها، وليس العكس، كما كان بعيد النظر، ثاقب البصيرة، يدرك مرامي بريطانيا وأحاييلها، ولذلك استطاع توظيف السياسة البريطانية لخدمة مصلحته، بينما عجزت بريطانيا عن توظيفه لمصلحتها، هذا ما بدأ يظهر بوضوح بعد إنتهاء الحرب.

(١) إليكسي فاسيليف: تاريخ العربية السعودية، ص ٣٢٢.

(٢) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) سليمان الغنام: البيئة السياسية الإقليمية والدولية في شبه الجزيرة العربية إبان فؤاد الملك عبدالعزيز لتأسيس

الدولة السعودية الحديثة، ص ١٣٢؛ مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٤) مطلق البلوي: المرجع نفسه، ص ١٩٤-١٩٥، ٢٠٢، ٢٦٨.

لقد احتدم الصراع السياسي بين ملك الحجاز الحسين بن علي والملك عبدالعزيز آل سعود حالما انتهت الحرب العالمية الأولى؛ وذلك لملء الفراغ السياسي الذي نجم عن إخلاء العثمانيين المنطقة. وكان هذان الطرفان هما الأبرز والأقوى، ذلك أن الأمراء الآخرين أصبحوا على درجة من الضعف لم يتمكنوا معها من منافستهما^(١).

وقد أثر هذا الصراع السياسي على منطقة تبوك من مختلف الجوانب، وخاصة الجانب الاقتصادي، إذ ضعفت حركة القوافل التجارية النجدية التي كانت تعبر المنطقة في الذهاب والإياب من شرق الأردن وفلسطين ومصر، كما ضعفت الحركة التجارية بين تجار نجد، وخاصة القصيم، وتجار ساحل منطقة تبوك، تلك الحركة التي كانت تنعش المراكز العمرانية في المنطقة مثل البدع، والمويلح، وتبوك^(٢).

وكانت العلا وتيماء وتبوك في أوائل القرن الرابع عشر الهجري وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي ترتبط إداريا مع إمارة آل رشيد في حائل، غير أن هذا الارتباط لم يكن قويا، إذ لم يكن لآل رشيد حضور قوي في تبوك، ولم يمثلهم أي مسؤول منهم فيها، وإنما كان الاتصال بينهم وبينها يتم بوساطة شيوخ القبائل الذين يتولون جمع الزكاة منها لحسابهم. أما تيماء فكانت تابعة سياسيا وإداريا لآل رشيد. وكان الرحالة الغربيون الذين يزورون إمارة حائل يرافقهم بعض رجال الإمارة إذا ما توجهوا إلى تيماء وتبوك والعلا، وهو أمر يدل على وجود نفوذ عام للإمارة في هذه الأماكن^(٣)، التي لم تلبث أن استقلت عن إمارة آل رشيد في عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م^(٤).

(١) حسين النجار: السياسة والإستراتيجية في الشرق الأوسط، ج ١، ص ٤٣٥.

(٢) إبراهيم المسلم: العقيلات، الرياض، مكتبة العقيلات، ط ٢، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٧٣، ٨٠.

(٣) هيلة بنت سليمان بن محمد البليهي: الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية في القرون ١٢هـ / ١٨م الى

١٤هـ / ٢٠م، رسالة دكتوراة غير منشورة، الرياض، وكالة كليات البنات، كلية الآداب للبنات،

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ١١٣-١١٤.

(٤) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ١٥٥، ١٦٢-١٦٤.

ويذكر هنا أن إدارة منطقة تبوك عبر تاريخها كانت موزعة حسب الأوضاع السياسية في البلاد المجاورة، وذلك منذ عهد الأنباط، فمن يسيطر على جنوبي بلاد الشام أو مصر أو الحجاز كان نفوذه المباشر أو غير المباشر يمتد إلى منطقة تبوك، وفي عهد الدولة العثمانية كانت تدار من بلاد الشام حيناً، ومن مصر أو الحجاز حيناً آخر، وإن كان الأغلب في إرتباط إدارتها مع بلاد الشام ومصر، غير أنها في مرحلة الدراسة أصبحت تابعة إدارياً وسياسياً لملك الحجاز، وكانت تبوك تشكل ناحية ضمن قضاء معان^(١).

وقد سيطر ملك الحجاز سيطرة كاملة على منطقة تبوك بعد خروج العثمانيين منها، وذلك بشكل تدريجي، فقد ضم أملج في شوال عام ١٣٣٤هـ/أغسطس ١٩١٦م، ثم الوجه في ربيع الأول ١٣٣٥هـ/يناير ١٩١٧م، ثم ضباء في ربيع الآخر ١٣٣٥هـ/فبراير ١٩١٧م، ثم تبوك في محرم ١٣٣٧هـ/أكتوبر ١٩١٨م^(٢). وأما تيماء فقد أصبحت تابعة للحسين بن علي، وذلك باتصال أميرها عبدالكريم بن رمان بالأمر عبداللّه بن الحسين أثناء ثورة والده على الدولة العثمانية^(٣).

والجدير بالإشارة هنا أن منطقة تبوك رغم وحدتها الجغرافية والاقتصادية إلا أنها لم تمثل وحدة سياسية في تاريخها، ذلك أنها منطقة متعددة القبائل، وكانت هذه القبائل في حركة دائمة بين المنطقة وشمالها الغربي في شرقي الأردن وفلسطين ومصر.

وكان تأثير الحركة السلفية قد بدأ يظهر على منطقة تبوك بدءاً بعام ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م، وذلك عبر وصول عدد من الدعاة الذين أخذوا ينشرون هذه الدعوة بين القبائل المجاورة لتيماء والعلا. وقد أعلنت إحدى القبائل القريبة من تيماء تدينها واتباعها للحركة السلفية^(٤)، التي ظل تأثيرها محدوداً في سكان المنطقة خلال هذا الوقت المبكر، مع أن مد الحركة قد وصلها

(١) محمد سالم الطراونة ومحمد عدنان البخيت: منطقة البلقاء والكرك ومعان ١٢٨١-١٣٣٧هـ/١٨٦٤-

١٩١٨م، عمان، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ١٦.

(٢) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٢٣٠-٢٣١، ٢٤١، ٢٤٦.

(٣) سليمان موسى: الحرب في الحجاز، ص ٣٧٤.

(٤) محمد بهجة البيطار: الرحلة النجدية الحجازية، دمشق، المطبعة الجديدة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ١٨-١٩.

أيام الدولة السعودية الأولى في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي^(١). ويرجع السبب في ذلك إلى اتساع المنطقة وبعدها عن مركز الدولة السعودية الأولى في نجد، وعدم مكوث دعاة الحركة زمناً طويلاً في ساحل المنطقة أو داخلها. وقد كانت تيماء هي الأكثر تأثراً بالدعوة السلفية تتلوها العلا. ويرجع السبب في ذلك إلى أن آل الرشيد الذين كانوا يحكمون تيماء اعتنقوا مبادئ الدعوة ، وتأثروا بها منذ عهد الدولة السعودية الأولى التي كانت تدعمهم^(٢).

وهكذا يلاحظ أن الدعوة السلفية لم تتغلغل في منطقة تبوك، ولم تعم الأهالي من بادية وحاضرة فيها، ذلك أن هذه الدعوة كانت تفتقر في البداية إلى سلطة سياسية تدعم الوعاظ الذين قدم بعضهم إلى المنطقة بشكل فردي لتوضيح مبادئ الحركة السلفية القائمة على التوحيد المستند إلى الكتاب والسنة. وقد أدى غياب السلطة السياسية المتمثلة في الملك عبد العزيز آل سعود إلى تراجع بعض من كانوا قد اعتنقوا مبادئ الحركة من أهالي المنطقة، والانضمام إلى الحسين بن علي ملك الحجاز، الذي كان قد قاتل الملك عبدالعزيز قبل أن يضطر إلى مغادرة الحجاز إلى إمارة شرق الأردن التي بدأ إنشاؤها سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢١م^(٣).

ويذكر هنا أن الإخوان الذين كانوا يذهبون إلى منطقة تبوك، وإلى غيرها من المناطق، لم تقتصر دعوتهم على ضرورة اعتناق مبادئ الحركة السلفية، وإنما كانوا يدعون أيضاً إلى ربط الأهالي والقبائل بولي الأمر: عبد العزيز آل سعود، الذي يمثل السلطة السياسية الداعمة لجهودهم، غير أن عدم وجود هذه السلطة أو قل: بعد مركزها في نجد عن المنطقة، حرّمها من تأكيد الدعوة السلفية، ونشرها بين جميع السكان من بادية وحاضرة بشكل كامل، وهو الأمر الذي

^(١) جورج أوغست فالين : رحلات فالين، ص ٢١٦، ٢٣٦ ؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم :

الدولة السعودية الأولى، ١١٥٨-١٢٣٣هـ / ١٧٤٥-١٨١٨م، ص ١٥٧.

^(٢) عبدالله الصالح العثيمين : نشأة إمارة آل رشيد، الرياض، مطابع الشريف، ط ٢، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٥٨.

^(٣) محمد يونس العبادي: الرحلة الملوكية الهاشمية من مكة المكرمة الى عمان والبيعة الكبرى بالخلافة للشريف حسين بن علي، عمان، مجدلاوي، ص ٢٠١.

أدى إلى الإرباك، وعدم وضوح الرؤية الشاملة، ففي الوقت الذي توجهت إحدى القبائل القرية من العلا وتيماء بولائها وارتباطها نحو الحسين بن علي عادت قبيلة أخرى عن هذا الولاء الذي أعلنته للحسين أثناء حربه ضد الدولة العثمانية، وتحولت به للأمير عبدالعزيز، وذلك قبيل ضمه حائل^(١).

وقد كان تأثير القبائل في منطقة تبوك بالخلاف السياسي بين الأمير عبدالعزيز والحسين بن علي متفاوتاً، وكذلك بالحركة السلفية، فالقبائل المجاورة لتيماء والعلا كان تأثيرها أكبر من القبائل الأخرى ومن سكان القرى الداخلية، وذلك لوقوعها تحت سلطة الحسين بن علي من جهة، ولحركتها الدائمة ما بين المنطقة وشمالها الغربي في شرق الأردن وفلسطين ومصر لأسباب اقتصادية.

ولم يلبث الصراع السياسي بين الحسين بن علي وعبدالعزيز آل سعود أن تطور إلى صراع عسكري، وقد بدأ الموقف بينهما يتأزم ويتصاعد بسبب واحتى الخرمة وتربة* اللتين كانتا من الناحية التاريخية والجغرافية تتبعان نجد، وقد ورد في الحديث الشريف: "من رأى حضناً فقد أنجد"، أما السيادة عليهما فكانت للأمير مكة^(٢).

وقد ازداد الوضع تأزماً بين الحسين وعبدالعزيز على أثر اعتناق أمير واحة الخرمة خالد بن لؤي مبادئ الحركة السلفية، ومن ثم انضمامه إلى الأمير عبدالعزيز آل سعود،

(١) ماكس فريهيرفون أوبنهايم وآرش برونيش وفرنر كاسكل : البدو، تحقيق وتقديم ماجد شبر، ترجمة محمود كبيو، لندن، دار الوراق للنشر المحدودة، ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٤٩٧.

* قرية تبعد عن الطائف مئة وثمانون كيلو متر شرقاً. وهي عامرة بالسكان، وفيها جميع المرافق الحكومية، وهي محافظة تتبع إمارة مكة. أما تربة فتبعد تسعون كيلو متر جنوب شرقي الطائف تقع على واد كبير من أودية الحجاز الشرقية وهي في الوقت الحاضر مدينة تتبع محافظة الطائف. عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٣، ص ١١٨، ج ٢، ص ٢١؛ حافظ وهبة: خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ٢٩١.

(٢) محمد هزاع خلف الشلول: العلاقات النجدية الحجازية بين عام ١٩٠٨-١٩٢٦م، رسالة ماجستير غير منشورة، عمان، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م، ص ١٤١.

وإعلان الخضوع والولاء للملك^(١). وقد أدى ذلك إلى قيام الحسين بن علي ببعث الحملات العسكرية المتلاحقة ضد أهالي الخرمة التي أعلن أميرها استقلاله عن الحجاز^(٢). غير أن تلك الحملات منيت بالفشل والهزيمة على يد قوات خالد^(٣).

والجدير بالذكر هنا أن خالد بن لؤي اتصل بالملك عبد العزيز في ذي القعدة ١٣٣٦هـ / أغسطس ١٩١٨م طالبا منه النجدة، خوفاً من قيام قوات الحسين بهجمات جديدة على الخرمة^(٤). وكان عبدالعزيز حينئذ يستعد لضم حائل، ومع ذلك وعد بتلبية طلب خالد إذا تعرض لهجوم جديد من قبل الحجاز^(٥).

وقد حاولت السلطات البريطانية التوفيق بين الحسين وعبدالعزیز، وحل الخلاف بينهما عن طريق التفاوض، كما دعت تلك السلطات إلى عقد اجتماع في القاهرة بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة ١٣٣٦هـ / ٢٣ مارس ١٩١٨م إلا أنه فشل، وخاصة أن بريطانيا دعمت في ذلك الاجتماع وجهة النظر الحجازية^(٦)، وفي ٢٣ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ / ٢٤ فبراير ١٩١٩م تم عقد اجتماع ثانٍ للنظر في الموضوع نفسه، ومحاولة حل الخلاف سلمياً بين الطرفين المتنازعين، وفي هذا الاجتماع اختلفت الآراء فبعضها كان يؤيد مطالب الحسين بن علي، بينما رأى بعضها الآخر ضرورة دعم الأمير عبد العزيز في مطالبه. وقد تزعم الطرف المؤيد للحسين اللورد كيرزون (Curzon)، بينما تزعم الطرف الآخر سانت جون فيليبي (Philby) الذي حذر من مغبة تجاهل الأمير عبد العزيز والاستهانة بقوته^(٧).

(١) فؤاد حمزة: في بلاد عسير، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، ط ٢، ١٩٦٨م، ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥؛ أحمد عبدالغفور عطار: صقر الجزيرة، جدة، مطابع المؤسسة العربية،

ط ٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ج ١، ص ٢٠٨.

(٣) فؤاد حمزة: المصدر السابق، ص ٣٥-٣٦.

(٤) سانت جون فيليبي: الذكرى العربية الذهبية، ترجمة مصطفى كمال فايد، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٨٨.

(٥) عبدالرحمن نصر: عاهل الجزيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، د. ط، د. ن، د. ت، ص ١٤٩.

(٦) محمد هزاع خلف الشلول: العلاقات النجدية الحجازية، ص ١٤٦.

(٧) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ٣٠٨؛ حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٥٦-٢٥٧.

وكان فيليبي قد اقترح حلاً للتراع بين الحسين وعبدالعزیز، وهو أن تفرض الحكومة البريطانية خطة هدنة بين الخرمة وتربة بحيث تكون الخرمة تحت سلطة عبدالعزیز، بينما تعطى تربة للحسين، إلا أن اقتراحه لم يلق استجابة من السلطات البريطانية^(١)، التي استمرت في دعم الحسين والضغط على عبدالعزیز لرفع يده عن الخرمة^(٢).

وبدأت الأمور تتجه صوب الصدام العسكري بين الحسين وعبدالعزیز، وذلك بعد استسلام الحامية العثمانية في المدينة المنورة على يد الأمير عبدالله بن الحسين في ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/يناير ١٩١٩م^(٣)، فبعد استسلام تلك الحامية بدأ الحسين ونجده عبدالله يعدان العدة لاسترداد الخرمة، وتأديب خالد بن لؤي، وجهز الحسين حملة كبيرة سارت إلى جبل حضن استعداداً لخوض معركة فاصلة مع عبدالعزیز، وكانت تلك الحملة بقيادة الأمير عبدالله بن الحسين الذي أثر أن يتقدم بجيوشه صوب تربة على الرغم من تلقيه رسالة من عبدالعزیز يحذره فيها من مغبة ذلك^(٤).

وقد دخل عبدالله بن الحسين تربة، وعاثت قواته فيها فساداً، وفي الوقت نفسه هدد الحسين بن علي بأنه على الأمير عبد العزیز أن يرفع يده عن الخرمة وتربة لأن هذه المناطق كلها تتبع الحجاز^(٥). ولم يلبث خالد بن لؤي والاحوان الذين كانوا على علم بتحركات الجيش الحجازي حول الخرمة أن أعدوا للأمر عدته، وباغتوا الجيش الحجازي قبيل فجر ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ/مارس ١٩١٩م، وفتكوا به فتكاً ذريعاً^(٦).

وأصبحت بعد الانتصار الحاسم الذي حققته قوات عبد العزیز في تربة، أصبحت الطريق

(١) محمد هزاع خلف الشلول: العلاقات النجدية الحجازية، ص ١٤٨.

(٢) أحمد بن يحيى آل فائع: ضم الحجاز في عهد الملك عبدالعزیز، ١٣٣٢-١٣٤٤هـ/١٩١٤-١٩٢٥م (دراسة تاريخية)، رسالة دكتوراة غير منشورة، الرياض، كلية الأداب، عمادة الدراسات العليا، جامعة الملك سعود، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ١٥٦.

(٣) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزیز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ص ٢٤٤؛ محمد هزاع خلف الشلول: المرجع السابق، ص ١٥١.

(٤) عبد الله بن الحسين: الآثار الكاملة، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ط ٢، ١٩٧٩م، ص ١٥١-١٥٢.

(٥) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٢٥٣.

(٦) نجدة فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، ج ٤، ص ٤٠٦-٤٠٩.

مفتوحة أمامه لضم الحجاز، غير أنه أثر التريث، وخاصة أن السلطات البريطانية حثته على ضبط النفس، وعدم التقدم إلى الحجاز^(١).

ويدل سير الأحداث بعد معركة تربة أن تلك المعركة شكلت منعطفاً كبيراً في تاريخ شبه الجزيرة العربية، وفي حياة الحسين بن علي وأبنائه، وخاصة عبدالله، فبعد هزيمتهم في تلك المعركة أصبح الحسين وأبنائه في وضع الدفاع، بينما تنامت قوة عبد العزيز آل سعود في الوقت الذي تبدلت فيه الرؤى الاستراتيجية والدبلوماسية في المنطقة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى^(٢).

وقد عمد الحسين بن علي بعد معركة تربة إلى التقارب مع آل الرشيد في حائل، وأخذ يحرضهم ضد عبدالعزيز آل سعود، ويمدهم بالسلاح، والذخيرة^(٣)، وقد توجهت أنظار عبد العزيز إلى حائل والجوف لضمهما إلى سلطته قبل ضم الحجاز، ذلك أنه أدرك بتعقله وثاقب بصيرته أن تقدمه إلى الحجاز في ذلك الوقت لن يكون في صالحه؛ لأنه لو فعل لاصطدم مع الإنجليز، ولثار عليه العرب والمسلمون بحجة أنه لو لم يتقدم إلى الحجاز لكانت بريطانيا قد وفّت بوعودها للحسين^(٤). وهكذا أجل عبدالعزيز التقدم للحجاز، وآثر العمل على ضم حائل، فتوجه إليها، وضرب حولها الحصار عازماً على فك الارتباط والتقارب بين آل الرشيد والحسين بن علي، الذي نشأ وتعزز بعد معركة تربة^(٥).

(١) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، مطابع المدينة، ط ٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج ١، ص ١٠٣.

(٢) أحمد بن يحيى آل فائع: ضم الحجاز في عهد الملك عبدالعزيز، ص ١٧٠؛ نجدة فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، ج ٥، ص ٥٠٥.

(٣) جبار يحيى عبيد: التاريخ السياسي لإمارة حائل، ص ١٣٨-١٣٩.

(٤) محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي، القاهرة، المطبعة الفنية، ط ٤، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٤٩٨-٤٩٩.

(٥) سعود بن هذلول: المصدر السابق، ص ١١٠-١١٤؛ أحمد بن يحيى آل فائع: المرجع السابق، ص ١٨٣.

وقد ساهمت الظروف السياسية والاتصالات الدبلوماسية التي وقعت في تلك الفترة، ساهمت في جعل عبدالعزيز آل سعود يحدد هدفه بعد معركة تربة، وهو ضم حائل، فقد عقد مؤتمر في القاهرة بدعوة من ونستون تشرشل Winston Churchill ، وزير المستعمرات البريطاني، حضره جميع السياسيين والعسكريين البريطانيين المختصين بشؤون الشرق الأوسط، وذلك في رجب ١٣٣٩هـ / مارس ١٩٢١م ، واتخذ عدة قرارات أهمها فيما يتعلق بهذه الدراسة ترشيح فيصل بن الحسين ملكاً للعراق، وجعل منطقة شرق الأردن منطقة عربية يتولى الحكم فيها حاكم عربي يرتبط مع المندوب السامي البريطاني على فلسطين^(١).

ثم عقد اجتماع بين عبدالله بن الحسين وتشرشل تم الاتفاق خلاله على ترشيح عبد الله أميراً على شرق الأردن^(٢).

ووجد عبد العزيز آل سعود نفسه بعد مؤتمر الشرق الأوسط محاطاً بعدد من القوى والإمارات المعادية له، منها آل الرشيد في حائل، والحسين بن علي في الحجاز، وابنه فيصل في العراق.. ولذلك قرر التحرك السريع لفك هذا الحصار والتخلص من إمارة آل الرشيد، ولذلك قرر في شعبان ١٣٣٩هـ / ١٩٢١م توجيه أخيه محمد لحصار مدينة حائل، وأمر ابنه سعود بالهجوم على قبائل ثمر، وكان الأمير محمد بن طلال الرشيد قد تولى المقاومة الرشيدية، حيث تحرك في البداية لتأديب القبائل التي تخلت عنه، وخاصة قبائل ثمر التي نفرت منه بسبب بطشه وتنكيله بها. وكان الأمير عبد العزيز آل سعود في تلك الأثناء يستنفر رعاياه في الرياض، وبعد توافر القوات الكافية لديه توجه إلى حائل، وضرب الحصار عليها

^(١) سليمان موسى: صفحات مطوية - مفاوضات المعاهدة بين الشريف حسين وبريطانيا ١٩٢٠-١٩٢٤م،

عمان، المطبعة الأردنية، ١٩٧٧م، ص ٤٨-٤٩.

^(٢) سليمان موسى: تأسيس الإمارة الأردنية ١٩٢١-١٩٢٥م، دراسة وثائقية، عمان، مكتبة الختسب،

ط ٣، ١٩٨٩م، ص ١١٢-١٣٠ ؛ علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر، عهد الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦م،

عمان ، مركز الكتب الأردني ، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ٢٢-٢٤.

بعد تراجع محمد بن طلال الرشيد، وتحصنه بها^(١).

وشدد الأمير عبد العزيز آل سعود حصاره، مما دفع الأمير محمد بن طلال الرشيد إلى الاستغاثة بالحسين بن علي في الحجاز وغيره، فقد كتب إلى الحسين رسالة وأخرى إلى نجله فيصل ملك العراق، وإلى المسؤولين الإنجليز طالبا منهم التوسط لدى الأمير عبد العزيز لرفع الحصار عن حائل، ثم طلب من الحسين ابن علي تزويده بالسلاح والذخيرة والمال لتمكينه من المقاومة ومواصلة القتال إلا أنه تشاغل عنه، ولم يزوده بشيء، وكذلك فعل الملك فيصل^(٢). وعندئذ اضطر إلى طلب الصلح، فأمنه الأمير عبد العزيز الذي دخل حائل منتصراً في ٢٩ صفر ١٣٤٠هـ/نوفمبر ١٩٢١م^(٣).

وقد علق أحد المسؤولين البريطانيين في العراق على ضم الأمير عبد العزيز لحائل بأن ذلك سيجعله في قلب الأحداث السياسية في شرق الأردن^(٤)، وهو أمر أكدته الأحداث السياسية والعسكرية فيما بعد.

وتسارعت وتيرة حركة الإخوان شمالاً وغرباً بعد ضم حائل، فقد اتجهوا إلى الجوف وإلى منطقة تبوك، ووصلوا إلى أراضي شرق الأردن الجنوبية، بما في ذلك العقبة وخليجها على البحر الأحمر، وأربك هذا التحرك السلطات البريطانية التي بدأت تظهر في أراضي شرق الأردن وفلسطين إدارياً وعسكرياً. ووجدت تلك السلطات في ظهور الإخوان قرب العقبة تهديداً لوجودها، وكذلك تهديداً لمصالحها في كل من شرق الأردن وفلسطين ومصر، وكلها بلاد مجاورة لمنطقة تبوك. وقد وصلت أنباء تحرك الإخوان إلى لندن، مما دفع وزير المستعمرات

(١) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود، ص ١١٠-١١٤؛ أحمد بن يحيى آل فائع: ضم الحجاز في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٩٤؛ ماضي بنت منصور بن عبد العزيز: الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٣٤٢هـ/١٩٢٣-١٩٢٤م، بيروت، دار الساقى، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٢٧.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي، ج ٥، ص ٤٧، ٥٩.

(٣) جبار يحيى عبيد: التاريخ السياسي لإمارة حائل، ص ٢٣٥-٢٤٢.

(٤) مضاوي الرشيد: تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث، ترجمة عبدالإله النعيمي، بيروت، دار الساقى،

البريطاني ونستون تشرشل Winston Churchill إلى الاستفسار عن حقيقة الوضع، حيث خاطب وزارة الخارجية البريطانية التي خاطبت بدورها المندوب السامي البريطاني في مصر، فرد بعد تلقيه معلومات من محافظ سيناء البريطاني وكان بتاريخ ذو القعدة ١٣٤٠هـ/يوليو ١٩٢٢م، بأن هناك ١٥٠٠ من الاخوان قرب العقبة يتقدمون شمالاً، وقد أجاز لقواته استخدام القوة العسكرية ضدهم إذا لزم الأمر^(١).

وكان تقدم الاخوان شمالاً يصب في مصالح الأمير عبد العزيز آل سعود، سواء كان ذلك بأمر منه أم بدافع الحماس الديني ذلك كان مسيطراً على الاخوان بهدف نشر الدعوة السلفية^(٢). فهذه التحركات تخدمه ضد خصومه السياسيين، وهم الأشراف في كل من منطقة تبوك وشرق الأردن والعراق، ومن ورائهم السلطات البريطانية التي كانت تعمل باستمرار على إذكاء الخلافات والمشكلات بين الزعماء العرب خدمة لمصالحها الخاصة^(٣).

ويعني ظهور الاخوان، جيش الملك عبد العزيز آل سعود، في جنوبي شرق الأردن وصول مبادئ الحركة السلفية إلى سكان المنطقة من بادية وحاضرة بشكل أقوى من ذي قبل. ويذكر هنا أن قبائل المنطقة التي كانت منتشرة في وادي السرحان بالجوف ليست بعيدة عن حائل التي أصبحت في قبضة الأمير عبد العزيز آل سعود^(٤).

وكان الملك عبد العزيز بعد ضمه حائل يرسل الاخوان إلى الجوف في مقدمة جيوشه التي ضمت تيماء في طريقها إلى هناك، حيث أعلن أميرها ولاءه للملك^(٥).

(١) جون س. حبيب: الإخوان السعديون في عقدين ١٣٢٨-١٣٤٩هـ/١٩١٠-١٩٣٠م،

ترجمة صبري محمد حسن، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ١٨٦.

(٢) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها ١٣٣٩-

١٣٥٢هـ/١٩٢٠-١٩٣٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض، كلية العلوم الاجتماعية،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٠١.

(٣) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٤) الكتاب الأخضر النجدي، نشر بأمر من سلطان نجد، ص ٤٠.

(٥) هاري سانت جون فيلي: العربية السعودية، ص ٤٩٩-٥٠١.

وقد دفع ضم حائل وتيماء أمير شرق الأردن، عبد الله بن الحسين، إلى التدخل في منطقة تبوك، وتمثل ذلك في مطالبة أحد أعيان تبوك الشيخ سليمان بن غريص بالاتصال بالوجه، حيث كانت فيها قوة من الهجانة والمدفعية، وذلك بارسال أحد الأشخاص لإيصال الأموال إلى تلك القوة. كما طلب من الشيخ سليمان الاتصال بمكة المكرمة. ويدل ذلك على أن الأمير عبد الله بن الحسين كان على تواصل مستمر مع منطقة تبوك وقبائلها وأعيانها؛ لتتبع أخبار الأحداث الدائرة في المنطقة، وخاصة تحركات الإخوان قوات الأمير عبد العزيز آل سعود. كما يدل على أن منطقة تبوك أصبحت مركزاً مهماً في الصراع الدائر بين القوى المتمثلة في: الأمير عبد العزيز، والحسين بن علي ملك الحجاز، والأمير عبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن. لقد كان التنسيق مستمراً - دون شك - بين الأمير عبد الله، ووالده الحسين، وذلك عبر شيوخ القبائل والأعيان في منطقة تبوك، ومنهم الشيخ سليمان المذكور، الذي كان الأمير عبد الله يطلب منه الحضور إلى عمان لاستطلاع أخبار المنطقة من ناحية، ولإيصال الرسائل إلى والده في مكة من ناحية أخرى، وربما كان محور تلك الاتصالات والرسائل هو الخطر الداهم الذي أصبح يشكله الأمير عبد العزيز وقوات الإخوان بعد ضم حائل، حيث أخذت أنظارهم تتطلع شمالاً باتجاه عمان. وكان على أمير شرق الأردن متابعة ما يجري في منطقة تبوك التي تعني السيطرة عليها من قبل الإخوان ازدياد وضعه سوءاً بسبب الخطر السعودي الذي أصبح يهدد إمارته من الشرق والجنوب. وقد تحفز الأمير عبد الله بن الحسين بعد وصول أخبار منطقة تبوك إليه لمواجهة الخطر الداهم الذي قد يأتيه من تبوك نفسها أو من أي جزء من أراضي المنطقة^(١).

ولم تقتصر الاتصالات على تلك التي كان يجريها أمير شرقي الأردن مع الشيخ سليمان بن غريص في تبوك، فقد تمت اتصالات مشابهة مع أمير الجوف نوري الشعلان، حيث وصل وفد برئاسة فيلي Philpy المعتمد البريطاني في شرق الأردن إلى الجوف لإقناع نوري الشعلان بضم الجوف إلى شرق الأردن مقابل تولي إمارة شرق الأردن التي كانت تحت الانتداب البريطاني حماية الشعلان من أي عدوان^(٢).

(١) وثائق محمد بن عبد الله الغريص من عبد الله بن الحسين إلى سليمان بن غريص بتاريخ ٧ رمضان ١٣٤٠هـ/ ٤ مايو ١٩٢٢ م.

(٢) عوض البادي : الرحالة الأوروبيون في شمال شبه الجزيرة العربية، ص ٤٨٤ ؛ جمال محمود حجر: الآثار السلبية للسياسة الغربية في شمال شبه الجزيرة العربية، الدارة، ع ١٦، س ١١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٣٣-١٣٤.

والجدير بالإشارة هنا أن السلطات البريطانية كانت مهتمة بفكرة مد خط لسكة الحديد بين العقبة وبغداد^(١)، ويعني هذا الاهتمام، وكذلك العرض الذي قدمه فيليبي لأمير الجوف، نوري الشعلان، أن منطقة تبوك دخلت بقوة في حسابات السياسة البريطانية، كما أصبح ضمها أحد طموحات أمير شرق الأردن، وخاصة أنها ذات مساحات واسعة لها تماس مباشر مع أراضي إمارته في الجنوب. وفي الوقت نفسه أصبحت منطقة تبوك منطقة صراع سياسي بين الملك عبد العزيز آل سعود من جهة وملك الحجاز الحسين بن علي وأمير شرقي الأردن عبد الله بن الحسين من جهة أخرى. وكان يظلل هذا الصراع مكر السياسة البريطانية ذات النفوذ الواسع في كل من الأردن وفلسطين ومصر والعراق، كما سبق أن بينت هذه الدراسة.

لقد تمكن الملك عبد العزيز آل سعود من ضم الجوف في ذي القعدة ١٣٤٠هـ/ يوليو ١٩٢٢م^(٢)، وعلى أثر ذلك أرسل فيليبي المعتمد البريطاني في عمان إلى حكومته خطاباً مؤرخاً بذي الحجة ١٣٤٠هـ/ أغسطس ١٩٢٢م يعلق فيه على ضم الجوف. وقد جاء في الخطاب: "إن قرب الواحة (الجوف) من الأزرق، وقربها من كل من تبوك ومعمان، وهما محطتان على خط حديد الحجاز، يضع ابن سعود في موقع يستطيع منه شل الإدارة في كل من الحجاز وشرقي الأردن"^(٣).

وقد أدى ضم الجوف إلى ازدياد العلاقات بين الأمير عبد العزيز وأمير شرق الأردن سوءاً، وازدياد الشعور لدى السلطات البريطانية بأن الأمير عبد العزيز قد أحل بتوازن القوى في المنطقة والجزيرة العربية، وأنه أصبح خطراً عليها^(٤).

وتحرك الإخوان - بعد ضم الجوف - إلى العلا والحجر القريبتين من الوجه وتيماء، وقد كان للقبائل المجاورة لهما وهي: بلي وعتره دور في ضمهما إلى السلطة السعودية خلال الفترة القادمة، وخاصة أن هذه القبائل أعلنت ولاءها للملك عبد العزيز قبل وبعد ضمه حائل، وتأثرت بل وانقادت للحركة السلفية^(٥).

(١) هاري سانت جون فيليبي: العربية السعودية، ص ٥٠٠؛ جمال محمود حجر: الآثار السلبية للسياسة الغربية

في شمال شبه الجزيرة العربية، الدارة، ع ١، س ١١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) عوض البادي: الرحالة الأوروبيون في شمال شبه الجزيرة العربية، ص ٤٨٤.

(٣) جون س. حبيب: الإخوان السعوديون في عقدين ١٣٢٨-١٣٤٩هـ/ ١٩١٠-١٩٣٠م، ص ١٨٥.

(٤) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ٩٩.

(٥) عبد الرحمن السبيت وعبد العزيز الشعليل ومحمد التوبة: رجال وذكريات مع عبدالعزيز، الرياض، مطابع

الحرس الوطني، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٥٣.

وأصبح ظهور الاخوان كدعاة لمبادئ الدعوة السلفية واضحاً ومؤثراً بقوة في منطقة تبوك، فهم -بعد ضم حائل والجوف- أصبحوا قرييين من المنطقة، وحاسهم الديني، وقوتهم، وإصرارهم على نشر الدعوة السلفية، كل ذلك أصبح من الأمور التي يستشعرها أهالي منطقة تبوك الذين أخذوا يدركون أنهم هدف الخطوة التالية التي سيتخذها الاخوان.

وقد نجم عن ضم حائل والجوف تطلع الملك عبد العزيز آل سعود إلى ضم منطقة تبوك، وقد بادر إلى المطالبة بها في مؤتمر العقير الذي عقد بينه وبين بريطانيا في ربيع الأول والآخر ١٣٤١هـ/نوفمبر وديسمبر ١٩٢٢م، فقد أصر على أن تكون بداية حدوده من تبوك، وهو ما جعله - بعد ضمه منطقة تبوك - يطالب بحدود امتدت إلى الشمال من المنطقة^(١).

وهكذا أصبحت منطقة تبوك تدخل في مسألة الحدود ما بين نجد والحجاز مع ملك الحجاز الحسين بن علي، وما بين نجد وشرق الأردن مع الأمير عبد الله بن الحسين. وكان الملك عبد العزيز آل سعود قد اعتبر نفسه وريثاً للأملاك إمارة آل الرشيد حيثما وقعت تلك الأملاك^(٢).

لقد أخذت منطقة تبوك تدخل مرحلة جديدة في تاريخها السياسي منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان ضم الملك عبد العزيز حائل والجوف، ونشأة إمارة شرق الأردن، وظهور حدود دولية ما بين نجد والحجاز وشرق الأردن، وتدخل بريطانيا السافر في شمال شبه الجزيرة العربية أثناء وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، كل ذلك كان عوامل مهمة تتجاذب المنطقة، وترسم مستقبلها^(٣).

لقد أدت أحداث الحرب العالمية الأولى وما تلاها مباشرة من وقائع سياسية إلى انتقال عدد من الأفراد من قبائل المنطقة شمالاً إلى شرق الأردن^(٤). ومن جهة أخرى كان لظهور الملك عبد العزيز في هذه المرحلة من تاريخ المنطقة، كسياسي محنك أدرك ما يحيط به وبإمارته، وأدرك حقيقة الأدوار التي تلعبها القوى الأجنبية، وخاصة بريطانيا، وأطماعها في المنطقة، ولذا

(١) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها ١٣٣٩-١٣٥٢هـ/١٩٢٠-١٩٣٣م، ص ١١٦.

(٢) الكتاب الأخضر النجدي، ص ٣٤.

(٣) جمال محمود حجر: الآثار السلبية للسياسة الغربية في شمال شبه الجزيرة العربية، مجلة الدارة، ع ١٤، ص ١١،

١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٣٢-١٣٤.

(٤) سلامة محمد المهري البلوي: أضواء على دور قبيلة بلي في الحضارة الإسلامية، ص ٢٢.

كان لظهور هذا الملك في خضم السياسة الدولية آنذاك أثره الكبير في تحديد ملامح المستقبل لمنطقة تبوك، وخاصة أن الملك عبد العزيز بعكس ملك الحجاز الحسين بن علي وأبنائه فيصل، ملك العراق، وعبد الله أمير شرق الأردن، فقد كان يعتمد على إمكانياته الذاتية في الحفاظ على مكتسباته السياسية، كما كان يدعم الحركة السلفية بكل قوته، تلك الحركة التي تبنّاها آل سعود منذ دولتهم الأولى، وقد جعله ذلك أكثر قرباً لأهالي المنطقة من أولئك الذين اعتمدوا على المحتلين في كل أمورهم، وكان همهم الأول والأخير تثبيت سلطتهم بغض النظر عن الثمن الذي تدفعه الأمة العربية الإسلامية.

لقد تحرك الملك عبدالعزيز بخطى قوية وثابتة، وببصيرة ثاقبة تدرك عواقب الأمور قبل أن تقع، وقد شعر أهالي منطقة تبوك من بادية وحاضرة بذلك، وخاصة عندما اقتربت قوى الإخوان كدعاة للحركة السلفية من المنطقة بعد ضم حائل والجوف. لقد شعروا أن الملك عبدالعزيز سياسي مستقل، يحمل في داخله مشروع دولة تقوم على أركان الدين القويم، وتبنى بعيداً عن توجيهات القوى الأجنبية، وخاصة بريطانيا التي كان همها الأوحـد تحقيق مصالحها الذاتية.

ويضاف إلى العوامل المتقدمة، التي جعلت من منطقة تبوك منطقة حيوية للملك عبدالعزيز آل سعود، عامل اقتصادي، ويتمثل هذا العامل في أن المنطقة، وخاصة أراضيها الداخلية كانت ممراً لقوافل التجارة بين نجد وبلاد الشام، وقد كانت تلك القوافل تتعرض لاعتداءات القبائل التي كانت تأتي من شرق الأردن، وقد حاول الملك عبد العزيز التغلب على هذه المشكلة دبلوماسياً، حيث كان يتصل بالسلطات البريطانية المنتدبة على شرق الأردن، والمسؤولة عن الدفاع عنه^(١)، وذلك أثناء عقد المؤتمرات ذات العلاقة بالحدود من أجل حماية قوافله التجارية، إلا أن هذه الاتصالات لم تسفر عن النتيجة التي كان يتوقعها^(٢). وهو الأمر الذي جعله يعمل من أجل ضم ما بقي من منطقة تبوك. مثلما ضم من قبل حائل والجوف. وقد أصبحت الفرصة مواتية لذلك بعد أن أبدت قبائل كثيرة من بلي وعثرة تأييدها للحركة السلفية الدينية^(٣)، وبعد أن أعلن شيوخ الحويطات المجاورين لضباء وما يليها شمالاً انضمامهم للملك عبد العزيز، عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م^(٤).

(١) مذكرات غلوب باشا ١٨٩٧-١٩٨٣م، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد، الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص ٧٥.

(٢) الكتاب الاخضر النجدي، ص ٦.

(٣) ماكس فرايهر فون اوبنهايم، وآخرون: البدو، ج ٢، ص ٤٧٣.

(٤) هشام محمد عجمي: قلاع الأزعم والوجه وضبا، ص ٢٣٣.

ضوء الملك عبد العزيز منطقة تبوك

أشارت هذه الدراسة سابقا إلى أن منطقة تبوك التابعة للشرية حسين بن علي في الحجاز أصبحت منطقة حدودية مع الملك عبد العزيز آل سعود، وذلك بعد أن ضم حائل وتيماء والوف. ونجم عن التماس الحدودي بين الطرفين من جهتي الغرب والشمال الغربي صراع بينهما. وزاد هذا الصراع احتداما بعد قيام مملكة العراق وإمارة شرق الأردن بزعامة فيصل وعبد الله عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م، مما شكل طوقا هاشميا حول إمارة نجد السعودية من الجهات الشمالية الشرقية، والشمالية الغربية. وقد أتاح ضم حائل وجوارها، وكذلك عسير للملك عبد العزيز حسم الموقف لصالحه، حيث بدأ يضغط على مملكة الحجاز من الشمال، وكذلك من الشرق والجنوب^(١).

والجدير بالذكر هنا أن الصراع بين الملك عبد العزيز والشرية حسين بن علي كان متعدد الأسباب، ولعل أهمها الحج إلى بيت الله الحرام، فقد استخدمه الشريف بعد هزيمة قواته في معركة تربة وسيلة للضغط على الملك، حيث كان يرفض قدوم الحجاج النجديين تارة، ويضع العراقيين أمامهم تارة أخرى، كما حدث في حج عام ١٣٣٨/ ١٩٢٠م، حيث اشترط أن يأتي الحجاج النجديون من دون سلاح، ثم غير رأيه واشترط على حجاج نجد أن يأتوا بطريق البحر. وكان الشريف حسين بن علي يبرر رفضه لقدوم الحجاج النجديين بحجة خشيته من وقوع حرب أهلية بينهم وبين أهالي الحجاز^(٢).

وقد استمر رفض الشريف، وفي الوقت نفسه استمرت الجهود، وخاصة الجهود البريطانية في إقناعه بمسألة السماح لأهالي نجد بالحج، وعلى الرغم من أن تلك الجهود أدت إلى موافقته على قدومهم للحج عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م، إلا أن الصراع السياسي بينه وبين الملك عبد العزيز قد استحكم، وأخذ أبعادا مختلفة^(٣).

(١) أحمد بن يحيى آل فائع: ضم الحجاز في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٨٨.

(٢) أحمد بن يحيى آل فائع: المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٣) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢١٠.

وكان الملك عبد العزيز بعد ضمه حائل والجوف قد تقدم شمالاً، وقد هاجمت قواته قريبات الملح حول بلدة كاف في بداية صيف عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م^(١)، ثم زحفت على وادي السرحان، وتوغلت شمالاً في أراضي إمارة شرق الأردن^(٢). وكانت منطقة وادي السرحان وما جاورها تمثل أهمية استراتيجية واقتصادية للملك عبد العزيز، فوادي السرحان يقع على الطريق التجارية التي تربط وسط وشمال الجزيرة العربية بدمشق وساحل البحر الأبيض المتوسط. يضاف إلى ذلك أن الملك عبد العزيز بتوغله شمالاً إنما أراد أن يحد من امتداد النفوذ الشريفي حول مملكته الناشئة، وفصل الحجاز جغرافياً عن إمارة شرق الأردن، ولا يتسنى له ذلك إلا بضم منطقة تبوك إلى مملكته^(٣).

وأخذت الأحداث تتطور بسرعة باتجاه ضم منطقة تبوك، فقد اشتبكت قوات من الإخوان مع دورية تابعة لإمارة شرق الأردن في ذي الحجة ١٣٤٠هـ / أغسطس ١٩٢٢م، وكانت بعض القبائل التابعة لشرق الأردن قد قامت بمهاجمة قوات تابعة للملك عبد العزيز مما اضطره إلى إرسال قوة تتراوح ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ مقاتل، هاجمت شرق الأردن في أواخر عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م، ووصلت إلى أبواب عمان، غير أن القوات البريطانية تدخلت لصالح الأردن، وقصفت القوة السعودية بالطائرات، وزادت العلاقات السعودية الأردنية سوءاً إعدام عدد من أهالي الجوف في عمان في ذي الحجة ١٣٤١هـ / أغسطس ١٩٢٢م، كان الشريف شاكر بن زيد قد أسرهم في معركة سابقة مع الإخوان^(٤).

ومع تطور الصراع العسكري بين الملك عبد العزيز وإمارة شرق الأردن على الحدود، تجدد الخلاف حول الحج لعام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م^(٥)، كما أن القبائل التابعة لشرق الأردن استمرت في اعتداءاتها ليس على القبائل التابعة للملك عبد العزيز، وإنما على تجار نجد المتجهين إلى

(١) جمال محمود حجر: الآثار السلبية للسياسة الغربية في شمال شبه الجزيرة العربية، الدار، ع ١، س ١١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٣٤.

(٢) محمد هزاع خلف الشلول: العلاقات النجدية الحجازية بين عام ١٩٠٨-١٩٢٦م، ص ١٧٣.

(٣) أحمد بن يحيى آل فائع: ضم الحجاز في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٠٣.

(٤) أحمد بن يحيى آل فائع: المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(٥) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢١٤.

الشام، يضاف إلى ذلك أن قوات تابعة لشرق الأردن تمكنت من الاستيلاء على قريات الملح التي كانت خالية من حامية سعودية قوية تدافع عنها^(١).

وقد غضب الملك عبد العزيز بشدة لهذا الاعتداء، واعتبره تعدياً على أملاكه وحدود دولته، واحتج على ذلك لدى السلطات البريطانية. لإدراكه أن تلك السلطات كانت راضية وموافقة على ما تقوم به قوات شرق الأردن ضد المواقع الشمالية^(٢).

وكان الشريف حسين وابنه الأمير عبد الله يلجآن إلى السلطات البريطانية، ويحثانها على التدخل إلى جانبهما سواء فيما يتعلق بالخلافات حول الحج، أو بالصراع على الحدود الأردنية السعودية. وقد ظلت الحكومة البريطانية تضغط على الملك عبد العزيز بشأن تحديد عدد الحجاج السعوديين، وتدخل عسكرياً إلى جانب القوات الأردنية ضد قوات الإخوان، وكانت في الوقت نفسه تحاول معالجة كل المشكلات بين الملك عبد العزيز والآشرف في كل من الحجاز وشرق الأردن والعراق أيضاً، بما في ذلك مشكلات الحدود بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن والملك فيصل في العراق، والملك حسين في الحجاز^(٣). غير أن هذه المشكلات تفاقت، وهو الأمر الذي دفع الحكومة البريطانية للدعوة إلى مؤتمر يعقد في بلد محايد لحل هذه المشكلات^(٤).

وقد تم اختيار الكويت لاستضافة المؤتمر، ووجهت الدعوات لحضوره إلى كل من الملك عبد العزيز، والملك فيصل ملك العراق، وعبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن، والشريف حسين ملك الحجاز. وكان المؤتمر برئاسة المقيم السياسي البريطاني في الخليج الكولونيل نو كس (Knox)^(٥).

ووصلت الدعوة إلى الملك عبد العزيز في ٨ صفر ١٣٤٢هـ/٢٠ سبتمبر ١٩٢٣م، ورد عليها بالموافقة في ٢٣ صفر ١٣٤٢هـ/١٥ أكتوبر ١٩٢٣م مشروطاً بعدم اشتراك الحكومات الهاشمية

(١) هاري سانت جون فيلي : العربية السعودية، ص ٥٣٧.

(٢) ماضي بنت منصور بن عبد العزيز: الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٣٤٢هـ/١٩٢٣-١٩٢٤م، ص ١١١-١١٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٤-١١٦.

(٤) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٦١؛ أحمد بن يحيى آل فائع: ضم الحجاز في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٠٤-٢٠٥؛ محمد هزاع خلف الشلول: العلاقات النجدية الحجازية، ص ١٨٣-١٨٤.

(٥) حافظ وهبة: المصدر السابق، ص ٢٥٨؛ أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، ج ٢، ص ٢٧٥.

الثلاث في المطالب حتى لا يتحدوا ضده. وأن تمثل كل حكومة نفسها فقط. وقد وافق الإنجليز على هذين الشرطين ببرقية بعثها نوكس إلى الملك عبد العزيز في ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م^(١).

أما الملك حسين فقد وصلته الدعوة لحضور المؤتمر في ٢٢ ربيع الأول ١٣٤٢هـ/٢٢ أكتوبر ١٩٢٤م، وكان مقرراً أن يعقد المؤتمر في اليوم العاشر من الشهر بعد أقل من أسبوعين، ولذلك اعتذر عن عدم حضوره، وفشلت كل المحاولات التي بذلتها الحكومة البريطانية لإقناعه بالحضور. ولم يكن سبب رفضه ضيق الوقت، وإنما بيت عدم المشاركة في المؤتمر ما دامت القوات السعودية (تحتل) بعض الأراضي الحجازية مثل الخرمة وتربة^(٢).

وعقد مؤتمر الكويت أولى جلساته في ٧ جمادى الأولى ١٣٤٢هـ/١٧ ديسمبر ١٩٢٣م بحضور مندوبي نجد والعراق فقط، ثم شارك وفد الأردن، وكانت مشاركته في الجلسة التاسعة التي عقدت يوم ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٤٢هـ/٢ يناير ١٩٢٤م، وقد طالب مندوب شرق الأردن بضم أراضي منطقة تبوك الداخلية التي تشتمل على ذات الحاج، وتبوك، وتيماء بحجة أن هذه الأراضي كانت تابعة لسورية الحرة من سيطرة الدولة العثمانية بعد تحالف الشريف حسين مع بريطانيا، وبحجة أن القبائل التي تسكن المنطقة - وهي الفقراء من قبيلة عترة، وبنو عطية، والحويطات إنما تتبع إمارة شرق الأردن^(٣).

وقد تمسك مندوب شرق الأردن بمطالبه التي كانت تتم - من دون ريب - بالتنسيق مع الشريف حسين، بينما كان الملك عبد العزيز حريصاً على تحديد الحدود بين نجد والحجاز وشرق الأردن^(٤)، وكان مندوب العراق ومندوب الأردن قد شكلا جبهة واحدة في مواجهة مندوب نجد، وكانا ينطلقان في مطالبهما بلسان الشريف حسين، حيث طالب أيضاً بأن تكون الحدود الفاصلة بين الحجاز ونجد هي الصحراء القاحلة^(٥).

(١) الكتاب الأخضر النجدي: ص ٦-٧؛ موزي بنت منصور بن عبد العزيز: الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٣٤٢هـ/١٩٢٣-١٩٢٤م، ص ١١٤-١١٥.

(٢) موزي بنت منصور بن عبد العزيز: المرجع السابق، ص ١١٦-١١٧، ١٢١؛ أحمد بن يحيى آل فائع: ضم الحجاز في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٠٦-٢٠٧؛ محمد هزاع خلف الشلول: العلاقات النجدية الحجازية، ص ١٨٥؛ خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، ص ٣٢٦.

(٣) الكتاب الأخضر النجدي، ص ٦٢-٦٦.

(٤) موزي بنت منصور بن عبد العزيز: المرجع السابق، ص ١١٦-١١٧؛ خير الدين الزركلي: المصدر السابق، مج ١، ص ٣٢٦.

(٥) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٥٩؛ الكتاب الأخضر النجدي، ص ٣٣-٤٤.

وأدى التباين في وجهات النظر خلال مؤتمر الكويت إلى قطع جلساته، حيث رأى رئيسه نوكس أن يعود المندوبون إلى بلادهم للتشاور، وفي هذه الأثناء جددت بريطانيا محاولاتها لإقناع الشريف حسين بحضور المؤتمر، فوافق على إرسال نجله زيد ممثلاً له، مشترطاً أن يرسل الملك عبد العزيز أحد أبنائه ممثلاً له، وأن يعود الأمراء العرب، ومنهم نوري الشعلان، وابن الرشيد إلى ما كانوا عليه قبل الحرب العالمية الأولى، فرفض الملك عبد العزيز هذه الشروط^(١).

وعقد مؤتمر الكويت دورته الثانية في ١٨ شعبان ١٣٤٢هـ / ٢٥ مارس ١٩٢٤م بحضور وفدي نجد والأردن فقط، وأصر مندوب الأردن في هذه الدورة على مطالبه السابقة دون تعديل، ومنها أن تكون الجوف ووادي السرحان تابعة لشرق الأردن، وأن تعاد إمارة آل رشيد في حائل، وكذلك أن تعاد تربة والخرمة وخيبر وتيماء للحجاز. وهي مطالب أصر مندوب نجد على رفضها، وقاد ذلك إلى فشل المؤتمر فشلاً ذريعاً^(٢).

وكان الملك عبد العزيز أثناء انعقاد مؤتمر الكويت في الأحساء يتربص ما قد يتمخض عنه من نتائج^(٣)، ويبدو أنه كان يتوقع فشل المؤتمر، ولذلك كان يخطط لحسم المواقف لصالحه إما في الحجاز أو في منطقة تبوك، وفيما يتعلق بمنطقة تبوك أرسل الملك عبد العزيز قوة عسكرية من ينبع بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز وخالد بن لؤي إلى جهات أملج في ١٥ ذي الحجة ١٣٤٣هـ / ٧ يوليو ١٩٢٦م، وأمر أمير حائل بقيادة قواته إلى ناحية منطقة تبوك الداخلية، وكانت طلائع تلك القوات قد وصلت إلى الأراضي الداخلية في منطقة تبوك حيث أعلنت إحدى قبائل بني عطية ولاءها للملك، وأدت له الزكاة دليلاً على دخولها في طاعته، وذلك قبل اندلاع الحرب بين الملك والشريف حسين في الحجاز مع مطلع عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م^(٤). وقبل اندلاع الحرب كانت قبائل المنطقة مثل بلي وعزة المجاورة للعلا والوجه قد تأثرت بدعوة الحركة السلفية، حيث وصل إلى تلك المناطق عدد من الإخوان، ونشروا مبادئ الدعوة فيها^(٥).

(١) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٥٩؛ الكتاب الأخضر النجدي، ص ٦١-٦٦؛ أحمد بن يحيى آل فائع: ضم الحجاز في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر، ص ٥٧.

(٣) حافظ وهبة: المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٤) راندال بيكر: مملكة الحجاز - الصراع بين الشريف حسين وآل سعود، ترجمة صادق عبد علي الركابي، عمان، المكتبة الأهلية، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٨؛ عبد الله بن ثاني: وثائق الملك عبد العزيز إلى قبائل عزة، الرياض، ب. د. ن. ١٤٢٤هـ، ج ١، ص ١٢٨.

(٥) عاتق بن غيث البلادي: رحلات في بلاد العرب في شمال الحجاز والأردن، جدة، دار الجمع العلمي، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ٦٣.

وقد سهّل انضمام بعض قبائل منطقة تبوك وخاصة في جهات تيماء والعلّا إلى الحركة السلفية تحرك الملك عبد العزيز فيما بعد لضم المنطقة كلها، وخاصة أن الملك - كما لاحظ الأهالي - كان رجل دولة ودين، يسعى إلى إقامة الدولة على أسس من العقيدة بعيداً عن ألاعيب السياسة الأجنبية وطموحات الدول الاستعمارية التي كان همها الأول بعد نهاية الحرب العالمية الأولى تقسيم البلاد العربية. وقد وجد الملك عبد العزيز فرصة مواتية لإقامة دولته بعد انهيار الدولة العثمانية، حيث سعى بشكل حثيث لسد الفراغ السياسي الذي نجم عن انهيارها، وذلك في ظل الضعف الملحوظ الذي لحق بسلطة الشريف حسين في المنطقة بعد أن خذلته بريطانيا. يضاف إلى ذلك أن قبائل منطقة تبوك وجدت في الملك عبد العزيز الرجل القوي الذي يسعى إلى تحقيق المصلحة العامة، ويعرف كيفية تحقيقها، ويعرف أيضاً كيف يسترجع للمنطقة تماسكها وهيبتها، ذلك أن القبائل والأهالي شعروا بضعف الشريف حسين، وبأن سلطته أصبحت متراخية مقارنة مع سلطة الدولة العثمانية التي كان لها حضور ملموس في المنطقة، وخاصة في آخر عهدها بعد مد سكة حديد الحجاز.

وعلى الرغم من أن الظروف كانت مواتية أمام الملك عبد العزيز لضم منطقة تبوك إليه، إلا أن ذلك لم يكن أمراً سهلاً، وذلك لعدة أسباب، منها: بعد المنطقة عن مركز الدعوة السلفية في نجد، وعدم وجود أهالي المنطقة جميعاً في مراكز عمرانية تسهل السيطرة عليها وضبطها، فقد كان معظم أهالي المنطقة عبارة عن قبائل تنتقل من مكان إلى مكان داخل المنطقة وخارجها طلباً للكأ والماء، يضاف إلى ذلك أن بعض المراكز العمرانية، وخاصة الساحلية كانت تتلقى الدعم والمساندة من أمير شرق الأردن في العقبة. هذا، وقد وصلت قوات الإخوان جيش الملك إلى مشارف المنطقة قادمة من الجهات الداخلية من ناحية تيماء والعلّا، ومن الجهة الساحلية قادمة من ينبع باتجاه أملج، وكان الشيخ إبراهيم بن سليمان الباشا بن رفادة، شيخ مشايخ قبائل بلي قد أعلن ولاءه للملك عبد العزيز في شوال ١٣٤٣هـ/مايو ١٩٢٥م. وقد دفع ذلك علي بن الحسين إلى إرسال قوة إلى الوجه لثني الشيخ إبراهيم عن موقفه^(١).

وكانت قوة من الإخوان بدعم من الشيخ إبراهيم بن رفادة قد هاجمت الوجه، ولم تتمكن من دخولها، وكانت حامية الوجه تتلقى مساندة قوية من العقبة التي كان يسيطر

(١) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد

عليها الإنجليز، غير أن دعم الشيخ إبراهيم وقبائله للهجمات المتتالية التي أخذت زخماً أكبر فيما بعد أدى إلى استسلامها^(١) وفي هذا الوقت كان أمير شرق الأردن يمد قوات أخيه الملك علي في جدة بقوات من المتطوعين بعد أن يعدهم عسكرياً، وكان يشدد الحراسة على سكة الحديد في المنطقة القريبة من المدينة المنورة، وقد زاد هذا الدعم بعد انتقال الحسين بن علي إلى العقبة^(٢). وقد أشارت المصادر الشريفة إلى وصول إمدادات عسكرية من جنود نظاميين ومتطوعة وذخائر عبر ميناء العقبة وموانئ منطقة تبوك وصولاً إلى جدة في ١٦ جمادى الثانية ١٣٤٣هـ/ ١١ يناير ١٩٢٦م^(٣)، وفي الشهر نفسه وصلت مواد تموينية إلى المدينة المنورة عبر سكة الحديد مروراً بمحطات حالة عمار وذات الحاج وتبوك^(٤). وفي الشهر التالي وصلت باخرة من العقبة تحمل جنوداً نظاميين ومتطوعين إلى جدة^(٥).

وكانت قوات الإخوان في تلك الأثناء تهاجم جهات منطقة تبوك الساحلية، حيث هاجمت الوجه في ذي القعدة ١٣٤٣هـ/ مايو ١٩٢٦م^(٦).

وقد تم ضم العلا والوجه وضباء وشمالها وتبوك إلى الملك عبد العزيز في آخر جمادى الأولى ١٣٤٤هـ/ نوفمبر ١٩٢٦م، وذلك بعد استسلام المدينة المنورة على يد الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود* الذي أكد بدوره على انضمام منطقة تبوك كاملة^(٧).

(١) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ص ٤١٢-٤١٣، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، قسم الوثائق، وثائق الوجه، وثيقة بلا رقم.

(٢) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، بيروت، دار مكتبة الحياة، ج ٢، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٣) بريد الحجاز، س ١، ع ١٤، ١٦ جمادى الثانية ١٣٤٣هـ/ ١١ يناير ١٩٢٥م.

(٤) بريد الحجاز، س ١، ع ١٦، ٢٣ جمادى الثانية ١٣٤٣هـ/ ١٨ يناير ١٩٢٥م.

(٥) بريد الحجاز، س ١، ع ٢٢، ١٤ رجب ١٣٤٣هـ/ ٨ فبراير ١٩٢٥م.

(٦) أم القرى، س ١، ع ٢٣، ٦ ذو القعدة ١٣٤٣هـ/ ٢٩ مايو ١٩٢٥م.

* ولد في الرياض سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، منحه والده أمير المدينة المنورة، وتولاها وكلاء عنه، شارك في حرب السبلة، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م. توفي في الرياض سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. أنظر: خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج ٥، ص ٤١٨.

(٧) عبد الرحمن سبيت السبيت وعبد العزيز بن عبد الرحمن الشعيلى وإبراهيم بن رشود العود وسعود بن عبد الله الرومي: من وثائق الملك عبد العزيز، الرياض، رئاسة الحرس الوطني، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ١٥٥-١٥٦.

وكان أول من دخل تبوك من قادة الإخوان هو محمد بن عبد الله بن شهيل* قادماً من العلا؛ حيث وجد فيها حامية شريفة، وبجوزتها كميات من الأسلحة، غير أن هذه الحامية لم تتمكن من الصمود، إذ سرعان ما تيسر له دخول تبوك^(١).

وساعد في ضم منطقة تبوك أيضاً الدور المؤثر الذي قام به أمير حائل، حيث كان يمد قوات الإخوان أثناء تقدمها بالمؤن والأسلحة^(٢)، وهو الأمر الذي ساعد تلك القوات على التوغل داخل المنطقة، وساعد على ذلك أيضاً المساندة الفاعلة التي كانت تقدمها القبائل. ولم تتمكن قوات الشريف على بن الحسين من صد قوات الإخوان أو الصمود أمامها على الرغم من مساندة والده، ثم أخيه الأمير عبد الله في شرق الأردن.

وكان أحد قادة الإخوان، وهو فيصل الدويش** قد انتقل ومعه قوة كبيرة من أطراف

* ولد محمد بن عبد الله بن شهيل في قرية المزاحمية سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م، وقد عمل مع الملك عبد العزيز مبكراً، واشترك في كثير من العمليات العسكرية قائداً لقوة من الإخوان، وقد عين أميراً على تبوك، وتربة، ووكيلا لإمارة حائل. انظر: عبد الرحمن بن سبيت السبيت وآخرون: رجال وذكريات مع عبد العزيز، ج ٢، ص ٢٥٦، ٢٧٣.

(١) عبد الرحمن سبيت السبيت وآخرون: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٣، ٢٥٦.

(٢) فهد بن مرزوق اللحياي: المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٤-١٣٧٣هـ / ١٩٢٦-١٩٥٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، ص ٨٠.

** هو فيصل بن سلطان الدويش، آخر شيوخ قبيلة مطير، ولد عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م، وقد تولى زعامة قبيلة مطير بعد أبيه، وصحب الملك عبد العزيز في صباه، وخالفه سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م، فقصد العراق، إلا أن السلطات العثمانية طردته، فعاد إلى نجد وأعلن طاعته للملك عبد العزيز. وقد اشترك في حصار حائل مع الملك عبد العزيز، وخرج عليه بعد دخول الحجاز، وقام بثورة الإخوان مع سلطان بن بجداد، فزحف الملك عبد العزيز، واشتبك معه في معركة السبلة عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م، حيث أصيب فيصل. وقد عفا عنه الملك إلا أنه عاد إلى قمره، وهرب إلى العراق بعد هزيمته مرة أخرى على يد قوات الملك، وطلب الملك من السلطات البريطانية تسليمه، فجئ به على طائرة بريطانية سنة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م، وسجن في سجن الإحساء حتى مات سنة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م بعد سبعة أشهر من سجنه. خير الدين الزركلي: الأعلام ج ٥، ص ١٦٦.

المدينة المنورة إلى ناحية العلا والوجه أواخر عام ١٣٤٣هـ/أغسطس ١٩٢٦م^(١) ، وذلك لتطهير منطقة تبوك من قوات الأشراف التي كانت منتشرة فيها^(٢)، ودعوة من لم ينضموا من قبل إلى حكم الملك إلى الدخول في طاعته^(٣). وقد استجابوا وساهموا في انضمام قرى المنطقة الداخلية والساحلية أيضا.

وساندت قبائل جبهة قوات الاخوان في ضم أملج أواخر صفر ١٣٤٤هـ/سبتمبر ١٩٢٦م ، وذلك بعد محاصرتها لمدة قصيرة اضطرت حاميتها بعدها إلى تسليم ما لديها من أسلحة وذخائر^(٤).

أما ضباء فقد استسلمت لقوات من الاخوان بمساندة شيخ الحويطات في أوائل ربيع الأول ١٣٤٤هـ/سبتمبر ١٩٢٦م ، وقد تم الاستيلاء على ما فيها من أسلحة وذخائر^(٥).

وقام شيوخ قبائل منطقة تبوك وأعيانها وتجارها بعد استكمال ضمها بالسفر إلى مكة المكرمة لإعلان الولاء والطاعة للملك عبد العزيز، وكانت الحجاز آنذاك قد أصبحت تحت حكم الملك، فبعد دخوله مكة المكرمة استسلمت لقواته المدينة المنورة في ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ/٥ ديسمبر ١٩٢٦م حيث تأكد انضمام منطقة تبوك، وفي ٨ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/٢٤ ديسمبر ١٩٢٦م استسلمت جدة^(٦).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مواقف قبائل منطقة تبوك المؤيدة للملك عبد العزيز كان لها دور حاسم في إضعاف الدعم الذي كان يقدمه أمير شرق الأردن لأخيه الملك علي بن الحسين

(١) فهد بن مرزوق اللحياي: المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٤-١٣٧٣هـ/١٩٢٦-١٩٥٣م، ص ٨٠.

(٢) هاري سانت جون فيليبي: العربية السعودية، ص ٥١١.

(٣) جريدة أم القرى، س ١، ع ٢٩، ٢٥ ذو الحجة ١٣٤٣هـ/١٧ يوليو ١٩٢٥م.

(٤) مقبل بن عبد العزيز الذكير: تاريخ الذكير، نسخة خاصة، ص ١٢٢، أم القرى، س ١، ع ٣٨، ٢٩ صفر ١٣٤٤هـ/١٨ سبتمبر ١٩٢٥م.

(٥) مقبل بن عبد العزيز الذكير: المصدر السابق، ص ١٢٢، أم القرى، س ١، ع ٤١، ٢١ ربيع الأول ١٣٤٤هـ/٩ أكتوبر ١٩٢٥م.

(٦) جريدة أم القرى، س ١، ع ٥٢، ١١ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/٢٧ ديسمبر ١٩٢٥م؛ مقبل بن عبد العزيز الذكير: المصدر السابق، ص ١٢٢-١٢٧.

في جدة، وخاصة بعد وصول والدهما الشريف حسين إلى العقبة.

وهكذا امتدت سلطة الملك عبد العزيز إلى منطقة تبوك، وأصبح لدولته التي أخذت أركانها تترسخ وتزداد قوة حضورها الواضح والقوي في المنطقة إداريا وسياسيا وعسكرياً.

الفصل الثاني

الحالة السياسية والعسكرية في منطقة تبوك بعد ضم المنطقة

- أ- العلاقة بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن وأثرها على المنطقة.
- ب- موقف الملك عبد العزيز من حركة ابن رفاة .
- ج- أهمية منطقة تبوك العسكرية .

**العلاقة بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن
وأثرها على المنطقة**

بدأ الاحتكاك المباشر بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن بعد ضم الملك منطقة تبوك، وتأسيس الإمارة الأردنية تحت حماية السلطات البريطانية، تلك الإمارة التي ألفت أولى حكوماتها في ٤ شعبان ١٣٣٩هـ/ ١١ أبريل ١٩٢١م، وشارك المندوب السامي البريطاني على فلسطين هربرت صموئيل ([Herbert Samuel](#)) في إنشاء هذه الإدارة لشرق الأردن، وعين عددا من المستشارين السياسيين البريطانيين لمساعدة الأمير في الإشراف على سيرها^(١).

وكانت بريطانيا بموجب صك الانتداب هي المسؤولة عن أمن وحماية إمارة شرق الأردن، التي أصبحت بعد ضم معان والعقبة إليها تجاور منطقة تبوك، من جهة الشمال^(٢). كانت منطقة تبوك نفسها محل أطماع أمير شرق الأردن، فقد طالب رئيس النظار (الوزراء) الأردني علي رضا باشا الركابي بتوسيع حدود الإمارة الأردنية جنوبا لكي تضم تبوك، وهذا ما يتضح من برقية أرسلها هربرت صموئيل إلى وزير المستعمرات البريطاني في ١٩ ربيع الأول ١٣٤٣هـ/ ١٨ أكتوبر ١٩٢٤م^(٣).

لقد أصبحت منطقة تبوك في قلب الأحداث السياسية بعيد ضمها من قبل الملك عبد العزيز الذي أدرك أن ضمها لحكمه لن يوقف الأمير المدعوم من السلطات البريطانية عن المطالبة بالتوسع جنوباً.

كانت الحكومة البريطانية موجودة في المنطقة عبر المندوب السامي البريطاني في القدس، والمعتمد البريطاني في عمّان، والوزير المفوض في جدة، وكان هؤلاء المسؤولون يبحثون الأمور السياسية وغيرها مما يتعلق بهذه المسألة أو تلك، ويرسلون بآرائهم حولها إلى وزارة الخارجية في لندن، فتدرس المواضيع المطروحة وتناقشها معهم، ثم تزودهم بتعليماتها التي كانت تخدم مصالحها في جميع الأحوال^(٤).

(١) علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر، عهد الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦م، ص ٢٨، ٢٥-٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠-٣١؛ مذكرات غلوب باشا ١٨٩٧-١٩٨٣م، ص ٧٥.

(٣) سليمان موسى: تأسيس الامارة الأردنية ١٩٢١-١٩٢٥م، ص ١٧٥.

(٤) خالد بن ثنيان بن محمد آل سعود: العلاقات السعودية البريطانية ١٩٢٢-١٩٣٢م، الرياض، مكتبة العبيكان، ط ٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٣٦-١٣٧؛ الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، الرياض، دار الدائرة للنشر والتوثيق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج ٤، ص ٧٦.

وكانت بريطانيا بعد أن توقعت سقوط الحجاز في يد الملك عبد العزيز قد سعت إلى ضم معان والعقبة لشرقي الأردن الخاضع لانتدابها، وأذرت الملك بأن منطقة معان والعقبة واقعة ضمن منطقة انتدابها، وحذرت من مهاجمة إمارة شرق الأردن بحدودها التي تضمهما. ولذا أصبحت معان والعقبة جزءاً من إمارة شرق الأردن بمساعدة بريطانيا، وهو الأمر الذي وجد فيه الملك عبد العزيز غُبناً كبيراً لأن استيلاءه على الحجاز كان يخول له الحق في ضمهما^(١).

واستمر توتر العلاقات بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن، وظلت مسألة ضم معان والعقبة من أهم المسائل العالقة بينهما، وقد أثّرت هذه المسألة في معاهدة جدة عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م التي عقدت بين الملك وبريطانيا، حيث اقترحت بريطانيا أن تضم أملاك شرق الأردن كلاً من: معان والعقبة والمدورة، غير أن الملك لم يعترف بذلك، ولكنه وافق على أن تبقى المنطقة على وضعها، تابعة لشرق الأردن، على أن تناقش هذه المسألة عندما يحين الوقت لمناقشتها^(٢).

وكانت هناك مسألة أخرى مشاهمة، توتر العلاقات بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن، وهي تلك المتعلقة بوادي السرحان. وكانت سياسة بريطانيا إزاء وادي السرحان والمنطقة الممتدة بينه وبين جبل ثمر تتركز على إيجاد جسر أرضي يربط بين الخليج العربي وخليج العقبة، بينما تركزت سياسة الملك عبد العزيز على إيجاد ممر بري يربطه بسورية. وقد حاولت بريطانيا في البداية ضم الوادي أو الحفاظ على استقلاله تحت حكم آل الشعلان، غير أن الملك عبد العزيز سارع إلى ضم واحات: تيماء وخيبر والجوف وسكاكا ووادي السرحان باستثناء قريبات الملح، وهو الأمر الذي دفع بريطانيا للدعوة إلى عقد مؤتمر الكويت كما ورد في الفصل الأول من هذه الدراسة - قد نجح الملك عبد العزيز في ضم قريبات الملح على هامش ضم الحجاز، وكذلك أصبح وادي السرحان - باستثناء الأزرق - ضمن أملاك الملك^(٣).

(١) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها ١٣٣٩ -

١٣٥٢هـ/١٩٢٠-١٩٣٣م، ص ١٧٥، ١٦١.

(٢) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: المرجع السابق، ص ١٦١ - ١٦٢.

(٣) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، القاهرة، مكتبة مدبولي،

١٩٩٩م، ص ٨٨.

وكان الملك عبد العزيز في تلك الأثناء يتقدم بسرعة لضم الحجاز، مما أثار ذعر الحكومة البريطانية، التي أيقنت أن الحجاز سيؤول إليه بأسرع مما تتوقع^(١)، ولذلك شرعت بريطانيا في تأمين الحدود الجنوبية والشرقية لإمارة شرق الأردن، حيث وجهت جلبرت كلايتون Gilbert Clayton على رأس بعثة إلى الملك عبد العزيز عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٦م للتباحث معه، ومحاولة التوصل إلى اتفاقات تتضمن الحلول السلمية المرضية لجميع الأطراف فيما يتعلق بحدوده مع العراق وشرق الأردن^(٢).

وقد مُنح كلايتون صلاحية البحث الشامل في جميع القضايا الحدودية بين الملك عبد العزيز وكل من العراق وشرق الأردن، وكانت البعثة التي يرأسها تضم عدداً من الخبراء منهم: الكولونيل ك. كرنواليس Cornwallis، والميجر ج. ب. غلوب John Bagot Glubb^(٣). وقد حددت وزارة المستعمرات البريطانية مهمة كلايتون في أمرين: تعيين الحدود في منطقة وادي السرحان، وإقناع الملك عبد العزيز بقبول إلحاق لواء معان بشرق الأردن^(٤).

وقد فاوض كلايتون الملك عبد العزيز الذي كان بمعيته حافظ وهبة مستشاره الخاص ويوسف ياسين مدير جريدة أم القرى في مخيم بحرة بين مكة وجدة^(٥)، وأسفرت هذه المفاوضات التي بدأت بتاريخ ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٤هـ / ١١ أكتوبر ١٩٢٦م، واستمرت ثلاثة أسابيع عن توقيع اتفاقيتين ؛ عرفت الأولى باسم (اتفاقية البحرة)، وقد تم توقيعها بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ / ٣١ أكتوبر ١٩٢٦م، وكانت تتعلق بتسوية مشكلات

(١) عبد الرحمن نصر: عاهل الجزيرة، ص ١٩٩.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، ص ٨٨-٨٩؛

صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ١٩٣.

(٣) سانت جون فيليبي: تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، ترجمة عمر الديراوي، بيروت،

د.ت، ص ٣٦٠ ؛ حسين محمد نصيف: ماضي الحجاز وحاضره، ج ١، ص ١٩١.

(٤) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ٨٩-٩٠.

(٥) جريدة أم القرى، ع ٤٥، س ١، ربيع الثاني ١٣٤٤هـ / ٦ نوفمبر ١٩٢٥م، ص ٣.

الحدود بين السعودية والعراق^(١). وعرفت الثانية باسم (اتفاقية حداء)، وقد تم توقيعها بتاريخ ١٥ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ/ ١/ نوفمبر ١٩٢٦م، وتتعلق بتسوية الحدود والمشكلات الناجمة عن تنقل القبائل بين المناطق الخاضعة لسلطة الملك عبد العزيز ومناطق شرق الأردن^(٢).

لقد كان الملك عبد العزيز يحاول أثناء المفاوضات في حداء الاحتفاظ بمرحله الاخوان بين شرق الأردن والعراق، ويربط الأراضي السعودية بسورية، ولذلك تركز الخلاف في حداء حول وادي السرحان الذي يشكل الممر المذكور، وخاصة شمالي الوادي، أي (كاف) وما يليها شمالاً، ومناطق شمال غرب الوادي. وكانت إمارة شرق الأردن تعتبر هذه المناطق مهمة لها، وخاصة أنها مواقع تنقل عدد من القبائل التابعة لشرق الأردن، وهو الأمر الذي دفع كلايتون إلى بذل جهود كبيرة لكي تكون داخل حدود الإمارة^(٣).

وأمام إصرار الملك عبد العزيز على أن الممر جزء من أملاكه، اضطر كلايتون إلى توجيه تهديد مبطن له، إذ أخبره أن بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا على إجلائه عن الممر، ولو باستخدام القوة، ولذلك اضطر الملك عبد العزيز إلى التخلي عن الممر، كما أنه ترك موضوع معان والعقبة دون بت إلى أن تحين فرصة ثانية في مفاوضات أخرى، وذلك لقاء اعتراف بريطانيا بسيادته على جنوبي وادي السرحان وقبائل الرولة^(٤).

ويلاحظ أن الملك عبد العزيز أثناء المفاوضات في حداء قد دافع دفاعاً مستميتاً عن

(١) جريدة بريد الحجاز، ع ٥٦، س ٢، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ/ ديسمبر ١٩٢٥م، ص ٢.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، ص ٩١؛ وانظر نص الاتفاقية بوزارة الخارجية، مكة المكرمة، مجموعة المعاهدات من ١٣٤١-١٣٧٠ هجرية الموافق ١٩٢٢-١٩٥١م، ط ٤، جدة، ص ١٤-١٨؛ وانظر: أم القرى، ع ٦٠، س ٢، ٦ شعبان ١٣٤٤هـ/ ١٩ فبراير ١٩٢٦م، ص ٢.

(٣) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ٩١-٩٢.

(٤) عبد الرحمن نصر: عاهل الجزيرة، ص ٢٠١؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ٩٢.

حقوقه في (كاف)^(١)، ويبدو أن كلايتون كان مقتنعا بحقه فيها غير أنه استخدمها ورقة ضغط في المفاوضات لتحقيق مكاسب اقتصادية واستراتيجية لشرق الأردن في المنطقة^(٢).

هذا، وقد انتهت اتفاقية حداء إلى حل المشكلات الحدودية والقبائلية بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن، وتم الاتفاق على أن تبدأ الحدود بينهما في الجهة الشمالية الشرقية من نقطة تقاطع خط الطول ٣٩ شرقاً مع دائرة العرض ٣٢ شمالاً، وتمتد بخط مستقيم إلى نقطة تقاطع خط الطول ٣٧ مع دائرة العرض ٣١.٣٠، ثم تتبع الحدود خط الطول ٣٧ إلى نقطة تقاطعه مع دائرة العرض ٣١.٢٥، ثم تمتد من هذه النقطة في خط مستقيم إلى نقطة تقاطع خط الطول ٣٨ مع دائرة العرض ٣٠ تاركة ما برز من أطراف وادي السرحان للسعودية. ثم يتبع خط الحدود خط الطول ٣٨ إلى نقطة تقاطعه مع دائرة العرض ٢٩.٣٥^(٣).

وقد أدى ترسيم الحدود فلكياً على النحو المذكور إلى أن تكون (كاف) ضم أملاك السعودية، وأن تكون المراعي غرب وادي السرحان لإمارة شرق الأردن. وطلب كلايتون من الملك عبد العزيز عدم استخدام (كاف) نقطة عسكرية، أو حصناً للمراقبة ضد شرق الأردن إلا إذا اضطرت من أجل الحفاظ على الأمن شريطة إخبار بريطانيا بحشد القوات العسكرية في كاف في أقرب وقت ممكن، ومنع القوات السعودية من التعدي على إمارة شرق الأردن^(٤).

وقد تعهد الملك عبد العزيز بعدم إقامة مركز عسكري في كاف وببذل كل جهد ممكن لمنع الغارات على شرق الأردن^(٥). غير أن رسم الحدود بالشكل الذي تم الاتفاق . والذي ترك الطرف الشمالي من وادي السرحان بما في ذلك الأزرق لقبائل شرق الأردن،

(١) جمال محمود حجر: الآثار السلبية للسياسة الغربية في شمال شبه الجزيرة العربية، الدارة، ع ١٤، س ١١، يونيو ١٩٨٥م، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، ص ٩٢.

(٣) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ١٦٦.

(٤) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: المرجع السابق، ص ١٦٧؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ٩٧-٩٨.

(٥) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: المرجع السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

فقد كانت له آثاره السلبية على القبائل في المنطقة، وخاصة قبائل الرولة في الجوف ووادي السرحان التي منعها الفرنسيون من الرعي في أي منطقة تقع تحت إشرافهم، وهو الأمر الذي أدى إلى نفوق العشرات من أغنامها حتى قيل: إن الكلاب وحدها هي التي نمت بسرعة على ما نفق من القطعان نتيجة الجوع والعطش^(١). وقد أدرك الملك عبد العزيز ما سيترتب على ترسيم الحدود من متاعب للقبائل، وخاصة عندما يشح المطر، ولذلك تعهد - بمقتضى المادة الرابعة من اتفاقية حداء - بالمحافظة على جميع الحقوق المقررة لقبائل شرق الأردن في وادي السرحان، على أن تخضع هذه القبائل طوال فترة وجودها في الوادي للقوانين السعودية، وأن تتعهد حكومة شرق الأردن بالمعاملة بالمثل فيما يتعلق بقبائل منطقة تبوك وجوارها^(٢).

ونصت اتفاقية حداء أيضاً فيما يتعلق بالقبائل على أن تحصل أي قبيلة ترغب في عبور الحدود إلى أراضي الدولة الأخرى على إذن من حكومتها وتصريح من الدولة الأخرى، على أن يكون لدى كل حكومة بيان بقبائلها وعدد قطعانها لدى الدولة الأخرى لحمايتهم وضمان حقوقهم في حالة تعرضهم للاعتداء. ونصت الاتفاقية أيضاً على أنه في حالة وقوع غزو بين قبائل الطرفين تؤلف محكمة خاصة بالاتفاق بين حكومتي السعودية وشرق الأردن برئاسة شخص من غير ممثلي البلدين، يتم اختياره برضى الطرفين، وتكون قرارات المحكمة واجبة التنفيذ من دون معارضة، وتقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليهم بتنفيذ القرارات وفقاً لعادات القبائل، وبمعاينة المحكوم عليهم وفقاً لقرارات المحكمة^(٣). وقد تم باتفاق السعودية وإمارة شرق الأردن اختيار بريطانيا حكماً في الدعاوى التي تنشأ عن الغزوات بين قبائل البلدين، وصدر في الأردن قانون مؤقت يعطي المحقق الذي تعينه بريطانيا الصلاحية لدعوة أي شخص من رعايا شرق الأردن للمثول أمامه والتحقيق معه^(٤).

(١) جمال محمود حجر: الآثار السلبية للسياسة الغربية في شمال شبه الجزيرة العربية، الدارة، ع ١، س ١١،

١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٣١.

(٢) جريدة أم القرى، ع ٢٥٤، س ٦، الأول من نوفمبر ١٩٢٩م.

(٣) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ١٦٨-١٦٩.

(٤) انظر نص القانون في الجريدة الرسمية لإمارة شرقي الأردن، العدد ٢٦٤، السنة الثامنة،

٢٥ محرم ١٣٤٩هـ / ٢٢ حزيران ١٩٣٠م، ص ٢٧٢-٢٧٣.

والجدير بالذكر أن تحديد الحدود وفقاً لاتفاقية حداء جعل تجارة السعوديين مع سورية تضطر إلى عبور أراضي إمارة شرقي الأردن بعد أن أصبحت حدودها متصلة مع حدود العراق، ولذلك تعهدت الحكومة البريطانية بضمان حرية مرورها في أي وقت، وأعفت القوافل من الضرائب الجمركية، على أن يخضع التجار وقوافلهم للتفتيش الجمركي^(١).

وقد دار حول الحدود بين السعودية وإمارة شرقي الأردن نقاش جديد في ١٨ ذو القعدة ١٣٤٥هـ/ ٢٠ مايو ١٩٢٧، وأدى ذلك إلى التوصل لمعاهدة وقعها من الجانب البريطاني كلايتون، ومن الجانب السعودي نجل الملك عبد العزيز ونائبه العام في الحجاز الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود، وبموجب هذه المعاهدة التي عرفت باسم (معاهدة جدة)^(٢) أصبحت الحدود بين البلدين تبدأ من نقطة تقاطع خط الطول ٣٨ شرقاً مع دائرة العرض ٢٩.٣٥ شمالاً حيث تنتهي الحدود بين السعودية وشرق الأردن، فتمتد على خط مستقيم إلى نقطة على سكة حديد الحجاز بعدها ميلان إلى الجنوب من محطة المدورة، ثم تمتد من تلك النقطة على خط مستقيم إلى نقطة على خليج العقبة بعدها ميلان إلى الجنوب من مدينة العقبة^(٣).

وأصبحت العقبة ومعان والمدورة بموجب هذا التحديد ضمن الأراضي الأردنية، وهو الأمر الذي جعل الملك عبد العزيز يتردد في الاعتراف به، غير أنه أبدى استعداده لإبقاء هذه المسألة على وضعها الراهن إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسويتها بصورة نهائية^(٤).

وهكذا أُرست اتفاقية حداء وما تلاها من مفاوضات القواعد التي يمكن من خلالها حل ما ينجم من مشكلات على الحدود بين القبائل التابعة للطرفين، وعلى الرغم من ذلك تأجج الصراع بين هذه القبائل، ووجد الملك عبد العزيز صعوبة كبيرة في إبعاد تدخل أمير شرق الأردن

(١) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ١٧٠.

(٢) انظر نص المعاهدة في: أم القرى، ع ١٤٥، س ٣، ٧ ربيع الأول ١٣٤٦هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٩٢٧م، ص ١؛ أمين الربحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ص ٤٤٨-٤٥٠.

(٣) علي محافظة: العلاقات الأردنية البريطانية، بيروت، دار النهار للنشر والتوزيع، ١٩٧٣م، ص ٦٣.

(٤) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: المرجع السابق، ص ١٧٢؛ منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ١٩٥٩م، ص ٢٥٥.

في المناطق الحدودية، وخاصة أن الدولة السعودية كانت في بداية تكوينها، وأن المنطقة التي خضعت لها ذات مساحة واسعة وبعيدة عن مركز الدولة في الرياض أو في مكة المكرمة. وكان أمير شرق الأردن يشجع القبائل التابعة له، وخاصة قبائل الحويطات التي كانت تعتبر معان وما جاورها مناطق رعي تخصها^(١)، علماً بأن هناك قبائل من الحويطات كانت تقيم في منطقة تبوك إضافة إلى قبائل من بني عطية، مما جعل القبائل من نسب واحد في مواجهة بعضها البعض بسبب الحدود.

ولا بد هنا من التأكيد على بعض العوامل المتعلقة بالقبائل وحياة البداوة التي تعيشها، والظروف التي تحكم هذه الحياة، وهذه العوامل التي أشار البحث إلى بعضها سابقاً لتلخص في أن الأمر المهم بالنسبة لها هو البحث عن المرعى الملائم لإبلها وماشيتها، وفي الوقت نفسه الابتعاد ما أمكن عن السلطة لتحاشي دفع الزكاة. ولذلك حاولت بعض قبائل المنطقة الابتعاد عبر الصحراء بعيداً عن مجاورة السلطات التي تتصارع سياسياً وأحياناً عسكرياً على الحدود، والتدخلات المستمرة من قبل أمير شرق الأردن في مسائل الحدود. ومع أن هذه القبائل كانت ذات ارتباط قوي مع بعضها بالدم أو الحلف إلا أن السلطات البريطانية كانت تحاول دائماً إبقاء الوضع المضطرب على ما هو عليه خدمة لمصالحها في شرق الأردن وفلسطين^(٢).

يضاف إلى ذلك أن القبائل لا تدرك أهمية التقيد بالحدود الدولية، وخاصة أنها اعتادت على التنقل في المنطقة متجاهلة الحدود أو القيود بين شرق الأردن ومنطقة تبوك وفلسطين ومصر، وكثيراً ما كانت قبائل شرق الأردن تنتقل جنوباً باتجاه منطقة تبوك لأسباب مختلفة^(٣).

وكان الأهم بالنسبة للقبائل هو تحقيق مصالحها المتعلقة بالمراعي، ومن طبيعتها النفور الدائم من القيود، وكان لا يجمعها مع غيرها إلا الدين، أما القوة فكانت لا تخضع لها إلا إذا كانت هذه القوة ذات قبضة شديدة مستحكمة، ولذلك لجأ الملك عبد العزيز إلى نشر الحركة السلفية الدينية بين القبائل، وأقام دولته على أساس متين هو الدين.

(١) فردريك بيك: تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، ص ٢٢٨، ٢٣٠-٢٣٣.

(٢) عبد الفتاح حسن أبو عليه: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ص ١١-١٣.

(٣) جمال محمود حجر: الآثار السلفية للسياسة الأجنبية في شمال الجزيرة العربية، الدارة، س ١١، ع ١،

وعلى الرغم من تحديد الحدود بين السعودية وشرق الأردن بموجب اتفاقية حداء ومعاهدة جدة^(١) ظل رئيس وزراء شرق الأردن علي باشا الركابي يحاول ضم تبوك إلى الإمارة، وقد اتصل لهذه الغاية مع المندوب السامي البريطاني في فلسطين هربرت صموئيل Herbert Samuel* غير أن طلبه لم يلق اهتماماً من جانب المسؤول البريطاني والحكومة البريطانية وذلك لأنها وجدت في ضم المدورة ومعان والعقبة إلى إمارة شرق الأردن ما يخدم مصلحتها كخط دفاع أولي ضد خطر الملك عبد العزيز القادم من منطقة تبوك والحجاز، ذلك الخطر المحاور لشرق الأردن وفلسطين^(٢) التي منحت اليهود وعداً بإنشاء وطن لهم فيها.

وقد أصرت بريطانيا على ضم منطقة معان والعقبة إلى إمارة شرق الأردن؛ لأنها أدركت أهمية هذه المواقع لمصلحتها أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث تشكل خط دفاع عن مصر وعن فلسطين اللتين احتلتهم، كما أنها كانت تنوي مد خط لسكة الحديد بين العقبة وبغداد^(٣).

ولم تكن الحدود التي سبقت الإشارة إليها لتمنع الصراع الذي تأجج بين البلدين في أعقاب تبادل الغارات بين القبائل، وقد أثبت واقع الأحداث أن تعيين الحدود لم يمه المشكلات؛ بل إن الاتفاقيات قصرت عن أداء وظيفتها، والوفاء بمصالح الأطراف التي وقعت عليها^(٤)، وقبل تناول اندلاع أزمة الحدود، وما نجم عنها نذكر فيما يلي ما يتعلق بمنطقة تبوك من حيث وضعها الحدودي بين البلاد السعودية وإمارة شرق الأردن؛ فقد وضعت علامات أرضية بدأت

(١) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ص ٤٤١-٤٤٥ ؛ سليمان موسى: إمارة شرقي الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن، ١٩٢١-١٩٤٦م، عمان، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٠م، ص ٢٤.

* هربرت صموئيل: سياسي بريطاني يهودي صهيوني، وهو أول مندوب سام بريطاني في فلسطين، وقد كان له دور سيئ في فلسطين حيث شجع استيطان اليهود فيها، وكان بعد انتهاء مهمته كمندوب سام قد عاد إلى إنجلترا وعين وزيراً للداخلية، وقد توفي عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م. سليمان موسى: المصدر السابق، ص ٥٢.

(٢) عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٣) هاري سانت جون فيليبي: العربية السعودية، ص ٥٠٠.

(٤) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٠٥.

من نقطة على سكة حديد الحجاز جنوب محطة المدورة بميلين وانتهت بنقطة على خليج العقبة إلى الجنوب من مينائها بميلين أيضاً، وبذلك فإن تبوك وشمالها ذات الحاج وحالة عمار من أراضي المنطقة الداخلية، وحقل وجنوبها من الأراضي الساحلية أصبحت كلها تابعة للبلاد السعودية^(١)، وكانت الحكومة البريطانية قد اعترفت بالملك عبد العزيز ملكاً على الحجاز ومنطقة تبوك بعد ضمهما^(٢)، أما الاعتراف المتبادل بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن فلم يكن له وجود، ذلك أن اتفاقية حداء إنما وقعت بين الملك وبين المندوب البريطاني باسم دولة الانتداب، وكان مما نصت عليه أن تظل سارية المفعول طوال فترة الانتداب البريطاني على شرق الأردن^(٣).

هذا، وقد تفجر صراع الحدود بعد سيطرة الملك عبد العزيز على منطقة تبوك، حيث طوق إمارة شرق الأردن من الجنوب والجنوب الشرقي^(٤)، وذلك على الرغم من كل الاتفاقات السابقة التي سهلت للقوافل التجارية المرور إلى بلاد الشام عبر أراضي منطقة تبوك، وسهلت لبريطانيا المرور من البحر الأبيض المتوسط إلى العراق عبر شرق الأردن^(٥).

وكان لتفجر صراع الحدود بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن أسباب كثيرة يمكن تلخيصها بما يلي:

١ - الاعتماد في رسم الحدود بين البلدين على استخدام الخطوط الفلكية، وهذه الطريقة لا تراعي طبيعة المنطقة محل التفاوض، وهو الأمر الذي ترتب عليه آثار سلبية على القبائل، ومشكلات كثيرة عند تخطيط الحدود على الطبيعة، إذ من السهل رسم الحدود على الخرائط في مؤتمر أو مجلس سياسي، ولكن من الصعب جداً تخطيطها على الطبيعة،

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ٢٦٥.

(٢) حافظ وهبه: خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط ٣، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٨٦.

(٣) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ٩١-١٠١.

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٥.

(٥) كنت وليمنز: ابن سعود سيد نجد وملك والحجاز، تعريب كامل صموئيل مسيحة، بيروت، المطبعة الأدبية،

مما يؤدي إلى التزاع بين الأطراف المعنية^(١)، وقد أدى رسم الحدود - اعتماداً على الخطوط الفلكية في بيئة قبلية يعتمد اقتصادها على التنقل والترحال إلى تنازع قبائل المنطقة، وتبادل الغارات فيما بينها.

٢- فشلت المحكمة القبلية في فض المنازعات بين القبائل، وخاصة أن تلك المحكمة واجهت كثيراً من التحديات، منها الخلاف بين الوفدين الأردني والسعودي حول بداية اختصاصها، وعدم إعطاء الوفدين صلاحية مناقشة المطالب، وإبداء الرأي فيها إلا بعد الرجوع إلى حكومتيهما، وقد انحصرت صلاحياتهما في تقديم المطالب فحسب. يضاف إلى ذلك تشبث كل من الوفدين بمطالب بلاده، وعدم تعاونهما في إحضار شيوخ القبائل والشهود في القضايا المطروحة، وكذلك تدخل هذا الوفد أو ذاك في اختصاصات المحكمة. وقد أدى فشل المحكمة في أداء دورها وخاصة في إثبات الوقائع على الجناة، شجع على القيام بالمزيد من عمليات الغزو^(٢).

٣- فشل قوة حدود شرق الأردن في أداء واجباتها: فقد أنشئت هذه القوة بقرار من السلطات البريطانية في ١٨ رمضان ١٣٤٤هـ/ ١/ أبريل ١٩٢٦م بهدف صيانة وحماية المنطقة المشمولة بالانتداب، وحماية الحدود، وكانت قوة بريطانية تخضع مباشرة لإشراف المندوب السامي في فلسطين، وكان أهم واجباتها التصدي لهجمات الإخوان، غير أن هذه القوة كانت تعتمد في تحركاتها على السيارات في طرق محددة معروفة وليس على الإبل أو الخيل، لذا فشلت في التعامل مع القبائل التي خبرت دروب الصحراء على الحدود الجنوبية، وكان رجال القبائل ومنهم الحويطات يجدون في جبال الطبق بعد القيام بالغزو ملاذاً ملائماً يجعلهم بعيدين عن متناول قوة الحدود، مما أدى إلى انتشار الفوضى في المنطقة^(٣).

(١) فيليب رفل: الحدود الدولية ومشكلاتها السياسية، المجلة العربية الجغرافية، س٣، ع٣، ١٩٧٠م، ص ٨٠؛ س. ب. فوست: جغرافية الحدود (القواعد والسياسات التي تراعى في تعيينها)، ترجمة سيد محمد نصر، النهضة المصرية، د.ت، ص ٦٧.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٠٧-١٠٨.

(٣) كامل محمود خلة: التطور السياسي لشرق الأردن (مارس ١٩٢١- مارس ١٩٤٨م)، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٣م، ص ١٥٥-١٥٧؛ عباس مراد: الدور السياسي للجيش الأردني ١٩٢١-١٩٧٣م، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٢٣-٣١، ٣٠، ٢٩؛ سعد أبو دية وعبد المجيد مهدي: الجيش العربي الأردني ودبلوماسيته الصحراء، دراسة في نشأته، وتطور دوره، الثقافة العسكرية، عمان، ١٩٨٧م، ص ٦٧-٦٨.

٤ - انتهاء اعتماد الملك عبد العزيز على (الاخوان): فبعد توطد أركان الدولة السعودية ووصولها إلى ذروة توسعها لم يعد أمام الاخوان ميدان للحروب فافتقدوا الغنائم التي كانت تعد أهم مصادر رزقهم، ولذلك أخذوا يشنون الغارات عبر حدود البلاد مما عد انتهاكا لمعاهدات الملك مع جيرانه، ومن هنا بدأت خلافاته معهم. وفي اجتماع عقده الملك لزعماء القبائل في الرياض أواخر عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م أدان أحد قادة الاخوان عملية تعيين الحدود في البادية، وإقامة أبنية على الآبار قرب الحدود، ورأى الملك في هذه الإدانة أن الاخوان يبيتون نية سيئة ضده، فوجه علماء نجد إلى إصدار فتوى تلزم الاخوان بالألا يتحركوا للجهاد إلا بأمر من (الإمام) ابن سعود، وإضافة لقب (الإمام) إلى ابن سعود يعني أنه جمع بين السلطة الزمنية والدينية باعتباره مالك زمام الأمر للدفاع عن الحركة السلفية، وبذلك يكون قد جرد الاخوان من سلطة التحدث باسم المذهب السلفي. وقد رد الاخوان على هذه الفتوى بشن مزيد من الغارات عبر حدود شرق الأردن، وكذلك حدود العراق^(١).

ويشار هنا الى أن بريطانيا انتهزت فرصة الخلاف بين الملك عبد العزيز والاخوان للقضاء عليهم، وخاصة أنهم كانوا يشكلون قوة تهدد النفوذ البريطاني، فقصفت الطائرات البريطانية مواقعهم في ١٩ شعبان ١٣٤٧هـ / ٢٩ يناير ١٩٢٩م على بعد خمسة عشر ميلاً شمال حفر الباطن، وهاجمتهم بالقنابل والمدافع الرشاشة، وادعى المسؤولون البريطانيون أن هذا القصف إنما جاء رداً على الاخوان الذين بدأوا يفتح نيران مدافعهم^(٢).

وقد اضطر الاخوان عندما اشتدت وطأة القوات التابعة للملك عبد العزيز ضدهم للجوء إلى البلاد المجاورة مثل الكويت والعراق، كما أنهم قاموا بعدة هجمات داخل حدود شرق الأردن - سيأتي ذكرها - ولم تكن هذه الهجمات بأمر من الملك عبد العزيز، أو بتأييد منه، وإنما كانت تتم لحسابهم جرياً على عادة البدو في الغزو، واستمراراً لسياستهم في نشر السلفية والبحث عن الغنائم^(٣).

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٠٩-١١٠؛ ماضي بنت منصور آل سعود:

الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت (١٣٤٢هـ / ١٩٢٣-١٩٢٤م)، ص ٨٦.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١١٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٠-١١١؛ أم القرى، ع ٢٦٥، س ٦، الجمعة، ١٠ شعبان ١٣٤٨هـ / ١٠ يناير ١٩٣٠م.

٥ - تحصيل الزكاة من قبائل شرق الأردن في وادي السرحان: منحت اتفاقية الحداء قبائل شرق الأردن حق الرعي في وادي السرحان، الذي أصبح، بعد ترسيم الحدود، أرضاً سعودية، وطبقاً لنص المادة الرابعة من الاتفاقية المذكورة يحق للملك عبد العزيز أن يتقاضى الثمن الذي يحدده مقابل الرعي، وقد اعتبر الملك أن تحصيل الزكاة من قبائل شرق الأردن التي ترعى في وادي السرحان حق قانوني يثبت به سلطانه، ولذلك قام رجاله بتحصيل الضرائب، غير أن القبائل كانت تعجز أحياناً عن الدفع، فتحرم من الرعي مما يعرض قطعها للهلاك، يضاف إلى ذلك أن هذه القبائل لم تكن مقتنعة بأحقية الملك عبد العزيز في تحصيل الزكاة منها، حيث كان هناك خلاف حول تفسير المادة الرابعة من اتفاقية الحداء، وهو الأمر الذي وجدت فيه مبرراً للغزو^(١).

ولم تكن هذه الأسباب وحدها هي التي أدت إلى استمرار الغزوات عبر الحدود بين السعودية وإمارة شرق الأردن، فهناك سبب آخر ربما كان هو الأهم، وهو حرص أمير شرق الأردن عبد الله بن الحسين على زعزعة الاستقرار والأمن في المناطق الشمالية من السعودية، وخاصة منطقة تبوك، ذلك أن نفس الأمير لم تصف تجاه الملك عبد العزيز الذي أخرج أسرته الشريفة من الحجاز، كما أنه -كما يبدو- ما يزال طامعاً في ضم منطقة تبوك أو الأجزاء الشمالية منها على الأقل إلى إمارة شرق الأردن، فقد ذكرت بعض الوثائق الفرنسية أن أحد الأشراف قدم في ٣٠ ذو القعدة ١٣٤٨هـ/ ٢٩ إبريل ١٩٣٠م إلى منطقة تبوك لإثارة قبائل الحويطات وبنو عطية المجاورة للإمارة ضد حكم الملك عبد العزيز في المنطقة، وهو أمر لا مجال للشك في أن أمير شرق الأردن ورائه^(٢). كما أن الشكوك أخذت تحوم حول أمير تيماء ومحاولة أمير شرق الأردن الاتصال به^(٣).

لقد ظن كلايتون أن توقيع اتفاقية حداء ستحل مشكلات الحدود بين إمارة شرق الأردن والسعودية، وخاصة ما يتعلق منها بمراقبة تحركات القبائل والضرب بشدة على أيدي المعتدين،

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ : بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١١١-١١٢.

(٢) الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، مج ١٨، ص ١١٠.

(٣) عبدالرحمن سبيت السبيت وآخرون : رجال وذكريات مع عبد العزيز، ج ٢، ص ٣٦، ٣٣.

والفصل في القضايا الناجمة عن الغزو في المحكمة القبلية، غير أن تلك المحكمة التي تقرر في ٢٣ شوال ١٣٤٤هـ/ ٥ مايو ١٩٢٦م أن تلتئم مرتين في السنة، في شهر فبراير، وشهر أغسطس لم تتمكن من وضع حد للغارات المتبادلة، مما أدى إلى انعدام الأمن، وزيادة الخسائر في الأرواح والممتلكات^(١).

ويمكن القول إن طابع المرحلة التي أعقبت اتفاقية حداء كان الغزو والهجمات المتبادلة عبر الحدود، وقد اشتركت في ذلك قبائل المنطقة، وخاصة القرية من الحدود، وتحتل المرتبة الأولى في هذا الشأن قبائل الحويطات من جانب إمارة شرق الأردن، وقبائل بني عطية من جانب منطقة تبوك، وكان يشارك في رد الغارات بعض المسؤولين بقواهم النظامية، ومن هؤلاء أمير تبوك وأمير ضباء، وقد ساند الأميرين في صد غارات القبائل القادمة من إمارة شرق الأردن رجال من قبائل منطقة تبوك عامة إضافة إلى قواته النظامية^(٢).

وكان بعض الضباط البريطانيين يشاركون قبائل شرق الأردن في الهجمات ضد القبائل في منطقة تبوك، وتدل وقائع الأحداث على أن بعض عقدا الحرب من قبائل الحويطات كانوا يقومون بالعديد من الغارات على المنطقة، فقد ذكرت جريدة أم القرى أن العقيد عودة العطنة هاجم في ربيع الثاني ١٣٤٦هـ/ أكتوبر ١٩٢٧م قلعة المعظم الواقعة جنوب تبوك على بعد خمسة وستين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من الأخضر، وأن هذا الهجوم ليس الأول الذي يقوم به هذا الرجل منذ توقيع معاهدة جدة. وقد انتقدت الجريدة إحدى قبائل بني عطية التي تقيم إلى الشمال من تبوك لأنها آوت هذا الرجل، كما لو أنها متواطئة معه^(٣). ويرى البحث أن مشاركة الضباط البريطانيين في هذه الغزوات أو بعضها، وتبادل الهجمات بين القبائل، والحراك في منطقة الحدود لم يكن سوى امتداداً طبيعياً للصراع السياسي بين الملك عبد العزيز والأمير عبد الله بن الحسين.

(١) منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين: ص ٢٥٤، ٣٤٤.

(٢) محمد عدنان البخيت، وهند غسان أبو الشعر، ونوفان رجا السواري، وبكر خازر الجالي: الوثائق الهاشمية

أوراق عبد الله بن الحسين (العلاقات الأردنية السعودية) ١٣٤٤-١٣٧١هـ/ ١٩٢٥-١٩٥١م، عمان،

جامعة آل البيت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، القسم الأول، مج ١٠، ص ٤٠٣، ٤٤٨.

(٣) جريدة أم القرى، س ٤، ع ١٦٤، ١١ شعبان ١٣٤٦هـ/ ٣ فبراير ١٩٢٨م.

يضاف إلى ذلك أن القبائل في تلك المرحلة لم تدرك جيداً طبيعة الحدود السياسية، ولذلك لم تتقيد بها، وظلت جريا على عادة أغلب قبائل شبه الجزيرة العربية منذ وقت طويل تقوم بالغزو، وتتعقب القبائل الأخرى أو القوافل التجارية أو قوافل الحج وتنهبها لأنها تراها - كما في العرف القبلي السائد آنذاك - غنيمة. ولعل طبيعة حياة القبائل المعتمدة على التنقل بحثاً عن المياه والمراعي، هي التي تجعلها في حراك دائم ما بين منطقة تبوك وإمارة شرق الأردن.

لقد حرص الملك عبد العزيز منذ البداية على ضبط الأمن في منطقة تبوك، وإبعاد أي تدخلات سياسية عنها، وقد كان يدرك تماماً أن حدود أي دولة كثيراً ما تتعرض بحكم وضعها الجغرافي ومجاورتها لحدود أخرى لمحاولات زعزعة الاستقرار السياسي والأمني بأي طريقة. كما كان يدرك جيداً ما قد يقوم به عبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن ضد منطقة تبوك التي تتمتع بموقع مهم وحدود برية وبحرية، والسبب هو استمرار الصراع السياسي والعسكري منذ أيام والده الحسين بن علي.

ويعتبر موقف الملك عبد العزيز تجاه حادث قلعة المعظم وقيام العقيد الحويطي عودة العظنه بالنهب والسلب دليلاً على حرصه وإدراكه لضرورة ضبط الأمن في المنطقة، فقد أجبر السلطات البريطانية عبر المندوب السامي البريطاني في القدس على اتخاذ إجراءات أقوى ضد الحادث، حيث طلب أمير شرق الأردن العفو عنه مقابل إرجاعه ما أخذ^(١). وكان الأمير قد اعترف للمعتمد البريطاني في عمان بأنه لا يستطيع إخراج عودة العظنه وأمثاله من الإمارة أو إلزامه الطاعة إلا بقوة عسكرية^(٢). ويؤكد موقف الأمير عبد الله بن الحسين دوره غير المباشر في دعم العقيد الحويطي لمهاجمة القافلة التجارية، والتعدي على الحدود، وعدم الالتزام بمواد اتفاقية حداء.

وقبل تناول غزوات القبائل المتبادلة عبر الحدود بين إمارة شرق الأردن ومنطقة تبوك وجوارها لا بد من الإشارة إلى أن أمير شرق الأردن كان يكن العداء والكره للملك عبد العزيز، ولذلك كان يتمنى سقوطه، كما كان يطعن في حكمه للحجاز، وقد عبر عن ذلك بصراحة في الطبعة الأولى من مذكراته، غير أنه حذف ذلك من الطبقات التالية كما حذفه من الترجمة

(١) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٥٠-٣٥١.

(٢) محمد عدنان البخيت وآخرون: المصدر السابق، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٥٢-٣٥٤.

الإنجليزية للمذكرات بعد أن تحسنت العلاقات بينه وبين الملك^(١).

هذا، وقد بدأت الغارات بين قبائل الطرفين السعودي والأردني تزداد ضراوة عقب اتفاقية حداء، فخلال الفترة من ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٤هـ/فبراير ١٩٢٦م حتى ١٨ محرم ١٣٤٧هـ/ ٦ يوليو ١٩٢٨م تم استرداد ١١٣٢ رأساً من الإبل كانت قبائل شرق الأردن قد نهبها من القبائل السعودية، وذلك خلال غارات قامت بها قبائل حويطات شرق الأردن^(٢).

أما الاخوان الذين شتت الملك عبد العزيز شملهم، وأصدر أوامر صارمة بمنعهم من الغزو حتى لا يخرجوا موقفه مع الحكومة البريطانية فيأثم لم يستكينوا طويلاً، فقد هاجموا قبائل شرق الأردن في جمادى الأولى ١٣٤٦هـ/نوفمبر ١٩٢٧م، وشنوا هجوماً آخر دمويّاً، في شعبان ١٣٤٦هـ/فبراير ١٩٢٨م.^(٣)

ووقعت خلال الفترة من شعبان ١٣٤٦هـ/فبراير ١٩٢٨م - ربيع الثاني ١٣٤٨هـ/أكتوبر ١٩٢٩م ثلثي غزوات قامت بها قبائل الرولة وبلي وعتره وغيرها ضد قبائل بني صخر والحويطات وغيرها من قبائل شرق الأردن، وكانت المنهوبات كثيرة ومتنوعة ما بين إبل وغنم وأسلحة وخيام.

أما قبائل شرق الأردن فقد قامت خلال الفترة من ١٥ صفر ١٣٤٧هـ/ ٢٤ فبراير ١٩٢٩م حتى ٣٠ صفر ١٣٤٩هـ/ ٢٦ يوليو ١٩٣٠م بأكثر من ثلاثين غزوة ضد القبائل السعودية نهبوا خلالها أعداداً كبيرة من الأنعام، وخاصة الإبل والغنم، وسلبوا خيهمم وقتلوا أعداداً منهم^(٤).

وجاءت هجمات قبائل شرق الأردن في وقت اهتز فيه موقف الملك عبد العزيز إبان أزمته مع الاخوان، ولذلك اعتبر الملك هذه الهجمات طعنة في ظهره. وردا عليها قام أمير الجوف بعبور الحدود على رأس قوة من ألف رجل، وغزا قبائل شرق الأردن في ١٢ رمضان ١٣٤٨هـ/ ١٠ فبراير ١٩٣٠م، وبعد أيام قلائل غزا أمير حائل قبائل شرق الأردن

(١) سانت جون فيليبي: الذكرى العربية الذهبية، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١١٤-١١٥.

(٣) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١١٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ١١٨-١١٩.

أيضاً على رأس ألفي رجل، وقتل أكثر من عشرين رجلاً، وسلب ثلاثة آلاف بعير، وألف رأس من الغنم. وقد اعتبر الملك عبد العزيز هذه الغزوات رد فعل على غزوات قبائل شرق الأردن التي أخذت هجماتها كما ورد في مذكرة أرسلها الملك في ١٤ ربيع الأول ١٣٤٨هـ/ ١٤ مارس ١٩٣٠م إلى الحكومة البريطانية - شكل الهجوم العسكري المنظم فحاصرت تبوك وتيماء، ووصلت العمليات إلى الجوف وحائل، وقطعت طرق المواصلات بين المناطق المشار إليها ومركز الدولة^(١).

ويبدو أن هجمات قبائل شرق الأردن على منطقة تبوك، وخاصة الهجمات المنظمة لم يكن هدفها السلب والنهب وحسب، وإنما كانت العداوة بين الأمير والملك قد نحت منحى آخر، حيث يذكر فيليبي أن السياسة التي اتبعها الكابتن جون باجوت غلوب J.B.Glubb* على حدود الأردن منذ ١٩٣٠م (١٣٤٨هـ) من شأنها أن تقوض ولاء القبائل المقيمة على الحدود. ولم يكن من العسير إغراء القبائل واحتذاها بواسطة سياسة المدفوعات السرية والإعانات^(٢).

ويلاحظ أن الغارات المتبادلة بين قبائل شرق الأردن وقبائل منطقة تبوك وجوارها قد ازدادت ضراوة، وكانت قبائل شرق الأردن هي الأكثر اعتداءً عبر الحدود، فخلال الفترة ٨ ربيع الثاني ١٣٤٩هـ - ٤ شعبان ١٣٥٠هـ / سبتمبر ١٩٣٠م - ١٤ ديسمبر ١٩٣١م شنت هذه القبائل ثلاثاً وعشرين غارة مقابل تسع غارات فقط شنتها القبائل

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٢٢-١٢٣.

* ضابط مهندس بريطاني، التحق بالجيش البريطاني واشترك في الحرب العالمية الأولى في الجبهة الفرنسية البلجيكية، وقد جرح في فمه جرحاً كبيراً عام ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م فأطلق عليه البدو لقب (أبو حنيك)، وفي عام ١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م وصل إلى العراق ضابطاً نظامياً لقمع ما عرف بثورة العشرين ضد بريطانيا، وقد تعلم العربية وأتقنها، ونجح في معالجة الاضطرابات العشائرية، ثم استعانت به بريطانيا لعلاج أزمة الحدود بين شرق الأردن والسعودية عندما تفاقمت عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣٠م. عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٢) سانت جون فليبي: الذكرى العربية الذهبية، ص ٢٠٨.

من الجانب السعودي . وربما جاء اشتداد الهجمات التي شنتها قبائل شرق الأردن بتشجيع من غلوب الذي رأى ضرورة التصدي بالقوة المسلحة لهجمات القبائل السعودية مذكراً بأن الاخوان خلال الفترة ١٣٣٩-١٣٤٢هـ/١٩٢١-١٩٢٤م لم يمنعهم من السيطرة على عمان سوى الطائرات والعربات المسلحة^(١).

وهكذا ظلت العلاقة بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن علاقة متأزمة، وظلت الحدود بينهما مدار نزاع متواصل، وظل الأمن على هذه الحدود شديد الاضطراب^(٢)، وكان من أسباب ذلك إضافة إلى الغارات المتبادلة بين القبائل بعلم أو من دون علم هذا الطرف أو ذاك، في بعض الأحيان، وتشجيع منهما أحياناً، عدم اعتراف الملك عبد العزيز رسمياً بإلحاق معان والعقبة بشرق الأردن^(٣).

وكان أمير شرق الأردن وبعض المسؤولين الأردنيين يغمزون من قناة السلطات السعودية، ويتهمونها بأنها لم تعود القبائل على الحكم المدني، وأن بعضها يهرب من حكم الملك عبد العزيز، فقد ذكر متصرف لواء معان في خطاب وجهه إلى أحد المسؤولين الأردنيين بتاريخ ٤ ذو الحجة ١٣٤٦هـ/٢٤ مايو ١٩٢٨م، أن بعض قبائل الحويطات من نواحي حقل وضباء والبدع، وبعض قبائل بني عطية أيضاً قد وصلت إلى قرب العقبة وإلى الأراضي الممتدة بين معان والعقبة، وأن سلطة الإمارة وضعتهم تحت المراقبة، ووضعت حداً لهم ليعتادوا الحكم المدني^(٤). ولم يذكر المتصرف سبب قدوم هؤلاء، وهو على الأغلب يتعلق بالمراعي، وإنما ركز على أنها لم تعتد الحكم المدني، مع أنها امتداد اجتماعي للقبائل في شمالي الجزيرة العربية^(٥). ومما لا شك فيه أن الصراع السياسي بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن قد أثر على قبائل المنطقة وعلى علاقتها مع بعضها بعضاً^(٦). يضاف إلى ذلك أن الحملة العسكرية التي شنتها الدولة السعودية عام

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ : بريطانيا ومشكلات الحدود ، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) حافظ وهبة: خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ١٢٩.

(٣) إليكسي فاسيليف: تاريخ العربية السعودية، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٤) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٥) علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر، عهد الإمارة، ١٩٢١-١٩٤٦م، ص ٤٤-٤٧.

(٦) صالح عون عدنان هاشم الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها ١٣٣٩-

١٣٤٦هـ/١٩٢٧م إبان حركة حامد بن رفادة - التي سيأتي تفصيلها- قد فرضت هيئة الدولة، وأشعرت القبائل بحضورها القوي، ووجود سلطتها الفاعلة في منطقة تبوك داخلاً وساحلاً^(١).

أما ما أشارت إليه بعض المصادر، وهو قدوم إحدى قبائل بني عطية بتاريخ ١٣ ذو الحجة ١٣٤٦هـ/٣ يونيو ١٩٢٨م إلى أراضي إمارة شرق الأردن هرباً من حكومة الملك عبد العزيز^(٢)، فليس صحيحاً على إطلاقه، وإن كان متوقفاً لطبيعة المرحلة آنذاك، فمثل هذا الأمر أي انتقال القبائل من منطقة إلى أخرى، أمر طبيعي بحثاً عن المراعي ومصادر المياه، وربما يكون أحياناً استغلالاً للصراع السياسي على الحدود من أجل التهرب من دفع الزكاة، أو طلباً للأمن بعد أن كثر تعدي القبائل على بعضها.

والجدير بالذكر أن الدولة السعودية ممثلة بأمرأى منطقة تبوك كانت تفرض وجودها باستمرار، فأمر تبوك، وأمير ضباء كانا يتعقبان بقواتهما النظامية كل قبيلة تخل بالأمن، فقد قامت إحدى القبائل بمهاجمة قافلة تجارية قرب تبوك قادمة من الوجه، فأوقفتها قوات الإمارة، وفرضت الأمن بالقوة^(٣). هذا مع العلم بأن الصراع السياسي بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن قد أثر على قدوم قوافل الحاج الشامي والقوافل التجارية، واضطرها إلى تغيير طريقها من منطقة تبوك إلى الطريق المارة بوادي السرحان في منطقة الجوف.

ويشار هنا إلى أن اعتداءات القبائل على بعضها إنما كانت استمراراً على ما اعتادت عليه ، وليس تحدياً لسلطة الدولة^(٤). كما أن هذه الإعتداءات المتبادلة، وخاصة تلك التي تتم عبر الحدود، كان لها تأثير سلبي قوي على العلاقات الأردنية السعودية، كما كان لها مثل هذا التأثير على القبائل نفسها، وخاصة تلك التي كانت تتعرض للغزو أكثر من غيرها، فقد اضطرت بعض قبائل الحويطات في الجانب الأردني تحت وطأة الغزو إلى الفرار تجاه الشمال الغربي، فهلك معظم أنعامهم في الصحراء القاحلة، وتعرضوا للجوع، وقد رأى غلوب

(١) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويحي من المويحي بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل ، وثيقة رقم (١٣) من عبد الله أحمد بن عقيل إلى من يراه من المسلمين.

(٢) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٠٣.

(٣) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ٤٣٣.

(٤) هاري سانت جون فيليبي: المصدر السابق، ص ٣٣٤.

أن النتيجة الحتمية لما يتعرض له الحويطات أن القبيلة سوف تتجه بولائها إلى الملك، مؤكداً أن العديد من رجالات الحويطات يعتقدون أن لا ملجأ لهم في أزمتهما إلا الملك، الأمر الذي يرحب به الأخير، فيمنحهم الأمن والأمان^(١).

لقد خشي غلوب أن يأخذ الحويطات على أنفسهم عهد الولاء للملك عبد العزيز وينكروا ولاءهم للأمير عبد الله - أمير شرق الأردن - ولتفادي ذلك اقترح على الحكومة البريطانية أن تضغط على الملك لإعادة ما سلب من قبائل شرق الأردن منذ ٦ ربيع الأول ١٣٤٩هـ / أول أغسطس ١٩٣٠م، أو أن تعوض الحويطات بالمال لوقايتهم من الجوع. غير أن هذه الاقتراحات لم تر الحكومة البريطانية أنها مجدية. وقد اقترح قائد القوات الجوية في فلسطين وشرق الأردن تكوين منطقة عازلة محرمة على القبائل، وأن يعطى للقوات العسكرية الحق في ضرب القبائل التي تدخل هذه المنطقة^(٢).

والجدير بالذكر أن أمير شرق الأردن كان يدرك فارق الامكانيات العسكرية بينه وبين الملك عبد العزيز لذلك كان اعتماده شبه كلي على بريطانيا وقادتها العسكريين في بلاده، ومنهم غلوب باشا وفردريك بيك*، وكانت بريطانيا بموجب المعاهدة التي تم توقيعها في القدس بتاريخ ٢٩ شعبان ١٣٤٦هـ / ٢٠ فبراير ١٩٢٨م مع شرق الأردن المسؤولة عن صلات شرق الأردن

(١) أحمد عويدي العبادي: العشائر الأردنية (الأرض والإنسان والتاريخ)، عمان، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٦٣١؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١٣٦-١٣٩.

* فردريك بيك (١٣٠٣ - ١٣٩٠هـ / ١٨٨٦ - ١٩٧٠م) كان أحد الضباط الإنجليز الذين خدموا مع العرب في شرق الأردن أثناء الثورة التي أعلنها الشريف حسين بن علي، وفي عام ١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م عهد إليه بإنشاء القوة السيارة في عمان. وقد رقي إلى رتبة لواء عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م، وتولى قيادة الجيش الأردني عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م، وغادر شرق الأردن بعد إحالته على التقاعد في ١٣٥٩هـ / ١٩٣٩م. سليمان موسى: غربيون في بلاد العرب، ترجمته واقتباسه وتأليفه، مراجعة عبد الرحمن بشناق و عبد الحميد ياسين وهنري مطر، عمان، وزارة الثقافة والإعلان، دائرة الثقافة والفنون، ١٩٦٦م، ص ١٧٨-٢٢٠.

الخارجية^(١)، كما كانت على اتصال مباشر بمشكلات الحدود مع الملك عبد العزيز، وكانت في الوقت نفسه تحرص على إطالة أمد الصراع لما في ذلك من مصلحة لها، حيث كانت تعمل على إشغال الجميع بمشكلات فرعيو ليتاح لها إكمال مشاريعها الاستعمارية في العراق وفلسطين ومصر. يضاف إلى ذلك أن بريطانيا كانت تدرك مدى قوة الدولة السعودية الناشئة، وأنها تتعامل مع سياسي منحك ألا هو الملك عبد العزيز، وليس من الحكمة أن تخسره، بينما كان أمير شرق الأردن، أضعف الحلقات السياسية في الصراع الدائر، ولم يكن ليستغني عن بريطانيا وهي التي تدعم إمارته ماليا وعسكريا^(٢).

وفي ظل الظروف والإمكانيات المحدودة المتوافرة لأمير شرق الأردن كان يحرص على عدم إثارة الملك عبد العزيز إلى الدرجة التي تدفعه إلى إعلان حرب شاملة على الإمارة، بل كان الأمير يخشى من شن مثل هذه الحرب عندما تتأزم الأوضاع على الحدود، ومما يدل على ذلك قيام المعتمد البريطاني في عمان بطمأنة سلطات الإمارة في خطاب وجهه إلى أحد المسؤولين الأردنيين في ٧ شعبان ١٣٤٧هـ/ ١٩/ يناير ١٩٢٩م بأن السلطات السعودية قد نفت على لسان وكيل خارجيتها فؤاد حمزة* -أثناء وجوده في القدس- وجود حالة حرب بين السعودية وبين شرق الأردن، وعدّ هذا الأمر من الأباطيل^(٣).

وقد بذلت قوات الانتداب البريطاني على شرق الأردن جهوداً كبيرة للسيطرة على تحركات القبائل العدائية عبر الحدود، وقامت القوات الجوية بعمل دوريات يومية من قواعدها في كل من المدورة ومعان، وكذلك قوات المهجانة على وقف هذه الأعمال، إلا أن هذه الاستراتيجية لم تكن مجدية^(٤). وعندئذ تم تكليف الكابتن غلوب بإصلاح الأوضاع المتردية على الحدود،

(١) سليمان موسى: إمارة شرقي الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن ١٩٢١-١٩٤٦م، ص ١٩٢-١٩٣.

(٢) علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر (عهد الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦م)، ص ٣٧؛ سليمان موسى: المصدر السابق، ص ١٩١-١٩٣.

* فؤاد حمزة: لبناني، كان يجيد اللغة الإنجليزية، وقد التحق بخدمة الملك عبد العزيز في الرياض عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م حيث عينه مترجماً ثم وكيلاً للشؤون الخارجية، ثم وزيراً مفوضاً في باريس وأنقرة، ثم مستشاراً للملك، ثم مرض بالقلب ومات في لبنان. خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٥٩.

(٣) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٠٧.

(٤) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٤٢-١٤٣.

وكان غلوب قد اكتسب خبرة طويلة من تجربته السابقة مع القبائل على الحدود بين السعودية والعراق، ولذلك رأى أن القضاء على هذه المشكلات الحدودية يكمن في توطين البدو وتوفير الماء لهم، وربط اقتصادهم باقتصاد الحكومة لتكون هناك علاقة متبادلة بين الطرفين. وعمل غلوب في الوقت نفسه على تشكيل قوة جديدة عرفت باسم: قوة البادية، وقد عمل على توزيع هذه القوة على مخافر حدودية، غير أن النفقات الكبيرة التي طلبها غلوب لتمويل المشروع والاستمرار فيه لم تكن متيسرة، مما أدى إلى فشله^(١).

وإزاء أحداث الحدود والغزوات القبائلية المتبادلة اقترحت الحكومة البريطانية عبر معتمدها في عمان مبدأ التحكيم ما بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن في ٢١ شعبان ١٣٤٧هـ/٢ فبراير ١٩٢٩م على أن تكون اتفاقية حداء هي الأساس، ألا ينظر في قضايا الغزوات التي وقعت من قبل، وإنما ينظر فيما يقع بعد الاتفاق على هذا المبدأ^(٢).

وقد وافق الملك عبد العزيز على الاقتراح البريطاني مشروطاً أن لا يكون القاضي المقترح على علاقة بأي من العراق أو شرق الأردن أو فلسطين^(٣)، ورأى أن يتم اختيار قاض بريطاني، وهو رأي ينم عن فطنة الملك وحكمته، فقد حرص على اختيار قاض تقبله بريطانيا، وبعيدا عن أي صلة بالطوق الهاشمي الشمالي لبلاده. ولكن عندما اشتدت وطأة الغارات المتبادلة بين الطرفين أوفدت الحكومة البريطانية المستر م. س. ماكدونيل * Mr M. S. MacDonell إلى المنطقة ليكون المحكم أو القاضي المنشود. وقد قبل كل من الملك عبد العزيز والأمير عبد الله بن الحسين بهذا المحكم البريطاني^(٤). الذي سمته المصادر الأردنية (محكم أو فاحص) فيما يخص حوادث الغزو عبر الحدود^(٥).

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٤٣-١٤٥.

(٢) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٥٠-٣٥٩.

(٣) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١٤٥-١٤٦.

* كان ماكدونيل زميلاً لجلبرت كلايتون حيث خدما معاً في مصر والسودان، وقد اكتسب خبرة طويلة أثناء عمله في عصبة الأمم مندوباً سامياً. انظر: محمد نصر مهنا وفتحية النبراوي: الخليج العربي، الإسكندرية، منشأة المعارف، (د.ت)، ص ٣٧١.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٤٦؛ حافظ وهبة: خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ١٢٩.

(٥) محمد عدنان البخيت وآخرون: المصدر السابق، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٦١-٣٧٣.

وقد وصل مكدونيل إلى جدة في ٧ محرم ١٣٤٩هـ/ ٣ يونيو ١٩٣٠م على ظهر البارجة الحربية البريطانية كليمانس، والتقى مع الملك عبد العزيز في ١١ محرم/ ٧ يونيو من العام نفسه، وكان مع الملك عدد من مستشاريه. وقد ظهر خلال المناقشات أنه (أي الملك) لا يثق في الأمير عبد الله، كما أن المناقشات في ذلك اليوم لم تتوصل إلى اتفاق واضح، مما تطلب استئنافها في اليومين التاليين. حيث شارك في المناقشات مستشارو الملك: فؤاد حمزة وحافظ وهبه، ويوسف ياسين. وقد لفت الملك انتباه المحكم البريطاني بأن الاستماع لشهادة قبائل كانت تقيم في أرض الطرف الآخر أمر غير مجد. وبعد مناقشات مستفيضة اتفق الطرفان على تعيين مندوبين عن الملك عبد العزيز ليقوموا بدور الوسيط في الاستدعاءات وتقديم المطالب والوثائق الخاصة بها، وأن يكونوا قنوات اتصال بين المحكم وحكومتهم. وتعهد مكدونيل بأن يمثل قبائل الحدود مندوبون معينون^(١). هذا وقد عين الملك عبد العزيز: الشيخ عبد العزيز بن زيد وكيلاً عنه في تحقيقات مكدونيل^(٢).

وغادر مكدونيل جدة بعد الاتفاق مع الملك عبد العزيز على قضايا التحكيم، غادر إلى عمان وذلك في ١٤ محرم ١٣٤٩هـ/ ١٠ يونيو ١٩٣٠م، حيث أطلع أمير شرق الأردن وحكومته على وجهة نظر الملك عبد العزيز، ولم يبد الأمير عبد الله أي تحفظات، إلا أنه اقترح فيما بعد أن يحضر المتظلمون أنفسهم ومعهم شهودهم لإزالة الصعوبات من طريق التحقيقات^(٣). وقد تم الاتفاق على أن يحضر المتظلمون من القبائل السعودية مع شهودهم إلى عمان لمواجهة الأشخاص المدعى عليهم، وأن يحضر المتظلمون من شرق الأردن مع شهودهم إلى المكان الذي يحدد داخل السعودية لمواجهة المدعى عليهم^(٤).

وقد استمرت التحقيقات في القضايا المثارة حتى ٢٨ ربيع الآخر ١٣٥٠هـ/ ١٠ سبتمبر ١٩٣١م، ولقي مكدونيل معاناة شديدة خلالها بسبب تعقيدات الموقف، وضبابية الصورة على الحدود في ظل الميراث القبلي الطويل من عادات الغزو التي تمثل إحدى صور البطولة في

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٤٦-١٤٧؛ محمد عدنان البخيت وآخرون:

الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١٤١.

(٣) أم القرى، ع ٢٨٨، س ٦، الجمعة ١٧ محرم ١٣٤٩هـ/ ١٣ يونيو ١٩٣٠م.

(٤) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١٤٧.

الصحراء العربية. وفي ظل هذه الأوضاع توصل مكدونيل إلى نتيجة نهائية هي أن يتنازل الطرفان عن مطالبهما المتعلقة بالغزوات السابقة، وأن يتعاونوا من أجل إحكام السيطرة على القبائل في المنطقة الممتدة على طول الحدود^(١).

وكان الملك عبد العزيز قد عمل من جانبه على إزالة الأسباب التي تدفع القبائل إلى الغزو،^(٢) وقد تعرف عن كثب على طبيعة المنطقة، وأدرك أن أرواح البدو ستبقى عرضة للاعتداء ما بقيت البداوة والترحال، ولذلك عمل على استقرار أكبر عدد ممكن من البدو، ووفر لهم الآلات الزراعية، والآبار الارتوازية لتشجيعهم على الزراعة، وبث بين قبائلهم المتطوعين يعلمونهم أمور دينهم، واعتبر شيوخ القبائل مسؤولين عن رعاية الأفراد، وخصهم بمنح موسمية أو شهرية ثابتة كانت تتكون من الأرز والدقيق والسكر والبن. كما أمر بتسجيل القبائل في ديوان الملك، وسهل لشيخوخها الاتصال بأمرأء المقاطعات، وحرّم الغزو، وجعل مسؤولية ارتكاب الجرائم على عاتق القبيلة إلا إذا أظهرت الجرم، وساعدت على تسليمه للسلطة المختصة^(٣). وقد ساعد الملك عبد العزيز على اتخاذ هذه الإجراءات الهادفة مثل توطين البدو واستقرارهم إلى توافر المياه والمراعي في المنطقة.

أما في شرق الأردن فقد تطلب الأمر جهوداً مضاعفة، واستراتيجية خاصة، وذلك لندرة المراعي وآبار المياه، ولذلك كانت معالجة الوضع على الحدود أكثر صعوبة، فتوطين البدو وتوفير الماء لهم يحتاج إلى نفقات مالية كبيرة لا تتمكن إمارة شرق الأردن من توفيرها، فهي إمارة محدودة الإمكانيات، تعتمد في تغطية حاجاتها الضرورية على حكومة الانتداب البريطاني. وقد عاجل غلوب داء الغزو بداء أكبر وهو فرض غرامة على كل غاز أو سارق، في الوقت الذي لم يكن يجد فيه البدوي شروى نقير^(٤).

يضاف إلى ذلك أن حكومة الانتداب في شرق الأردن حددت منطقة مغلقة بين خط الحدود وخط داخلي، وهددت كل من يدخل هذه المنطقة بإطلاق النار عليه، وفي ١٨ صفر

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٥٠.

(٢) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٢، ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٣) أم القرى، ع ٢٥٦، س ١٣، ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ / ١٥ نوفمبر ١٩٢٩م.

(٤) سعد أبو دية وعبد المجيد مهدي: الجيش العربي الأردني ودبلوماسية الصحراء، ص ٩٢.

١٣٤٩هـ/ ١٤ يوليو ١٩٣٠م أصدر أمير شرق الأردن تحذيراً بمعاقبة القبائل التي تقوم بهجوم أو تخفي معلومات عن أي هجوم^(١). ويلاحظ أن جميع هذه الإجراءات إنما كانت إجراءات عقيمة بالمقارنة مع ما اتخذته الملك عبد العزيز، إذ لم تؤد إلى السيطرة الكاملة على المنطقة.

وكانت سياسة الملك عبد العزيز في التعامل مع القبائل وقضايا الحدود تنم عن حكمة وبعد نظر، فهو - على سبيل المثال - عمل على إبعاد قبائل بني عطية عن أي مؤثرات قد تؤثر عليهم من قبل أمير شرق الأردن، وعلى جعل ارتباطهم بالدولة السعودية عبر أمرائها في المنطقة؛ فقد أرسل خطاباً في ٨ محرم ١٣٥٢هـ/ ٣ مايو ١٩٣٣م إلى قبائل بني عطية كافة بأمانهم، ونسيان الأحداث الماضية، وكان بعض بني عطية يقيمون في الأراضي الممتدة ما بين منطقة تبوك وإمارة شرق الأردن. وأرسل خطابات مماثلة إلى قبيلة العمران من الحويطات، وكان حريصاً على اتصافهم بأمراء تبوك وضياء، وعلى زيارته هو نفسه في مكة^(٢). ومن الإجراءات التي قام بها الملك عبد العزيز لكسب ولاء القبائل إبقاؤه أحد شيوخ بني عطية على مشيخته على الرغم من أنه عد حسب المصادر الأردنية من أتباع الإمارة^(٣). وكان مسؤولو الإمارة في جنوبي الأردن يتعاملون مع قبائل بني عطية على أساس أن بعضهم تابع للإمارة^(٤). هذا مع العلم بأن حركة القبائل - كما أشار البحث من قبل - كانت تحكمها الظروف الاقتصادية، ثم استغلت الظروف السياسية فنشطت في ممارسة ما اعتادت عليه من غزو وسلب ونهب^(٥).

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) عبد الله بن كريم بن عطية: الشيخ كريم بن عطية سيرة وثلاث عهود، الرياض، المؤلف نفسه، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٥٢-١٥٣؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ٢٦٢.

(٣) حسن أمين العلي: دراسات وحقائق عن شمال غرب المملكة العربية السعودية، تبوك، مطابع الشمال الكبرى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٢٢٠؛ محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٤٢٧، ٤٣٢.

(٤) محمد عدنان البخيت وآخرون: المصدر السابق، القسم الأول، مج ١٠، ص ٤٤٨.

(٥) حافظ وهبه: خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ١٢٩.

هذا وقد تضافرت الجهود من أجل السيطرة على الأوضاع في منطقة الحدود، حيث أرسلت بريطانيا مقترحات بتاريخ ١١ شوال ١٣٤٩هـ/ ٢٨ فبراير ١٩٣١م تضمنت ما يلي^(١):

أ- أن يلتقي غلوب مع عبد العزيز بن زيد مندوب الملك عبد العزيز في تحقيقات مكدونيل لبحث المسائل المتعلقة بالغزوات منذ أول أغسطس ١٩٣٠م، وبحث الترتيبات اللازمة لإعادة المسلوبات من كلا الجانبين، وبحث تبادل المعلومات.

ب- تزويد ابن زيد بالصلاحيات اللازمة في مجال استدعاء شيوخ القبائل وحل مشكلات الحدود.

ج- إعادة ما سلبته قبائل شرق الأردن منذ ربيع الأول ١٣٤٩هـ/ أول أغسطس ١٩٣٠م. وبعد تبادل الاقتراحات والآراء حول المطالب البريطانية عقدت عدة جلسات بين ابن زيد وغلوب لم يتمكنوا خلالها من حل جميع المشكلات، إلا أن الجهود المبذولة من الطرفين: الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن ساهمت في الحد من الغزوات المتبادلة، ومن خفض حجم الاحتجاجات بشأنها، الأمر الذي أكد نجاح الجهود المشتركة لإحلال السلام والهدوء بين البلدين^(٢).

ويمكن القول إن سياسة توطين البدو التي اتبعها الملك عبد العزيز، وقيام غلوب باستحداث قوة البادية، وفرض المنطقة العازلة أو الحزام الأمني على القبائل، والجهود التي بذلها مكدونيل في تحقيقاته، واقتراحه على الطرفين بأن يتنازلا عن المطالب المتعلقة بالغزوات السابقة، ثم بدء التعاون بين ابن زيد وغلوب لحل المشكلات الحدودية، كل ذلك أدى إلى التخفيف من حدة الأزمة، وقاد إلى الاتفاق، ومن ثم عقد معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين البلدين، تلك المعاهدة التي مهدت لها الإجراءات التي سبق ذكرها، كما مهدت لها حركة حامد بن سالم بن رفادة التي ستكون موضوع المبحث الثاني من هذا الفصل.

لقد قلت الغارات القبلية المتبادلة بين قبائل منطقة تبوك وقبائل إمارة شرق الأردن كثيراً، وخاصة في عامي ١٣٤٩ و ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١ و ١٩٣٢م، وكادت الغزوات المتبادلة تتوقف تماماً عندما وقعت الحركة المشار إليها، ولكن بعد انتهاء الأزمة التي ترتبت عليها بذلت جهود

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٥١.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١٥٢-١٥٤.

حيثية لإحلال الأمن في المنطقة. وكان للملك عبد العزيز دور فاعل في هذا المجال. فقد رغب في أن يعم الهدوء المنطقة إدراكاً منه لمصالح القوى الأجنبية فيها، وعملاً على أن لا تكون تلك المصالح على حساب الشقاق والتزاع بين الإخوة العرب ممثلين في قبائل الحدود^(١).

وكان من ثمار سياسة الملك عبد العزيز أن استقطب الموقف البريطاني إلى جانبه إبان حركة حامد بن رفادة، حيث أوعزت وزارة المستعمرات إلى المندوب السامي لشرق الأردن بعدم السماح للمتمردين ضد الملك عبد العزيز باستخدام أراضي شرق الأردن، وعدم مساعدتهم، ومنع أي دسائس تحاك ضده في أراضي شرق الأردن، وقد وجدت بريطانيا أن الطريق الأمثل أن يتم عقد اتفاق شامل بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن. وقد توصلت الحكومة البريطانية إلى هذا الرأي عقب اجتماع موسع عقد في لندن ضم كبار المسؤولين البريطانيين، أثرت خلاله المسائل المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط وبالمشكلات الحدودية بين السعودية وشرق الأردن^(٢).

وقد ركزت بريطانيا جهودها في البداية على ضرورة الاعتراف المتبادل بين البلدين، ونتيجة لذلك حصل المندوب السامي لشرق الأردن في أول رمضان ١٣٥١هـ / أول سبتمبر ١٩٣٢م على وعد من الأمير عبد الله بالاعتراف غير المشروط بعبد العزيز ملكاً على نجد والحجاز، وبالمقابل أقنعت الحكومة البريطانية الملك عبد العزيز في ٦ جمادى الثانية ١٣٥١هـ / ٦ أكتوبر ١٩٣٢م بضرورة الاعتراف بالأمير عبد الله حاكماً على شرق الأردن، فأبدى استعداده بعد نحو أسبوع للاعتراف به^(٣).

وقد جاءت هذه الجهود البريطانية بعد رسالة وجهها الملك عبد العزيز إلى لندن منذراً بأنه قد يتخذ تدابير خاصة ضد إمارة شرق الأردن التي اهتمها بتدبير حركة حامد بن سالم بن رفادة إذا لم يوضع حد لهذه الأمور، وقد اهتمت بريطانيا بهذا الإنذار، وبدأت تعمل على حل جميع الخلافات بين الطرفين بالطرق السلمية، وقدم الملك فيصل ملك العراق إلى الإنجليز

(١) مذكرات غلوب باشا (حياتي في المشرق العربي)، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع،

٢٠٠٢م، ص ١٩٢، ٢٢٣.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٦٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦٤-١٦٥.

في سعيهم لتحقيق هذه الغاية، إذ أقنع أخاه الأمير عبد الله بأن من مصلحته التفاهم مع جيرانه، وليس مخاصمتهم^(١).

وأنثرت الجهود المبذولة، حيث أدت إلى تبادل الطرفين الأردني عن طريق بريطانيا بصفتها الدولة المنتدبة والسعودي بعض الرسائل والبرقيات الرامية إلى الاعتراف المتبادل، ففي ٢٥ ذي القعدة ١٣٥١هـ / ٢١ مارس ١٩٣٣م أرسل رئيس وزراء إمارة شرق الأردن الشيخ عبد الله سراج، ووزير خارجية المملكة العربية السعودية رسالتين متماثلتين إلى المنسوب السامي البريطاني ضمناها اعتراف كل منهما بالآخر، مبدين رغبة بلديهما المتبادلة من أجل إقامة علاقة ودية بينهما^(٢).

ولم يلبث الملك عبد العزيز والأمير عبد الله أن تبادلوا البرقيات المعبرة عن رغبة كل منهما في إحلال الوئام محل الخصومة، فقد وجه الأمير إلى الملك برقية قال فيها: " قد علمت مع السرور عن انتهاء المخابرات الرسمية في سبيل اعتراف متبادل بين جلالتكم وبيني وبين حكومتينا، وإني أغتنم هذه الفرصة لكي أقدم تحياتي لجلالتكم، ولأعرب عن أملتي بأن هذه الخطوة ستعد أساساً متيناً للعلاقات الودية والتعاون بين بلادنا"^(٣).

ووجه الملك عبد العزيز إلى الأمير عبد الله برقية مماثلة، فقد جاء فيها: "قد علمت مع السرور بانتهاء المخابرات الرسمية في سبيل إقرار اعتراف متبادل بين سموكم وبيني وبين حكومتينا، وإني أغتنم هذه الفرصة كي أقدم تحياتي لسموكم، ولأعرب عن أملتي بأن هذه الخطوة ستعد أساساً متيناً للعلاقات الودية والتعاون بين بلادنا"^(٤).

وفي أعقاب هذا الاعتراف المتبادل أرسلت إمارة شرق الأردن وفداً إلى جدة ضم: توفيق أبو الهدى السكرتير العام للحكومة الأردنية، والزعيم غلوب قائد قوة البادية بوصفه خبيراً. وقد وصل هذا الوفد جدة يوم ١٠ محرم ١٣٥٢هـ / ٥ مايو ١٩٣٣م، وعقدت مفاوضات مع رجال الحكومة السعودية بحضور ممثلين عن الحكومة البريطانية هما: المفوض البريطاني

(١) أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، بيروت، (د.ت)، مج ٣، ص ٢٨٣؛ محمد عبد الله ماضي:

النهضات الحديثة في جزيرة العرب، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م، ص ٢١٥.

(٢) جريدة صوت الحجاز، ع ٥٢، س ٢، ١٥ ذو الحجة ١٣٥١هـ / ١٠ أبريل ١٩٣٢م، ص ٢.

(٣) أم القرى، ع ٤٣٤، س ٩، ١١ ذو الحجة ١٣٥١هـ / ٦ أبريل ١٩٣٣م، ص ٢.

(٤) منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص ٣٤٦.

في جدة والمعتمد البريطاني في عمان^(١).

وأذيع في ١١ محرم ١٣٥٢هـ/ ٦ مايو ١٩٣٣م بلاغ رسمي في عمان أكد أن الاتفاق قد تم بين الحكومتين السعودية والأردنية على الشروع في التفاوض لعقد معاهدة صداقة وحسن جوار بينهما، ومعاهدة تسليم مجرمين، وبرتوكول تحكيم. وأذيع بلاغ مماثل للبلاغ الأردني في السعودية^(٢).

وتبين خلال المحادثات أن التوصل إلى معاهدة بشأن تسليم المجرمين أمر مستحيل، ولذلك اتفقت الآراء على تأجيل المحادثات بشأنها، كما تأجلت المفاوضات على أن تعقد دورتها الثانية في القدس^(٣).

والتقى الوفدان السعودي والأردني في مدينة القدس، واستغرقت المفاوضات بينهما ٢-٥ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ/ ٢٤-٢٧ يوليو ١٩٣٣م. وكانت تعقد على هامش هذه الدورة جلسات خاصة ساهمت في تقريب وجهات النظر، وقد تم الاتفاق في مفاوضات القدس على: إقامة علاقات يسودها الود والتفاهم، وحل المشكلات بالطرق السلمية وعن طريق التحكيم، وألا تستخدم أراضي أي من الفريقين قاعدة لأعداء الفريق الآخر، على أن تخبر الحكومة الطرف الآخر بأن هناك غزاة قد اجتازوا أراضيها. واتفق الطرفان على أنه إذا حدثت تعديلات فعلى الحكومة الأخرى إرجاع المنهوبات ومحاكمة المعتدين. ونصت المعاهدة على اختيار مأمورين لمراقبة الأوضاع على الحدود، وحل المسائل المختلف عليها بين العشائر الحدودية. وقد حفظت هذه المعاهدة للبدو الرحل حرية الانتقال بهدف الرعي. وقد وقعت هذه المعاهدة مبدئياً في الخامس من شهر ربيع الثاني ١٣٥٢هـ/ ٢٧ يوليو ١٩٣٣م^(٤). أما التوقيع النهائي عليها فقد تم في القاهرة بتاريخ ٤ رمضان ١٣٥٢هـ/ ٢١ ديسمبر ١٩٣٣م، ونشرت في اليوم التالي في الصحافة^(٥).

(١) منيب الماضي وسليمان موسى : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ٣٤٦ ؛ عبد اللطيف محمد الصباغ :

بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٦٨.

(٢) منيب الماضي وسليمان موسى : المصدر السابق، ص ٣٤٦.

(٣) أم القرى، ع ٤٣٨، س ٩، ١٠ محرم ١٣٥٢هـ/ ٥ مايو ١٩٣٣م، ص ٥.

(٤) الجريدة الرسمية لإمارة شرق الأردن، العدد ٤١٥، السنة الحادية عشرة، ٥ رمضان ١٣٥٢هـ/

٢٢ كانون الأول ١٩٣٣م، (عدد ممتاز).

(٥) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١٦٩-١٧٠.

والحق بمعاهدة الصداقة بين إمارة شرق الأردن والمملكة العربية السعودية بروتوكول تحكيم، وقد استهدفت النظر في القضايا المختلف عليها بوساطة محكمين اثنين بالانتخاب، وكل محكم من طرف برئاسة شخص ثالث يتم تعيينه بالاتفاق بين الطرفين. وتقرر أن تكون قرارات لجنة التحكيم مقبولة لدى الطرفين من دون معارضة، وأن تتخذ اللجنة قراراتها بالأكثرية في النقاط المختلف عليها^(١).

وتضمن ملحق المعاهدة سبع مواد تتعلق بإعادة المنهوبات، ودية القتلى، والتعويض عن الخسائر وتعريف البدو، حيث عرف البدوي بأنه كل شخص يقبض عليه مشتركا في غزو يقع من قبل القبائل الرحل^(٢).

هذا، وقد قابل المشتغلون بالسياسة العربية - كما ذكرت جريدة صوت العراق - الدور الجديد الذي دخلت فيه العلاقات بين شرق الأردن والمملكة العربية السعودية بالبشر والارتياح، بعد ما ساد التشاؤم المحافل العربية زمنا غير يسير على أثر ما كان يشاع من إشاعات، ويروى من روايات حول موقف البلدين العربيين الواحد من الآخر^(٣).

لقد أدت معاهدة الصداقة إلى تخفيف حدة التوتر بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن، وكذلك القضاء على اشتباكات الحدود، وتبادل الغزو بين القبائل، غير أن هذه المعاهدة لم تنه ما في نفس الأمير عبد الله من أحقاد وضغائن، ولا أنهت مخاوف الملك عبد العزيز من الهاشميين، فالطرفان عاشا فترة طويلة من الصراع النفسي والسياسي والعسكري، وكانت مصالحهما متضاربة. كما أن معاهدة الصداقة لم تعالج كل المشكلات بين البلدين، فقد ظل بعضها معلقاً مثل قضية ضم العقبة ومعان إلى إمارة شرق الأردن، وقضية جبل الطبق، الذي شطره خط الحدود الفلكي شطرين، وهو ما لم يقبله الحويطات أهل الجبل، وقضية رسم الحدود بشكل واضح ومقبول من الطرفين. وقد استمرت هذه القضايا في إفساد العلاقة بين الطرفين زمنا طويلاً.

(١) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ٢٠٣.

(٢) غالب أبو جابر: مجموعة المعاهدات والاتفاقيات الأردنية ١٩٢٣-١٩٧٣م، عمان، ١٩٧٥م،

مج ١، ص ١٩٨-٢٠٠.

(٣) جريدة صوت العراق، ٢٤ ذو الحجة ١٣٥١هـ/ ١٩ أبريل ١٩٣٣م، ص ١.

لقد ظل الأمل يراود الأمير عبد الله بن الحسين في استعادة الحجاز^(١)، وظل المقربون منه يشحنونه بالحق والكراهية للملك عبد العزيز^(٢)، ورداً على ذلك كان الملك عبد العزيز يدعم الزعماء الأردنيين المعارضين المقيمين بدمشق ضد الأمير والحكومة الأردنية، كما أنه وقف موقفاً صلباً ضد مشروع سوريا الكبرى الذي تبناه الأمير حتى لا تقوم دولة كبيرة قوية بزعمامة الأمير على حدوده الشمالية^(٣).

هذا، وقد أخذت القضايا المعلقة بين الملك عبد العزيز والأمير عبد الله طريقها إلى الحل بالتدريج، فالعقبة ومعان ظلتا تابعتين للحجاز حتى جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ/يونيو ١٩٢٦م^(٤)، ويؤكد تبعيتهما لها أن أول إحصاء رسمي لشرق الأردن في ٣٠ ذو الحجة ١٣٤٠هـ/ ٢٣ أغسطس ١٩٢٢م لم يتضمن إحصاء العقبة أو معان أو قبائلهما وأهمها الحويطات^(٥).

وقد ظهرت فكرة ضم العقبة ومعان إلى شرق الأردن عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، عندما طالبت الصحف الصهيونية بضمهما إلى فلسطين الكبرى، وعندئذ أعربت بريطانيا عن نيتها في ذلك لتثبيت سيطرتها على خط الدفاع بين البصرة والعقبة لخدمة المصالح التجارية والبحرية البريطانية^(٦). وقد التقى الكولونيل لورنس مع الشريف حسين بن علي في عام ١٣٣٩هـ/ منتصف سبتمبر ١٩٢١م لإقناعه بتعديل الحدود بين الحجاز وشرق الأردن لكنه فشل، فتوجه إلى الأمير عبد الله في عمان وأقنعه بضرورة العمل على مد حدود إمارته جنوباً لتضم العقبة ومعان^(٧). وقد ظلت بريطانيا تخطط لضمهما إلى أن واثتها الفرصة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٦م، ففي منتصف مايو من ذلك العام، وبينما كان الشريف حسين بن علي في العقبة، وقوات الملك عبد العزيز تحاصر جدة، أمر الملك بإرسال قوة إلى العقبة، وأخير

(١) إليكسي فاسيليف: تاريخ العربية السعودية، ص ٤٦٩.

(٢) أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، ج ٥، ص ٩٥٧.

(٣) محمد سيف الدين العجلوني: معركة الحيرة في شرق الأردن، دمشق، مطبعة جودة بابل، ١٩٤٧م، ص ٤٥٥؛

الملك عبد العزيز آل سعود في الوثائق الأجنبية، ج ٧، ص ١٦٦، ج ٢٠، ص ٣١٢-٣١٣.

(٤) منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص ٢٤٨.

(٥) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ٢١٢.

(٦) كامل محمود خلة: التطور السياسي لشرق الأردن، ص ١٤٤.

(٧) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ٢١٢.

بريطانيا بذلك فوقفت موقفا حاسماً من هذا الأمر، حيث أرسلت قوة إلى الملك تخبره بأن العقبة تقع ضمن أراضي شرق الأردن التابعة لبريطانيا، وأنها لن تسمح للإخوان الذين أرسلهم إلى العقبة بدخولها. كما أخبرت الملك بأنها مستعدة للتفاوض معه حول مناطق الحدود بين السعودية وأراضي الانتداب البريطاني^(١).

ونظراً لأن الظروف لم تكن ملائمة للملك عبد العزيز فقد وجد أن الحكمة تقتضي عدم الاعتراض - في حينه - على ضم العقبة ومعان لشرق الأردن، وخاصة أنه لم يحسم بعد معركة الحجاز لصالحه، وأن هناك دولتين هاشميتين (العراق وشرق الأردن) تحيطان به من الشمال، ولا يريد في ذلك الوقت أن تتسع دائرة الحرب قبل أن يوحد الجزيرة العربية، ويقوي قبضته عليها. يضاف إلى ذلك أن مصلحته تقتضي عدم معاداة بريطانيا، ولهذا الأسباب أصدر أوامره إلى قادة الإخوان بالانسحاب من منطقة العقبة^(٢).

وتواطأت بريطانيا مع الأمير عبد الله بن الحسين للضغط على أخيه الملك علي من أجل التنازل عن العقبة ومعان لشرق الأردن، فأغرى الأمير أخاه بالمال (الذي ستدفعه بريطانيا)، وبإبعاد الملك عبد العزيز عن الحجاز... وظل يضغط عليه حتى رضخ في ٢٩ شعبان ١٣٤٣هـ / ٥ يونيو ١٩٢٦م، وقد أعلن ضمهما رسمياً لشرق الأردن في ٣ ذي الحجة ١٣٤٣هـ / ٢٤ يونيو ١٩٢٦م، واعتبر اليوم التالي (٢٥ يونيو) هو التاريخ الرسمي لذلك^(٣).

وقد نقلت حكومة الحجاز موظفيها من منطقة العقبة ومعان إلى ضبا، وتقرر أن تمتد حدود شرق الأردن الجنوبية حتى قلعة المدورة^(٤). وظلت هذه القضية تؤرق الملك عبد العزيز، إذ إنها لم تحل نهائياً، وإنما ترك ذلك للظروف المناسبة، وقد أثّرت عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م بعد دخول حامد بن رفادة الحجاز عن طريق العقبة، كما سيأتي. وعندما اعترف الملك عبد العزيز بالأمير عبد الله، وقبل مبدأ التفاوض معه للوصول إلى اتفاق شامل

(١) كامل محمود خلة: التطور السياسي لشرق الأردن، ص ١٤٧؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ٢١٥-٢١٦.

(٢) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع نفسه، ص ٢١٦.

(٣) المنار، مج ٢٦، ج ٣٠، ذو الحجة ١٣٤٤هـ / ٢١ يوليو ١٩٢٥م.

(٤) كامل محمود خلة: المرجع السابق، ص ١٤٧.

كان يهدف إلى إيجاد حل نهائي لقضية العقبة ومعان، غير أن ذلك لم يحدث بسبب مراوغة بريطانيا، وظلت القضية معلقة، وفي الوقت نفسه قامت حكومة شرق الأردن بتحسين المدينتين، كما رمت قلعة المدورة وغيرها^(١). ولم يتم حل مشكلة العقبة ومعان بشكل نهائي إلا عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، حيث اتفق الطرفان السعودي والأردني على تعديل الحدود بينهما، فقد تنازل العاهل الأردني عن منطقة جبل طبيق مقابل تنازل العاهل السعودي عن المطالبة بالعقبة ومعان^(٢).

وقد نشأت قضية جبل طبيق عن خطأ ارتكبه البريطانيون عند تعيين الحدود في المنطقة، حيث اختلف موقع الظواهر الطبيعية على الخريطة عن الطبيعة بحوالي ستة عشر ميلاً لصالح الملك عبد العزيز. ويتكون الجبل من عدة قمم مرتفعة، تقطعها أودية عميقة ذات أرضية رملية تمتلئ بالأشجار الكثيفة والنباتات الطويلة، وفيها مراعي شتوية للإبل حيث تنبت الأعشاب. وقد تمكنت عشائر الحويطات من التعايش مع بيئة الجبل رغم قسوتها، وكانت تقضي فيه فصول الشتاء^(٣).

وقد عمل المفاوض البريطاني جلبرت كلايتون على تعويض الحويطات عن فقدان مراعيهم في وادي السرحان الذي آل إلى الملك عبد العزيز بجبل طبيق الذي شطره خط الحدود الصحيح نصفين، مما أدى إلى مطالبة الحكومة السعودية به، وخاصة أن السلطات البريطانية كانت تستخدمه مهبطاً للطائرات وطريقاً برياً تقعان جنوب الجبل ضمن الأراضي السعودية، وقد ظلت قضية الجبل معلقة حتى عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، حيث تنازل الأردن عن الجبل كله للسعودية مقابل تنازلهما نهائياً عن العقبة ومعان لشرق الأردن^(٤).

أما القضية الثالثة التي ظلت معلقة بين السعودية والأردن، فهي قضية رسم الحدود بشكل نهائي بين البلدين، ذلك أنها رسمت على الخرائط وفقاً لخطوط الطول والعرض،

(١) محمد عبد القادر خريسات: تقارير عن شرق الأردن عام ١٩٣٤، عمان، ١٩٧٨م، ص ١٥٧-١٦٢.

(٢) كامل محمود خلة: التطور السياسي لشرق الأردن، ص ٣٣٥-٣٣٧؛ عبد اللطيف محمد الصباغ:

بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٣) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٤) انظر التفاصيل: عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع نفسه، ص ٢٣٨-٢٤٧.

ولم ترسم على الواقع، وقد تبين أن هناك خطأ في رسمها لم يتم اكتشافه إلا في عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، ويصل الخطأ إلى حوالي ثلاثين ميلاً لحساب شرق الأردن، وهو الأمر الذي دفع الملك عبد العزيز إلى مطالبة بريطانيا بتصحيح هذا الخطأ. وقد أشيع أن الملك قام بزيارة تبوك والقلاع الموازية للحدود الشمالية، ترافقه حملة عسكرية، لإثبات حقه في المنطقة، وللضغط على بريطانيا لتسوية مسألة الحدود. وأمام ذلك استجابت بريطانيا، وقامت بعمليات مسح خلال الفترة ١٩٣٤-١٩٣٧م، إلا أن هذه العمليات لم تتوصل إلى وضع خط حدي نهائي، وظلت المسألة معلقة حتى عام ١٩٦٥م حيث تحسنت العلاقات بين الأسرتين الهاشمية والسعودية وتوصلت إلى تسوية نهائية للحدود^(١).

وكان الملك عبد العزيز منذ انتهاء حركة حامد بن سالم بن رفاعة قد أرسل قوات عسكرية إلى تبوك وحقل بوساطة إحدى السفن التي نقلت تلك القوات إلى الوجه، ومنها انتشرت في المنطقة^(٢). كما انتشرت في تبوك قوة من المهجانة^(٣)، وأقيم فيها عدد من المراكز اللاسلكية لربط المنطقة بمراكز الدولة في نجد والحجاز^(٤). وبذلك فإن التخوف من تكرار تلك الحركة قد أدى إلى تحصين منطقة تبوك عسكرياً، وأحكم ربطها إدارياً ببقية مناطق الدولة. وسيتناول المبحث التالي من هذا الفصل نشأة الحركة المذكورة، وتطورها، وكيفية القضاء عليها.

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ٢٦٩-٢٩٢.

(٢) مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم الوثائق، وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٣٥٦) من سنوسي حمدان أبو صابر إلى أحمد محمود أبو صابر، بتاريخ ١١ ذو القعدة ١٣٥٣هـ / ١٤ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) مكتبة الملك عبد العزيز العامة، رقم الوثيقة (١٦٢) تاريخ ١٢ ربيع الأول ١٣٥٤هـ / ١٣ يونيو ١٩٣٥م.

(٤) عبد الرحمن الطيب وآخرون: المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام، دراسة توثيقية، الرياض، مطابع التريكي، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، مج ١، ص ٢٦٤.

موقف الملك عبد العزيز من حركة ابن رفاة

ينتمي حامد بن سالم بن رفادة نسباً إلى قبائل بلي، من قضاة^(١)، إحدى قبائل منطقة تبوك التي اتخذ شيخ مشايخها من (الوجه) مكان إقامة له، فيما انتشرت قبائل بلي في أماكن مختلفة من المنطقة^(٢)، وقد والى الأشراف أثناء ثورة الحسين بن علي ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، والتحق بقوات الأمير فيصل بن الحسين عندما قدمت إلى قرى ساحل المنطقة، وحارب معها القوات العثمانية^(٣). وعندما وصل الإخوان إلى المنطقة داعين لاتباع الحركة السلفية، وموالاة الملك عبد العزيز الذي نصر الحركة وعمل على نشرها، استجاب شيخ مشايخ بلي: إبراهيم بن سليمان الباشا بن رفادة، وأعلن ولاءه للملك، وذلك قبل انضمام منطقة تبوك كاملة له فقد أعلن هذا الولاء في شوال ١٣٤٣هـ/مايو ١٩٢٦م^(٤)، بينما ظل حامد على ولاءه للأشراف، مخالفاً بذلك شيخ مشايخ القبيلة، ومخالفاً والده من قبله الشيخ سليمان الباشا بن رفادة الذي ظل على ولاءه للدولة العثمانية المسلمة، ولم يقف ضدها أثناء حربها مع قوات الحسين بن علي^(٥).

وتشير بعض المصادر إلى أن حامد بن سالم بن رفادة انتقل إلى شرق الأردن مع قوات الأشراف، وكان على اتصال مباشر مع أمير شرق الأردن، وتجنس بالجنسية الأردنية^(٦)، ثم عاد إلى الوجه سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، وحدث خلاف بسبب اختلاف الولاء بينه وبين ابن عمه الذي كان يتولى إمارة الوجه للملك عبد العزيز، وكان من نتائج هذا الخلاف أن بدأ حامد تحركاته المريبة ضد الدولة السعودية في جهات الوجه، ونشر هو وأتباعه الاضطرابات

(١) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٦١؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٦٠.

(٢) عمر رضا كحالة: قبائل العرب القديمة والحديثة، د. ن، ط ٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج ١، ص ١٠٤-١٠٧.

(٣) نجدة فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مج ٣، ص ١٠٧، ٨٩.

(٤) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ص ٤١٢.

(٥) نجدة فتحي صفوة: المصدر السابق، مج ٣، ص ١٠٧.

(٦) خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٣؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١٦٠.

في شمالها وفي الشرق باتجاه العلا، محاولاً بذلك إثبات وجوده^(١). وعلى الرغم من أن منطقة تبوك لم تدخل إلا حديثاً في العهد السعودي، إلا أن الملك عبد العزيز كان على اطلاع على تحركات حامد بن رفادة منذ بدايتها، وذلك عبر اتصالاته البرقية مع بعض أهالي المنطقة وأمرائها، فهم بحكم استقرارهم يعرفون طبيعة المنطقة وقبائلها ودورها، كما قد يعرفون من غرّر به من أهلها فانضم إلى الحركة، أو آزر صاحبها والمنتمين إليها^(٢).

وقد اتخذ الملك عبد العزيز إجراءات مبكرة من أجل إنهاء تمرد حامد بن رفادة وجماعته، وخاصة أن ابن رفادة الذي عاد إلى منطقة تبوك قادماً من إمارة شرق الأردن بعد أن حمل جنسيتها، إنما كان يتحرك بتوجيه ودعم من أمير شرق الأردن ضد الملك عبد العزيز ودولته، فحركته لم تكن مجرد تمرد قبلي، وإنما كانت ذات توجه سياسي، وتشكل خطراً على وجود الدولة ونفوذها في الحجاز التي لم يكن الأمير عبد الله قد اعترف بعد بأنها أصبحت تحت سلطة الملك عبد العزيز. وقد تمثلت الإجراءات التي اتخذها الملك بأن أمر بملاحقة كل من له علاقة بحركته وزجه في سجن إمارة الوجه^(٣). كما أن الملك عبد العزيز أخذ يتأكد من ولاء قبائل منطقة تبوك ودورها، وخاصة قبائل بلي بسبب انتماء المتمرد حامد بن رفادة إلى هذه القبائل^(٤).

وزود الملك عبد العزيز أمراء منطقة تبوك بالأسلحة، وأمرهم بمراقبة حدودها بحرص شديد خشية تهريب أسلحة إلى الداخل دعماً للتمرد ضد الدولة^(٥)، وعمل الملك أيضاً على التأكد من موقف شيوخ قبائل المنطقة تجاه ابن رفادة وفي مقدمتهم شيخ مشايخ بلي إبراهيم بن سليمان الباشا بن رفادة، ومشايخ قبائل الحويطات المجاورين لقبيلة بلي من الشمال.

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٦٠؛ حسن أمين العلي: دراسات وحقائق عن شمال غرب المملكة العربية السعودية، ص ٢٨٨.

(٢) حسن أمين العلي: دراسات وحقائق عن شمال غرب المملكة العربية السعودية، ص ٢٨٨.

(٣) حسن أمين العلي: المصدر السابق، ص ١٠١؛ وانظر: وثائق أحمد السلطان، من: محمد بن سلطان إلى نائب الملك في الحجاز الأمير فيصل بن عبد العزيز، بتاريخ رمضان ١٣٤٦هـ/فبراير ١٩٢٨م.

(٤) محمد علي محمد: البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م، ص ١٢٧-١٢٨.

(٥) وثائق الأستاذ أحمد السلطان: من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى محمد بن سلطان،

وكان الملك بسبب تحركات ابن رفاة في شمال الوجه و ضباء قد اشتبه بأنه يلقي دعماً و تعاطفاً مع حركته من شيوخ قبائل الحويطات^(١). أما شيخ مشايخ بلي فقد كان الملك متأكداً أنه ليس له يد في هذه الحركة أو تعاطف معها، ذلك أنه قابله في موسم حج ١٣٤٦هـ / مايو ١٩٢٨م، وتأكد من ولائه، ومما يدل على ذلك أن الملك طلب منه أن يظل على تواصل معه أو مع نائبه الأمير فيصل في مكة خطياً أو برقياً لأي أمر من الأمور^(٢).

هذا، و قد تأكد تورط حاكم العقبة في مساندة تمرد ابن رفاة، حيث كان له اتصال معه ومع أمير ضباء أحمد بن محمد أبو طقيقه، فحاكم العقبة من قبل أمير شرق الأردن كانت له تدخلاته في ساحل منطقة تبوك قبل عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م، وقد اكتشف أمراء المنطقة هذه الاتصالات، وأخبروا الملك عبد العزيز ونائبه الأمير فيصل بها، وكانا يتابعان تطوراتها باستمرار. وعندما أدرك الملك أن حركة ابن رفاة أصبحت تزداد خطراً قرر القضاء عليها باستخدام القوة العسكرية، فأرسل حملة بقيادة القائد العسكري عبد الله بن محمد بن عقيل*، وبدعم من أمير حائل، وقد التحقت بهذه الحملة قوة عسكرية في العلا كان فيها عدد من شيوخ قبائل بلي وعترة وأحد شيوخ بني عطية في شعبان ١٣٤٦هـ / فبراير ١٩٢٨م^(٣)، وكانت مهمة هذه الحملة المدعومة من أمير حائل ومن قبائل المنطقة التأكيد على سلطة الدولة، ومحاربة كل معارض لها. وقد أدت هذه الحملة مهامها في منطقة الساحل حيث ظلت هناك نحو أربعة أشهر ثم عادت^(٤).

وأثناء هذه الحملة التي تواصل فيها الملك عبد العزيز مع أمير حائل للاطلاع على أحداثها وسير عملياتها، ومدى تحقيق أهدافها التي من أجلها تم إرسالها إلى المنطقة، وكذا نائب الملك

(١) هشام محمد عجمي: قلاع الأزخم والوجه وضباء، ص ٢٣٤.

(٢) وثائق أحمد السلطان: من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى أمير الوجه محمد بن سلطان، بتاريخ ٢ محرم ١٣٤٧هـ / ٢١ يونيو ١٩٢٨م.

* هو عبد الله بن محمد بن صالح بن عقيل، ولد في قصر ابن عقيل بالقصيم عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م، وشارك في معركة الشنانه عام ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م، وحصار حائل عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م. وقد عين أميراً على الجوف ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م، ثم مستشاراً في الحرس الوطني بالرياض، وتوفي سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م. عبد الرحمن سبيت السبيت وآخرون: رجال وذكريات مع عبد العزيز، ج ٢، ص ٤٢٠.

(٣) عبد الله بن ثاني: وثائق الملك عبد العزيز إلى قبائل عترة، ج ١، ص ١٥٤، ١٥٦.

(٤) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويحي من المويحي بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل، وثيقة رقم (١٣)، من عبد الله الحمد بن عقيل إلى من يراه من المسلمين، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م.

في الحجاز الذي كان حلقة الوصل بين القائد العسكري وأمير الوجه لإيصال التعليمات من قبل الملك عبد العزيز ، والالتزام بأوامره حيث أنه الحاكم للبلاد والمسيطر على أوضاعها^(١).

وكان لحضور هذه الحملة العسكرية دور كبير في تثبيت سلطة الدولة، وإرسال رسالة قوية إلى الحركة ومن يدعمها بأن الدولة لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء من يعثون بأمنها واستقرارها. كما هاجمت الحملة عدداً من أفراد قبائل بلي وبني عطية جنوب الوجه والعقبة للاشتباه بعلاقتهم بالحركة وذلك في شوال ١٣٤٦هـ / مارس ١٩٢٨م^(٢). وقبضت أيضاً على عدد من الطقيقات شيوخ قبائل الحويطات الذي كان الملك عبد العزيز يشتهه بأنهم يدعمون الحركة، وذلك بسبب تحركات ابن رفاة حول ديارهم في شمال الوجه وضياء^(٣).

وكانت الحملة العسكرية قد اتخذت من المويلح مركزاً عسكرياً واستطلاعياً لمواجهة الحركة، وذلك لأهمية موقعها شمال ضياء. ومن هذا المركز تمت متابعة تحركات الأهالي وأفراد القبائل القادمين والمغادرين براً وبحراً، وبذلك ضرب على الحركة نوع من الحصار مما اضطر قائدها حامد بن رفاة إلى التسلل هارباً إلى شرق الأردن، حيث اتصل بالأمير عبد الله بن الحسين، ثم توجه إلى مصر^(٤). وتشير بعض المصادر إلى أنه توجه إلى مصر بحراً، دون الذهاب إلى شرق الأردن^(٥).

وقد قام الملك عبد العزيز بعد انتهاء مهمة الحملة العسكرية بدعم منطقة تبوك بقوة عسكرية

(١) مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم الوثائق، الوثيقة بلا رقم ، من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى إبراهيم النشمي بتاريخ ١٩ شوال ١٣٤٦هـ / ١٠ ابريل ١٩٢٨م.

(٢) خالد بن عبد الرحمن الجريسي: من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، الرياض، مطابع الحميضى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ج ٢، ص ٧٩٩-٨٠٠.

(٣) هشام محمد عجمي: قلاع الأزمن والوجه وضياء، ص ٢٣٤.

(٤) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٦١ ؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٦٠.

(٥) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويلحي، من المويلح بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل، الوثيقة رقم (١٦)، من: أمير ضياء إلى: مدير مركز المويلح ، بتاريخ ١٧ صفر ١٣٤٧هـ / ٦ أغسطس ١٩٢٨م.

جديدة، حيث أرسل عدداً من الجند إلى قلعة المويلح، وفي الوقت نفسه ظل يتابع تحركات حامد بن رفاة ومن معه عن طريق جمع المعلومات من كل المصادر المتاحة، بما في ذلك مدير مركز المويلح الذي أكد في خطاب له مغادرة حامد ومن معه من الطليقات من الحويطات، ومن قبيلة بلي^(١).

والجدير بالذكر هنا أن الإجراءات الأمنية التي اتخذها الملك عبد العزيز في منطقة تبوك لم تكن تحسباً لمخاطر حامد بن رفاة وأتباعه ومؤيديه وحسب، وإنما كانت أيضاً خوفاً من تسرب المنشقين من الإخوان إلى حدود البلاد الشمالية الغربية بعد هزيمتهم في معركة السبلة بتاريخ ١٩ شوال ١٣٤٧هـ / ٣٠ مارس ١٩٢٨م، وطردهم إلى أطراف العراق^(٢). يضاف إلى ذلك تحركات قبائل بني عطية وإشكالاتها مع السلطة المحلية، وهي تحركات سببها الصراع السياسي الذي كان دائراً بين الملك عبد العزيز، وأمير شرق الأردن؛ فقد كانت تلك القبائل التي تعيش على جانبي الحدود، وتنقل عبرها تسبب الكثير من الإزعاج للسلطة المحلية ممثلة بأميري تبوك وضبا، وخاصة أن الحدود لم تكن قد رسمت بشكل نهائي. وقد كان الكيد السياسي من الأمير عبد الله تجاه الملك عبد العزيز وراء تلك التحركات وإزعاج السلطات المحلية^(٣). وكان الأمير عبد الله يحاول إغراء أمير تيماء للانضمام لحركة ابن رفاة^(٤).

وقبل تتبع حركة حامد بن رفاة في مرحلتها الثانية لا بد من التأكيد على عدد من الجوانب المتعلقة بهذه الحركة؛ أولها أن حامد بن رفاة كقائد للحركة كان يسعى

(١) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويلحي، من المويلح بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل، الوثيقة رقم (١٦)، من: أمير ضباء إلى: مدير مركز المويلح، بتاريخ ١٧ صفر ١٣٤٧هـ / ٦ أغسطس ١٩٢٨م.

(٢) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٢، ص ٤٨٨؛ عبد اللطيف محمد الحميد: من رجال الملك عبد العزيز، إبراهيم بن عبد الرحمن النشمي ١٣١٣-١٣٩٨هـ، حياته وأعماله، الرياض، الدرعية، ع ٢، ربيع الآخر ١٤١٩هـ / مايو ١٩٩٨م، ص ٩٠-٩١.

(٣) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٢٠-٣٢٢.

(٤) عبد الرحمن بن سبيت السبيت وآخرون: رجال وذكريات مع عبد العزيز، ج ٢، ص ٣٣، ٣٦.

إلى تحقيق طموح شخصي في منطقة تبوك، وقد شجعه وزاد من أمله في تحقيق هذا الطموح دعم الأمير عبد الله له، ذلك أن الأمير الذي يُكِنُّ العداء والضعينة للملك في المنطقة أو في غيرها. وثانيها أن الملك عبد العزيز قد حرص على الاجتماع بشيوخ المنطقة منذ انضمامها لحكمة، مما يعني إعلانهم الولاء للملك ودولته، وقد قدموا لمقابلته في مكة في رجب ١٣٤٤هـ / فبراير ١٩٢٦م^(١).

ويذكر هنا أن المعارف عليه منذ القدم فيما يتعلق بالتنظيم القبلي لقبائل منطقة تبوك أن قبائل بلي لها شيخ مشايخ واحد، وكان في الفترة التي وقعت فيها حركة ابن رفادة: الشيخ إبراهيم بن سليمان الباشا ابن رفادة، وقبائل حويطات التهمة أو الساحل لها شيخ واحد أيضاً هو الشيخ أبو طقيقة، بينما كان لبني عطية عدة شيوخ^(٢). والأمر الثالث هو أن المصادر الأردنية كانت تحاول إظهار قبائل المنطقة وأهلها بمظهر المناوئ للملك عبد العزيز، وأنها ليست على وفاق مع الدولة السعودية^(٣)، وقد تناست تلك المصادر أن قبائل المنطقة وشيوخها كان لهم الدور الأبرز في تسليم المنطقة وضمها للحكم السعودي. وأما الأمر الرابع فهو أن السلطات البريطانية لم تحرك ساكناً لمنع وصول الدعم من شرق الأردن لحركة حامد بن رفادة، أو لمنع حامد نفسه من دخول الأراضي المصرية بعد فشل حركته في مرحلتها الأولى، وكان هذا الموقف منسجماً مع سياسة بريطانيا في إبقاء المنطقة مضطربة، لأن ذلك يخدم مصالحها الاستعمارية. والأمر الأخير الجدير بالإشارة مما يتعلق بحركة حامد بن رفادة، هو أنه، أي حامد، استغل المشكلات التي أثارها المعارضون من الإخوان ضد الملك في نجد، حيث شجعه ذلك على مهاجمة الوجه، والجهات المجاورة لها مما أحدث إرباكاً في المنطقة كلها^(٤).

(١) أم القرى، س ٢، ع ٦٠، ٦ شعبان ١٣٤٤هـ / ١٩ فبراير ١٩٢٦م.

(٢) ماكس فراهيرفون أوبنهايم وآخرون: البدو، ج ٢، ص ٤٨١، ٤٨٨، ٥١٢؛ إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، مج ١، ص ٤٨٨.

(٣) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٢٩.

(٤) عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ٢١٥-٢١٧؛ ماكس فراهيرفون أوبنهايم وآخرون: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٩.

لقد تمكن حامد بن سالم بن رفاة، على الرغم من الحملة العسكرية التي وجهها الملك عبد العزيز للقضاء عليه وحركته، ومن الجهود الحثيثة التي بذلها أمراء منطقة تبوك، تمكن من الهرب بمن معه عبر البحر الأحمر إلى ميناء الطور* في الأراضي المصرية، صفر ١٣٤٧هـ/ يوليو ١٩٢٨م، وأفلت بذلك من حملة عسكرية جديدة وجهها الملك للقضاء على حركته بقيادة عبد الله بن محمد بن عقيل الذي وصل إلى ساحل المنطقة بعيد مغادرة ابن رفاة^(١). وقبل مغادرته غادر المنطقة أيضاً أمير ضباء الشيخ أحمد بن محمد أبو طقيقة إلى شرق الأردن في سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، مما دل على أنه كان متواطئاً مع ابن رفاة^(٢).

وقد انتقل حامد بن رفاة من ميناء الطور إلى القاهرة، حيث استقر في حي شبرا^(٣)، واتصل من هناك بالملك أحمد فؤاد الذي لم يكن على وفاق مع الملك عبد العزيز -كما يذكر الزركلي-^(٤). وأخذ ابن رفاة من موقعه في القاهرة يراقب الأوضاع في منطقة تبوك، ويتابع التطورات، كما أخذ يتصل بالبدو لإثارة الفتن والاضطرابات. وقد استطاع أن يجمع بضع مئات من البدو، ومن أهل الحجاز الذين لم يكونوا قد تقبلوا الحكم السعودي بعد، وكان بمساعدة الشيخ محمد أبو طقيقة الذي يبدو أنه كان له مؤيدوه أيضاً من الذين ما زالوا على ولائهم للأشراف^(٥).

* يقع ميناء الطور على الشاطئ الغربي لشبه جزيرة سيناء، في الجهة الجنوبية الشرقية لخليج السويس، ويبعد عن السويس مائتين وأربعين كيلو متراً. وقد كانت لهذا الميناء أهمية كبيرة في عهد المماليك كميناء تجاري بعد أن أصبحت السويس في ذلك العهد ميناء حريباً. وكان ميناء الطور يشتمل على مخازن ضخمة، وإدارة جمر، حيث تصل إليه واردات الهند، وتنقل منه بالقوافل إلى القاهرة أو بلاد الشام. وكان ميناء الطور أيضاً محطة رئيسية للحجاج المسلمين في طريقهم إلى مكة والمدينة، وتراجعت أهمية هذا الميناء منذ أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وقلت القوافل الواردة إليه براً وبحراً، وعندما وصله ابن رفاة كان شبه مهجور. وقد تم تجديد الميناء حديثاً، وذلك منذ عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، وقد يستعيد مكانته السابقة. ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٦، ص ٦٨.

^(١) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويلحي، من المويلح بمنطقة تبوك، إعداد علي عبد الرحيم الوكيل، الوثيقة رقم (١٦)، من: أمير ضباء إلى: مدير مركز المويلح.

^(٢) ماكس فراهيرفون أوينهايم وآخرون: البدو، ج ٢، ص ٤٣١.

^(٣) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ١٨٦.

^(٤) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٦١.

^(٥) إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن: تذكرة أولي النهي والعرفان، الرياض، (د.ت)، ج ٣، ص ٢٥٨؛ أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، ج ٥، ص ١٠٨٣.

وكان بعض أهل الحجاز قد انضموا إلى حزب سري سعى إلى تأسيسه أمير شرق الأردن بهدف مناوأة الملك عبد العزيز وإخراجه من الحجاز^(١). وقد زاد من خطورة هذا الحزب وخطورة حامد بن رفادة أن كلا منهما شدّ أزره بالآخر، حيث قابل مؤسسوا الحزب حامداً في مصر، واتفقا على العمل معاً^(٢).

وكان أمير شرق الأردن بعد إخراج أسرته من الحجاز قد أغرى شاباً من أهل الحجاز يدعى: حسين الدباغ بتأليف الحزب المشار إليه، وأمدّه بالمال، كما وعده بتقديم الدعم، فعمل الدباغ على تأسيس حزب سماه (حزب الأحرار الحجازي)، الذي أخذ على عاتقه إعلان الحرب السرية على الملك عبد العزيز^(٣).

وكان من أعضاء الحزب: الأمير عبد الله بن الحسين، والأمير شاكر بن زيد، وعدد من الحجازيين، منهم حسين الدباغ، رئيس الحزب، ومسعود الدباغ، وعلي الدباغ، والشيخ محمد أمين الشنقيطي، وعبد الحميد الخطيب، وغيرهم^(٤). وكان عبد الحميد الخطيب قد تولى رئاسة جمعية الشباب الحجازيين التي تأسست بمصر عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م بهدف تجميع الحجازيين في الخارج، وتوحيد كلمتهم^(٥).

وقد نشط حسين الدباغ في تحقيق أهداف الحزب، وكان يحاول الاتصال مع كل من يتوسم فيه المساعدة على ذلك، ومن هؤلاء ولي عهد اليمن أحمد ابن الإمام يحيى الذي استعد لتأييده، كما استعد بمساعدة الأدارسة إذا ثاروا ضد الملك عبد العزيز في منطقة عسير. وسافر حسين الدباغ إلى مصر حيث قابله حامد بن سالم بن رفادة، ومحمد بن عبد الرحيم أبو طليقة، واتفق معهما على العمل في الحزب وتحقيق أهدافه^(٦).

(١) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود، ص ٢٠٤.

(٢) محمد منير أحمد البديوي: المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود، الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٦٩.

(٣) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ١٨٠.

(٤) أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، ج ٥، ص ١٠٩٠.

(٥) عبد الحميد الخطيب: الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٦٤-١٦٥.

(٦) عبد الحميد الخطيب: المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٧.

وسافر حسين الدباغ بعد ذلك إلى عمان حيث قابل أمير شرق الأردن الذي أمد الحزب ببعض المال^(١)، ووفر له ما يكفي لشراء بعض الأسلحة^(٢).

وكان من خطط حزب الأحرار الحجازي أن يجمع أكبر عدد من المؤيدين، وأن يعلن الثورة ضد الملك عبد العزيز في الجنوب، ثم في منطقة تبوك في الشمال، وذلك من أجل تشتيت القوى السعودية، حتى يسهل إخراجها من الحجاز^(٣). وعندما ظن الحزب أنه أصبح قادراً على تحقيق أهدافه أمر حامد بن رفاعة بالخروج من مصر إلى شمال الحجاز، وأقنعه زعماء الحزب بأنه سيجد أعواناً في الحجاز، سينضمون إليه. وأعطوه أموالاً لتجنيد الرجال وشراء الأسلحة اللازمة للقيام بحركته ضد الملك عبد العزيز^(٤). واستكمالاً للاستعداد سافر حامد إلى شرق الأردن حيث قابل الأمير عبد الله للتشاور معه فيما يتعلق بما سيقدمه من دعم سياسي ومادي، ثم عاد إلى مصر^(٥).

وتحرك حامد بن رفاعة ومن معه من مصر في أوائل محرم ١٣٥١هـ/مايو ١٩٣٢م قاصداً منطقة تبوك، حيث سلك الطريق الساحلية بين البحر والجبال حتى وصل طابا التي تعد آخر نقطة في الحدود المصرية، وعندها أبرز الوثائق الرسمية لجنود المخفر المصريين، ثم استأنفوا سيرهم إلى أن وصلوا قرب العقبة على الحدود الأردنية الحجازية، حيث نزلوا، وتزودوا بالمؤن والأسلحة، والتقوا هناك بأحد الأشخاص من شرق الأردن، وذلك تحت سمع السلطات الأردنية وبصرها^(٦).

(١) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود، ص ٢٠٥.

(٢) عبد الحميد الخطيب: الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ج ١، ص ٢٠٠.

(٣) أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، ج ٥، ص ١٠٩٢-١٠٩٦.

(٤) سعود بن هذلول: المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٥) مقبل بن عبد العزيز الذكر: تاريخ الذكر، ص ١٥٣.

(٦) عبد الحميد الخطيب: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٨؛ أحمد عبد الغفور عطار: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٨٣-١٠٨٤.

وتشير بعض المصادر إلى أن حامد بن رفادة عندما خرج من مصر لم تكن معه أسلحة، كما أن رجاله خرجوا على دفعات وفي أوقات مختلفة حتى لا يلفت انتباه السلطات المصرية والبريطانية، وقد كانت العقبة مركز تجمعهم وتزودهم بالأسلحة^(١). ويذكر هنا أن محافظ سيناء البريطاني كتب إلى مدير عام مصلحة الحدود في ٢٧ محرم ١٣٥١هـ/ ٢ يونيو ١٩٣٢م نافيا ما تردد من أن حامد بن رفادة ومعه قوة تقدر بأربعمائة مقاتل قد عبروا الحدود، وأكد أن هذا الخبر لا أساس له من الصحة على الإطلاق^(٢)، وذلك على الرغم من أن المفوضية البريطانية في جدة كانت قد أبلغت الحكومة السعودية بدخول حامد بن رفادة الأراضي السعودية في صبيحة يوم ١٤ محرم ١٣٥١هـ/ ١٩ مايو ١٩٣٢م^(٣).

هذا، وكان حامد بن رفادة قد توجه من العقبة إلى الشريح، وهو مكان يقع بين ميناء العقبة، وميناء حقل، ويبعد عن العقبة جنوباً ثلاثة أكيال تقريباً. ومكث هناك أياماً للإعداد، وكان على اتصال مع أمير شرق الأردن الذي تابع تحركات حامد ومن معه أولاً بأول. ثم تابع حامد ومن معه سيرهم إلى حقل ثم إلى البدع، ثم إلى الخريبة، ثم إلى جبل شار الواقع إلى الشمال من مدينة ضباء على البحر الأحمر قرب بلدة المويلح الساحلية^(٤). وكانت خطته بالاتفاق مع الأشراف القيام بحركة عسكرية ضد الملك عبد العزيز في منطقة تبوك، وفي الجنوب

(١) خالد بن عبد الرحمن الجريسي: من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ج ١، ص ٨٩-٩٠.

(٢) خالد بن عبد الرحمن الجريسي: المصدر السابق، ج ١، ص ٨٣.

(٣) أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، ج ٥، ص ١٠٨٤؛ لطيفة عبد العزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦ - ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، دراسة تاريخية وثائقية، الرياض، مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٣٦٦.

(٤) محمد منير أحمد البديوي: المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود، ص ١٧٠؛ عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، الرياض، مطبعة سفير، ط ٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٦٤؛ عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٥، ص ٤٧-٤٨.

في وقت واحد^(١). ويذكر بعض الباحثين أن حامد بن رفاة تلقى وهو في الشريح أسلحة وأموالا، واستطاع استمالة بعض الأشخاص فانضموا إلى حركته، كما انضم إليها هناك أنصاره من شرق الأردن^(٢).

بينما كان حامد بن رفاة يستكمل استعداداته، كان الملك عبد العزيز يعد العدة لمواجهة والقضاء على حركته، ذلك أن الملك تنبه لتحركات ابن رفاة، حيث وصلته معلومات عن هذه التحركات منذ شوال ١٣٥٠هـ/فبراير ١٩٣٢م^(٣)، وكان مصدر هذه المعلومات أمراء ساحل منطقة تبوك القربيين بحكم الموقع الجغرافي من شرق الأردن وفلسطين وشبه جزيرة سيناء، حيث يكثر التجار والمسافرون والحجاج الذين يتنقلون بين تلك المناطق ومنطقة تبوك. وكان من أبرز الإجراءات التي اتخذها الملك هو ربط المنطقة إداريا مع الحجاز ونجد حتى تسهل الاتصالات معها^(٤).

وقام الملك عبد العزيز بإبلاغ السلطات البريطانية في جدة بأمر الحركة^(٥)، كما أن الملك كان قد أمن جانب الملك فيصل بن الحسين، ملك العراق؛ فالعلاقات معه تحسنت بعد أن أرسل الملك فيصل له رسالة ودية في ١٩ رمضان ١٣٤٩/٧ فبراير ١٩٣١م، وقعت على أثرها بين الطرفين معاهدة صداقة وحسن جوار^(٦).

وكان الوزير المفوض البريطاني في جدة أندرو راين Sir Andrew Ryan قد أشار إلى وجود قلاقل في منطقة تبوك، وذلك في رسالة وجهها إلى وزير الخارجية البريطاني آرثر هندرسون

(١) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود، ص ١٦٨-١٦٩.

(٢) لطيفة عبد العزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة، ص ٣٦٦.

(٣) أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، ج ٣، ص ١٠٨٤-١٠٨٥.

(٤) الملك عبد العزيز آل سعود وسيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، ج ٤، ص ١٦٨-١٧٤؛ خالد بن عبد الرحمن الجريسي: من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ج ١، ص ٨٧-٨٨.

(٥) فتوح الخترش: حركة حامد بن رفاة على الحدود الشمالية للحجاز، الكويت، جامعة الكويت،

مجلة العلوم الاجتماعية، ع ٢، س ١٠، يونيو ١٩٨٢م، ص ٦٨.

(٦) المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦٨، ١٩٥.

Arthur Henderson بتاريخ ١٠ محرم ١٣٥٠هـ/ ٢٨ مايو ١٩٣١م، ولم يحدد راين ماهية هذه القلائل^(١). وكانت بريطانيا تتبع سياسة تبدو في ظاهرها متناقضة، فمواقفها الرسمية المعلنة تختلف بل تتناقض أحياناً مع مواقفها الحقيقية، حيث كانت تترك للسلطات البريطانية المحلية حرية التصرف بعيداً إلى حد ما عن الموقف الرسمي، وإذا ما أصبح الموقف المحلي لمسؤوليها مؤكداً لسياساتها وسيادتها فإنها تستمر في إتباع سياساتها الرسمية المعلنة دون إرباك لعلاقاتها بالأطراف المعنية^(٢)؛ فقد أشار القائم بالأعمال البريطاني في جدة سيسل هوب-جيل Cecil G. Hope-Gell في تقرير بعثته إلى وزير الخارجية البريطاني عن شهري يوليو وأغسطس ١٩٣١م إلى قيام الملك عبد العزيز بإصدار الأوامر إلى أمراء تبوك وضباء بالتنسيق فيما بينهما، وأشار في تقرير شهري سبتمبر وأكتوبر ١٩٣١م/ ربيع الآخر ورجب ١٣٥٠هـ إلى تمركز قوات حكومية في منطقة الجوف لمتابعة الأوضاع في منطقة تبوك، وأشار في تقرير شهري نوفمبر وديسمبر ١٩٣١م/ رجب وشعبان ١٣٥٠هـ إلى الأوضاع الاقتصادية التي ساءت كثيراً في منطقة تبوك، حيث ذكر أن قبائل منطقة تبوك تقترب من المجاعة، فالماشية بما فيها الإبل نقصت، والوفيات كثرت^(٣)، ولذلك فإن القبائل أخذت تهجر المنطقة متجهة إلى الشمال حيث شرق الأردن وفلسطين، وإلى الجنوب ناحية تيماء^(٤).

وتؤكد هذه التقارير البريطانية أن الملك عبد العزيز كان يتابع مجريات الأمور في منطقة تبوك أولاً بأول منذ البدايات الأولى لحركة ابن رفاة، وقد أبلغ الحكومة البريطانية المحتلة لكل من شرق الأردن وفلسطين ومصر بضرورة ممارسة دور فاعل في هذه البلاد التي كانت على علم بما

(١) الملك عبد العزيز آل سعود وسيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، ج ٤، ص ٢٣٢.

(٢) فتوح الخترش: حركة حامد بن رفاة على الحدود الشمالية للحجاز، الكويت، جامعة الكويت،

مجلة العلوم الاجتماعية، ع ٢، س ١٠، يونيو ١٩٨٢م، ص ٧٢.

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٤٣، ٣٠٩ - ٣١٠.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

يجري فيها، إذ إنها لو أرادت لما تمكن حامد بن رفاة من عبور سيناء إلى شرق الأردن^(١)، بل إن موقف المندوب السامي البريطاني في شرق الأردن كان سلبياً، وأقرب إلى التواطؤ مع الأمير، إذ تستر على تحركات ابن رفاة. وعندما وجهت أصابع الاتهام إلى أمير شرق الأردن، وخاطب سفير مملكة الحجاز، وسلطنة نجد، وملحقها وزارة الخارجية البريطانية في لندن بهذا الشأن؛ أجابت بأن من الصعوبة الرد على اتهامات عامة ضد أمير شرق الأردن^(٢).

وظل الملك عبد العزيز يضغط على الحكومة البريطانية لتقف موقفاً إيجابياً. يمنع تقديم الدعم للحركة من إمارة شرق الأردن، فضغط بدورها على الأمير عبد الله لكي يعمل على منع القبائل من اجتياز إمارته باتجاه منطقة تبوك، وقد رضخ الأمير للأوامر البريطانية حيث كتب في ٢١ محرم ١٣٥١هـ/ ٢٧ مايو ١٩٣٢م إلى قائد الجيش العربي بأنه سمح باجتياز عدد من رجال القبائل بقيادة حامد بن سالم، وأنهم ينتظرون مساعدة منه لمقصد سيئ في الحجاز، ولذلك عليه إعادة رجال القبائل إلى بلادهم في شرق الأردن أو فلسطين أو سيناء، وعدم السماح لهم باجتياز أراضي شرق الأردن^(٣).

والجدير بالذكر أن الأمير عبد الله بن الحسين قد اعترف باجتياز عدد من رجال القبائل منطقة العقبة قادمين من سيناء باتجاه الحجاز ومنطقة تبوك. كما أن المعتمد البريطاني في عمان أكد في صفر ١٣٥١هـ/ يوليو ١٩٣٢م اجتياز أفراد من قبائل بني عطية، مشيراً إلى أنه أي المعتمد البريطاني كان يعتقد أن للحكومة البريطانية وللأمير رغبة في انضمامهم إلى الحركة^(٤).

وكان الملك عبد العزيز قد أشار في مراسلاته مع مسؤولين في الشمال إلى تساهل السلطات البريطانية بشأن حركة حامد بن سالم بن رفاة رغم التحذيرات الواضحة من حكومة مملكة الحجاز ونجد وملحقها، كما أشار إلى تورط إمارة شرق الأردن في الحركة،

(١) خالد بن عبد الرحمن الجريسي: من وثائق العلاقات السعودية المصرية، ج ١، ص ٨٨-٨٩.

(٢) فتوح الخترش: حركة حامد بن رفاة على الحدود الشمالية للحجاز، الكويت، جامعة الكويت،

مجلة العلوم الاجتماعية، ع ٢، س ١٠، يونيو ١٩٨٢م، ص ٧٢؛ المصدر السابق: ج ٤، ص ٤٠٣.

(٣) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٨٨-٨٩.

(٤) المصدر نفسه، القسم الأول، مج ١٠، ص ٩٩.

وذكر أنه طلب من السلطات البريطانية منع دخول أي من المجرمين إلى إمارة شرق الأردن، وذلك عندما فر بعضهم إليها عند فشل الحركة في مرحلتها الأولى. كما طلب تسليم جميع الذين فروا، واتخاذ إجراء فوري لحل المشكلات مع شرق الأردن بإبرام معاهدة بين الطرفين^(١).

وورد في مذكرة كتبها أندرو راين الوزير المفوض البريطاني حول حوار مع يوسف ياسين نائب وزير خارجية الحجاز بالنيابة يومي ٢٩ و ٣٠ محرم ١٣٥١هـ / ٤ و ٥ يونيو ١٩٣٢م ، أن يوسف ياسين قد أشار إلى دور القنصل المصري في جدة بمحاولة تكوين لجنة سرية لقلب نظام الحكم في الحجاز، وأنه اتصل ببعض الأفراد محاولاً دفعهم إلى الانضمام للجنة، وأنه قام أيضاً بمقابلة حامد بن سالم بن رفاة في مصر، وحرّضه. وورد في المذكرة نفسها أن القنصل العراقي أيضاً له دور في التحريض. وأشار يوسف ياسين -كما ورد في المذكرة أيضاً- إلى أن محمود أبو طليقة قام بالاتصال بالسلطات في الحجاز، وأرسل خطاباً إلى أمير ضباء بتاريخ ٢٦ محرم ١٣٥١هـ / ٣٠ يونيو ١٩٣٢م كشف له فيه عن الحركة، وعن دور أمير شرق الأردن فيها، وأنه تلقى هو وحامد بن رفاة الأموال منه. وطلب أبو طليقة من أمير ضباء التوسط له عند الملك عبد العزيز ليعفو عنه^(٢).

وقد ورد في مذكرة أندرو راين جوابه على ما أثاره يوسف ياسين، وأنه أكد له أن سياسة الحكومة البريطانية تقوم على توطيد الاستقرار والصداقة، وأن بريطانيا لا تسمح باستخدام أراضي شرق الأردن للعدوان على الحجاز، وأن المسؤولين البريطانيين في شرق الأردن لا يمكن لأي منهم أن يسكت على مثل هذه الأعمال، غير أنهم يستحيل عليهم معرفة كل تحركات القبائل. وقد قلل راين من أهمية ما ذكره يوسف ياسين فيما يتعلق بأمير شرق الأردن؛ لأن ذلك يعتمد على شهادة أحد أعضاء الحركة السابقين، (يعني أبا طليقة). كما أن راين اعترف بأن مراقبة الحدود الحجازية قاصرة إلى حد مؤسف. وأما فيما يتعلق بمصر فقد استبعد راين أن يكون لها دور في هذه الحركة، مؤكداً أن

(١) الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، ج ٤، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(٢) المصدر نفسه : ج ٤، ص ٤٣٣.

بريطانيا لا تتدخل في العلاقات المصرية الخارجية^(١).

وفي محاولة للتغطية على دور إمارة شرق الأردن وأميرها في حركة ابن رفاة، أرسل المندوب السامي البريطاني في شرق الأردن بتاريخ ٢ صفر ١٣٥١هـ/٧ يونيو ١٩٣٢م مذكرة إلى وزير المستعمرات البريطاني ذكر فيها: أن حزب الأحرار الحجازي هو الذي خطط لحركة ابن رفاة من مقره في القاهرة، وهو الذي مولها. وأما الأمير عبد الله فإنه لم يقدم أي دعم مالي لها مع احتمال علمه المسبق بها. وأكد المندوب السامي في مذكرته أيضاً أن أعيان شرق الأردن لم يتورط أي منهم في الحركة، وأن سلطات الإمارة لم تعلم بتجمع رجال الحركة وعبورهم فلسطين وشرق الأردن إلا بعد دخولهم الحجاز. وأضاف المندوب السامي أن بني عطية قد تم منعهم من الانضمام للحركة، وأن إجراءات مشددة ستتخذ من أجل حراسة الحدود، ومنع وصول التموين الغذائي من فلسطين أو شرق الأردن. وأما فيما يتعلق بوجود قوات تابعة للملك عبد العزيز في شرق الأردن فأمر غير مسموح به، كما أن إغلاق الحدود بين البلدين يعد إجراء غير عملي. أما فيما يتعلق بالتمرد الذين يتمكنون من الفرار إلى شرق الأردن فيجب أن لا تعطى ضمانات بإعادتهم؛ وذلك بسبب عدم وجود معاهدة بين البلدين تسمح بتبادل تسليم المجرمين.

وكان الوزير المفوض البريطاني قد أشار في برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٢ صفر ١٣٥١هـ/٧ يونيو ١٩٣٢م إلى أن الملك عبد العزيز إنما يهدف إلى القضاء على حركة ابن رفاة ليثبت لأمر شرق الأردن وغيره أن من العبث بذل أي محاولة لقلب النظام. كما يهدف -مستغلاً هذه الحركة- إلى الضغط على الحكومة البريطانية من أجل عقد معاهدة جديدة لتسوية الخلافات بينه وبين شرق الأردن^(٢).

هذا، وقد أصدرت الحكومة السعودية عندما تأكدت من دخول حامد بن رفاة منطقة تبوك بلاغاً رسمياً جاء فيه: "علمت الحكومة صباح ١٤ محرم ١٣٥١هـ بواسطة المفوضية البريطانية في جدة أن مقداراً من البدو يتراوح عددهم بين اربعماية واربعماية وخمسين خرجوا من سيناء في الأراضي المصرية ومروا شمال العقبة ودخلوا أراضينا مع حامد بن رفاة

(١) الملك عبد العزيز آل سعود وسيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، ج ٤، ص ٤٠٧-٤١٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١١-٤١٢.

العور(الأعور)، وأفادت الحكومة البريطانية في أخبارها أنها مهمة بالتحقيق في هذا الحادث وبتخاذ التدابير اللازمة"^(١).

وتزامنا مع هذه الاتصالات والتحركات النشطة، تابع الملك عبد العزيز اتخاذ الإجراءات اللازمة لإحباط ما يحاك ضده على يد حامد بن رفادة ومؤيديه وداعميه، فقد أمر بتسيير قوة بحرية إلى ضبا، وقوة برية من قسمين، قاد أولهما عبد الله بن عقيل، وقد سلك طريق تبوك، ومنها إلى حقل فالبدع، وقاد القسم الثاني عبد الله بن حلوان ومحمد بن سلطان، وقد سلك هذا القسم طريق الساحل إلى ضبا، وكانت تحمله السيارات. وكانت القيادة العامة لهذه القوات لعبد الله بن محمد بن عقيل^(٢).

وبينما كانت الاستعدادات العسكرية تجري على قدم وساق للقضاء على حركة ابن رفادة، فقد أعلنت قبائل الحجاز براءتها منه، وكتبت بعض القبائل منها: حرب وجهينة وبلي تستهجن عمل ابن رفادة، وترجو الملك أن يأذن لها بقتاله^(٣)، وكان في مقدمة من هبوا للجهاد ضد هذه الحركة، طالبين السماح لهم بذلك: شيخ بلي، إبراهيم بن سليمان باشا ابن رفادة^(٤).

وقد رسم الملك عبد العزيز خطة حكيمة، حيث أمر باستدراج ابن رفادة إلى الداخل، والحيلولة دون فراره من المنطقة، وتنفيذاً لهذه الخطة أرسل أمراء المنطقة عيونهم إليه، وأرسلوا معهم كتباً على لسان القبائل المجاورة للأطراف التي حل بها، ومن هذه القبائل: جهينة وبلي، ورسائل على لسان أهل ضبا وأهل الوجه، وكان مضمون تلك الكتب والرسائل

(١) جريدة صوت الحجاز، ع ١٠، السنة الأولى، ٨ صفر ١٣٥١هـ/ ١٣ يونيو ١٩٣٢م، ص ٤.

(٢) مقبل بن عبد العزيز الذكير: تاريخ الذكير، ص ١٥٥-١٦٠؛ سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود، ص ٢٠٩؛ صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ١٨٨.

(٣) أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، ج ١، ص ١٠٨٥؛ لطيفة عبد العزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة، ص ٣٦٧.

(٤) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: المرجع السابق، ص ١٨٨.

أن مرسلها سيدعمون ابن رفاة، ويقدمون له كل عون ومساعدة إذا تقدم إليهم^(١).

وترافقت الاستعدادات العسكرية لمواجهة حركة ابن رفاة مع استعدادات إعلامية وسياسية، فقد أصدرت وزارة الخارجية السعودية بلاغاً رسمياً جاء فيه: "... ظهرت هذه الأيام حادثة هذه الشرذمة الخاسرة في الشمال والتي تسمت باسم ابن رفاة، فأراد بعض أهل الشر أن يكبروا أمرها، وأخذوا يذيعون الأراجيف الباطلة في إكبارها. وسواء كان أصحاب تلك الأراجيف من أهل البلاد أو من الأجانب المقيمين فيها فإنهم بلا شك ليسوا إلا أعداء للحجاز وأعداء للإسلام والمسلمين في مثل تلك الإشاعات الكاذبة، لا يراد إلا أن ينعكس أمرها للخارج فيظن الناس أن في الحجاز اضطراباً أو إخلالاً بالأمن يدعوهم للتخوف من هذه البلاد، ويثبط همهم في القيام بهذا الركن من أركان الإسلام، وحيث إن الحجاز من فضل الله يرفرف بالأمن في سائر ربوعه، وأن كل تلك الأقاويل باطلة، لم تر إدارة الأمن العام إلا أن تعاقب أصحاب تلك الإشاعات بما يستحقون...."^(٢).

وأصدرت وزارة الداخلية السعودية بياناً جاء فيه:

١ - لا يجوز لأحد في هذه البلاد أن يقوم بأي دعاية سياسية لأي جهة من الجهات، ومن علم عليه شيء من هذا فإن إدارة الشرطة مأذونة بمعاقبته.

٢ - إن الأحزاب والتحزبات في هذه البلاد ممنوعة، وكل من يقوم بها أو يعمل لها فإن إدارة الشرطة مسؤولة عن تعقبه ومنعه من ذلك وتأديبه صيانة لقدسية هذه البلاد، وحفظاً للأمن فيها. وعلى هذا فمن كان يريد العبادة في هذه البلاد وطلب المعيشة من طريقها المشروعة فهو آمن مطمئن، حرام الدم والمال، ومن كان يريد خلاف هذا فلا يلومن إلا نفسه"^(٣).

والجدير بالذكر أن وسائل الإعلام لكثير من الدول قد نشرت أخباراً ملفقة عن حركة ابن رفاة، وبلاغات كاذبة عن قائدتها، منها أن احتل الخريصة، وحاصر المويلح، وضبا، وأسر ضباطاً وجنوداً من خفر السواحل، وأنه سير قوة إلى ينبع وأخرى إلى الوجه. وبينما كانت

^(١) لطيفة عبد العزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة، ص ٣٦٨؛ مقبل بن

عبد العزيز الذكر: تاريخ الذكر، ص ١٦٠.

^(٢) جريدة أم القرى، ع ٣٩٤، س ٨، ٢٦ صفر ١٣٥١هـ/ ١ يوليو ١٩٣٢م، ص ٢.

^(٣) جريدة أم القرى، ع ٣٩٤، س ٨، ٢٦ صفر ١٣٥١هـ/ ١ يوليو ١٩٣٢م، ص ٢.

وسائل الإعلام تنشر تلك الأكاذيب كان ابن رفاة وأتباعه ما يزالون في الشريح قرب العقبة^(١).

أما بريطانيا فقد دفعها احتجاج الملك عبد العزيز على دخول ابن رفاة ومن معه عن طريق شرق الأردن، ولفته انتباه الحكومة البريطانية إلى تدخلات أمير شرق الأردن، وأن ذلك مخالف للقوانين الدولية ومعاهدة جدة، ومن قبلها اتفاق حداء، دفعها ذلك إلى القيام بما يجب، فمنعت تسرب الأرزاق والمعدات الحربية إلى ابن رفاة عن طريق شرق الأردن، وأرسلت دوريات إلى وادي عربة لمراقبة الحدود، كما أرسلت باخرة حربية إلى ميناء العقبة لمراقبة الموقف عن كثب^(٢).

وأدت المتابعة الحثيثة من الملك عبد العزيز لحركة ابن رفاة من أجل تطويقها سياسياً وإعلامياً تمهيداً للقضاء عليها عسكرياً، أدت إلى اضطرار أمير شرق الأردن إلى الوقوف، ولو ظاهرياً موقف بريطانيا، فأصدر أمراً بالآلا يدخل أي شخص المناطق الحدودية الجنوبية أو منطقة جبل طبيق إلا بتصريح، واستثنى من ذلك العقبة. كما أصدر قانوناً في صفر ١٣٥١هـ/يونيو ١٩٣٢م لمنع تصدير الحبوب والأرزاق إلى نجد والحجاز^(٣). وقد ورد في هذا القانون ما نصه: "كل من يصدر حبوباً أو أرزاقاً إلى الحجاز ونجد أو يحاول إصدارها أو يقوم بنقلها يعاقب بعد الإدانة أمام قاضي الصلح بالسجن لمدة لا تزيد على سنة واحدة، وتصادر تلك الحبوب والأرزاق"^(٤).

وقد أدرك ابن رفاة بعد صدور القانون المشار إليه، والموقف الحاسم الذي اتخذته بريطانيا، والإجراءات الفعالة التي اتخذها الملك عبد العزيز، أنه لن يتمكن من الإفلات هارباً، وعندما سدت أمامه كل السبل، اضطر إلى القتال، وهو الأمر الذي خطط له الملك بهدف القضاء

(١) صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ١٩٠.

(٢) صوت الحجاز، ع ١١، س ١، ١٥ صفر ١٣٥١هـ/٢٠ يونيو ١٩٣٢م، ص ٤؛ أم القرى، ع ٣٩١، س ٨، ٥ صفر ١٣٥١هـ/١٠ يونيو ١٩٣٢م، ص ٢.

(٣) صوت الحجاز، ع ١٤، السنة الأولى، ٧ ربيع الأولى ١٣٥١هـ/١١ يوليو ١٩٣٢م، ص ٤؛ صالح عون هاشم عدنان الغامدي: المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٤) الجريدة الرسمية لإمارة شرقي الأردن، العدد ٣٥٢، السنة العاشرة، ١٢ صفر ١٣٥١هـ/١٦ حزيران ١٩٣٢م، ص ٢٧٢.

عليه وعلى حركته وجميع رجالها قضاءً مبرماً، تلك الحركة التي قاتل في صفوفها أفراد من قبائل بلي والحويطات وبني عطية. ولذلك أمر قواده بسد جميع المنافذ حتى لا يتمكن من الفرار، وأن يتوزع القواد والجنود في الطريق إلى حقل والبدع والخريبة وشريم، وقال في برقية أرسلها إلى القادة العسكريين: "الله الله في العجلة والهمة، ما في التريض الآن إلا الخذلان"^(١).

وكان حامد بن رفادة قد نزل سفح جبل شار، في مكان سهل وصول السيارات والخيول إليه، وبينما كان يستعد ومن معه للهرب طوقته القوات السعودية، ونشبت بين الطرفين معركة كبيرة استمرت من ظهر السبت ٢٦ ربيع الأول ١٣٥١هـ — ٣٠ يوليو ١٩٣٢م حتى مساء ذلك اليوم، وقد أيد في المعركة أغلب رجال ابن رفادة، وقتل فيها ابن رفادة نفسه وابناه فالخ وحماد^(٢)، وأصدرت الحكومة السعودية في اليوم التالي للمعركة بلاغاً رسمياً جاء فيه "... وفي ظهر يوم السبت وجدت قوة الأشقياء بقرب جبل شار فهاجمتها (القوات السعودية) من كل ناحية، وما انقضى وقت المغرب حتى كانت ساحات القتال خالية إلا من جثث قتلى الأشقياء وأشلاء جرحاهم، ولم ينج من غضب الله ثم من سيوف المسلمين إلا أفراد قليلون جداً... وقتل أكثر الأشقياء بما فيهم حامد بن رفادة الأعور وولده فالخ وحماد، وقتل سليمان بن أحمد أبو طليقة وخمسة من أخوته وأحد الأشراف الذي لم تثبت هويته حتى الآن، وقد أحصى عدد القتلى فكان ٣٧٠، ولم يستشهد من الإخوان والجند إلا أفراد قليلون، تحريراً في ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٥١هـ"^(٣).

وأما من تمكنوا من الهرب من ساحة المعركة، فقد تقطعت بهم السبل، وتشتتوا في الطرقات، غير أن القوات السعودية المنتشرة فيها تمكنت من القبض عليهم^(٤).

(١) أم القرى، ٣٩٩ع، س ٨، ٢ ربيع الثاني ١٣٥١هـ / ١٥ أغسطس ١٩٣٢م، ص ٢؛ مقبل بن عبد العزيز الذكير: تاريخ الذكير، ص ١٢٢-١٢٦.

(٢) خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٥٧؛ لطيفة عبد العزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة، ص ٣٦٨؛ صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ١٩٥.

(٣) صوت الحجاز، ١٧ع، السنة الأولى، ٢٨ ربيع الأول ١٣٥١هـ / ١ أغسطس ١٩٣٢م، ص ٤.

(٤) لطيفة عبد العزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة، ص ٣٦٨.

هذا وقد ترتبت على المعركة الحاسمة لصالح الملك عبد العزيز عدة نتائج أهمها:

١- قرر حزب الأحرار الحجازي حل نفسه في ١٠ محرم ١٣٥٤هـ/ ١٥ أبريل ١٩٣٥م، وذلك بعد أن أصدر الملك عبد العزيز عفواً عاماً عن المبعدين من البلاد بمن فيهم أعضاء الحزب. وقد أرسلت صورة عن قرار الحل إلى الملك الذي أجاب بأنه عفا عنهم عن الماضي، فرجع بعضهم إلى السعودية، فأكرمهم الملك^(٢).

٢- تم توقيع معاهدة صداقة وحسن جوار مع إمارة شرق الأردن في الخامس من شهر ربيع الثاني ١٣٥٢هـ/ ٢٧ يوليو ١٩٣٣م، وقد سبقت الإشارة إليها^(٣).

٣- شعر الملك عبد العزيز أن الظروف أصبحت مواتية لإعلان اسم يدل على وحدة البلاد السعودية في شبه الجزيرة العربية، فأصدر أمراً ملكياً في السابع عشر من جمادى الأولى ١٣٥١هـ بتحويل اسم: مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها إلى اسم (المملكة العربية السعودية)، اعتباراً من ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م، وبذلك أصبح لقبه: ملك المملكة العربية السعودية^(٤).

٤- تفرغ الملك عبد العزيز لبناء دولة عصرية، وقد استغل المكانة الكبيرة التي احتلتها المملكة العربية السعودية لدى الحكومة البريطانية منذ مطلع العقد الرابع من القرن العشرين الميلادي في طلب مساندتها لتحقيق هذه الغاية. وقد بدأت السعودية منذ ذلك الوقت تسير بخطى ثابتة على طريق الاستقرار والأمن والتنمية. وقد كان لشخصية الملك ودهائه ودبلوماسيته، وحكمته دور إيجابي ملحوظ في ذلك^(٥).

^(٢) عبد الحميد الخطيب: الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ج ١، ص ٢٢٢-٢٢٣.

^(٣) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٦٨-٢٠١؛ صالح عون هاشم عدنان الغامدي: علاقة إمارة شرقي الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها، ص ١٩٧-٢٠٤؛ الجريدة الرسمية لإمارة شرقي الأردن، العدد ٤١٥، السنة الحادية عشرة، ٥ رمضان ١٣٥٢هـ/ ٢٢ كانون الأول ١٩٣٣م.

^(٤) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٣٩٢.

^(٥) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ١٦٤.

أهمية منطقة تبوك العسكرية

تكمُن أهمية منطقة تبوك العسكرية في موقعها، فهي تقع بين ثلاثة تكتلات إقليمية رئيسية، هي: الجزيرة العربية، والهلال الخصيب، ووادي النيل، وتتوسط العالم القديم، وتشتمل على خليج العقبة الذي أهله خصائصه الطبيعية ليكون ذا أهمية عسكرية بالغة، إذ يتميز بطول سواحله النسبي وقلة عرضه، وضيق مدخله، وانحصار الملاحة فيه في ممر واحد، ووجود جزيرة تيران في وسطه. يضاف إلى ذلك أن مدخله يضم عدداً من النقاط الاستراتيجية المتمثلة في كل من : شرم الشيخ، وجزيرة تيران، ورأس نصراي ورأس الشيخ حميد، وهي نقاط تمكن من يسيطر عليها من السيطرة على جميع أنحاء خليج العقبة، وعلى حركة الملاحة فيه^(١).

وتحيط بساحل خليج العقبة الشرقي الذي يعد امتداداً لساحل تبوك سلاسل جبلية عالية، حيث تقع جبال مدين، وهذا الأمر يزيد في أهميته العسكرية، فتلك الجبال تشرف على الخليج وعلى مناطق برية وبحرية واسعة، وتعيق تلك السلاسل الوصول من الخليج إلى المناطق الداخلية، وكذلك من المناطق الداخلية إلى الخليج، وهذه الميزة تمكن المخطط الاستراتيجي من استغلالها عسكرياً لصالحه^(٢).

وتشكل منطقة تبوك من الناحية العسكرية درع شبه الجزيرة العربية الشمالي، وتشكل في الوقت نفسه معبراً للجيش المتجهة شمالاً صوب بلاد الشام، انطلاقاً من شبه الجزيرة أو غرباً باتجاه جنوبي فلسطين ووادي النيل، أو شرقاً باتجاه شمالي الخليج العربي والعراق ومن ثم بلاد فارس، ولذلك أصبحت هذه المنطقة منذ القدم محط أنظار القوى الأجنبية المتصارعة^(٣)، وكذلك محط أنظار القوى المحلية، وقد جعلها ذلك تتبع إدارياً هذه القوة أو تلك، أو يتبع جزء منها قوة ما بينما يتبع جزء آخر قوة أخرى، وذلك حسب الإمكانيات والقدرات السياسية والعسكرية لتلك القوى^(٤).

(١) فهد بن سعود بن عبد الله بن سعود : الأهمية الاستراتيجية لخليج العقبة من ١٩٤٨م إلى ١٩٨٧م ، ص ١١٢-١١٥ .

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٥ .

(٣) محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ٤٩١-٤٩٢ .

(٤) خالد سعيد الدريس: دراسة إقليمية لمنطقة تبوك، الدارة، س ٥، ع ٤، رجب ١٤٠٠هـ / يونيو ١٩٨٠م، ص ٢٥٠-٢٥١ .

ويدل على الأهمية العسكرية لمنطقة تبوك تلك القلاع العسكرية التي أقامها الرومان في المنطقة خلال القرن الأول الميلادي، وذلك بعد أن هزموا الأنباط الذين كانوا يسيطرون على المنطقة منذ ما قبل الميلاد^(١). ولكي لا تصبح المنطقة رأس حربة موجهة إلى مراكز نفوذها في بلاد الشام ومصر، أسندت إدارتها إلى دولة الغساسنة العربية، وحكمتها حكماً غير مباشر عن طريقهم، وبالتالي أمنت مراكزها الحضارية من الأخطار التي يمكن أن تأتيها من المنطقة سواء تلك التي قد تسببها القوى المحلية أو القبائل التي كانت تتحرك باستمرار، وخاصة نحو الشمال بحثاً عن المراعي والمياه^(٢).

ويدل على أن تبوك كانت درع الجزيرة العربية الشمالي الغربي قيام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالتوجه إليها على رأس جيش كبير فيما عرف بغزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م)، حيث أقام فيها أياماً "لصد من انتهى إليه أنه قد تجمع له من الروم وعاملة ولخم وجذام وغيرهم"^(٣). فالروم وأنصارهم من العرب الذين كانوا ما يزالون على الكفر تجمعوا في جنوبي بلاد الشام، وكانت نيتهم الاعتداء على المسلمين، وربما التحرك نحو المدينة المنورة لسحق الدولة الإسلامية الفتية، غير أن جيوشهم تفرقت عندما علموا بوصول الرسول -صلى الله عليه وسلم- على رأس جيشه إلى تبوك، ويرى الباحث أن لتفرقهم سببين، أولهما: الرهبة التي كانت تتقدم جيش المسلمين بقدرة الله تعالى وهو الأمر الذي جعل الجيوش المتجمعة تصاب بالهلع، ومن ثم التفرق. وثانيهما: أن القبائل العربية المذكورة التي كانت موالية للروم، لم تكن جادة في دعمهم، وإنما تظاهرت بذلك، وخاصة أن شيوخها كانوا يتقاضون من الروم مبالغ مالية سنوية، وعندما جد الجد، واقترب موعد اللقاء مع الجيش الإسلامي تفرقوا واختفوا من الساحة حتى لا يقاتلوا إخوانهم العرب، وعندئذ اضطر الروم أيضاً إلى الانسحاب^(٤).

وقد كان هدف الرسول -صلى الله عليه وسلم- من غزوة تبوك إرهاب دولة الروم،

(١) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٣٠٤-٣٠٧، ٣٥٦-٣٥٨؛ أحمد حسين شرف الدين: المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٢٨.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٧٢م، مج ٤، ص ١٦٢-١٦٥، ٢٤٣؛ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ٤٩٣-٤٩٤.

(٣) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، ص ٨٩.

(٤) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤؛ محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ١٣٠؛ أحمد عويدي العبادي: الأردن في كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين حتى عام ١٨٨١م، ج ٢، ص ٩٤٩-٩٥٠.

ومنعها من أن تطمع في غزو المسلمين في عقر دارهم، وقد تحقق هذا الهدف، كما تحققت أهداف أخرى، ذلك أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما انتهى إلى تبوك، أتاه يوحنا بن ربيعة، صاحب أيلة - وهو أحد الأمراء المقيمين بالحدود - فصالح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل (جرباء) * و(أذرح) **، وكتب لهم رسول الله كتاباً آمناً، كان فيه كفالة الحدود، وتأمين المياه، والطرق البرية والبحرية^(١).

كما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما بلغه خبر انسحاب الروم، وعدولهم عن فكرة الزحف، واقتحام منطقة تبوك، بعث خالد بن الوليد على رأس سرية من خمسمائة فارس إلى الجوف، وأسرت أمير دومة الجندل: أكيدر بن عبد الملك الكندي النصراني، وبعثت به إلى الرسول، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية، وخلقى سبيله. وأرسل رسول الله من تبوك سرايا أخرى ودعاة لدعوة قبائل المنطقة إلى الإسلام، إضافة إلى أنه قطع طريق قريش التجاري إلى الشام^(٢).

* جرباء: يلفظ اسمها بفتح الجيم، وبالباء المعجمة بوحدة على لفظ تأنيث أجرب، وهي قرية تقع في قضاء أذرح، أحد أقضية محافظة معان، وتبعد عن أذرح شمالاً خمسة كيلومترات تقريباً. ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٨؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، ج ٢، ص ٣٧٤؛ محمد عبد الهادي صالح الجازي: بادية جنوب الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م دراسة سيوسولوجية اقتصادية، عمان، كنوز العلم، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٤٨.

** أذرح: يلفظ اسمها بالفتح ثم السكون وضم الراء والحاء المهملة، وتقع في محافظة معان إلى الشمال الغربي من مدينة معان على بعد نحو اثنين وعشرين كيلو متراً. انظر: ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٩؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠؛ فردريك بيك: تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، ص ٩٦.

(١) السيد أبو حسين علي الحسيني الندوي: السيرة النبوية، صيدا، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٤٢٠.

* دومة الجندل: كانت قرية عامر يقصدها البدو للبيع والشراء، وقد خربت على مر الزمن، وعندما نزل بها (أكيدر) أعاد إعمارها، فازدهرت في عهده، وكان لها سور يحميها، وفي داخل السور حصن منيع، وبذلك اكتسبت أهمية استراتيجية، وكان أكثر سكانها من قبيلة كلب. السيد أبو حسين علي الحسيني الندوي: المرجع السابق، ص ٤٢٠.

(٢) السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي: المرجع نفسه، ص ٤٢٠؛ أحمد الشبول: علاقة الأمة الإسلامية في العصر النبوي مع بلاد الشام وبيزنطة، ندوة تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، الكتاب الثالث، ص ١٦١، ١٧٤.

ولم تقتصر أهمية منطقة تبوك العسكرية على كونها درعاً لشبه الجزيرة العربية من جهة الشمال، فقد كانت أيضاً موقعاً للإعداد العسكري من أجل نشر الإسلام، ومنطلقاً لجيوش المسلمين الفاتحة، فعندما وجه الخليفة أبو بكر الصديق، رضي الله عنه (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م) الجيوش الإسلامية الأربعة بقيادة عمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وأبي عبيدة عامر بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة لفتح بلاد الشام، التقت هذه الجيوش في المدورة التي كانت تابعة لمنطقة تبوك، ومنها انطلقت إلى غاياتها^(١). وفي المدورة أيضاً التقى الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) أمراء الأجناد أو الجيوش الإسلامية عندما كان في طريقه إلى الشام سنة ١٨هـ/٦٣٩م^(٢).

لقد كان لمنطقة تبوك عبر العصور حضورها العسكري الفاعل، ولذلك كانت القوى المحيطة تحرص على السيطرة عليها، غير أن تلك القوى خلال فترة ما قبل الإسلام لم تكن تمكث فيها طويلاً، بسبب طبيعتها كم منطقة رعوية معظم أهلها من البدو الرحل^(٣).

وقد أنشئت في منطقة تبوك عبر تاريخها الإسلامي العديد من القلاع العسكرية، وذلك في داخل المنطقة وعلى ساحلها، ومن قلاع الداخل: قلعة ذات الحاج، وقلعة تبوك، ومن قلاع الساحل: قلعة المويلح وقلعة الوجه، وقلعة الأزيم. وشكلت القلاع خط دفاع متقدماً لحماية الحرمين الشريفين في الحجاز^(٤). وقد تنبّهت الدولة العثمانية إلى أهمية المنطقة عسكرياً فبنت فيها القلاع، وشحنتها بالقوى العسكرية لردع أي خطر أجنبي، وخاصة أن هذا الخطر

(١) عبد العزيز الدوري: الجزيرة العربية في عصر الخلفاء الراشدين، الرياض، ندوة الجزيرة العربية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، الكتاب الثالث، ص ١٩٠؛ أحمد عويدي العبادي: الأردن في كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين، ج ١، ص ٦٤.

(٢) ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١١-٢١٢؛ أحمد عويدي العبادي: المرجع السابق، ج ١، ص ٦٤.

(٣) لطفي عبد الوهاب يحيى: الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي، الرياض، ندوة تاريخ الجزيرة العربية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، الكتاب الثاني، ص ٩٧-٩٨.

(٤) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ١٤٦، ١٥١، ٢٣٧، ٢٤٦؛ هشام محمد عجمي: قلاع الأزيم والوجه وضبا، ص ١٤٠-١٤٢، ١٧٥.

كان قائماً عبر التاريخ بسبب التواجد الأجنبي في بلاد الشام ومصر التي تعرضت لغزو الرومان والصليبيين والبرتغاليين والفرنسيين والبريطانيين^(١).

وكانت العقبة تعد جزءاً من منطقة تبوك التاريخية معسكراً لفرقة من جيش الروم في القرن الرابع الميلادي؛ وذلك أن الطرق الحربية كانت تصل بينها وبين سورية وفلسطين. وعندما أراد الصليبيون أن يسيطروا سلطاتهم على البحر الأحمر ضموا العقبة إلى الإقليم الذي كان يحكمه كراك دون مونتريال Crac don Montreal سنة ٥٠٩هـ / ١١١٦م ، وأقاموا الحصون في جزيرة تيران، كما أنشأوا حصناً صغيراً في مدينة العقبة. ونظراً لأهمية الموقع العسكرية عمل صلاح الدين الأيوبي على استعادته، فأرسل عمارة من السفن إلى خليج العقبة، نقل أحشائها مفككة على ظهور الإبل، ثم حاصر المدينة والجزيرة وحررها سنة ٥٦٦هـ / ١١٧١م^(٢).

وكانت الأهمية العسكرية لمنطقة تبوك تزداد بمرور الزمن، فعندما تم افتتاح قناة السويس، التي ربطت بين البحرين الأبيض المتوسط والأحمر في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي ازدادت الحركة التجارية بين سواحل المنطقة التي أصبحت بفضل القناة أكثر قرباً من بعضها، ورافق ذلك صراع سياسي تحول في نهاية الأمر إلى صراع عسكري بين الدولة العثمانية وبريطانيا التي كان لها حضور قوي في مصر، وفي البحار المحيطة بالجزيرة العربية^(٣). وقد أربك ذلك الدولة العثمانية التي كانت تعاني من مشكلات داخلية وخارجية عديدة، ومع ذلك عملت على تقوية المنطقة عسكرياً بإنشاء سكة حديد الحجاز، وتقوية أسطولها في شمالي البحر الأحمر^(٤). بينما فكرت بريطانيا آنذاك باختراق المنطقة عن طريق مد خط حديدي بين الميناء المصري (بورسعيد)، والكويت على الخليج العربي^(٥).

(١) سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٧٣-١٧٥، ١٩٦.

(٢) أحمد عويدي العبادي: الأردن في كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين ج ٢، ص ٩٢٩-٩٣٠.

(٣) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٠-١٥٤.

(٤) السيد محمد الدقن: سكة حديد الحجاز الحميدية، ص ٧٥.

(٥) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٣٠-١٣١.

وقد أدركت الحكومة الفرنسية أيضاً خطورة استخدام منطقة تبوك عسكرياً ضدها بعد أن تحتل بلاد الشام، وجدير بالذكر أن سوريا ولبنان اللتين كانتا تخططان لاحتلالهما منذ وقت طويل^(١).

ويعد خليج العقبة وهو جزء من منطقة تبوك التاريخية من أكثر أجزائها أهمية من الناحية العسكرية، وقد ازدادت أهميته بمرور الزمن، وذلك بحسب الظروف والأحوال المحيطة به، وقد كانت هذه الأهمية التي أشار إليها البحث سابقاً محدودة في عهد الفراعنة، أي قبل أكثر من خمسة آلاف عام، وذلك لعدم وجود قوة معادية قريبة من الخليج يمكن أن تشن هجوماً بحرياً على مصر الفرعونية، ولأن هذه القوة المعادية إن وجدت وأرادت غزو مصر بحراً فإنها لن تهاجم السواحل الغربية للخليج عبر سيناء أرض الجذب والعراء، حيث توجد المرتفعات الوعرة الشاهقة، وإنما ستهاجم السواحل العامرة بالموانئ^(٢).

وكان خليج العقبة يشكل نقطة تحكم استراتيجية في طرق المواصلات البرية في عهد الأدوميين، وكذلك في عهد مملكة بني إسرائيل التي أقامها داوود عليه السلام، حيث أدخله تحت سيطرته بعد حروب مدمرة انتصر فيها على الأدوميين، وبذلك تحكم بالطرق الاستراتيجية التي تضمن أمن مملكة بني إسرائيل وازدهارها، وفتح للمملكة واجهة بحرية على البحر الأحمر، وبالتالي على المحيط الهندي، وكانت نتيجة ذلك ازدهار التجارة البحرية بين مملكة إسرائيل والجنوب والشرق^(٣).

وظلت الأهمية العسكرية لخليج العقبة تتزايد، ولكن ببطء عبر الزمن، إلا أن هذه الأهمية شهدت طفرة عندما سيطر عليه الأنباط، وتحكموا منه بالطرق البرية والبحرية. ثم أصبح الخليج بؤرة للصراع بين الدولتين السلوقية والبطلمية اللتين خلفتا اليونان في حكم المشرق. وفي عهد الدولة البطلمية كان الأنباط يستحذون على تجارة البحر الأحمر،

(١) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) نعم شقير: تاريخ سيناء، ص ١٠؛ حامد سلطان: مشكلة خليج العقبة (محاضرات)، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ٦٦-١٩٦٧م، ص ٨.

(٣) فهد بن سعود بن عبد الله بن سعود: الأهمية الاستراتيجية لخليج العقبة، ص ٢٣-٢٥.

ويهاجمون السفن البطلمية متخذين من خليج العقبة معقلاً مهماً لهم، مما دفع البطالمة للعمل على إيقاف هجمات الأنباط على سفنهم، وإنهاء سيطرتهم على تجارة البحر الأحمر وشمال الجزيرة العربية. وقد نشبت بين الطرفين (البطالمة والأنباط) معارك برية وبحرية طاحنة، انتهت بتدمير الأسطول النبطي، وإنشاء ميناء امبيلوني (Ampelone) شمال الوجه، إحدى مدن منطقة تبوك الساحلية، وذلك في عهد بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٦ ق.م)^(١) غير أن الأنباط ما لبثوا أن تمكنوا من دحر النفوذ البطلمي، وقضوا على ميناء أمبيلوني، وأنشأوا ميناء نبطيا هو ميناء ليوكي كومي (Leuce Come)^(٢).

واهتم الرومان بعد انتصارهم على الأنباط وإزالة مملكتهم بخليج العقبة ومضائقه، وأنشأوا ديواناً في جزيرة تيران لتحصيل الجمارك من السفن الداخلة في الخليج أو المارة بقربه^(٣).

وازدادت أهمية خليج العقبة في عهد البيزنطيين، وأصبحت العقبة مركزاً أبرشية، وقد حاولت الدولة البيزنطية منع الفرس من التغلغل في البحر الأحمر، والحد من نفوذهم في المحيط الهندي، وحماية مملكة أكسوم المسيحية في الحبشة. وقد نجحت الدولة البيزنطية في تحقيق هذه الأهداف، وبلغ عدد السفن في عهد جستين الأول (٥١٨-٥٢٧م)، أحد أباطرتهم، في خليج العقبة ستين سفينة مما يدل على أهميته التجارية إضافة إلى أهميته العسكرية^(٤).

وأصبحت الأهمية العسكرية لخليج العقبة خلال عهد الدولة الإسلامية تتفاوت من عصر إلى آخر، وقد بلغت هذه الأهمية شأواً بعيداً في عهد الأيوبيين - كما أشار البحث سابقاً - حيث أصبح مسرحاً للصراع بين المسلمين والصليبيين الذين اتخذوا من العقبة قاعدة لانطلاق سفنهم المحاربة بهدف غزو فلسطين، ومهاجمة الموانئ والسفن التجارية الإسلامية

(١) سيد أحمد علي الناصري: الرومان والبحر الأحمر، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٩-٤٠. ؛ نعم شقير: تاريخ سيناء، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) فهد بن سعود بن عبد الله بن سعود: الأهمية الاستراتيجية لخليج العقبة، ص ٢٨.

(٣) نعم شقير: المصدر السابق، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) يوسف درويش غوانمة: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، عمان، دار هشام للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص ٢٣-

في البحر الأحمر. وباتتهاء الصراع لصالح الدولة الأيوبية سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م أصبح خليج العقبة والبحر الأحمر تحت سيطرتهم^(١).

وتدنت أهمية خليج العقبة في منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي عندما اجتاحت التتار العالم الإسلامي، إلا أنه استعاد أهميته في عصر المماليك، الذين نفذوا في العقبة، وعلى طول الطريق المؤدية إليها مشروعات مختلفة من بناء أبراج وقلاع إلى تعبيد طرق، ونقب جبال، وتجهيز موانئ وغير ذلك^(٢).

وتصاعدت الأهمية العسكرية لمنطقة تبوك وخليج العقبة خاصة في عهد الدولة العثمانية كما أشار البحث سابقاً، فقد أصبح يمثل خط مواجهة بين الدولة العثمانية وبريطانيا وأخذت كل منهما تسعى لاحتوائه. وقد كان إرسال الدولة العثمانية حملتها العسكرية إلى اليمن سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٥م علامة فارقة في مكانة العقبة وخليجها، إذ أصبحت قاعدة عسكرية مهمة، ومُدد إليها خط التلغراف من معان، ثم شرع العثمانيون في سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م بمد فرع من سكة حديد الحجاز ليصل بين معان والعقبة^(٣).

وقد حرصت بريطانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٨م على أن تكون منطقة خليج العقبة ضمن نصيبها من الغنائم، ولذلك تحكمت في أنحائه، وحظرت خلال الفترة ١٣٣٨-١٣٦٧هـ/١٩٢٠-١٩٤٨م رفع أي علم في مياهه سوى العلم البريطاني، واستثنت من ذلك مصر فقط، حيث سمح لها أيضاً باستخدام مرفأ أم الرشراش على رأس الخليج للاتصال بحامية مصرية قريبة منه^(٤).

(١) حسنين محمد ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) يوسف درويش غوامه: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، ص ٧٣-٧٤.

(٣) نبيل عبد الحي رضوان: الدولة العثمانية وغرب الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس، ص ١٨٧؛ نعوم شقير: تاريخ سيناء، ص ١٩٣.

(٤) محمد عبد الرحمن برج: البحر الأحمر عبر التاريخ، الرياض، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية ندوة البحر الأحمر، ١٤٠٦هـ، ص ٣١-٣٢؛ بيير ديستيريا: من السويس إلى العقبة، ترجمة يوسف مزاحم، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٤م، ص ٩١-٩٢.

وحرصت بريطانيا على إبعاد الملك عبد العزيز عن خليج العقبة، وتصدت لمحاولات ضمه بعد ضم الحجاز. وكان الملك قد أدرك أهمية الخليج السياسية والعسكرية، وكذلك أهمية المراكز الساحلية في منطقة تبوك. تلك المنطقة التي قدر لها أن تكون مسرحاً للعمليات العسكرية بين القوات العثمانية وقوات الشريف حسين بن علي الذي قاد ثورة ضد الدولة العثمانية بدعم من الحكومة البريطانية، وذلك قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى^(١).

وقد أسس البريطانيون في الوجه بعد احتلالها سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٧م مركزاً لاسلكياً أصبح وسيلة مهمة للاتصال العسكري بين قوات الحلفاء داخل المنطقة، وقواتهم خارجها. وعن طريق هذا المركز أرسل رئيس المخابرات البريطانية في مصر إشارة لاسلكية إلى الضابط البريطاني لورنس وهو في الوجه يأمره بتكثيف عمليات تخريب سكة حديد الحجاز لعرقلة انسحاب القوات العثمانية^(٢).

وكان لمنطقة تبوك دور مهم في دعم قوات علي بن الحسين المحاصر في جدة، وذلك أثناء حرب الملك عبد العزيز مع قوات الحسين بن علي ومن ثم ابنه علي وعبد الله، وكان ذلك الدعم يصل جدة عبر سكة الحديد أو عبر البحر^(٣). وكان الحسين بن علي في أواخر عهده قد أمر بعسكرة محطات سكة الحديد في ذات الحاج، وتبوك، وبإيجاد محطة لاسلكية في تبوك، وتوضح من هذه التدابير الأهمية العسكرية للمنطقة التي تجلت خلال الحرب بين الطرفين^(٤).

وكان الملك عبد العزيز يحرص باستمرار على ضم منطقة تبوك بسبب أهميتها العسكرية، حيث أراد أن تكون حامية لحدود بلاده الشمالية الغربية من جهة، وأن لا تكون أراضيها وسواحلها منطلقاً للتدخل العسكري ضده من قبل أمير شرق الأردن. ولذلك فإن الملك كان يتابع المنطقة وما يقع فيها من أحداث عسكرية إما شخصياً، أو عبر نائبه في مكة الأمير فيصل، وكذلك عبر أمير حائل^(٥).

(١) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٢٥٣-٢٥٥.

(٢) توماس إدوارد لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ص ١٩٧.

(٣) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ١٩٨.

(٤) محمد يونس العبادي: الرحلة الملوكية الهاشمية من مكة المكرمة إلى عمان والبيعة الكبرى بالخلافة للشريف

حسين بن علي، ص ٥٠-٥١، ٥٨-٥٩.

(٥) الملك عبد العزيز آل سعود، سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، ج ١، ص ١٠٦.

واستشعرت بريطانيا من جهتها خطورة المنطقة عسكرياً ضد وجودها في شرق الأردن وفلسطين، ولذلك استقطعت معان والمدورة والعقبة من منطقة تبوك وضمتها إلى شرق الأردن لتكون حاجزاً بين فلسطين وبين شبه الجزيرة العربية، وخاصة أنها وعدت اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ولا تريد أن يكون هذا الوطن على تماس مع أهل المنطقة الذين سيكونون متعطشين للجهاد ضد اليهود^(١).

واستشعر أمير شرق الأردن من جهته خطورة منطقة تبوك عسكرياً على إمارته، وخاصة أن هناك فرقاً كبيراً في الإمكانيات البشرية بين الإمارة وبين الدولة السعودية، ولذلك كان متخوفاً من اجتياح الإخوان هذه الإمارة، وقد دفعه ذلك إلى الطلب من السلطات البريطانية في عمان التحقق من مدى صحة الإشاعة التي انتشرت أثناء مشكلات الحدود بين البلدين من أن الملك عبد العزيز يعد للحرب ضد الإمارة الأردنية، وهو الأمر الذي نفاه المسؤولون السعوديون^(٢).

وكانت السلطات البريطانية في جدة قد حملت الإشاعة المتداولة في حينه من أن الملك عبد العزيز ينوي تجريد حملة عسكرية بقيادته إلى تبوك محمل الجدد، وأبلغت الحكومة البريطانية بذلك^(٣)، وسبب هذه الإشاعة كان وجود ما بين ٧٠٠ و ٨٠٠ جندي في تبوك، كما أشارت المصادر الفرنسية^(٤).

والجدير بالذكر أن منطقة تبوك شهدت تعزيزات عسكرية في أعقاب حركة حامد بن سالم بن رفادة، حيث أقيمت مراكز أمنية وعسكرية في كل من قلعة ذات الحاج وحقل وعلقان ومقنا^(٥)، وأنشئت في ضباء قلعة الملك عبد العزيز، سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، كما أنشئت قلعة في حقل^(٦). وتم شحن المواقع العسكرية المذكورة بالأسلحة والرجال،

(١) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ٢٢١.

(٢) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٠٧.

(٣) عبد اللطيف محمد الصباغ: المرجع السابق، ص ٢٢٥.

(٤) الملك عبد العزيز آل سعود، سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، ج ١٨، ص ١٨٦.

(٥) حمود بن ضاوي القشامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ٣٤١.

(٦) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٧٠، ٢٧٦.

حيث تركزت وحدات من الجيش تم تزويدها بالرشاشات والمدافع والمصفحات وسيارات النقل، وخاصة بعد تشكيل وكالة للدفاع والأمور العسكرية سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م^(١).

وازدادت الأهمية العسكرية لمنطقة تبوك عندما بدأ الإعداد للحرب العالمية الثانية، فقد أبرمت الحكومة البريطانية التي كانت تحتل خليج العقبة وخليج السويس عدداً من المعاهدات العسكرية التي ضمنت لبريطانيا قواعد عسكرية مهمة وحساسة في البحر الأحمر، ومنها قاعدة السويس التي ضمنتها لهم معاهدة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م مع مصر^(٢). وقد أعد الملك عبد العزيز لهذا الاقتراب البريطاني عدته، وتعامل معه بحكمة بالغة حفاظاً على دولته ومصالحه الحيوية، ومن هنا جاء شحن منطقة تبوك داخلياً وساحلياً بالرجال والأسلحة والمراكز العسكرية.

وقد برزت الأهمية العسكرية لمنطقة تبوك منذ الأيام الأولى لاندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث حرصت الحكومة البريطانية على عقد اتفاق تجاري مع حكومة الملك عبد العزيز استفادت بموجبه من المياه الإقليمية القريبة من حقل في تزويد القوات البريطانية في العقبة بالأسمك^(٣).

وأفادت منطقة تبوك عسكرياً مثل غيرها من مناطق المملكة من نتائج الحرب العالمية الثانية، ولذا فإن الملك عبد العزيز عندما قامت الحرب أعلن الحياد^(٤)، وأعرض عن جميع المغريات التي قدمتها دول المحور للانضمام إليها ضد دول الحلفاء، غير أنه عند نهاية الحرب أعلن وقوفه إلى جانب الحلفاء بريطانيا وفرنسا ومن معهما ضد دول المحور ألمانيا وإيطاليا ومن معهما^(٥)، وأتاحت له هذه الخطوة الحكيمة بدء محادثات مع بريطانيا لإعادة تنظيم الجيش السعودي، وإنشاء قيادات عسكرية لعدد من مناطق المملكة^(٦).

(١) عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، ص ٢١٩-٢٢٠.

(٢) محمد عبد الرحمن برج: البحر الأحمر عبر التاريخ، الرياض، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية،

ندوة البحر الأحمر، ١٤٠٦هـ، ص ٣١-٣٢.

(٣) الملك عبد العزيز آل سعود، سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، ج ٧، ص ٤٥٠-٤٥١.

(٤) هاري سانت جون فيلي: العربية السعودية، ص ٥٩٠.

(٥) أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، مج ٢، ص ٤٤١.

(٦) المصدر السابق، ج ٧، ص ٥٣١.

وخاصة منطقة تبوك التي شكلت خلال الحرب المذكورة بوابة المملكة باتجاه الشمال والشمال الغربي، وظلت كذلك في مواجهة الخطر الصهيوني عند قيام حرب فلسطين عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

وكانت إسرائيل بعد إقامة دولتها في فلسطين قد استغلت فترة الهدنة التي دعا إليها مجلس الأمن في محرم ١٣٦٨هـ/نوفمبر ١٩٤٨م، واحتلت قرية أم الرشراش والمنطقة المحيطة بها وحولتها إلى ميناء إيلات، وبذلك انقطع الاتصال البري بين بلاد المشرق العربي وبلاد المغرب العربي، وبذلك فقدت منطقة تبوك شريان اتصالها مع فلسطين ومصر، ولم تعد قوافل الحج المصري وحركة التجارة تصل إليها عن طريق البر واقتصر ذلك على البحر مما زاد من أهمية الموانئ على ساحل منطقة تبوك^(١).

وحّد احتلال فلسطين والوجود الفعلي للمحتل على خليج العقبة من حركة القبائل في منطقة تبوك، وقد كانت تلك القبائل تنتقل باستمرار، وتعبر الحدود إلى شرق الأردن وفلسطين ومصر لأسباب اقتصادية، وبسبب الروابط الاجتماعية بين القبائل وفروعها في هذه الأقطار، وقد اقتصر هذا الحراك الاجتماعي على البر بين المنطقة وجنوبي الأردن فقط.

ونظراً لأن جزيرتي تيران وصنافر تسيطران على الملاحة في مضائق تيران فقد ازدادت أهميتهما الاستراتيجية بعد احتلال أم الرشراش، حيث يمكن استخدامهما للأغراض العسكرية وخاصة الدفاعية^(٢). وكانت المملكة العربية السعودية قد تخلت عن الجزيرتين مؤقتاً لمصر الشقيقة بناء على طلبها من أجل تضيق الخناق على إسرائيل، وذلك في ربيع الآخر ١٣٦٩هـ/فبراير ١٩٥٠م^(٣)، وهو الأمر الذي عرضهما للتهديد المباشر من قبل إسرائيل^(٤).

(١) ناصر عبد العزيز العرفج: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر، الرياض، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية، ندوة البحر الأحمر، ١٤٠٦هـ، ص ٤٩-٥٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٠-٥١.

(٣) عبد الله عبد المحسن السلطان: البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، الرياض، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية، ندوة البحر الأحمر، ١٤٠٦هـ، ص ٩٠.

(٤) صلاح مصطفى الدباغ: السيادة العربية على خليج العقبة ومضيق تيران، دراسة قانونية، ص ٢١.

وكان الملك عبد العزيز قد أمر شيوخ القبائل في منطقة تبوك وغيرها بالتطوع للجهاد ضد قوات الاحتلال الصهيوني، وحدد الجوف مكاناً لتجمع المتطوعين، غير أن السلطات البريطانية في شرق الأردن عارضت ذلك؛ لأنه يضر بمصالحها في فلسطين، وهو الأمر الذي دفع المجاهدين إلى الانتقال من خلال ميناء السويس المصري عبر موانئ ساحل منطقة تبوك^(١). كما أن بعض المتطوعين المجاهدين انتقلوا من مناطق مختلفة من السعودية إلى فلسطين عبر منطقة تبوك فشرق الأردن في رجب ١٣٦٧هـ/مايو ١٩٤٨م. وعندما احتجت السلطات البريطانية على هذه التحركات التي كانت فردية في كل الأحوال، كان رد وزير الخارجية الأمير فيصل بن عبد العزيز بأنه وقف العدوان اليهودي، وبذلك تزيل المبرر الذي يدفع هذه التشكيلات غير العسكرية إلى الجهاد ضد عدو مغتصب^(٢).

وكانت بعض المصادر قد أشارت إلى انتقال عدد من أفراد بعض قبائل منطقة تبوك عبر شرق الأردن إلى فلسطين للجهاد ضد القوات البريطانية والعصابات الصهيونية في فترة مبكرة من الصراع العربي ضد الاحتلال البريطاني لفلسطين^(٣).

وقد زادت الأهمية العسكرية لمنطقة تبوك، وذلك بعد إعلان قرار هيئة الأمم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين بتأييد غالبية الدول الأجنبية ومعارضة الدول العربية في ١٧ محرم ١٣٦٧هـ/٢٦ نوفمبر ١٩٤٧م، أن المنطقة هي المنطقة السعودية الأقرب إلى فلسطين حيث يكمن الخطر الصهيوني^(٤).

وأصبحت منطقة تبوك بعد قرار التقسيم معبراً للمتطوعين للجهاد في فلسطين من أنحاء المملكة العربية السعودية، إضافة إلى المتطوعين من المنطقة نفسها. وكانت قد شكلت لجان رسمية في مختلف أنحاء المملكة لدعم أهالي فلسطين مالياً^(٥)، كما أن الملك عبد العزيز

(١) أحمد عبد الغفور عطار: ابن سعود وقضية فلسطين، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، ص ١٧٥-١٧٦.

(٣) خالد عبد الرحمن الجريسي: من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود، ج ١، ص ٨١-٨٣.

(٤) عبد الحميد الخطيب: الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ج ١، ص ٤٩٢.

(٥) عبد الحميد الخطيب: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٣-٤٩٤.

أعلن في ٦ رجب ١٣٦٧هـ / ١٤ مايو ١٩٤٨م تأييده لجميع القرارات المتعلقة بالدفاع عن فلسطين، وقرر مشاركة العرب في الدفاع عنها عسكرياً^(١). وكان ملك الأردن عبد الله بن الحسين قد رحب بعبور القوات السعودية عبر أراضيه إلى فلسطين^(٢).

ونجم عن احتلال فلسطين زيادة الاهتمام بالمواقع الساحلية لمنطقة تبوك، وقد شكل ميناء رأس الشيخ حميد على خليج العقبة مركزاً استراتيجياً مهماً للمراقبة والسيطرة، واستخدم مرفأً حقل بعد أحداث حرب ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م مرفأً لزوارق خفر السواحل، كما استخدم لهذه الغاية مرسى مقنا الذي كانت ترتاده قوارب الصيد أيضاً^(٣)، ويذكر هنا أن الحركة الصهيونية لم تخف أطماعها التوسعية التي شملت معظم أنحاء المشرق العربي الإسلامي بما فيها منطقة تبوك، وقد تنبه الملك عبد العزيز لهذا الأمر، وتعامل معه بجديّة وحزم وتيقظ، حيث أكد في اجتماع له مع المسؤولين البريطانيين عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م أنه سيقف بحزم أمام أي أطماع للصهيانية في المنطقة، وأنه لن يسمح أبداً باختراق حدود بلاده الشمالية الغربية^(٤). وكان الملك عبد العزيز في هذا الموقف الصارم إنما يدرك مخططات اليهود ومراميها، ولا يريد أن يتكرر ما قام به يهود ألما في القرن الثالث عشر الهجري أو آخر القرن التاسع عشر الميلادي، حيث انتقلوا إلى جهات المويلح والقرى المحيطة بها تحت أنظار السلطات البريطانية في مصر، مما دفع السلطات العثمانية إلى نقل إدارة المنطقة الساحلية إلى إمارة مكة المكرمة^(٥).

وكان الملك عبد العزيز قد صرح في مقابلة مع الوزير المفوض الأمريكي في جدة :
ريفر تشايلدز R.Childs جرت بتاريخ ١٠ ربيع الآخر ١٣٦٧هـ / ٢١ فبراير ١٩٤٨م،

(١) عبد الحميد الخطيب: الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ج ١، ص ٤٩٧.

(٢) الملك عبد العزيز آل سعود في الوثائق الأجنبية، مج ١٤، ص ٤١٩.

(٣) فهد بن سعود بن عبد الله بن سعود : الأهمية الاستراتيجية لخليج العقبة ، ص ٨٢ - ٨٥.

(٤) المصدر السابق، مج ٧، ص ٤٨٥ ؛ إليكسي فاسيليف: تاريخ العربية السعودية، ص ٤٦١ - ٤٦٢.

(٥) صالح العمرو: النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية ١٨٨٤ -

١٩٠٦م، الدارة، ع ١٤، س ٥، ربيع الثاني ١٣٩٩هـ / مارس ١٩٧٩م، ص ١٩٦.

بأن العرب إنما يدافعون عن أنفسهم ضد اليهود الذين ينوون احتلال الدول المجاورة، حيث صرحوا بأنهم يريدون احتلال المدينة المنورة وتبوك وسورية^(١).

وقد أدرك الملك عبد العزيز في ظل الظروف القائمة ضرورة دعم نفوذ الدولة في منطقة تبوك، ولم تقتصر تلك الظروف على إقامة الكيان الصهيوني وحسب، وإنما كانت هناك أخطار أخرى تتمثل في أمير شرق الأردن الذي سعى في بداية عهده إلى إلحاق العقبة ومعان بإمارته، وتمكن من ذلك بفضل مساعدة بريطانيا التي عملت على خلق وضع مضطرب في منطقة الشرق الأوسط تأميناً لمصالحها الاستعمارية. ثم سعى الأمير بشكل حثيث إلى تحقيق مشروع سورية الكبرى الذي تبناه بقوة، وهو المشروع الذي عارضه الملك خشية إقامة دولة كبرى على حدوده الشمالية على رأسها ملك هاشمي^(٢). ومن مظاهر دعم نفوذ الدولة في المنطقة تحصينها، وخاصة تحصين المنطقة الساحلية حيث تم تزويد المراكز العسكرية بعدد وافر من الجنود، وكذلك العتاد العسكري، كما تم تكليف دوريات عسكرية بمراقبة السواحل تحسباً لأي طارئ، والتواصل مع القيادة السياسية في حالة حدوث ما يوجب ذلك^(٣)، كما أن بعض المصادر أشارت إلى إمكانية الإفادة

(١) الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، مج ١٤، ص ٩٣-٩٤.

(٢) علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر، عهد الإمارة (١٩٢١-١٩٤٦م)، ص ١٢١؛ محمد سيف الدين العجلوني: معركة الحرية في شرقي الأردن، ص ٤٥٥، ٥٩٧؛ سليمان موسى: إمارة شرقي الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن ١٩٢١-١٩٤٦م، ص ٣١٢.

(٣) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، وثائق الوجه، وثيقة بلا رقم، تاريخ ٢٥ صفر ١٣٦١هـ/

١٤ مارس ١٩٤٢م، (تعميم من مصلحة خفر السواحل والموانئ إلى: مأمور مرفأ ضباء).

من سكة الحديد الموجودة في منطقة تبوك درءاً للأخطار الخارجية^(١).

ونظراً لقرب سواحل منطقة تبوك من السواحل المصرية على الساحل الغربي للبحر الأحمر؛ فقد استخدمت الموانئ الموجودة على سواحلها لنقل قطعات من الجيش السعودي للاشتراك مع القوات المصرية في حرب عام ١٩٤٨م ضد إسرائيل، ويذكر هنا أن أولى طلائع الجيش السعودي سافرت إلى فلسطين عبر ميناء جدة ثم إلى القاهرة في ٤ رجب ١٣٦٧هـ/ ١٢ مايو ١٩٤٨م، وانتقلت بعض الطلائع عبر ميناء جدة إلى السويس ثم إلى العريش ثم إلى غزة بالقطار، بينما انتقلت قطعات أخرى إلى السويس عبر ينبع^(٢).

وهكذا ظلت الأهمية العسكرية لمنطقة تبوك تتنامى بمرور الزمن، ومع تصاعد الأخطار، وخاصة الأخطار الأجنبية ممثلة بالقوى البريطانية والصهيونية، ولذلك تم اتخاذ قرار بأن تكون مدينة تبوك المدينة العسكرية الأولى في شمال غرب المملكة العربية السعودية، بعد اتخاذها عاصمة إدارية للمنطقة^(٣)، وقد تركزت فيها قوة من الجيش السعودي مع بداية الحرب العالمية الثانية لحماية حدود المملكة الشمالية الغربية^(٤)، تلك الحرب التي سعت خلالها بريطانيا إلى التحالف مع الملك عبد العزيز للإفادة من مزايا منطقة تبوك العسكرية حيث يمكن استخدامها طرقها للمرور من فلسطين إلى الكويت، كما يمكن استخدامها

(١) الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، مج ٧، ص ٤٧٨-٤٨٥.

(٢) محمد بن ناصر الياسر الأسمرى: الجيش السعودي في حرب فلسطين ١٩٤٨م، الرياض، ١٤٢٣هـ /

٢٠٠٢م، ص ٦٠، ٢٢١، ٢٤٠-٢٤١.

(٣) خالد سعيد الدريس: دراسة إقليمية لمنطقة تبوك، الدارة، س ٥، ع ٤، رجب ١٤٠٠هـ/يونيو ١٩٨٠م،

ص ٢٥٠-٢٥٢.

(٤) المصدر السابق: مج ٢٠، ص ٢٨٠.

مهبط الطائرات فيها، والمناورة في بعض جهاتها^(١)، غير أن الملك عبد العزيز لم يحقق لبريطانيا هذا المسعى الذي عبرت عنه وزارة الحرب البريطانية عبر مسؤوليها إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٤ ذو الحجة ١٣٦٠هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٩٤١م، حيث أصر على موقفه المحايد في تلك الحرب^(٢).

وأصبحت منطقة تبوك منذ الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م هي الأهم عسكرياً في شمال غرب المملكة، ومنها كانت تتابع تحركات الجيش السعودي في الأراضي الفلسطينية، وذلك عبر محطة للاسلكي أقيمت في الوجه^(٣). كما أن قوة عسكرية من الجيش السعودي كانت موجودة في قلعة ضباء انضمت إلى الجيوش العربية في الحرب العربية الإسرائيلية المذكورة، وذلك بأمر من الملك عبد العزيز^(٤)، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الأهمية العسكرية للمنطقة، تلك الأهمية التي واكبها منذ البداية اهتمام المسؤولين السعوديين، فجعلوها منها قاعدة متقدمة من قواعد الجيش السعودي.

(١) الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية ، ج٧، ص ٦٧، ٧٣-٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص ١٠٧-١٠٨.

(٣) خطاب من مدير هاتف وبريد و برق الوجه السيد عبد الرحيم إسماعيل سنيور إلى الباحث بتاريخ ١٤ صفر ١٤٣١هـ.

(٤) حسن أمين العلي: دراسات وحقائق عن شمال غرب المملكة العربية السعودية، ص ٢٦٤.

الفصل الثالث

التنظيم الإداري في منطقة تبوك

- أ- الإمارة.
- ب- الأمن.
- ج- المحاكم الشرعية.
- د- البرق والبريد.
- هـ- الجمارك.
- و- البلديات .

الإمارة

مرت الجزيرة العربية منذ انتقال مركز الحكم أو العاصمة منها في عهد الأمويين ومن جاء بعدهم بكثير من التغيرات والتقلبات، ممثلة في أوضاعها الإدارية وغيرها، وافتقدت في معظم الفترات التاريخية المتعاقبة إلى الاستقرار والاستمرار للسلطة المركزية، وتخطت في أكثر تلك الفترات، حيث كانت الإدارة فيها تسير على غير هدى^(١). وقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومناصرة الإمام محمد بن سعود له في أواسط القرن الثاني عشر للهجرة الثامن عشر الميلادي أهم حدث في شبه الجزيرة العربية، وذلك منذ زمن الخلافة الراشدة، حيث أدى هذا الحدث إلى إعادة تحقيق الوحدة والاستقرار السياسي لمعظم أنحاءها تحت سلطة سياسية مركزية، وهي تلك التي عرفت باسم: الدولة السعودية الأولى، وعلى الرغم من عدم صمود تلك الدولة، وكذلك الدولة السعودية الثانية لأسباب خارجية وداخلية، إلا أن ظهور الدولتين هياً علاقات الاستقرار بين الفئات والأقاليم المختلفة داخل شبه الجزيرة العربية، وأثرت الأوضاع والتطورات السياسية التي مرت بها الدولتان تأثيراً ملحوظاً على أسلوبهما في تنظيم شؤونهما الإدارية، وأدى انشغالهما بتحقيق الاستقرار السياسي إلى تفويض كثير من الصلاحيات للوحدات السياسية الداخلية، وهو الأمر الذي أسهم بمرور الزمن في تعزيز النزعة الانفصالية للأقاليم. الأمر الذي نجم عنه ظهور إمارات عديدة، وكيانات متفرقة، تسعى كل منها إلى خدمة مصالحها الذاتية. وكانت الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز آل سعود: إمارات عديدة موزعة، وفي داخل هذه الإمارات أو الكيانات لم يتمكن الجنود العثمانيون من السيطرة على الأوضاع بشكل عام، وخاصة في الصحاري والبادي حيث كان السلطان للقبائل المتنقلة^(٢).

وكانت الحاميات العسكرية العثمانية في أنحاء شبه الجزيرة العربية - التي خضعت للحكم العثماني باستثناء الحجاز - عبارة عن مراكز أمنية همها الأكبر هو جمع الضرائب، وضمان الواردات اللازمة للإنفاق على الجند والموظفين الإداريين، وقد فشلت الإدارة العثمانية في أواخر عهدها في القيام بأي مشروعات عامة، وركزت بدلاً من ذلك على جمع الضرائب

(١) عبد الفتاح حسن أبو عليه : دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديثة والمعاصرة، ص ١١-١٣.

(٢) عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري: لسراة الليل هتف الصباح، بيروت، دار رياض الريس للنشر،

مما أدى إلى انتشار الفوضى، وانعدام الأمن^(١)، وبالتالي فإنه يمكن القول إن الإدارة العثمانية لم يكن لها وجود فاعل في أي من أقاليم شبه الجزيرة العربية باستثناء الحجاز.

لقد كان الأثر العثماني في إقليم الحجاز بما في ذلك منطقة تبوك عميقاً وشاملاً لمختلف مجالات الحياة، وخاصة مجالات التنظيم الإداري. ويعزى هذا الاهتمام الإداري بالحجاز إلى أهميتها الدينية، وموقعها الجغرافي والتجاري. غير أن هذا الاهتمام كان يقتصر على المدن فقط، أما القرى وغيرها من تجمعات سكانية فكان نصيبها الإهمال، وقد أوجد ذلك مناخاً للاضطرابات الداخلية وأطماعاً للقوى الأجنبية، وأصبح المجال مفتوحاً للهيمنة القبلية على البوادي في منطقة تبوك وغيرها، وهو الأمر الذي كرس أسباب الانهيار السياسي والأمني والإداري والاجتماعي في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية^(٢).

تغيرت أوضاع شبه الجزيرة العربية بعد تمكن الملك عبد العزيز من ضم معظم أنحائها إلى حكمه بدءاً باستعادة الرياض في ٥ شوال ١٣١٩هـ/ ١٥ يناير ١٩٠٢م، حيث أعلن أن هذا الحكم سيستند على تطبيق الشريعة الإسلامية نصاً وروحاً انطلاقاً من الكتاب والسنة، وبذلك حدد هوية الدولة السعودية الثالثة وثوابتها، وأضاء سبل التعامل مع الآخرين، وجعلها متوافقة الدولية والتطورات الداخلية. غير أن الملك انصرف في البداية إلى متطلبات التأسيس، تاركاً توحيد التنظيمات الإدارية في المملكة إلى وقت لاحق، ولذلك احتفظت الأقاليم بأنظمتها الإدارية، واستند الملك في عملية إدارتها إلى أسلوب التنظيم غير المركزي بعيداً عن التدخل في شؤون الإدارة المحلية^(٣).

وهكذا حافظت منطقة تبوك، باعتبارها جزءاً من إقليم الحجاز على النظام الإداري الذي كان معمولاً به في عهد الدولة العثمانية، ومن ثم عهد الأشراف، وكان دور الملك عبد العزيز

(١) عبد الفتاح حسن أبو عليه: الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، دار المريخ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٦٩، ٧٣.

(٢) إبراهيم فوزان الفوزان: إقليم الحجاز وعوامل قضاة الحديث، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٥٧-٥٨، ٦٣.

(٣) إبراهيم محمد العواجي: الإبداع في مجال الإدارة المحلية (المفاهيم والتطبيق)، عمان، شركة الشرق الأوسط للطباعة، ١٩٨٦م، ص ١٠٢.

يقتصر على تعيين الحاكم المحلي، وإعطائه التعليمات الأساسية والتوجيهات الضرورية المناسبة، وبذلك شملت صلاحيات الحاكم جميع الأمور المحلية إدارياً ومالياً وقضائياً وأمنياً. أما المسائل العسكرية والشؤون الخارجية فقد ظلت محصورة بيد الملك^(١).

وقد أوكل الملك عبد العزيز مقاليد الأمور الإدارية في الحجاز لنجله فيصل، وخوله جميع الأمور الداخلية، وتعامل الملك مع هذا الإقليم الذي كانت منطقة تبوك جزءاً منه بترتيب خاص^(٢).

وقام الملك عبد العزيز بعدة إجراءات تنظيمية وإدارية مستفيدة من الإرث الإداري العثماني والشريفي ومضيفاً عليه. وقد بنى استراتيجيته في هذا المجال على أمرين، يتركز أولهما في تبني أسلوب المشاركة في الإدارة من خلال آليات التعيين والانتخاب، ويعتمد الثاني وضع هياكل وتنظيمات إدارية تتماشى مع المستجدات السياسية، ولكن ضمن إطار عام محدد^(٣). وقد شملت تلك التنظيمات الإدارية: مجالس أهلية، وتعليمات مؤقتة وأساسية، ونيابة عامة، ومجلس شورى، ومجلس وكلاء^(٤).

ولذا أصدر الملك عبد العزيز بعد إعلان توحيد المملكة تعليماته بالاستمرار في العمل بالتنظيم الإداري السائد قبل توحيد البلاد إلى حين صدور تعليمات جديدة، وكلف الملك في الوقت نفسه كلاً من مجلس الشورى والوكلاء بدراسة الوضع الإداري والتنظيمي القائم،

(١) محمد توفيق صادق: تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية، الرياض، معهد الإدارة العامة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص ٢٣.

(٢) عبد الله العلي الزامل: أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، بيروت، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، ١٩٦٠م، ص ٢٠٧.

(٣) إبراهيم بن عويص العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ١١٨.

(٤) إبراهيم محمد العواجي: الإبداع في مجال الإدارة الإقليمية، ص ١٢٢؛ إبراهيم بن عويص العتيبي: المرجع السابق، ص ١٢٣-١٢٤.

وتقديم مقترحات بوضع تشكيلات إدارية جديدة تواكب زيادة نشاطات الحكومة وواجباتها التي أخذت تتسع باستمرار^(١).

وفيما يتعلق بالتنظيم الإداري في منطقة تبوك لا بد من الإشارة إلى أن هذه المنطقة قبل العهد السعودي قد شهدت نوعاً من التنظيم الإداري في أواخر العهد العثماني، وخاصة بعد مدّ سكة حديد الحجاز، ذلك أن الدولة العثمانية عملت على إحكام سيطرتها على شبه الجزيرة العربية، وعززت وجودها في ساحل منطقة تبوك منذ افتتاح قناة السويس^(٢). وقد دفعها إلى ذلك وجود طرق القوافل، وخاصة قوافل الحج الشامي والمصري في المنطقة، وفي الوقت نفسه وجود الخطر البريطاني في شمال البحر الأحمر، وظهور الخطر الصهيوني قرب ساحل المنطقة. فقد أنشأت الدولة العثمانية أيضاً القلاع العسكرية حول جنابات طرق القوافل وشحنتها بالرجال والأسلحة^(٣).

وكان ساحل منطقة تبوك - كما أشار البحث سابقاً - يمثل الإدارة العثمانية في مصر^(٤)، أما الأجزاء الداخلية فكانت تتبع إدارياً قضاء معان^(٥).

وبعد انتقال الحج المصري من البر إلى البحر أنشئ في الوجه محجر صحي للحد من انتشار

(١) عبد الله بن راشد السنيدي: مراحل تطور تنظيم الإدارة الحكومية في المملكة العربية السعودية ولحات من إنجازاتها، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ط ٣، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ٦٦.

(٢) نبيل عبد الحى رضوان: الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/١٨٦٩-١٩٠٨م، ص ٢٣، ٧٢-٧٤.

(٣) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٥٦-٥٧.

(٤) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين الشريفين، مج ١، ص ٥٧.

(٥) محمد سالم الطراونة ومحمد عدنان البخيت: منطقة البلقاء والكرك ومعان (١٢٨١-١٣٣٧هـ/١٨٦٤-١٩١٨م)، ص ١٦؛ مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ٧٧.

الأمراض المعدية^(١)، وسارعت السلطات العثمانية إلى ضم منطقة تبوك لسلطتها المباشرة بدلاً من ولاية مصر التي أصبحت تحت الاحتلال البريطاني^(٢).

وأصبحت كل من المويلح وضباء والوجه وأملج وغيرها من القرى الواقعة على طول ساحل البحر الأحمر في أواخر العهد العثماني تابعة لمحافظة المدينة المنورة، كما أصبحت الوجه قضاء فيه قائمقام، وتتبعه ناحيتا ضباء والمويلح وقراها. أما أملج فأصبحت ناحية تتبع قضاء ينبع البحر^(٣).

والجدير بالذكر أن التنظيم الإداري للدولة العثمانية كان يقوم على أساس تقسيم البلاد إلى ولايات، والولايات إلى ألوية، والألوية إلى أقضية، والأقضية إلى نواح. وكان في كل قضاء قائمقام، وفي كل ناحية مدير ناحية^(٤).

وكانت القلاع العسكرية في ساحل منطقة تبوك ذات نظام عسكري محدد، فناظر القلعة هو الرئيس الأعلى للشؤون العسكرية، يساعده رئيس الجنود، ورئيس المدفعية. أما الجنود فكانوا فئتين: العسكر، وهم الجنود النظاميون، والباشبوزق، وهم الجنود غير النظاميين^(٥).

وكان يوجد في قرى ساحل منطقة تبوك في أواخر العهد العثماني قائم قام ومجلس إدارة مكون من خمسة أشخاص، كما كان يوجد قاض^(٦).

واستمر التنظيم الإداري لمنطقة تبوك في العهد الشريفى على سابقه في العهد العثماني

(١) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٧.

(٢) صالح العمرو: النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخّل الحكومة البريطانية ١٨٨٤ -

١٩٠٦م، الدارة، ع ١، س ٥، ربيع الثاني ١٣٩٩هـ/ مارس ١٩٧٩م، ص ٢١٠-٢١١.

(٣) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٩٤.

(٤) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٥) هشام محمد عجيمي: قلاع الأزخم والوجه وضباء، ص ٢١٤.

(٦) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ١٠٨.

باستثناء قرى ساحل المنطقة، حيث أصبحت تتبع سياسياً وإدارياً السلطة الجديدة في مكة المكرمة^(١).

ودخلت منطقة تبوك العهد السعودي منذ عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م، حيث تمكن الملك عبد العزيز من ضم تيماء في ذلك العام^(٢). وسيتناول هذا الفصل التنظيم الإداري وتطوره التاريخي في هذا العهد من خلال ستة مباحث ، هي: الإمارة، والأمن، والمحاكم الشرعية، والبرق والبريد، والجمارك ، والبلديات.

مرت الإمارة في منطقة تبوك خلال عهد الملك عبد العزيز بمرحلتين، وهما مرحلة التأسيس (١٣٤٤ - ١٣٥٠هـ / ١٩٢٦ - ١٩٣١م)، ومرحلة الاستقرار (١٣٥١ - ١٣٧٣هـ / ١٩٣٢ - ١٩٥٣م).

وكان لكل مدينة من مدن المنطقة مثل تيماء وتبوك وأملج والوجه وضباء والمويلح وحقل خلال المرحلة الأولى إمارة مستقلة عن إمارات المدن الأخرى، وذلك من حيث المرجعية الإدارية، أما في المرحلة الثانية فقد تم اختيار مدينة تبوك لتكون عاصمة للمنطقة كلها. وسيعرض هذا المبحث فيما يلي تفاصيل كل من المرحلتين، بما في ذلك أمراء المنطقة خلالهما.

^(١) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي ، ص ١٠٧.

^(٢) مختصر الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، إعداد وتنفيذ دارة الملك عبد العزيز، الرياض، دارة الملك

الإمارة في المرحلة الأولى (مرحلة التأسيس)

أصبحت تيماء بعد ضمها إلى الحكم السعودي إمارة تتبع جبل شمر وعاصمته الإدارية مدينة حائل^(١)، وكان أميرها عبد الكريم بن رمان^(٢)، وكانت تجاورها إمارة قبلية، هي إمارة قبائل عترة^(٣). وكانت تيماء في عهد الدولة السعودية الأولى (١١٥٧-١٢٣٣هـ/١٧٤٤-١٨١٨م)، قد تبعت إدارياً مدينة حائل^(٤)، وظلت كذلك في أعقاب استقلال إمارة حائل عن الحكم السعودي^(٥)، وما إن استقل أمير تيماء عبد الكريم بن رمان عن إمارة آل رشيد في حائل بعد قتله نائب ابن رشيد: ناصر عتيق، حتى استولى على تيماء سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، وبني فيها قصراً قرب بئر هداج، إلى الغرب منه^(٦). وتبعت تيماء في آخر العهد العثماني لتبوك، وانتقلت تبعيتها في العهد الهاشمي إلى الحجاز، حيث أصبحت تدار إدارياً من مكة المكرمة. وعندما ضم الملك عبد العزيز تيماء أقر عبد الكريم بن رمان على إمارته^(٧). وقد اتخذ ابن رمان من القصر الذي بناه مقراً للإمارة، وأوجد بالقرب منه في القصر

(١) ك. س. تويتشل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، مساهمة إدوارد. ج. ، ترجمة

شكيب الأموي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٥م، ص١٤٢-١٤٣.

(٢) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص١٥٩.

(٣) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص١٦٨، ٥٧٤؛ نايف علي

الشراري: محافظة القريات دراسة إقليمية، القريات، المؤلف نفسه، ١٤٢٢هـ، ص٧٣.

(٤) محمد بن حمد التيمائي: تيماء، ص١٠٣.

(٥) عبد الله صالح العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص٢١١.

(٦) هاري سانت جون فيلي: المصدر السابق، ص١٥٩-١٦١.

(٧) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص٦٥-٦٦.

عدداً من الجنود لحماية البلدة من أي عدوان خارجي ولضبط الأمن في الداخل^(١). وكان في البلدة أيضاً قاض كاتب كان يعلم في مسجد البلدة^(٢).

ومما لا شك فيه أنه لم تكد تمر أربع سنوات على انضمام تيماء إلى الحكم السعودي حتى ضمت أيضاً لهذا الحكم كل من أملج في أواخر صفر ١٣٤٤هـ/سبتمبر ١٩٢٥م، ثم ضباء في أوائل ربيع الأول ١٣٤٤هـ/سبتمبر ١٩٢٥م^(٣)، ثم الوجه في جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/ديسمبر ١٩٢٥م، وبعد ذلك تم استكمال ضم منطقة تبوك الداخلية والساحلية^(٤).

وتعد منطقة تبوك من الناحية الإدارية إحدى مناطق الحجاز الشمالية، ويشير إلى أنها أصبحت تتأثر سياسياً واجتماعياً وإدارياً بالأحداث السياسية التي أصبحت تتأثر بها الحجاز بعد انضمامها للملك عبد العزيز، والذي بويع ملكاً على الحجاز في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/١٠ يناير ١٩٢٦م^(٥).

وقد أمر الملك عبد العزيز بعد مبايعته ملكاً على الحجاز بتشكيل هيئة تأسيسية تضم مندوبين من سائر مدن الحجاز ومنطقة تبوك، وأسند إلى هذه الهيئة مهمة وضع التشكيلات الحكومية، وصياغة التعليمات التي تمكن الجهاز الإداري من أداء واجبه. ونظراً لأهمية الحجاز ومنطقة تبوك من ناحية، وكثرة مشاغل الملك في تلك الفترة، عين ابنه الأمير فيصل نائباً عنه، ومسؤولاً عن الشؤون التنظيمية وأعمال الحكومة في الحجاز ومنطقة تبوك^(٦).

ولذا ظلت تيماء تتبع إدارياً إمارة جبل ثمر إلى أن وقعت الاضطرابات السياسية

(١) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ١٥٥، ١٦٢-١٦٤.

(٢) محمد بن حمد التيمائي: تيماء، ص ١٥٧.

(٣) مقبل بن عبد العزيز الذكير: تاريخ الذكير، ص ١٢٢.

(٤) جريدة أم القرى، س ٢، ع ٥٢، ١١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ/٢٧ ديسمبر ١٩٢٥م؛

عبد الرحمن بن سبيت السبيت وآخرون: رجال وذكريات مع عبد العزيز، ص ٢٥٣-٢٥٦.

(٥) خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك بن عبد العزيز، ص ٨٨.

(٦) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٢١-١٢٢.

المرافقة لحركة حامد بن سالم بن رفادة، وحينئذ دفعت الأوضاع السياسية إلى جعل تيماء تابعة لمفتشية الحدود الشمالية الغربية، والتي أطلق عليها فيما بعد: إمارة الجوف والقريات بعد دمجهما معاً عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م. وكانت القريات هي العاصمة الإدارية لهذه الإمارة^(١)، والتي كان يطلق عليها أحياناً وادي السرحان، وقد تم فصل هذه الإمارة عن جبل ثمر وألحقت إدارياً بالحجاز^(٢)، وذلك بعد أن تبين للملك عبد العزيز أن أمير شرق الأردن كان يسعى إلى الاتصال بأمير تيماء وتخريضه ضد الملك الذي كان بدوره حريصاً على كسب أمير تيماء إلى جانبه، ويرفض في الوقت نفسه توجيه حملة تأديبية ضده، وذلك جرياً على عادته في كسب الناس بالود ما أمكن. وقد أثرت هذه السياسية حيث قدم أمير تيماء لمقابلة الملك في مكة، وما كان من الملك إلا أن أمنه وأجرى له ولأولاده راتباً من الدولة^(٣).

وهكذا استقطب الملك عبد العزيز أمير تيماء عبد الكريم بن رمان في الوقت ذاته الذي كان يسعى أمير شرق الأردن إلى إحداث اضطراب سياسي في تيماء، ومنطقة تبوك عامة. وبعد اغتيال أمير تيماء على يد أحد أقاربه في ذي الحجة ١٣٦٩هـ/أكتوبر ١٩٥٠م، أمر الملك عبد العزيز أمير تبوك خالد بن أحمد السديري بالتحرك إلى تيماء لضبط الأمن^(٤)، وقد أشرف السديري مؤقتاً على إمارة تيماء إلى أن تولى إمارتها عبد الله بن إبراهيم الشنيفي في الحرم ١٣٧٠هـ/أكتوبر ١٩٥٠م^(٥). وقد خاطب الشنيفي الملك عبد العزيز طالباً منه تعيين قاض، وتأسيس مركز للشرطة في تيماء، وأرسل صورة من طلبه إلى النائب العام في مكة المكرمة^(٦).

ويلاحظ أن أمراء المنطقة كانوا إدارياً يرتبطون مباشرة بالملك عبد العزيز ومن

(١) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٧٣.

(٢) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٧٤.

(٣) عبد الرحمن بن سبيت السبيت وآخرون: رجال وذكريات مع عبد العزيز، ج ٢، ص ٣٣-٣٦.

(٤) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ١٦٤-١٦٥.

(٥) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٤١٥؛ محمد بن حمد التيمائي: تيماء، ص ١٠٤.

(٦) إبراهيم بن عوض العتيبي: المرجع السابق، ص ١٧٥.

ثم نائبه في الحجاز الأمير فيصل. وقد ظل قصر ابن رمان في عهد أمير تيماء الجديد هو مقر الإمارة^(١).

أما تبوك، فقد قام الملك عبد العزيز بتعيين أول أمير لها، هو الأمير محمد بن عبد العزيز بن شهيل الذي شغل هذا المنصب خلال الفترة ١٣٤٤-١٣٤٩هـ / ١٩٢٦-١٩٣٠م، وكانت تبوك تتبع النائب العام في مكة^(٢)، وكان مقر الإمارة يقع شرق قلعة تبوك، وهو مبنى من الطين يتكون من طابقين أصبح فيما بعد مقرا للمالية، ثم أزيل^(٣)، وكانت مهمة الأمير وعساكره حماية الحدود أثناء المشكلات التي وقعت عبرها مع إمارة شرق الأردن^(٤).

وقد ارتبطت بإمارة تبوك الإمارات القبلية المجاورة لها، وهي قبائل بني عطية، وقبائل الحويطات^(٥).

وتولى إمارة تبوك بعد ابن شهيل: عبد الله بن سعد القنب (١٣٤٩-١٣٥٠هـ / ١٩٣٠-١٩٣١م)، وقد اشترك القنب عسكرياً أثناء مشكلات الحدود مع شرق الأردن^(٦). وتولى الإمارة بعد القنب: سليمان بن منيع في عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م، ولم يكمل العام، وتولى بعده: محمد الحميدي (١٣٥٠-١٣٥١هـ / ١٩٣١-١٩٣٢م)، وكانت مدته قصيرة، ثم تولى الإمارة عبد الله بن سعد بن عبد المحسن السديري (١٣٥١-١٣٥٤هـ /

(١) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٤١٥.

(٢) عبد الرحمن بن سبيت السبيت وآخرون: رجال وذكريات مع عبد العزيز، ج ٢، ص ٢٥٣-٢٥٥؛ معهد الإدارة العامة، الرياض، إمارة المناطق، ص ١٧-١٨.

(٣) لقاء مع أحمد بن عبد الله الغريص في منزله بتبوك بتاريخ ١٠ صفر ١٤٣١هـ؛ عبد الرحمن بن سبيت السبيت وآخرون: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٤) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، ص ١١٨؛ محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٤٠١-٤٠٣.

(٥) ك. س. تويتشل: المملكة العربية السعودية وتطوراتها الطبيعية، ص ١٤٤؛ فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٧٨.

(٦) معهد الإدارة العامة، الرياض، إمارات المناطق، ص ١٧-١٩؛ محمد عدنان البخيت وآخرون: المصدر السابق، القسم الأول، مج ١٠، ص ٤٠٥.

١٩٣٢-١٩٣٥م)، الذي اشترك في المباحثات مع الجانب الأردني أثناء مشكلات الحدود. وتعاقب على إمارة تبوك بعد السديري كل من:

- سعود بن هذلول (١٣٥٤-١٣٥٦هـ/١٩٣٥-١٩٣٧م).
- سليمان بن سلطان (١٣٥٦-١٣٦٠هـ/١٩٣٧-١٩٤١م).
- سليمان بن خرينيق (١٣٦٠-١٣٦٣هـ/١٩٤١-١٩٤٣م).
- عبد الرحمن بن محارب (١٣٦٣-١٣٦٦هـ/١٩٤٣-١٩٤٦م).
- خالد بن أحمد السديري (١٣٦٦-١٣٧٤هـ/١٩٤٦-١٩٥٤م)^(١).

وتم تأسيس إمارة أملج عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م^(٢)، وكانت تتبعها إمارة قبلية هي إمارة قبائل جهينة المجاورة^(٣). وقد اتخذت الإمارة من قلعة أملج الواقعة بالحلة الشمالية في البلدة القديمة مقراً لها، وذلك بعد إجراء الإصلاحات اللازمة للقلعة بناء على موافقة النائب العام على قرار مجلس الشورى، وذلك بتاريخ ٦ ذو القعدة ١٣٤٩هـ/٢٥ مارس ١٩٣١م^(٤).

وقد تولى إمارة أملج كل من: المحميد أو المحميدي* ثم ناصر العبيكان ثم فهد بن عبد العزيز الفهد الذي تولاها عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، وكان آخر أمراء أملج في عهد الملك عبد العزيز^(٥).

(١) ك. س. تويتشل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، ص ١٤٤؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن، ص ٢٥٦؛ معهد الإدارة العامة، الرياض، إمارات المناطق، ص ١٧-١٩.

(٢) أم القرى، س ٧، ع ٣٣٩، ٢٥ محرم ١٣٥٠هـ/١٢ يونيو ١٩٣١م.

(٣) ك. س. تويتشل: المصدر السابق، ص ١٤٤؛ فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٧٨.

(٤) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٨٦؛ معهد الإدارة العامة، الوثائق، وثيقة رقم ٥٥٩، قرار صادر عن مجلس الشورى.

* اسمه الأول ليس معروفاً.

(٥) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٥٢٥؛ سهيل سليمان الصبحي: أملج، ص ١٩.

أما إمارة الوجه التابعة للنائب العام في مكة المكرمة فكان يتبعها بعض قبائل بلي
كإمارة قبلية^(١)، ويقع مقر الإمارة في حي القرفاء في بلدة الوجه القديمة مجاوراً لقلعة السوق
المطلّة على الميناء وعلى سوق الوجه^(٢).

وقد تولى إمارة الوجه عند تأسيسها: إبراهيم بن سليمان الباشا بن رفادة إلى
أن قدم الأمير عبد العزيز الشقيحي الذي تولّاها خلال الفترة (١٣٤٤-١٣٤٥هـ /
١٩٢٥-١٩٢٦م)^(٣)،*.

ثم تولّاها محمد بن سلطان (١٣٤٥-١٣٤٧هـ / ١٩٢٦-١٩٢٨م)^(٤)،

ثم صالح الدخيل (١٣٤٨-١٣٥٢هـ / ١٩٣٠-١٩٣٣م)^(٥)،

ثم عبد الرحمن بن مبارك (١٣٥٢-١٣٥٣هـ / ١٩٣٣-١٩٣٤م)^(٦)،

ثم منصور الصالح الشقحا (١٣٥٣-١٣٥٥هـ / ١٩٣٤-١٩٤٦م)^(٧)،

^(١) ك. س. تويتشل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، ص ١٤٤ ؛ فؤاد حمزة: قلب جزيرة
العرب، ص ٧٨.

^(٢) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٧٩.

^(٣) محمد احمد الرويشي: الوجه، ص ١٢٧-١٢٨ ؛ لقاء مع الأستاذ إبراهيم خليل الشريف نقلاً عن العم بدوي
شحاته، وهو معمر بلغ من العمر حوالي مائة عام بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٤٣٠هـ.

* يذكر البعض أن من أمراء الوجه مصطفى بدوي. أحد تجار الوجه، وهذا ليس صحيحاً. انظر: حسن أمين
العلي: دراسات وحقائق عن شمال غرب المملكة العربية السعودية، ص ٢٨٨.

^(٤) من وثائق محمود بن علي أبو سالم: من تجار وأعيان الوجه إلى أعتاب عظمة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها
بتاريخ / ١٣٤٦هـ (اليوم والشهر غير واضحين)

^(٥) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٣، ص ٨٨٢ ؛ صوت الحجاز، ع ٦٣،
٤ ربيع الأول ١٣٥٢هـ / ٢٧ يوليو ١٩٣٣م.

^(٦) صوت الحجاز، ع ٦٣، ٤ ربيع الأول ١٣٥٢هـ / ٢٧ يوليو ١٩٣٣م.

^(٧) صوت الحجاز، ع ١٢٧، ٢٢ جمادى الثانية ١٣٥٣هـ / ١ أكتوبر ١٩٣٤م.

ثم علي بن ميسار (١٣٥٥-١٣٦٤هـ/١٩٣٦-١٩٤٥م)^(١)،

ثم أحمد اليحيا، ثم ناصر العبد الله السديري^(٢).

ومنذ تأسيس إمارة ضبا في العهد السعودي، وهي كانت تابعة للنائب العام في مكة المكرمة، وكانت تتبعها أيضاً إمارة قبلية هي قبائل الحويطات^(٣)، وكذلك حقل والمويلح والخريبة^(٤)، وقيل ومقنا والبدع التي كانت وفقاً للتنظيم الإداري في أواخر العهد العثماني وفي العهد الهاشمي تتبع محافظة العقبة^(٥). وتتبع إمارة ضبا كذلك قبائل بني عطية، وبعض قبائل جهينة^(٦). وقد اتخذت الإمارة من قلعة الملك عبد العزيز مقراً لها^(٧).

وقد تعاقب على إمارة ضباء كل من:

- أحمد أبو طقيقة (١٣٤٤-١٣٤٦هـ/١٩٢٥-١٩٢٧م).
- عبد العزيز الشقيحي (١٣٤٧-١٣٤٨هـ/١٩٢٨-١٩٢٩م).
- محمد الحيزان (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م).
- مسعود المبروك (١٣٤٩-١٣٥٠هـ/١٩٣٠-١٩٣١م).
- عبد الرحمن المبارك (١٣٥٠-١٣٥٢هـ/١٩٣١-١٩٣٣م)^(٨).

(١) محمد احمد الرويثي: الوجه، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٥١١؛ محمد احمد الرويثي: المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣) ك. س. تويتشل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، ص ١٤٤؛ فؤاد حمزة: قلب جزيرة

العرب، ص ٧٨.

(٤) فؤاد حمزة: المصدر السابق، ص ٧٨.

(٥) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٠٤.

(٦) حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ق ٢، ص ٥٤١، ٦٣٠.

(٧) موسى مصطفى العبيدان: مدينة ضباء بين الماضي والحاضر، ص ٥٦-٥٧.

(٨) أمل علي عايد البلادي: النشاط الإقتصادي لميناء ضباء وأثره في الحياة الاجتماعية من خلال الوثائق المحلية

١٣٤٣-١٣٧٣هـ، ص ٤١.

- محمد بن عبد العزيز الماضي (١٣٥٢-١٣٥٤هـ/١٩٣٣-١٩٣٥م).
- عبد العزيز بن عبد العزيز الماضي (١٣٥٤-١٣٥٦هـ/١٩٣٥-١٩٣٧م).
- مشاري بن عبد العزيز الماضي (١٣٥٦-١٣٥٩هـ/١٩٣٧-١٩٣٩م).
- محمد بن محمد السديري (١٣٦٠-١٣٦٢هـ/١٩٤١-١٩٤٣م).
- ناصر الدوخي (١٣٦٣-١٣٦٥هـ/١٩٤٣-١٩٤٥م).
- محمد بن إبراهيم بن نفيسه (١٣٦٦-١٣٧٣هـ/١٩٤٦-١٩٥٣م)^(١).

والجدير بالذكر هنا أن المويلح التابعة لإمارة ضبا^(٢) كانت - وفقاً للمراسلات الرسمية بين أمير ضباء ومديرها- بذاتها ناحية، وكان مديرها هو السيد أحمد بن عبد الرحيم الوكيل، ثم حولت ناحية المويلح إلى مركز يتبع إمارة ضباء التابعة للأمير المقاطعة الشمالية وعاصمتها تبوك. وقد عين مديراً لمركز المويلح بعد أحمد بن عبد الرحيم الوكيل: عبد المطلب بن عبد الرحيم الوكيل، ثم عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم الوكيل الذي عُين بموجب خطاب أمير ضباء المؤرخ في ١٦ ذي الحجة ١٣٦٨هـ/ ٩ أكتوبر ١٩٤٩م^(٣).

وكان مدير مركز المويلح يزاول عمله الإداري في قلعة المويلح، حتى آخر عهد الملك عبد العزيز، حيث تم إخلاء القلعة^(٤). واتخذ بعد ذلك مقراً لمدير المركز: بيت يقع أمام القلعة^(٥).

وأما حقل فقد أصبحت إمارة تتبع إمارة ضباء التابعة للنائب العام في الحجاز مثل غيرها من إمارات منطقة تبوك^(٦). وأول أمير لحقل هو عبد العزيز بن هشال الخريصي،

(١) أمل علي عايد البلادي: النشاط الاقتصادي لميناء ضباء وأثره في الحياة الاجتماعية من خلال الوثائق المحلية ١٣٤٣-١٣٧٣هـ، ص ٤١.

(٢) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٧٨.

(٣) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويلحي من المويلح بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل المويلحي، الوثائق ذات الأرقام: ١، ٩، ١٦، ٦١؛ محمود بن ضاوي القشامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ٣٦٤.

(٤) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ٤٩٩؛ لقاء مع الأستاذ علي عبد الرحيم الوكيل بمقره بتاريخ ٢٣ شوال ١٤٣٠هـ.

(٥) لقاء مع الأستاذ علي عبد الرحيم الوكيل بمقره بتاريخ ٢٣ شوال ١٤٣٠هـ.

(٦) فؤاد حمزة: المصدر السابق، ص ٧٨.

ثم ابن جبير ثم السماحي ثم عبد العزيز النصر ثم ابن حمدان^(١).

ثم و انتقلت بعدها إدارة حقن؁ وكذلك مركز علقان وذات الحاج وحالة عمار إلى مفتشية الحدود الشمالية الغربية ومركزها إمارة القريات؛ وذلك بسبب الأحداث التي واكبت حركة حامد بن سالم بن رفادة^(٢). ومما لاشك فيه بالذكر أنه تم تأسيس إمارة في علقان عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م^(٣).

وأسست إمارة البدع عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م؁ وكان أول أمرائها: عبد الكريم الحمد المطيري ثم أحمد إبراهيم أبو عمه. وكان يتبع الإمارة عدد من المراكز^(٤).

(١) جريدة الرياض؁ العدد ١٢٨٩٥؁ س٣٩؁ السبت ١٤ شعبان ١٤٢٤هـ.

(٢) وثائق الأستاذ محمود بن علي أبو سالم؁ من مفتش الحدود الغربية إلى أمير المقاطعة الشمالية بتاريخ ٢٣ جماد الآخرة ١٣٦٧هـ/٤ مايو ١٩٤٨ ؛ نايف علي الشراي: محافظة القريات؁ دراسة إقليمية؁ ص١٦٢.

(٣) جريدة الرياض؁ العدد ١٢٨٩٥؁ س٣٩؁ ١٤ شعبان ١٤٢٤هـ ؛ لقاء مع عواد سلامة الحامدي العمراني الذي عمل في إمارة علقان حين تأسيسها.

(٤) موزي بنت منصور بن عبد العزيز: الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز؁ بيروت؁ دار الساقى؁ ١٩٩٣م؁ ص١٦٦-١٦٨ ؛ عبد الفتاح أحمد الرئيس: البدع؁ ص٢٣-٢٦.

الإمارة في المرحلة الثانية (مرحلة الاستقرار)

يعد من أهم مميزات هذه المرحلة اتصافها بالاستقرار السياسي في البلاد السعودية، فقد انتهت الفتن الداخلية، وتم توحيد البلاد سياسياً، وتبين للملك عبد العزيز أن لقبه (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) لم يعد يعكس الوضع الحدودي والسياسي والجغرافي للبلاد، فهي تحتاج إلى اسم يعبر عن وحدة أقاليمها ومناطقها من غير أن تكون هناك خصوصية لإقليم محدد، مثل: نجد والحجاز، وخاصة أنها أصبحت دولة مترامية الأطراف تضم أقاليم عديدة، كما أن المطالب الشعبية أخذت تتوارد على الملك لاستحداث اسم معبر، فأصدر مرسوماً ملكياً في ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١هـ / ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م بأن يكون اسم البلاد (المملكة العربية السعودية)، وأن يكون لقب الملك (ملك المملكة العربية السعودية)^(١).

وأصدر الملك عبد العزيز بعد إعلان توحيد المملكة تعليماته بالاستمرار بالعمل بالتنظيم الإداري السائد قبل إعلان توحيد البلاد، وذلك إلى صدور تعليمات جديدة، وفي الوقت نفسه كلف كلاً من مجلسي الشورى والوكلاء دراسة الوضع الإداري والتنظيمي القائم، واقتراح تشكيلات إدارية جديدة تلائم توسع نشاطات الحكومة وواجباتها^(٢).

وكانت حقل وعلقان وذات الحاج وحالة عمار خلال هذه المرحلة تتبع إدارياً مفتشية الحدود الشمالية، التي تم تأسيسها بعد دمج إمارتي الجوف والقريات عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، وكانت هذه المفتشية تتبع النائب العام في مكة المكرمة^(٣). وكانت الإمارات القبلية خلال هذه المرحلة تراجع في أمورها المختلفة الإمارات القريبة منها تسهياً لأموورها؛ فالقبايل المجاورة لحقل مثلاً كانت تراجع إمارة تبوك، التي كانت بدورها تخاطب مجلس الوكلاء لاتخاذ القرار المناسب في أي أمر من الأمور^(٤). وكانت كل من إمارات منطقة تبوك ومفتشية الحدود الشمالية

(١) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٣، ص ٥٦٥؛ فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٣٦٧.

(٢) عبد الله بن راشد السنيدي: مراحل تطور تنظيم الإدارة الحكومية في المملكة العربية السعودية ولحات من إنجازاتها، ص ٦٦.

(٣) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-١٩٥٣م، ص ١٦٨، ٥٧٤؛ نايف علي الشراري: محافظة القريات، دراسة إقليمية، ص ٧٣.

(٤) معهد الإدارة العامة، الوثائق، الوثيقة رقم ٢٩٤، وهي قرار صادر عن مجلس الوكلاء بتاريخ ٣ رجب ١٣٥٧هـ / ٢٩ أغسطس ١٩٣٨م.

تتبع النائب العام^(١).

واستمرت المركزية الإدارية المتمثلة في النائب العام الأمير فيصل في مكة المكرمة، حيث كان صاحب القرار في الأمور المتعلقة بإمارات منطقة تبوك إلى أن استقرت الأوضاع، وحينئذ رأى الملك عبد العزيز ضرورة اتخاذ عاصمة إدارية للمنطقة وإماراتها، وقد وقع الاختيار على تبوك لتكون تلك العاصمة، وأطلق على المنطقة اسم: المقاطعة الشمالية التي ضمت إمارات: أملج، والوجه، وضباء، والمراكز التابعة لكل منها، وربطت هذه الإمارات إدارياً بأمر المقاطعة الشمالية، وكان حينئذ: خالد بن أحمد السديري الذي تولى إمارة تبوك عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م^(٢). وقد جاء اختيار تبوك عاصمة للمقاطعة الشمالية بسبب أهمية موقعها الجغرافي بين بلاد الشام والحجاز^(٣).

وكان الملك عبد العزيز قد استبعد الاقتراح المقدم من النائب العام في عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م بحل ارتباط الوجه بالعل، وضباء بتبوك، ذلك أنه أي الملك أدرك أن من المصلحة الإبقاء على الوضع القائم لوجود روابط اقتصادية واجتماعية بين أهالي منطقة تبوك منذ القدم^(٤).

وأما ضم حقل وذات الحاج وعلقان إدارياً إلى مفتشية الحدود الشمالية القريبة فكان لأسباب أمنية، وقد بقي اتصال القبائل التابعة لإمارة حقل بإمارة تبوك وإمارة ضباء لقرها من الإماراتين، بينما ظلت إمارة حقل ومسؤولوها يتصلون إدارياً بمفتشية الحدود الشمالية الغربية، وكانت إمارة ضباء قد عانت من عدم تعاون حقل وعلقان معها في تسليم من عليه قضايا من السكان لأجل تقديمه لمحكمة ضباء، مما دفع مجلس الوكلاء إلى إصدار أمر

(١) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٧٤، ٧٩.

(٢) وثائق محمود بن علي أبو سالم: خطاب من نائب جلالة الملك إلى أمير المقاطعة الشمالية بخصوص بعض التعليمات، بتاريخ ١٠ رجب ١٣٦٧هـ/١٩ مايو ١٩٤٨م؛ ووثيقة أخرى من نائب جلالة الملك إلى أمير المقاطعة الشمالية بخصوص طلب النائب العام من أمير المقاطعة الشمالية ضرورة لفت انتباه أمير الوجه بأن عليه الكتابة عبر مرجعه أمير المقاطعة وليس رأساً إلى النائب العام، وذلك بتاريخ ١٦ شعبان ١٣٦٧هـ/٢٤ يونيو ١٩٤٨م؛ وانظر: معهد الإدارة العامة: إمارات المناطق، ص ١٧-١٩.

(٣) خالد سعيد الدريس: دراسة إقليمية لمنطقة تبوك، الدارة، ع ٤، س ٥، رجب ١٤٠٠هـ/يونيو ١٩٨٠م، ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٤) معهد الإدارة العامة، الرياض، الوثائق، الوثيقة رقم ١١/٦/٨٩ أمر ملكي، الديوان الملكي ١٩ شعبان ١٣٥٥هـ/٤ نوفمبر ١٩٣٦م.

يلزمها بالتعاون مع إمارة ضباء في هذا الشأن^(١).

وكان أمراء أملج والوجه وضباء يراجعون فيما يتعلق بإماراتهم إدارياً أمير المقاطعة الشمالية الذي يخاطب بدوره النائب العام، وعندما خالف أمير الوجه هذه القاعدة في مسألة تتعلق بمخصصاته المالية، طلب منه النائب العام تقديم طلب عبر أمير المقاطعة الشمالية^(٢).

ظهر تعاون بين أمير المقاطعة الشمالية وأمراء المنطقة فيما يتعلق بالقضايا الأمنية، فقد خاطب أمير المقاطعة أمير الوجه يطلب منه البحث عن قاتل هارب، والقبض عليه^(٣).

وكان الملك عبد العزيز قد عين عبد الرحمن بن محارب أميراً لتبوك خلفاً لسليمان بن خرينيق، وذلك بموجب الأمر الملكي رقم ١٧٦٨/١/١١ تاريخ ٣٠ رجب ١٣٦٤هـ/ ١١ يوليو ١٩٤٥م، وزود الأمير الجديد ببعض التعليمات كما زوده بعدد من الهجانة، وبعدد آخر من عند الأمير فيصل النائب العام. وطلب الملك من النائب العام ترشيح رئيس مالية، ورئيس شرطة للتوجه إلى تبوك مع الأمير الجديد، وطلب من رئاسة القضاء تعيين قاض جديد، على أن يتم هذا الأمر بسرعة. وقد تم إعفاء سليمان بن خرينيق ومن معه من رؤساء الدوائر الحكومية وموظفيها ورجع ذلك إلى تجاوزات إدارية ترتبط بحجاج تم تهريبهم في عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م. وقد وصل مع الأمير الجديد عبد الرحمن بن محارب أربعون من الهجانة، ومدير للمالية هو علي جنيد، ومدير للشرطة، هو زيني جاوه ومعه ثلاثة وثلاثون جندياً، وكاتب عدل اسمه سراج ششة^(٤).

والجدير بالذكر هنا أن الملك عبد العزيز كان يحرص كل الحرص على حسن اختيار الأمراء لأنهم يمثلون الحكومة، بل يمثلونه هو نفسه في إدارة المقاطعة التي يتولون إدارتها،

(١) معهد الإدارة العامة، الرياض، الوثائق، الوثيقة رقم ٢٩٤، وهي قرار صادر عن مجلس الوكلاء بتاريخ ٣ رجب ١٣٥٧هـ/ ٢٩ أغسطس ١٩٣٨م.

(٢) وثائق محمود بن علي أبو سالم محافظة الوجه بمنطقة تبوك: من نائب جلالة الملك إلى أمير المقاطعة الشمالية بتاريخ ١٦ شعبان ١٣٦٧هـ/ ٢٤ يونيو ١٩٤٨م.

(٣) المصدر السابق: من أمير المقاطعة الشمالية إلى أمير الوجه بتاريخ ٢ شعبان ١٣٦٨هـ/ ٣٠ مايو ١٩٤٩م.

(٤) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، قسم الوثائق، وثائق الغبان، رقم الوثيقة: ٧٢ بتاريخ ١٨ رمضان ١٣٦٤هـ/ ٢٧ أغسطس ١٩٤٥م.

ولذلك كانت واجباتهم كثيرة تتعلق بالحكم والإدارة والأمن والتنمية^(١)، والإشراف على الدوائر الحكومية في المنطقة؛ وبالتالي فإنهم كانوا يتمتعون بصلاحيات واسعة. وفي مقابل ذلك كان الأمير عرضة للعزل والعقوبة إذا ارتكب تجاوزات أو تخاون في أداء واجباته^(٢).

وكان الملك عبد العزيز عند تعيين الأمراء يقابلهم قبل مباشرة أعمالهم، ويحدد لهم شفويًا واجباتهم وحدود سلطتهم، وما ينبغي عليهم عمله ومراعاته، ويؤكد عليهم ضرورة الحرص على آداب الشريعة الإسلامية، والتقيّد بأحكام المحاكم الشرعية، وعدم الإخلال بها أو تجاوزها، والمحافظة على الأمن والنظام، وعلى مصالح الرعايا، والحذر من ظلمهم أو التهاون في المحافظة على حقوقهم أو التعدي على حقوقهم وحرياتهم، والمحافظة أيضاً على مصالح الدولة^(٣). وكانت هذه التعليمات تصدر أحياناً بشكل خطي، وتوجه إلى أمراء المناطق عند تعيينهم^(٤).

وقد وضع أول تنظيم موحد لسير بعض الإجراءات في الإمارات، وتحديد واجبات وصلاحيات الأمراء عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، وقد جرى العمل بموجب هذا التنظيم بعد موافقة الملك عبد العزيز عليه بعد أن أجرى تعديلاً ينص على أن "كل تعد أو تسلط أو تجاوز يقع من حاشية الحاكم الإداري (الأمير) أو أقاربه أو من له علاقة استخدام لديه يكون المسؤول عنه في الدرجة الأولى ذلك المتسبب، وفي الدرجة الثانية الحاكم الإداري نفسه"^(٥). يدل النص السابق على أن الملك عبد العزيز كان يبذل جهداً ملحوظاً في متابعة كل صغيرة وكبيرة تمس أحوال رعيته.

وصدر في ١٥ محرم ١٣٥٩هـ/٢٣ فبراير ١٩٤٠م أول تنظيم موحد لجميع

(١) حسن بن سعد بن سعيد: وزارة الداخلية (أمن وتنمية)، ط ٢، (د.م)، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م، ص ٦٣-٦٤.

(٢) ك. س. تويتشل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، ص ٣٠٣.

(٣) سعد بن عودة الراددي: المؤسسات الأمنية في المملكة العربية السعودية (التأسيس والبناء)، المدينة المنورة، المؤلف نفسه، ط ٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ١٤٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٥٠.

(٥) أم القرى، س ٩، ع ٤١٦، بتاريخ ١٣٥١/٨/٤هـ-١٩٣٢/١٢/٢م.

الإمارات التابعة للنائب العام في مكة باسم: (نظام الأمراء والمجالس الإدارية)^(١)، ويتكون هذا النظام من ست وسبعين مادة، وقد حدد واجبات الأمراء واختصاصاتهم وصلاحياتهم، كما حدد سلطتهم وسير بعض الإجراءات، والغايات التي يجب أن يحرصوا عليها، والأمور التي يحظر عليهم ارتكابها. ومن الواجبات والصلاحيات التي ينص عليها النظام ما يلي^(٢):

١- الحكام الإداريون (الأمراء) مسؤولون بمقتضى الصلاحيات المخولة لهم من المراجع العليا عن المقاطعات التي يتولون شؤونها كل في حدود منطقتهم، ومكلفون بتنفيذ الأحكام الشرعية واتباع الأنظمة.

٢- مرجع جميع القرى والقبائل التابعة لكل منطقة الحاكم الإداري (الأمير).

والجدير بالملاحظة أن نظام الأمراء والمجالس الإدارية قد منح أمراء المناطق سلطات واسعة فيما يتعلق بحفظ الأمن والنظام والإدارة والتنمية، كما منحهم حق الإشراف والرقابة على جميع الدوائر الحكومية الموجودة في مناطقهم بما في ذلك الوحدات العسكرية، والمشاركة أحياناً في المفاوضات مع الدول المجاورة لمناطقهم^(٣).

وقد نص نظام الأمراء على تشكيل مجالس إدارية منتخبة في كل منطقة تكون تحت رئاسة أميرها، وكان من أبرز مهام المجلس الإداري - بالإضافة إلى مساعدة الأمراء في وضع الخطط الأساسية للمناطق -: الإشراف على كل ما يخص المنطقة من شؤون تنظيمية وبلدية ذات مساس مباشر بالمواطنين والتحقيق في شكاواهم. ولعل أهم ما يميز هذا النظام والإدارة المحلية

^(١) فؤاد رضا: تعريف بوضعنا الإداري (مقام النيابة العامة)، مجلة المنهل، س ١٤، ع ٧، رجب ١٣٦٩هـ/أبريل ١٩٥٠م، ص ٢٢٧-٢٣١؛ ثامر بن ملوح المطيري: البناء التنظيمي والإداري للإدارة المحلية، الإدارة العامة في المملكة العربية السعودية، الرياض، معهد الإدارة العامة، ١٤١٥هـ، ص ١٢١.

^(٢) أنظر المواد (٢ - ١٦) من نظام الأمراء والمجالس الإدارية لسنة ١٣٥٩هـ: فؤاد رضا: تعريف بوضعنا الإداري (مقام النيابة العامة)، مجلة المنهل، س ١٤، مج ١٠، ع ٧، رجب ١٣٦٩هـ/أبريل ١٩٥٠م، ص ٢٢٨-٢٢٩.

^(٣) جواهر بنت عبد المحسن بن جلوي: عبد الله بن جلوي آل سعود ودوره في تأسيس الدولة السعودية الثالثة ١٢٧٨-١٣٥٤هـ، د.ت، ص ١٠٠-١٠٢.

في عهد الملك عبد العزيز أنها عكست تحولاً واضحاً لأسلوب اللامركزية في التنظيم والعمل الإداري، والتوجه نحو تقليل هيمنة الجهاز الإداري المركزي للدولة على المناطق المحلية. أي الاقتراب كثيراً من أسلوب الحكم المحلي^(١).

والجدير بالذكر أن رئاسة الأمير للمجلس الإداري لم تكن تعني سيطرته عليه، وذلك بسبب الصلاحيات المعطاة للمجلس، وطريقة انتخاب أعضائه من بين الأهالي^(٢).

ويمكن اعتبار لجنة التفتيش والإصلاح التي أمر الملك عبد العزيز بتأسيسها بعد أن ضمّ الحجاز ومنطقة تبوك إلى حكمه، وسيلة أخرى مهمة من وسائل التنظيم الإداري في عهده، وكانت هذه اللجنة تتابع الدوائر الحكومية، وتقوم بجولات ميدانية للاطلاع على سير العمل الإداري في مواقعه، وبعدها رفع التقارير إلى الجهات العليا^(٣).

وقد كان مجلس الشورى في مداولاته الرسمية يطمئن إلى آراء لجنة التفتيش والإصلاح أثناء تفتيشها على إمارات المنطقة، وهذا قبل إرسال قراراته إلى مجلس الوكلاء صاحب الأمر النهائي في هذه القرارات^(٤)؛ ومن أمثلة ذلك ما تضمنته المكاتبات الرسمية بشأن زيارة قامت بها هيئة تفتيشية مكونة من مسؤولين في مجلس الشورى والمالية والشرطة إلى أملج قادمة من مكة المكرمة في ربيع الأول ١٣٥٣هـ/يونيو ١٩٣٤م^(٥).

وقد كانت زيارات هيئة تفتيش الشمال متواصلة دون انقطاع، فقد زارت أملج مرة أخرى في رجب ١٣٥٦هـ/سبتمبر ١٩٣٧م^(٤)، كما زارت هيئة مكونة من مسؤولين في

(١) عبد المعطي محمد عساف: التنظيم الإداري في المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٧٤؛ إبراهيم العواجي: الإدارة المحلية بالمملكة العربية السعودية، بحوث ندوة الإدارة المحلية في المملكة، إدارة البرامج العليا، معهد الإدارة العامة، ١٤٠١هـ، ص ١٩-٢٠.

(٢) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٩٢.

(٣) إبراهيم بن عويض العتيبي: المرجع السابق، ص ١٣١.

(٤) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، الوثيقة رقم ٦١، زيارة مجلس الوكلاء إلى ضباء لتدقيق ميزانية الدوائر الحكومية بإمارة ضباء (الإمارة والمحكمة والمرفأ والبلدية) بتاريخ ٣٠ رجب ١٣٥٦هـ/ ٦ أكتوبر ١٩٣٧م.

(٥) صوت الحجاز، ع ١١٢، ٦ ربيع الأول ١٣٥٣هـ/ ١٨ يونيو ١٩٣٤م.

(٦) معهد الإدارة العامة، الرياض، الوثيقة رقم ٧١، وهي قرار صادر من مجلس الوكلاء.

مجلس الشورى ومفتش بوزارة المالية، ومدير شرطة جدة إمارة تبوك قادمة من المدينة المنورة بطريق البر في محرم ١٣٥٦هـ / فبراير ١٩٣٨م^(١).

وكان دور هيئة التفتيش استقبل شكاوى المواطنين وملاحظاتهم المتعلقة بالإمارة والدوائر الحكومية، وقد تلقت الهيئة خلال زيارتها أملج شكاوى أحد شيوخ القبائل ضد الأمير^(٢).

وكان الملك عبد العزيز قد أمر أمير تبوك بعدم السماح بعبور الحجاج المارين بالطريق البرية إلا إذا دفع خمسة جنيهاً ذهباً، وذلك ضماناً لترحيلهم إذا عجزوا عن الرحيل بعد وصولهم إلى الحجاز^(٣).

وكان على أمراء المنطقة تنفيذ ما يصدر إليهم من أوامر وتعليمات من الملك نفسه أو من النائب العام؛ فأتثناء الحرب العالمية الثانية أصدر الملك توجيهاته إلى أمير الوجه لتشكيل لجنة مهمتها تقديم الأطعمة للفقراء إبان أزمة الحرب^(٤)، وقد تم تشكيل اللجنة لإحصاء المحتاجين من الأهالي من بادية وحاضرة، وكان بعض المواطنين يكتب إلى الأمير طالباً إضافته إلى قوائم المحتاجين للإفادة من الميرة الملكية^(٥).

وكان لأمراء المنطقة دور في تعيين أئمة المساجد، فقد طلب أمير ضباء من مدير مركز المويلح ترشيح شخص ليكون إماماً لمسجد المويلح^(٦). كما كان لهم دور في متابعة من يتهاون في أداء صلاة الجماعة، وحثه على ذلك، فقد طلب أمير ضباء من مدير مركز المويلح

(١) صوت الحجاز، ع ٢٤٩٤ بتاريخ الثلاثاء ١٠ محرم ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.

(٢) معهد الإدارة العامة، الرياض، الوثيقة رقم ٧١، وهي قرار صادر عن مجلس الوكلاء بتاريخ ١٥ رجب ١٣٥٦هـ / ٢١ سبتمبر ١٩٣٧م.

(٣) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، الوثيقة: أمر ملكي صادر من الديوان الملكي بتاريخ ١٤ شوال ١٣٥٦هـ / ١٨ ديسمبر ١٩٣٧م (من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى المعتمد السعودي في دمشق).

(٤) أم القرى، س ١٩، ع ٩٥٤٤، ٤ ربيع الآخر ١٣٦٢هـ / ٩ أبريل ١٩٤٣م؛ عبد القدوس الأنصاري: مجلة المنهل، مجلد ١٤، ج ٣، ربيع الأول ١٣٧٣هـ، ص ١٢٩.

(٥) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، قسم الوثائق، وثائق الوجه، رقم الوثيقة (٤٢٨)، من أمير الوجه إلى رئيس لجنة إحصاء الميرة الملكية للحاضرة، تاريخ ١٠ ربيع الآخر ١٣٦٣هـ / ٥ أبريل ١٩٤٤م.

(٦) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويلحي من المويلح بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل، الوثيقة رقم (٥٦) من أمير ضباء إلى مدير ثغر المويلح بتاريخ ٩ ذو القعدة ١٣٦١هـ / ٨ نوفمبر ١٩٤٢م.

ومن إمام مسجدها التعاون على حث الناس على أداء صلاة الجماعة، وترغيبهم في ذلك^(١). وفي المجال الصحي كان الأمير يحرص على عدم دخول أحد المنطقة قبل التأكد من خلوه من الأمراض، فقد طلب أمير ضباء من المأمور الصحي الموجود فيها أن يوجه السفن القادمة من الموانئ المصرية إلى ينبع لوجود طبيب هناك، وعدم نزول أحد من ركبها، وعدم صعود أحد إليها قبل إجراء ذلك^(٢).

والجدير بالذكر هنا أن الملك عبد العزيز كان يحرص على إدامة العلاقة الوثيقة مع شيوخ قبائل المنطقة وأعيانها، فكان يستقبلهم عند زيارتهم له^(٣)، أو يهتم ببرقياتهم حال وصولها إليه، إذ يجيب عليها حسب مقتضى الحال، فقد كتب الشيخ عبد الله بن محمد الفريض من أهالي تبوك إلى الملك يطلب منه الإذن بإحياء عين السكر القريبة من قلعة تبوك، فرد عليه بعدم الممانعة على أن يتم التنسيق في هذه المسألة مع إمارة تبوك^(٤).

هذا، وقد كان أمراء منطقة تبوك باستثناء أمير تيماء، يراجعون في شؤون إماراتهم النائب العام الأمير فيصل، وذلك منذ استحداث النيابة العامة في الحجاز. واستمرت هذه التبعية بعد صدور نظام مجلس الوكلاء في ١٩ شعبان ١٣٥٠هـ/ ٣٠ ديسمبر ١٩٣١م^(٥)، بل إن إمارات تيماء وحقل وحالة عمار وذات الحاج وعلقان التي أصبحت تتبع مفتشية الحدود الشمالية، والتي دجت فيها إمارة الجوف والقریات أيضاً كانت كلها تتبع من الناحية الإدارية النيابة العامة في الحجاز^(٦).

وكان في كل إمارة من إمارات منطقة تبوك في بدايات حكم الملك عبد العزيز مجلس

(١) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويحي من المويحي بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل ، الوثيقة رقم (٥٧) من أمير ضباء إلى مدير ثغر المويحي بتاريخ ٩ ذو القعدة ١٣٦١هـ/ ٨ نوفمبر ١٩٤٢م.

(٢) وثائق محمود بن علي أبو سالم، محافظة الوجه بمنطقة تبوك، من أمير ضباء إلى مأمور صحي ضباء، بتاريخ ١٩ ذو القعدة ١٣٦٦ هـ/ ٤ أكتوبر ١٩٤٧م.

(٣) وثائق أحمد السلطان: من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى أمير الوجه محمد بن سلطان، بتاريخ ٢ محرم ١٣٤٧هـ / ٢٩ يونيو ١٩٢٨م؛ محمد بن عبد الله الغريض: حصاد السنين، ص ٣٣؛ عبد الله بن كريم: الشيخ كريم بن عطية، ص ١١٩.

(٤) وثائق محمد بن عبد الله الغريض.

(٥) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ١٨٠-١٨١.

(٦) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٧٤؛ نايف علي الشراري: محافظة القریات، دراسة إقليمية، ص ٧٣.

يتم تشكيله من الأمير والمعاون والمأمورين الذين يعملون في أجهزة الدولة، وعدد من الأشخاص يتم اختيارهم من الأهالي. ومهمة هذا المجلس هي تدقيق المعاملات التي تحال إليه من رؤساء النواحي، واتخاذ التوصيات بشأنها، ورفعها إلى النائب العام في الحجاز الذي يرفعها بدوره إلى العاصمة الرياض حيث يتم التصديق عليها، ثم توضع موضع التنفيذ^(١).

وكانت إمارة ضباء وما يليها شمالاً من قرى ساحل المنطقة في بداية حكم الملك عبد العزيز، وكذلك إمارة العلا تتبعان إمارة الوجه التي تتبع بدورها إمارة حائل^(٢). وكانت تتبع إمارة حائل إمارة تبوك، وإمارة تيماء^(٣). ثم أصبحت إمارات المنطقة تتبع مباشرة النائب العام، الأمير فيصل في مكة المكرمة^(٤). وكان الملك عبد العزيز هو رأس الإدارة المحلية، والمسؤول الأول عنها، وكان يحرص على تبادل الرأي مع الأمراء وشيوخ القبائل أثناء لقاءه معهم^(٥).

وأما يتعلق بالتنظيمات الإدارية العثمانية والشريفية في عهد الشريف الحسين بن علي، فقد ألغى الملك عبد العزيز بعضها، وأبقى على بعضها الآخر، فقد كانت التقسيمات الإدارية التابعة سابقاً هي الولاية والمتصرفية والقضاء والناحية، وقد استبدلت الإمارة بالقضاء سواء كان كبيراً أم صغيراً^(٦)، واستمر مصطلح (الناحية) أحياناً في بعض المكاتب الرسمية

(١) أنظر المواد: ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ من التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية في أم القرى، ع ٩٠-٩١ ، ٢٥ صفر ١٣٤٥هـ/ ٣ سبتمبر ١٩٢٦م، ٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ/ ١٠ سبتمبر ١٩٢٦م.

(٢) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويلحي من المويلح بمنطقة تبوك، الوثيقة رقم (١) من محافظ السواحل إلى مدير مركز المويلح، تاريخ ٨ ذو الحجة ١٣٤٥هـ/ ٩ يونيو ١٩٢٧م.

(٣) هشام محمد عجمي: قلاع الأزمن والوجه وضبا ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٥ ؛ ك. س. تويتشل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، ص ١٤٢-١٤٣.

(٤) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٧٧-٧٩ ؛ إبراهيم بن عويص العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٧٥.

(٥) محمد سليمان الحضريري: جذور الإدارة المحلية في الملكة العربية السعودية ودور الملك عبد العزيز في تطويرها، الرياض، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار السابع، صفر ١٤٢١هـ/ مايو ٢٠٠٠م، ص ٣٧.

(٦) عبد العزيز بن عبد الله الخويطر: أسلوب الملك عبد العزيز في الإدارة، الدارة، س ١١، ع ٤، رجب ١٤٠٦هـ/ مارس ١٩٨٦م، ص ٥٩.

مثل ناحية المويلح^(١)، وكذلك مصطلح (القائمقام) كما في الوجه وضباء^(٢). وقد ألغيت قائممقامية الوجه وضبا عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م^(٣).

وكان يرافق انتخاب القائمقام في الوجه تعيين كاتب تحريرات وفراش، وكان تحديد الراتب لكل منهم تتم الكتابة به من قائممقام الوجه إلى قائممقام جدة الذي يرفع الأمر إلى الملك عبد العزيز، وقد وافق الملك بدوره على ذلك في ٨ شوال ١٣٤٤هـ/٢١ أبريل ١٩٢٦م^(٤).

وقد استمر أمراء المنطقة يديرون إماراتهم حسب العرف السائد، والعادات المتعارف عليها، والاستئناس بآراء بعض شيوخ القبائل، ما لم ترد تعليمات من الملك أو نائبه في أمر ما. أما المسائل الشرعية فكانت تحال إلى القضاء إلى أن تم إصدار نظام الأمراء والمجالس الإدارية في عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م، والذي وضع الإجراءات وبيّن كيفية التعامل مع الأمور المختلفة^(٥). والجدير بالذكر أن كثيراً من الأمور المعروضة على إدارة إمارات المنطقة كانت تتطلب مرونة وسرعة في التصرف، ولا تحتمل الانتظار طويلاً، وخاصة أن المنطقة بعيدة عن مركز الدولة في نجد أو الحجاز، والمواصلات وكذلك الاتصالات كانت صعبة في بدايات تكوين الدولة^(٦).

وقد تم تشكيل مجالس إدارية مع بداية حكم الملك عبد العزيز في كل من الوجه وضباء، كما تم تعيين مرتبات شهرية لكل من أعضاء هذه المجالس^(٧)، وكان المجلس الإداري يتكون من

(١) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويلحي، من المويلح بمنطقة تبوك، وثيقة رقم (٢٥) من أمير ضباء إلى مدير ناحية المويلح بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٣٤٩هـ/٢٣ يوليو ١٩٣٠م.

(٢) معهد الإدارة العامة، الرياض، الوثيقة رقم (٧٣) بتاريخ ٨ شوال ١٣٤٤هـ/٢١ أبريل ١٩٢٦م؛ حسين أمين العلي: دراسات وحقائق عن شمال غرب المملكة العربية السعودية، ص ٢٣١.

(٣) أم القرى، س ٧، ع ٣٣٩، ٢٥ محرم ١٣٥٠هـ/١٢ يونيو ١٩٣١م؛ أم القرى، س ٨، ع ٣٨٧، ٧ محرم ١٣٥١هـ/١٣ مايو ١٩٣٢م.

(٤) معهد الإدارة العامة، الرياض، القرار رقم (٧٣) تاريخ ٨ شوال ١٣٤٤هـ/ ٢١ أبريل ١٩٢٦م.

(٥) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٨٤.

(٦) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٧) معهد الإدارة العامة، الرياض، القرار رقم (٥٧٠) تاريخ ١٣ شعبان ١٣٤٨هـ/١٤ يناير ١٩٣٠م قرار مجلس الشورى بتأجيل طلب عضوين من أعضاء مجلس إداري الوجه تحديد مرتبات شهرية لهما.

القائم مقام ونائب شرعي، وشخصين من أعيان البلد^(١). ثم شكّلت مجالس إدارية في أملج وتبوك. وقد كانت هذه المجالس تمثل الجهة الرقابية على الأعمال التنفيذية التي تقوم بها الإمارة^(٢).

وكان يتزامن مع استحداث كل إمارة تحديد مقر لها، ومقر للجند والمحكمة الشرعية، وإنشاء مكتب بريد، ومدرسة ابتدائية للبنين^(٣)، وقد بدأ هذا التشكيل الإداري شبه مكتمل في قرى ساحل المنطقة وبالأخص في الوجه وضباء وأملج ثم في المنطقة الداخلية. وقد شكل ذلك قاعدة أساسية للتحويلات المهمة اللاحقة التي أتاحها توفير الوسائل المادية للتطور بعد اكتشاف النفط^(٤).

وكان لشيوخ القبائل دور مؤثر في حفظ الأمن، من خلال تعاونهم مع أمراء المنطقة فيما يخص قبائلهم، فقد كلف الملك عبد العزيز الشيخ إبراهيم بن سليمان بن رفاعة التعاون مع أمير الوجه في مجال حفظ الأمن، وتسليم إمارة الوجه كل من تكون عليه قضية من أفراد قبائله تستوجب إحالتها للمحاكم الشرعية، وأما القضايا الأخرى؛ فقد وكل الشيخ يحلها حسب العرف القبلي. وللشيخ أن يتواصل مع الملك أو مع نائبه الأمير فيصل في مكة المكرمة كتابياً أو برقياً^(٥). وكان الملك عبد العزيز قد خصص لشيوخ القبائل مبالغ مالية تصرف لهم^(٦).

ويمكن القول إن الملك عبد العزيز كان حريصاً على تحويل الأمراء في منطقة تبوك معظم الاختصاصات المتصلة بالشؤون المحلية: الإدارية والأمنية والقضائية، وذلك اقتناعاً منه بضرورة تكامل السلطة بين المركز والأمراء، وفي الوقت نفسه كان حريصاً على عدم ترك الأمور على

(١) أم القرى، ع ٩١، ٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ/ ١٠ سبتمبر ١٩٢٦م.

(٢) إبراهيم عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٩٠-١٩١، ١٩٤-١٩٥.

(٣) بول بونفان: الهيكل العمراني للمدن والقرى في عهد الملك عبد العزيز، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩-٢٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١-٥ ديسمبر ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٤٩٦-٤٩٧.

(٤) بول بونفان: المقالة السابقة، ج ٢، ص ٤٩٢.

(٥) وثائق أحمد السلطان: من عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى محمد بن سلطان محرم ١٣٤٧هـ / يونيو ١٩٢٨م.

(٦) دارة الملك عبد العزيز، التاريخ الشفوي، رقم التصنيف ٢٧٣؛ الملك عبد العزيز آل سعود وسيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، مج ٤، ص ٣٤٧.

عواهنها؛ إذ كان يشدد الرقابة على تصرفات هؤلاء الأمراء، وذلك عبر المخابرات اللاسلكية، واللجان وفرق التفتيش التي كان يرسلها بصورة دورية، ودعوة الأمراء لمقابلته شخصياً حيث كان يبحث معهم الأمور المختلفة. كما كان يتواصل مع المواطنين ويشجعهم على رفع مطالبهم إليه إذا لزم الأمر^(١).

وكان الملك عبد العزيز حريصاً أيضاً على تيسير الإجراءات الإدارية وعدم تعقيدها، فبعد ضم تبوك إلى حكمه كان يوجد أمير وقائمقام في كل من الوجه وضباء، ووجودهما معاً كان يعني - كما رأى نائب الملك الأمير فيصل - تطويل الإجراءات، وعرقلة سير المعاملات، لذا عرض على الملك إعادة النظر في هذا التشكيل الإداري، وعندئذ تم إحالة الموضوع إلى مجلس الشورى في ٢ شعبان ١٣٤٨ هـ/ ٢ يناير ١٩٣٠ م، وقد درس المجلس هذا الموضوع، وأوصى بأن تعهد وظائف القائمقامية والإمارة إلى شخص واحد هو الحاكم الإداري (الأمير)، فوافق الملك على ذلك^(٢).

وقد أصبحت إدارة منطقة تبوك أكثر يسراً بعد اختيار إمارة تبوك عاصمة إدارية للمنطقة بدل إمارة الوجه. والجدير بالذكر أن الوجه كانت هي العاصمة الإدارية للمنطقة، وخاصة بعد انتهاء حركة حامد بن سالم بن رفادة، وكانت ترتبط مع إمارة حائل في التواصل مع النائب العام في مكة، ثم أصبح أمير الوجه يخاطب النائب العام ممثلاً للمنطقة كلها إلى أن أصبحت تبوك عاصمة المنطقة في منتصف الستينيات الهجرية الأربعينات الميلادية.

(١) إبراهيم محمد العواجي وناصر إبراهيم التويم: الإدارة المحلية في عهد الملك عبد العزيز، دراسة تاريخية وتحليلية، المملكة العربية السعودية في مائة عام، بحوث ودراسات، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م، مج ٥، ص ٧٣-٧٥.

(٢) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، وثيقة رقم (٥٧٠).

الأمن

يعتبر الأمن بمفهومه الشامل، عنصراً مهماً من عناصر الاستقرار، بل كان العنصر الأهم دائماً، إذ من دونه لا تستقيم الحياة، ولا تستقر الأوضاع. مما يلزم للتطور والتنمية. ويرتبط توفير الأمن بمدى قدرة السلطة الحاكمة، فإن كانت ضعيفة انعدم، وإن كانت قوية انتشر واستتب. وهناك عوامل كثيرة تؤثر على الأمن إضافة إلى قدرة السلطة الحاكمة، منها - في حالة منطقة تبوك - طبيعة المنطقة، وموقعها الجغرافي، وطبيعة سكانها، وطبيعة العلاقات مع جيرانها.

وتقع منطقة تبوك - كما ذكر البحث سابقاً - في الجهة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية، وتعتبرها طرق الحج الشامي والمصري، وتستوطنها قبائل عديدة انتهجت التنقل والترحال طلباً للماء والكأ وسيلة للحياة، وتوارثت عادات وتقاليد، بعضها بالغ السوء مثل الغزو الذي زادت الظروف السياسية والاقتصادية قبل ضم المنطقة لحكم الملك عبد العزيز من ضراوته وخطورته.

لقد كان الحجاج في أواخر العهد العثماني وعهد الأشراف يتعرضون للضرب والقتل والنهب والسرقة والخطف^(١)، وبلغ فقدان أمنهم من السوء مبلغاً جعل بعض العلماء يفتي بسقوط فريضة الحج حتى يتوافر الأمن^(٢). وقد كانت القبائل تتسلط على قوافل الحج، وكان موسم الحج في كل عام عبارة عن فترة ترقب وحذر وخوف، على الرغم من الجهود التي كانت تبذلها السلطة العثمانية، وعلى الرغم من إنشاء سكة حديد الحجاز التي كان أثرها الإيجابي محدوداً في مجال نقل الحجاج^(٣). ولم تكن الحال أفضل في عهد الشريف حسين، حيث أصبحت القبائل لا تتورع حتى عن مهاجمة المسافرين في قوافل أو عبر سكة الحديد^(٤).

ولم يكن انعدام الأمن مقتصرًا على داخل منطقة تبوك، وإنما تجاوزته إلى الساحل حيث تعبر

(١) رابح لطفي جمعة: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، مطبوعات دائرة الملك عبد العزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٤٥.

(٢) حسين محمد مخلوف: أم القرى، ع ١٤٣، ٢٩ ذو الحجة ١٣٧١هـ.

(٣) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١١٥، ١٢٥-١٢٦؛ إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، مج ١، ص ٩٧-١٠٠.

(٤) محمد بهجت البيطار: الرحلة النجدية الحجازية، ص ١٣-١٥؛ وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ١٣١-١٣٢.

قوافل الحج المصري، مما اضطر كثيرين إلى استخدام البحر من أجل الوصول إلى الحرمين الشريفين^(١). وقد بذلت الدولة العثمانية جهوداً كبيرة لضمان أمن الحجاج، إضافة إلى إنشاء سكة حديد الحجاز، كانت تعطي شيوخ القبائل مخصصات مالية، إلا أن ذلك كله لم يحقق الأمن المنشود^(٢).

وقد تسبب ضعف السلطة العثمانية إلى تسلط بعض القبائل، ومهاجمة القرى، وأصبح الأمن مشكلة تتفاقم يوماً بعد يوم^(٣)، إذ ازداد الوضع الأمني سوءاً في عهد الأشراف، و كانت سلطتهم أضعف كثيراً من سلطة الدولة العثمانية، ولم يملكوا من الأموال أو الموارد البشرية ما يمكنهم من تحسين الأمن، وهو الأمر الذي دفع إحدى القبائل إلى مهاجمة قطار كان يحمل عدداً من المسؤولين والجنود^(٤)، بل هاجمت بعض القبائل دار الحكومة في تبوك^(٥).

وعليه فإن الأمن في هذه الفترة لم يكن أفضل من الفترات السابقة، حيث كانت القبائل خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي تهاجم القرى الداخلية والساحلية، تلك القرى التي كان بعضها يضطر إلى دفع ما اصطلاح على تسميته (الخوة أو الخاوة) للقبيلة حتى لا تعتدي عليها^(٦).

واستمر هذا الوضع الشيء طوال الفترة التي سبقت حكم الملك عبد العزيز، وقد بلغ في أواخر تلك الفترة حدّاً من السوء يتمثل في أن القوى العسكرية في القلاع المنوط بها حفظ الأمن، إذ لم تكن قادرة على حماية نفسها، حيث تجرأت القبائل على مهاجمتها^(٧).

ومما أدى إلى انعدام الأمن في منطقة تبوك، إضافة إلى ضعف السلطة وبعد المنطقة عن المركز في الشام والحجاز ومصر، ووجودها على حدود كانت معادية، إما في شرق الأردن

(١) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٧.

(٢) Alis Musil : Northern Hejaz, 211

(٣) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٩٦-٧٩، ١٢٦.

(٤) محمد بهجت البيطار: الرحلة النجدية الحجازية، ص ١٤.

(٥) نجدة فنجي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، ج ٥، ص ٩٨.

(٦) الليدي آن بلنت : رحلة إلى نجد، ترجمة وتعليق أحمد إيش، دمشق، ٢٠٠٥ م، ص ٧٩.

(٧) مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ٩٦-٩٧؛ تشارلز دوتي: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ترجمة صبري

محمد حسن، مراجعة وتقديم جمال زكريا، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥ م، مج ١،

ج ١، ص ٢٠٢.

أو في فلسطين أو مصر.

وقد تنبه الملك عبد العزيز أهمية منطقة تبوك السياسية الاستراتيجية منذ أن ضمها إلى حكمه، وأهمية نشر الأمن واستتبابه فيها، وخاصة أن أمير شرق الأردن عبد الله بن الحسين كان لا يتورع عن إثارة الاضطرابات والفساد والمكائد في هذه المنطقة، ولذلك عمل الملك منذ البداية على القضاء على كل المظاهر القبلية السلبية، واتبع مع سياسة الحكمة واللين سياسة الحزم والشدّة، حيث استدعى شيوخ القبائل القرية من موالي الساحل، وأكد لهم أن الأمن مهمة ستقوم بها الدولة، وأنهم يجب أن يتوقفوا عن الممارسات السلبية مثل قبض أموال من الحجاج أو المسافرين للسماح لهم بالمرور عبر مناطقهم، وعلى كل قبيلة أن تحمي الجزء من الطريق المار عبر حدودها، وذلك بعد أن بين لهم هذه الحدود. وأن على كل شيخ أن يتحمل مسؤولية أي تعد أو مخالفة ترتكبها قبيلته أو بعض أفرادها^(١).

وأعطى الملك عبد العزيز الأوامر للجيش النظامي بالتدخل لفرض النظام إذا ما عجز شيخ القبيلة عن ضبط أفراد قبيلته^(٢)، وكان الملك أيضا يرسل المنشورات والبلاغات المهمة، المتعلقة بالأمن إلى شيوخ القبائل باستمرار^(٣).

وقد جرد الملك عبد العزيز حملة تأديبية ضد إحدى القبائل لمهاجمتها قافلة تجارية حكومية كانت تحمل إمدادات ومؤن إلى تبوك قادمة من الوجه، وذلك في سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م^(٤). وشهدت الحدود الشمالية لمنطقة تبوك اضطرابا أمنيا خلال فترة الصراع السياسي

(١) أم القرى، س ٢، ع ٦٠، ٦ شعبان ١٣٤٤هـ/ ١٩ فبراير ١٩٢٦م؛ عبد الله الزامل: أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، ص ١٩٣؛ أحمد عسه: معجزة فوق الرمال، بيروت، المطابع الأهلية اللبنانية، ١٩٦٥م، ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) أحمد عسه: المصدر السابق، ص ١٠٧؛ حسين الساعدي: سياسة الملك عبد العزيز في حفظ الأمن في المملكة العربية السعودية، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ، ج ١، ص ١٠٠.

(٣) إبراهيم بن عويص العتيبي: الأمن في عهد الملك عبد العزيز تطوره وآثاره، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود للنشر العلمي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١١٢.

(٤) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ٣٣٤.

بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن، ولذلك كان أمراء المنطقة يقودون حملات تأديبية ضد القبائل المخلة بالأمن، والتي كانت تتعدى على الأفراد والمجتمعات، وقد قاد هذه الحملات أمير تبوك، وأمير ضباء؛ لتعقب القبائل المعتدية^(١). وكان يشترك في الحملات التأديبية الهجانة (الأخوياء)* وبعض رجال القبائل^(٢).

وقد قام أمير ضباء فهد الدوخي بتعقب قاتل أحد التجار بينما كان متجها من ضباء إلى شرق الأردن، وقبض على القاتل^(٣). هذا ما يؤكد على أن الأمن منذ بداية عهد المنطقة بالحكم السعودي، كان خطأ أحمر لا يجوز المساس به.

وقد نشط أمراء منطقة تبوك خلال الفترة الأولى من انضمامها إلى حكم الملك عبد العزيز وقبل إعلان توحيد البلاد بإسم: المملكة العربية السعودية في ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م^(٤)، نشطوا في فرض الأمن، والعمل على استتبابه، وكانوا يعتمدون

(١) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٢١، ٣٤٠، ٣٤٢، ٤٠٣؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١١٨-١١٩.

* بدئ بتشكيل الهجانة، كقطاع عسكري في الحجاز من بقايا وحدات سابقة انضم إليها بعض القوات التي بقيت في الحجاز بعد تسريح المقاتلين. وكان الهجانة عبارة عن وحدات صغيرة تتكون كل وحدة من مجموعة من الموظفين والجنود، وتتخذ من الهجن وسيلة للنقل، وكانت مهمتها نقل البريد، والعمل كدوريات برية تابعة للإمارات أو خفر السواحل، وكانت كل وحدة ترتبط بالحاكم الإداري في المنطقة التي تعمل فيها. وعندما يتم تعيين أمير فإنه كان يصطحب معه عددا من جنود الهجانة أخوياء له. وقد ظلت الهجانة من دون قيادة موحدة إلى أن صدر مرسوم بتوحيدها سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م تحت رئاسة قائد عام اتخذ من مكة المكرمة مقرا لقيادته، وقد تبعته وحدات الهجانة في أملج، والوجه، وتبوك، والعلا، وضباء. وبعد توسع تشكيلات القوات النظامية والشرطة، وخفر السواحل، وباشرت هذه الأجهزة المهام التي كانت تقوم ببعضها وحدات الهجانة قرر مجلس الوكلاء إلغاء هذه الوحدات اعتبارا من نهاية صفر ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، وتوزيعها على القطاعات العسكرية، وظل بعضهم أخوياء للأمراء في الملحقات، وأعيد تشكيل قسم منهم بمسمى جديد هو ألوية الجهاد. انظر: إبراهيم عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٣٩١-٣٩٤.

(٢) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٤٢.

(٣) داره الملك عبد العزيز، قسم التاريخ الشفوي، رقم التصنيف ٣٩٩.

(٤) خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص ١٥٨.

في ذلك بشكل رئيسي على قوة المهجانة . وكان الملك عبد العزيز يتابع الوضع الأمني متابعة حثيثة؛ إذ كان أمراء المنطقة يبرقون له بكل ما له علاقة بأمن المنطقة^(١). ومن ذلك التجاوزات الأمنية التي كانت تقوم بها بعض القبائل مستغلة توتر العلاقات، والصراع السياسي بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن^(٢)، وتكريسا للأمن الذي بدأ يتحقق في منطقة تبوك بعد ضمها، منع الملك عبد العزيز الغزو بين القبائل، وفرض (الخوة)، وأكد على أن الدولة وحدها هي المسؤولة عن عقاب المذنب^(٣)، كما أن الملك عمل على إزالة الخلافات بين القبائل ومعالجة المشكلات الحدودية كلما وقعت^(٤). وأمر بتعيين موظفين لمتابعة كل ما يحدث في القبائل، ورفع التقارير بذلك إلى الإمارة أولا بأول^(٥).

ولم يقتصر اهتمام الملك عبد العزيز على نشر الأمن بين قبائل المنطقة وفي داخلها، وإنما اهتم أيضا بضبط الحدود، وفق ترتيبات أمنية دقيقة ومن تلك الترتيبات إصدار تذاكر مرور سفرية بوساطة مأمور الجوازات، وبتوقع أمير تبوك للراغبين في السفر من المواطنين إلى شرق الأردن عن طريق مركز ذات الحاج الحدودي^(٦). ومن الترتيبات الأمنية أيضا إصدار رخصة لطلوع البحر لمرة واحدة لكل من يرغب في ارتياد البحر من الصيادين وهواة السباحة^(٧). واتخذت الإجراءات أيضا للتأكد من هوية القادمين إلى المنطقة، وكذلك المستخدمين من المواطنين في السفن العاملة بين موانئ المنطقة والموانئ المصرية، وكانت الشرطة تقوم بتحرياتها

(١) دارة الملك عبد العزيز، قسم التاريخ الشفوي، رقم التصنيف (٣٩٩).

(٢) الملك عبد العزيز آل سعود، سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، مج ٤، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١١٨-١١٩.

(٣) أحمد عسه: معجزة فوق الرمال، ص ١٠٧.

(٤) محمد إبراهيم رحمو: أعضاء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ١٥١.

(٥) معهد الإدارة العامة، قرار مجلس الوكلاء رقم (٨)، في ٣ ربيع الأول ١٣٥٩هـ/ ١٨ أبريل ١٩٤٠م.

(٦) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، قسم الوثائق، وثائق أبو صابر، الوثيقة رقم (٣٤٩)، تذكرة سفر سفرية من مأمور الجوازات بتوقيع أمير تبوك، بتاريخ ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

(٧) المصدر نفسه، الوثيقة رقم (٣٦١) رخصة لطلوع البحر، بتاريخ ٩ ذو الحجة ١٣٥٤هـ/ ٤ مارس ١٩٣٦م.

الخاصة في هذا الشأن، كما فعل مدير شرطة الوجه للتأكد من هويات بعض المواطنين من أهل الوجه يعملون كمستخدمين في إحدى السفن بين موانئ السويس والوجه وضباء دون حصولهم على تذاكر مرور تسمح لهم بالتنقل. وقد أخذت عليهم كفالة، ثم أصدرت لهم جوازات سفر من قبل أمير الوجه^(١).

وكانت مديرية الأمن العام قد خاطبت أمير المقاطعة الشمالية بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ/ ٢٧ أبريل ١٩٤٨م، تطلب منه القبض على مجهولي الهوية والتحقيق معهم في عاصمة المقاطعة، وعدم إرسالهم إلى مكة المكرمة لما في ذلك من كلفة وجهد، وإبعاد من يثبت أنهم مخالفون للأوامر الصادرة بهذا الشأن. ولم يكن يسمح لأحد بدخول منطقة تبوك من خارجها إلا إذا كان يملك وثائق رسمية تسمح له بذلك^(٢).

وقد اتخذت إجراءات مشددة لضبط دخول الأجانب الذين ازدادوا كثيرا خلال الستينيات من القرن الرابع عشر الهجري الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي، ولذلك أكد نائب جلاله الملك في خطاب له بتاريخ ٩ شعبان ١٣٦٧هـ/ ١٧ يونيو ١٩٤٨م على ضرورة التشديد في عدم السماح لأي شخص بالدخول ما لم يكن حاملا للوثائق اللازمة، وقد تم التنسيق في هذا الشأن بين مديرية الأمن العام وأمير المقاطعة الشمالية^(٣).

وحرصت الدولة أيضا على مكافحة التهريب ووسائله، وقد تم إصدار أمر بذلك، وركزت إمارة المقاطعة الشمالية على هذا الجانب حيث طلبت من أمراء المقاطعة التأكد من عدم وجود المهربين، الذين كانوا يستخدمون الجمال وسيلة لذلك^(٤).

والجدير بالذكر أنه تم استنفار جميع الأجهزة الأمنية والعسكرية خلال حركة حامد بن سالم بن رفادة بمحلتها الأولى والثانية، وأرسلت تعزيزات عسكرية للتمركز في مدن المنطقة الساحلية، حيث وضع على سبيل المثال خمسون جنديا ومعهم الذخيرة اللازمة في قلعة المويلح، وتم التأكيد على مدير مركز المويلح بضرورة متابعة الأوضاع متابعة حثيثة، والتنبه إلى كل نشاط

(١) وثائق محمود بن علي أبو سالم محافظة الوجه بمنطقة تبوك، من أمير الوجه إلى مأمور مرفأ الوجه، ١٥ رمضان ١٣٥٤ هـ/ ١٠ ديسمبر ١٩٣٥م.

(٢) المصدر السابق، من أمير المقاطعة الشمالية إلى أمير الوجه، تاريخ ٢٨ رمضان ١٣٦٧هـ/ ٤ أغسطس ١٩٤٨م.

(٣) المصدر نفسه، من نائب جلاله الملك، إلى أمير المقاطعة الشمالية.

(٤) المصدر نفسه، قسم الوثائق، من نائب جلاله الملك إلى أمير المقاطعة الشمالية بتاريخ ٢٦ رجب ١٣٦٧هـ/ ٥ يونيو ١٩٤٨م.

مريب في المنطقة^(١). وكانت الاتصالات مستمرة أثناء الحركة بين أمراء المنطقة والملك والنائب العام، وبين الأمراء أنفسهم من أجل تتبع تحركات ابن رفادة تمهيدا للقضاء عليها^(٢).

وقد ازداد اهتمام الملك عبد العزيز بأمن المنطقة بعد نهاية حركة حامد بن سالم بن رفادة حيث أرسل عبر البحر إلى الوجه في ١١ ذو القعدة ١٣٥٣هـ/ ١٥ فبراير ١٩٣٥م عددا من الجند تم توزيعهم على مدن المنطقة، وأرسل خمسون منهم إلى تبوك، وثلاثون إلى حقل^(٣).

هذا وقد ساعد على انتشار الأمن واستتبابه، لا في منطقة تبوك وحدها، وإنما في مختلف المناطق السعودية، ما يلي:

- إرسال الدعاة والوعاظ إلى البادية، والاهتمام بالتعليم ونشر الثقافة الإسلامية^(٤).
- تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على الجميع دونما تفرق أو تمايز^(٥).
- الاهتمام بالكشف عن المجرمين وملاحقتهم وإحالتهم إلى المحاكم، وسرعة البت في قضاياهم وتنفيذ الأحكام الصادرة بحقهم حال صدورها^(٦).
- الاهتمام بالأمن الغذائي للمواطنين، حيث عمل الملك عبد العزيز على تخفيف وطأة الفقر على أبناء البادية، وخصص مبالغ مالية لشيخ القبائل^(٧)، وقدم الإعانات الضرورية في حالة القحط وانتشار المجاعات مثلما حدث في سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م^(٨)، وعندما شحت المؤن أثناء الحرب العالمية الثانية، سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م، عندها أمر الملك بإنشاء المبرات الملكية في أنحاء البلاد^(٩).

^(١) وثائق الشريف الوكيل المويلحي من المويلح بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل، الوثيقة رقم (٣٠)، من أمير ضباء إلى مدير مركز المويلح بتاريخ ٢٠ صفر ١٣٥١هـ/ ٢٥ يونيو ١٩٣٢م.

^(٢) عبد اللطيف محمد الحميد: من رجال الملك عبد العزيز (إبراهيم بن عبد الرحمن النشمي)، الدرعية، س١، ع٢، ربيع الآخر ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م، ص ٩٣-٩٥؛ وثائق الشريف الوكيل المويلحي، وثيقة رقم (٣٤)، من أمير ضباء إلى مدير مركز المويلح، ٢ ربيع الأول ١٣٥١هـ/ ٦ يوليو ١٩٣٢م.

^(٣) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، قسم الوثائق، وثائق أبو صابر، الوثيقة رقم (٣٥٦)، من سنوسي حمدان أبو صابر إلى أحمد محمود أبو صابر.

^(٤) إبراهيم بن عويص العتيبي: الأمن في عهد الملك عبد العزيز تطوره وآثاره، ص ١٠٨-١١٠، رابح لطفي جمعة: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٥٢.

^(٥) رابح لطفي جمعة: المرجع السابق، ص ١٥٢.

^(٦) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٢، ص ٤٥٣.

^(٧) يحيى عبد الله المعلمي: الأمن في المملكة العربية السعودية، القاهرة، شركة فن للطباعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٤١.

^(٨) عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٨٨-١٨٩.

^(٩) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، أمر نائب جلالة الملك رقم (٩٣٩)، بتاريخ ٢٣ ذو الحجة ١٣٥٥هـ/ ٢١ فبراير ١٩٣٧م.

• سهولة الوصول إلى ولي الأمر، حيث أعلن الملك عبد العزيز للناس أنه بإمكان أي منهم، إذا وقع عليه ظلم أن يقدم عليه وإن لم يستطع أن يرسل مجانا برقية بشكواه^(١).

والجدير بالذكر أن الأمن بشكل عام كان منوطاً بوزارة الداخلية التي يعتبر يوم الأربعاء ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ/ ١٣ يناير ١٩٢٦ م يوم ميلادها، ففيه أصدر الملك عبد العزيز أمراً ملكياً عهد فيه إلى ابنه الأمير فيصل بتولي رئاسة الحكومة في مكة المكرمة؛ فاستلم زمام الأمور وباشر مهمته، وكان يعاونه مساعد، ومجلس استشاري مؤلف من ثلاثة أعضاء عنهم الملك. وقد لقب الأمير فيصل (النائب العام)؛ لأنه كان يقوم بأعمال الحكومة المركزية بصفته نائباً عاماً عن الملك في إدارة الحجاز، وقد شمل منصب النائب العام أعمال رئاسة الحكومة وأعمال وزارة الداخلية والمؤسسات المرتبطة بها^(٢). وقد نصت التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية على منصب النائب العام حيث نصت المادة السابعة منها على: "يعين من قبل صاحب الجلالة الملك نائب عام، وبقدر اللزوم مديرون ورؤساء لتدوير أمور المملكة"^(٣). وكان الأمن جزءاً من النيابة العامة، وكان حفظه في مقدمة اهتمامات النائب العام^(٤).

وقد ربطت بوزارة الداخلية في سنة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٤ م كل من لجنة تدقيق الإحصاءات التي فوض تشكيلها إلى اللجنة، ومديرية مصلحة خفر السواحل وتوابعها^(٥).

(١) أم القرى، س٣، ع، ٢٣٢، ٢٩ ذي الحجة ١٣٤٧ هـ، ص ١؛ إبراهيم بن عبيد، تذكرة أولي النهي والعرفان، ج٤، ص ٣١٥.

(٢) حافظ وهبة: خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص ٦٦؛ خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج٢، ص ٣٥٧-٣٥٨؛ سعد بن عودة الراددي: المؤسسات الأمنية في المملكة العربية السعودية، ص ١٤-١٥.

(٣) أم القرى، س٢، ع ٩٠، تاريخ ٢٥-٢-١٣٤٥ هـ/ ٢-٩-١٩٢٦ م، ص ٣.

(٤) أم القرى، س٢، ع ٥٧، تاريخ ١٥-٧-١٣٤٤ هـ/ ٢٩-١-١٩٢٦ م، ص ١؛ عبد المحسن بن صالح اليوسف: سلطان نجد والحجاز وملك المملكة العربية السعودية في صحافة عصره، الرياض، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م، ص ٧٥٤.

(٥) حسن عبد الحي قزاز: الأمن الذي نعيشه، جدة، مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ج١، ص ٦٣.

وقد ألغيت وزارة الداخلية عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، وتم دمجت أعمالها مع أعمال مجلس الوكلاء الذي كان برئاسة الأمير خالد بن عبد العزيز، وأصبح هذا المجلس هو الذي يشرف على الأعمال التي كانت تقوم بها وزارة الداخلية، وارتبطت به الدوائر والمؤسسات التي كانت تابعة لها^(١). ثم أعيد تشكيل وزارة الداخلية بموجب المرسوم الملكي رقم ٤/١١/٥ تاريخ ٢٦ شعبان ١٣٧٠هـ/ ١٧ مايو ١٩٥١م، وتولى الأمير عبد الله الفيصل مهامها، وربطت الوزارة بالنائب العام الذي أصدر أمراً بتشكيل جهازها الرئيسي . ومما ربط بوزارة الداخلية: مديرية الأمن العام، ومديرية مصلحة خفر السواحل، والمقاطعة الشمالية ومركزها مدينة تبوك.

وقد كان المحور الأساسي لأعمال وزارة الداخلية: السهر على ضبط الأمن الداخلي في كل أرجاء البلاد، بما في ذلك حدودها البرية والبحرية، ومياهاها الإقليمية^(٢).

وكان الملك عبد العزيز يحرص على تقدير رجال الأمن العام حرصه على الأمن في البلاد، فكان يتابع جهودهم ويعمل على تكريمهم مادياً ومعنوياً^(٣). وقد تم إصلاح الجهاز الإداري للشرطة عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، حيث تم إحداث لجان وهيئات، ثم إدارة لمراقبة أعمال وممارسات رجال الشرطة لواجباتهم، وأصبح للشرطة فروع في كل من الوجهه وضياء وغيرهما^(٤). وقد اقتضى توسع تشكيلات مديريات الشرطة وإحداث فروع لها في مدن الحجاز بما في ذلك منطقة تبوك، إسناد قيادتها إلى جهة واحدة تكون مرجعاً لهذه الإدارات، وتتولى مهمة تنظيم أعمالها، وتنسيق جهودها، وذلك سنة ١٣٤٩هـ^(٥). وقد كانت هناك خلال هذه الفترة، أي فترة توحيد إدارات الشرطة، مديرية للشرطة في كل من الوجهه، ومركز للشرطة في ضياء^(٦).

هذا وقد تم تعزيز الإمارات والقوات النظامية بأعداد جديدة من الشرطة، وأصبحت قوة الشرطة تتكون من عدة فروع هي: المشاة، وحركة المرور، والخيالة، وراكبي الدراجات النارية، وراكبي السيارات^(٧).

(١) سعد بن عودة الراددي: المؤسسات الأمنية في المملكة العربية السعودية، ٣٩-٤٠.

(٢) سعد بن عودة الراددي: المرجع السابق، ٤١-٥٠.

(٣) أم القرى، س٦، ع ٢٩٠، تاريخ ١-٢-١٣٤٩هـ/٢٧-٦-١٩٣٠م، ص ٢.

(٤) سعد بن عودة الراددي: المرجع السابق، ص ١٨٦-١٨٧.

(٥) دارة الملك عبد العزيز، قسم الوثائق، الأمر الملكي رقم (٢٤٤) تاريخ ٨ ربيع الأول ١٣٤٩هـ/ ٥ أغسطس ١٩٣٠م، سعد بن عودة الراددي: المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٦) أم القرى، س٨، ع ٣٩٠، تاريخ ٢٨-٢-١٣٥١هـ/٣-٦-١٩٣٢م.

(٧) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ٢٢١؛ فؤاد شاكر: دليل المملكة العربية السعودية، (د.ن)،

١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص ١٨٢.

وقد ارتبطت بإدارات الشرطة مكاتب الجوازات^(١)، والتي كان يضمها سابقاً منذ عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ما سمي (قلم الجوازات) الملحق بمديرية الشرطة العامة^(٢)، ووضعت أيضاً تعليمات خاصة بتذاكر المرور البرية وكانت هذه التذاكر وفقاً للتعليمات تمنح من إدارات الشرطة أو من الحاكم الإداري في المدن التي لا يوجد بها إدارات للشرطة. وكانت تذاكر المرور تمنح للمسافرين إلى الدول المجاورة عبر الحدود البرية^(٣)، ويذكر هنا أن بلاغاً رسمياً برقم (١٧) صدر في ١٣٥٥/١٠/٣٠هـ أعلن فيه أنه تم الاتفاق بين حكومتي المملكة وشرق الأردن على إعفاء رعايا الحكومتين الذين يجتازون الحدود برا بقصد التجارة من رسوم التأشير. وأعلنت الحكومة السعودية لرعاياها الذين يجتازون الحدود إلى شرق الأردن بضرورة الحصول على جواز سفر أو تذكرة مرور، وأن يكون بحوزتهم شهادة تثبت أنهم تجار أو يتبعون لتجار صادرة عن مفتش الحدود الشمالية أو إمارة الجوف أو إمارة تبوك^(٤).

وارتبطت بقوى الأمن الداخلي التابعة لوزارة الداخلية: المديرية العامة لحرس الحدود، وتختص هذه المديرية "بجراسة الحدود البرية والبحرية والموانئ والمياه الإقليمية والحفاظة على أمنها، ومكافحة التهريب والتسلل عبر حدود المملكة البرية والبحرية، ومياهها الإقليمية. وضبط المهربات في هذه المواقع وبداخل المرافئ، وتنظيم الشؤون البحرية وما يتعلق بأعمال المرافئ في البحر وفقاً لمقتضى الأنظمة"^(٥).

وكانت المديرية العامة لحرس الحدود تسهم في حفظ أمن المجتمع السياسي والاقتصادي والاجتماعي إلى جانب حفظ الأمن، وتأمين إجراءات السلامة العامة عن طريق قمع التهريب والتسلل، وضبط المهربين والفارين من وجه العدالة، والحفاظة على أمن السفن في المياه

(١) سعد بن عوده الرادادي: المؤسسات الأمنية في المملكة العربية السعودية، ٢٠٢-٢٠٧.

(٢) أم القرى، س ١٠، ع ٤٩٦، تاريخ ٣-٣-١٣٥٣هـ/١٥-٦-١٩٣٤م، ص ٢.

(٣) أم القرى، س ١١، ع ٥٤١، تاريخ ٢٢-١-١٣٥٤هـ/٢٦-٤-١٩٣٥م، ص ٢؛ أم القرى س ١٢، ع ٦٢٣، تاريخ ٢٨-٨-١٣٥٥هـ/١٣-١١-١٩٣٦م، ص ٤.

(٤) أم القرى، س ١٣، ع ٦٣٢، تاريخ ٢-١١-١٣٥٥هـ/١٥-١-١٩٣٧م، ص ٥.

(٥) أنظر المادتين (٣-٤) من نظام مديرية مصلحة خفر السواحل وتوابعها لسنة ١٣٥٣هـ، المملكة العربية السعودية: نظام مديرية مصلحة خفر السواحل وتوابعها، مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ط ٤، ١٣٨٧هـ،

الإقليمية^(١).

وكان محافظ السواحل يتفقددها بين حين وآخر، ففي ذي الحجة من عام ١٣٤٥هـ/يونيو ١٩٢٧م قام بزيارة المويلح للتأكد من حركة القادمين والمغادرين، وطلب من مدير مركز المويلح متابعة الأمر باستمرار^(٢).

وكانت قد أنشئت في بداية ضم الحجاز إدارة سميت (دائرة المرافئ والموانئ)، وكانت مهمة هذه الدائرة إصدار الرخص للغواصين واستقبال السفن في الموانئ، وإنهاء إجراءات القادمين والمغادرين منها، واستيفاء الرسوم المقررة عليها، وكانت توجد أيضا مفرزة للدوريات البحرية، ومركز للدوريات البرية^(٣)، وظلت هذه الدوائر منفصلة عن بعضها حتى عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، وقد تم توحيد الدوريات البرية والبحرية في إدارة جديدة سميت "مديرية مصلحة خفر السواحل وتوابعها" وربطت بها دائرة المرافئ^(٤).

وقد تم التنفيذ الفعلي لهذا التنظيم الجديد أوائل عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م^(٥).

وصدر في عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م (نظام مديرية مصلحة خفر السواحل وتوابعها)^(٦)، وقد عرف النظام في المادة (٣) هذه المديرية بأنها "الدائرة المكلفة بالمحافظة على السواحل،

(١) سعد بن عودة الراددي: المؤسسات الأمنية في المملكة العربية السعودية، ص ٦٠٦-٦٠٧.

(٢) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويلحي من المويلح بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل، الوثيقة رقم (١)، من محافظ السواحل إلى مدير المويلح.

(٣) أم القرى، س ٧، ع ٣٤٦، تاريخ ١٥-٣-١٣٥٠هـ/٣١-٧-١٩٣١، ص ٢؛ خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، ص ٤١١.

(٤) أم القرى، س ٥، ع ٢٣٧، تاريخ ٥-٢-١٣٤٧هـ/١٢-٧-١٩٢٩، ص ٢؛ أم القرى، س ٧، ع ٣٤٦، تاريخ ١٥-٣-١٣٥٠هـ/٣١-٧-١٩٣١، ص ٢؛ سعد بن عودة الراددي: المرجع السابق، ص ٦١٦-٦١٧؛ فؤاد علي رضا: تعريف بوضعنا الإداري (مديرية مصلحة خفر السواحل)، مجلة المنهل، س ١٥، م ١٠، ع ٨، شعبان ١٣٦٩هـ/مايو ١٩٥٠م، ص ٢٩٢.

(٥) فؤاد علي رضا: المقالة السابقة، مجلة المنهل، س ١٥، م ١٠، ع ٨، شعبان ١٣٦٩هـ/مايو ١٩٥٠م، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٦) أم القرى، س ١٠، الأعداد ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، تاريخ ٨/٤/١٣٥٣ - ٢٢/٤/١٣٥٣هـ — ٢٠/٧/١٩٢٤ - ١٣/٨/١٩٣٤م، ص ٢؛ فؤاد علي رضا: المقالة السابقة، مجلة المنهل، س ١٥، م ١٠، ع ٨، شعبان ١٣٦٩هـ/مايو ١٩٥٠، ص ٢٩٢ - ٢٩٤.

وضبط المهربات برا وبحرا وبداخل المرافئ أو بواسطة الدوريات البرية أو البحرية والمفرزة البحرية والمراكز الثابتة في الثغور" وحدد النظام واجبات المديرية في المواد (٤-٢٢) ، وتتركز هذه الواجبات في تنظيم الشؤون البحرية، وما يتعلق بأعمال المرافئ في البحر، وترتيب الدوريات المتحركة والثابتة برا وبحرا، ومراقبة أعمال الموانئ^(١).

وقد وجدت إدارات تابعة لمديرية مصلحة خفر السواحل في أملج والوجه والخريسة وضبا وحقل، وربطت المصلحة بمركز للدوريات في كل من ميناء أملج والوجه وضباء والمويلح ومقنا وحقل^(٢).

واستكمالا للإجراءات الأمنية وتشديدها في منطقة تبوك، وخاصة في أعقاب حركة حامد بن سالم بن رفاده، تم إنشاء عدد من المراكز الأمنية في ساحل المنطقة، حيث أنشئ مركز أمني في كل من مقنا وحقل وعلقان، وتم تزويده بعدد من الجنود. وقد أكد نائب الملك/ رئيس مجلس الوكلاء على تشديد الإجراءات الأمنية في خطابه إلى مديرية الشرطة العامة بتاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٣٥٤ هـ/الأول من يوليو ١٩٣٥ م^(٣).

وقد استخدمت القلاع العسكرية في الوجه وضباء وتبوك مراكز للشرطة^(٤)، واستخدمت لغرض نفسه قلعة ذات الحاج، وقلعة حقل التي بنيت عام ١٣٥٩ هـ/ ١٩٤٠ م^(٥).

ويمكن القول، خلاصة لما تقدم، أن الملك عبد العزيز حقق في منطقة تبوك وفي غيرها من البلاد السعودية الأمن المنشود، وذلك بجهوده، ومتابعته الدقيقة للأمن والمؤسسات الأمنية التي أنشأها وطورها، وعدم مراعاته صغيرا أو كبيرا في هذا المجال، ذلك أن البلاد كما قال: "لا يصلحها غير السكون" (الأمن)^(٦).

(١) مطبعة أم القرى: نظام مديرية مصلحة خفر السواحل وتوابعه (صدر الأمر السامي بالموافقة على هذا النظام بتاريخ ٢٩/١/١٣٥٣ هـ، ورقم ٢١٨/٣١٨)؛ خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، ص ٤١١-٤١٢.

(٢) خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٢.

(٣) حمود بن ضاوي القثامي: شمال الحجاز ج ١، ص ٣٤١.

(٤) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٢٣٧؛ علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٧٧، ٢٨٣؛ هشام محمد عجمي: قلاع الأزمن والوجه وضبا، ص ٢٣٤.

(٥) محمد عدنان البيخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٣٧؛ عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ٢٥٥، ٢٦٢.

(٦) إبراهيم بن عويض العتيبي: الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص ٤٢٩.

المحاكم الشرعية

وجد في منطقة تبوك قبيل العهد السعودي عدد من القضاة في مدن: أملج والوجه وضباء وتبوك وتيماء^(١). وكان المسجد في كل من تبوك وتيماء هو دار القضاء^(٢). أما المدن الأخرى: أملج والوجه وضباء فكان في كل منها محكمة شرعية يتوجه إليها الناس في خصوماتهم وقضاياهم^(٣). وكان التقاضي بين الخصوم، وإصدار الأحكام، كل ذلك يتم بأسلوب بسيط وفقاً للأحكام الشرعية^(٤)، وإذا كان الخصوم من أفراد قبيلة واحدة فإنهم يتقاضون عند أحد أفراد القبيلة وفقاً للعرف القبائلي، أما إذا كان النزاع بين قبيلتين فكان الشريف حسين بن علي يحكم بينهما^(٥).

وكانت واجبات المحكمة الشرعية في منطقة تبوك تقتصر على الشؤون المتعلقة بقضايا الميراث والتركات، بالإضافة إلى النظر في شؤون الأوقاف والقضايا المتعلقة بالمبيعات والوكالات^(٦).

وكانت توجد في المنطقة محكمة أخرى هي: محكمة المواد المستعجلة، ووظيفتها: النظر في القضايا والدعاوى المتعلقة بالسرقات والأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق والنفقة والمهور، وكذلك القضايا المالية البسيطة والجنائية التي ترتبط بإدارة الشرطة. وكانت المحكمة تحقق في هذه القضايا وتحسمها بسرعة، باستثناء بعض القضايا الجنائية التي كانت تحيلها -

(١) دارة الملك عبد العزيز، التاريخ الشفوي، رقم التصنيف (٣٩٩)، (٢٧٣)؛ موسى مصطفى العبيدان: مدينة ضباء بين الماضي والحاضر، ص ٧٧؛ محمد بن حمد التيمائي: تيماء، ص ١٥٧.

(٢) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: التعليم في منطقة تبوك، تبوك، إدارة التعليم بمنطقة تبوك، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص ٣٣؛ محمد بن حمد التيمائي: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٣) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٩؛ عبد الله بن محمد بن عايض الزهراني: تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي ١٣٤٤-١٤١٦هـ، مكة المكرمة، مطابع بهادر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، مج ٣، ص ٤٥٦-٤٥٧، ٤٦٤-٤٦٦، ٤٨٨.

(٤) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٠٦.

(٥) خير الدين الزركلي: ما رأيت وما سمعت، الطائف، مكتبة المعارف، ١٣٩٨هـ، ص ٢٠٦-٢٠٧؛ أمين الريحاني: ملوك العرب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٤١.

(٦) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ٨١.

بعد التحقيق - إلى قاضي القضاة الذي يحيل بدوره بعضها - حسب مقتضى الحال - إلى محكمة التعزيزات الشرعية^(١).

وكانت هاتان المحكمتان أي المحكمة الشرعية ومحكمة المواد المستعجلة تقعان على ساحل المنطقة؛ وذلك لكثرة المشاكل الواقعة كانت تقع بين القادمين والمغادرين عبر الموانئ، وبينهم وبين السكان المحليين، وبشكل خاص المشكلات المتعلقة بالتجارة والأموال.

وعندما آل حكم المنطقة إلى الملك عبد العزيز اهتم بالقضاء وتنظيماته انطلاقاً من أن العدل أساس الملك. وقد عمل على تحكيم الشريعة في جميع مظاهر الحياة، وإخضاع أنظمة الدولة لها. وحرص منذ بداية عهده على حل الخلافات بين الأفراد والجماعات، وحماية حقوقهم لكي يشعر كل فرد بالطمأنينة على نفسه وماله وعرضه. كما حرص على أن يكون الناس سواسية في تحقيق العدالة بينهم^(٢).

وقد تأثر النظام القضائي في بداية حكم الملك عبد العزيز لمنطقة تبوك بالنظام القضائي العثماني المستند إلى المذهب السائد آنذاك، وهو المذهب الحنفي، إضافة إلى القضاء العشائري القائم على العرف القبلي^(٣). غير أن المنطقة ما إن استقرت أوضاعها السياسية لصالح الملك، حتى بدأ بتوحيد مصادر الأحكام وتطوير الجهاز القضائي من أشكاله الأولية البسيطة الموروثة إلى صور متعددة اقتضتها ضرورات الحياة الحديثة المتشابكة، وقد دفعته إلى ذلك الرغبة في إشاعة العدل كأساس للاستقرار. وقد مهد بذلك الطريق لبسط نفوذ المحاكم على كل أنحاء الدولة من حاضرة وبادية^(٤).

وقد بدأ تشكيل رئاسة القضاء بعد دخول الملك عبد العزيز الحجاز، وكانت هذه الرئاسة تراقب الدوائر الشرعية والهيئات الدينية مراقبة تامة، وهذه الهيئات هي: الأمر بالمعروف والنهي

(١) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ٨٢.

(٢) سعود آل دريب: التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية، الرياض، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٢٧٩.

(٣) سعود آل دريب: الملك عبد العزيز ووضع التنظيم القضائي في المملكة، جدة، دار المطبوعات الحديثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٥٢.

(٤) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٠٥.

عن المنكر، والمطاوعة، والمرشدون، والأئمة والمؤذنون والمدرسون والمساجد، وقد ربط رئيس القضاة إداريا بالنيابة العامة. وبعد تشكيل مجلس الوكلاء سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣١م أتبعت رئاسة القضاء به، ثم ألحقت بوزارة الداخلية بعد إعادة تشكيلها عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١م^(١).

هذا، وقد أكد (نظام سير المحاكمات الشرعية) الذي صدر عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م على ضرورة البت في القضايا المعروضة على المحاكم خلال عشرة أيام من تاريخ تسلّم القاضي للقضية، وذلك حرصاً على عدم تعطيل مصالح الناس^(٢).

وقد ألحقت بالمحاكم أجهزة مساعدة للقضاء، أهمها كتابة العدل، وبيت المال^(٣). وتم تشكيل هذه الأجهزة بصدور نظام تشكيلات المحاكم الشرعية في ٦ صفر ١٣٤٦هـ/ ٢ أغسطس ١٩٢٧م^(٤)، حيث صدر مرسوم ملكي بتاريخ ٢٦ صفر ١٣٤٦هـ/ ٢٤ أغسطس ١٩٢٧م بالموافقة على (نظام الكتاب العدل)، وكان يتكون من ثلاثين مادة^(٥).

ولم يكن من اختصاص (الكتاب العدل) أو (بيت المال) الفصل في القضايا، وإنما لهما وظائف محددة مختلفة، فالكتاب العدل يعتبر شاهداً رسمياً معيّناً من قبل الدولة على بعض التصرفات التي تترتب عليها حقوق وواجبات^(٦)، ومن وظائفه: تحرير السندات المالية، وتحرير الوكالات والوصايا، وتحرير الوثائق التجارية والتصديق عليها، وتحرير العقود التجارية، وتحرير الإنذارات^(٧).

(١) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٢٩-٢٣١.

(٢) أم القرى، ع ٣٤٦، تاريخ ١٥ ربيع الأول ١٣٥٠هـ، ص ٢؛ سعود آل دريب: الملك عبد العزيز ووضع التنظيم القضائي، ص ٩٤-٩٥.

(٣) سعود آل دريب: المرجع السابق، ص ٧٠.

(٤) أم القرى، س ٣، ع ١٤٠، تاريخ ٢١ صفر ١٣٤٦هـ، ص ١.

(٥) عبد العزيز آل الشيخ: لمحات حول القضاء في المملكة العربية السعودية، الرياض، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص ٩٩.

(٦) عبد العزيز آل الشيخ: المرجع السابق، ص ٩٨.

(٧) أم القرى س ٣، ع ١٤٠، تاريخ ٢١ صفر ١٣٤٦هـ، ص ٢؛ عبد العزيز آل الشيخ: المرجع نفسه، ص ٩٩.

أما (بيت المال) الذي استحدث مع صدور نظام تشكيلات المحاكم الشرعية، فوظيفته معروفة من العهد العثماني، وهي: الحجز على التركات إذا لم يكن للميت وارث، أو كان ورثته قُصّر، أو غائب وليس له وكيل، وإحصاء مخلفات الحجاج وتوزيعها على مستحقيها^(١).

وارتبطت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برئاسة القضاء، وكانت تعمل تحت إشرافها^(٢)، ووظيفة هذه الهيئة هي وعظ الناس في الأسواق والأماكن العامة وإرشادهم، وبذلك فإنها تخفف عن المحاكم الشرعية الكثير من الأعباء، حيث تعتبر الخدمات التي تقدمها قضائية وأمنية^(٣). وقد تم تشكيل هذه الهيئة استجابة للآية الكريمة: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله"^(٤).

وقد أنشئت أول هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة، وكان بموجب بلاغ رسمي صدر بتاريخ ١٠ شوال ١٣٤٤هـ/ ٢٣ أبريل ١٩٢٦م^(٥)، وفي العام نفسه أنشئت في المدينة المنورة، ثم صدرت إرادة ملكية في ١٦ صفر ١٣٤٦هـ/ ١٤ أغسطس ١٩٢٧م بإنشاء هيئات مماثلة في الملحقات على أن يكون مركز هذه الهيئات في مكة المكرمة، ومنذ ذلك التاريخ أنشئت هيئات في إمارات منطقة تبوك، وكان يشترط في أعضائها أن يكونوا من ذوي الأخلاق الحميدة، ومن أرباب العلم بالشرعة، ويعين كل هيئة عدد من الجنود لدعم قيامهم بالواجبات المنوطة بهم، ومنعهم من استخدام الشدة والعنف مع الناس^(٦).

(١) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ٢٠١-٢٠٢؛ عبد العزيز آل الشيخ: نحات حول القضاء في المملكة العربية السعودية، ص ٧٣؛ خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٢، ص ٤٢٩.

(٢) أم القرى، س ٣، ع (١٤٠)، تاريخ ٢١ صفر ١٣٤٦هـ، ص ١؛ سعود آل دريب: التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية، ص ٢٨٩.

(٣) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٢٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٥) عبد الحميد الخطيب: الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ج ١، ص ٢٥٠.

(٦) أم القرى، س ٣، ع ١٤٠، تاريخ ٢١ صفر ١٣٤٦هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٢٧م؛ فهد بن مرزوق اللحاني: المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٤-١٣٧٣هـ/ ١٩٢٦-١٩٥٣م، ص ١٦٨.

و حرصاً من الملك عبد العزيز آل سعود على عدم قيام رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأي تجاوزات حدد واجبات الهيئة وأعمالها، وأهمها :

- تنبيه الناس إلى أوقات الصلاة، ودفع المتخلفين عنها إلى أقرب مسجد بالحسن.

- منع البدع في المآتم والأفراح.

- دعوة الناس بالحسنى إلى ترك المعاصي والخرافات والأباطيل.

- منع العوام من السب والشتم.

- الرفق بالأرامل والعجزة، والأخذ بيد الضعيف.

- الرفق بالحيوان.

- إزالة ما هو مجمع عليه من المنكرات، وتنفيذ ما هو مجمع عليه من المعروف، والرجوع فيما هو مختلف فيه إلى هيئة مراقبة القضاء.^(١)

وقد صدر نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ٢٦ رجب ١٣٤٩هـ/ ١٧ ديسمبر ١٩٣٠م رُبطت الهيئة بموجبه بمدير الشرطة العام^(٢)، ثم أعيد ربطها برئاسة القضاة بموجب نظام جديد للهيئة صدر في ١٥ محرم ١٣٥٦هـ/ ٢٨ مارس ١٩٣٧م^(٣).

وأسست مديرية الأوقاف العامة في مكة المكرمة بتاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٣٥٤هـ/ ٢١ مارس ١٩٣٧م، وربطت بها الأوقاف في منطقة تبوك^(٤).

وكانت المحاكم الشرعية، والكتاب العدل، وبيوت المال، والأوقاف تخضع لرئاسة القضاء التي كان من مهامها الإشراف على هذه الهيئات. وكانت رئاسة القضاء هي التي ترشح القضاة للتعين، ولرئيس القضاة صلاحيات عديدة من أهمها: الرقابة على المحاكم، وتصديق الأحكام، والإفتاء^(٥). وقد ضمت رئاسة القضاء أيضاً دائرة تفتيش المحاكم التي كان فيها عدد من المفتشين الشرعيين، وكان من اختصاص المفتش العام، ومركزه مكة المكرمة، تفتيش محاكم

(١) أم القرى، س٣، ع ١٤٠، تاريخ ٢١ صفر ١٣٤٦هـ.

(٢) سعد بن عوده الراددي: المؤسسات الأمنية في المملكة العربية السعودية، ص ٦١٢-٦١٤.

(٣) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٣٠.

(٤) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ٢٢٤-٢٢٥؛ فؤاد رضا: تعريفات بوضعنا الإداري..

مديرية الأوقاف العامة، مجلة المنهل، مج ٩، ع ٧، رجب ١٣٦٨، ص ٢٨١.

(٥) إبراهيم بن عويض العتيبي: المرجع السابق، ص ٢٣٢.

منطقة تبوك، والتي كان يتوافر في كل بلدة فيها محكمة من بلدات المنطقة: قاض وكاتب بالعدل، وشخص يتولى بيت المال. وقد وُجدت في منطقة تبوك محاكم شرعية في كل من : أملج، والوجه، وضباء، وحقل، وتبوك^(١).

وقد طلبت محكمة أملج تعيين محضر من أهالي أملج يقوم مقام فراش، وشراء فرش للمسجد، فوافق مجلس الشورى على هذا الطلب بتاريخ ٢٠ ذي الحجة ١٣٤٥هـ/ ٢١ يونيو ١٩٢٧م، وحدد راتباً للمحضر قدره مائة قرش أمير^(٢). وطلب قاضي أملج تعيين كاتب وخادم لمحكمة أملج، فوافق النائب العام بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٤٩هـ/ ٣١ يناير ١٩٣١م على قرار مجلس الشورى بهذا الشأن^(٣).

وكان لكل من المحاكم الشرعية في منطقة تبوك ميزانية خاصة بها، وقد بلغت ميزانية أملج مثلاً لعام ١٣٤٦/١٣٤٧هـ تسعة آلاف ومائة وعشرة قروش^(٤).

ولمعرفة الإجراءات التي كانت تتخذ من قبل رئاسة القضاة للتعيين في المجالات الشرعية المختلفة، فقد أشار البحث إلى أن أمير ضباء كتب إلى مجلس الشورى بأن معظم سكان المدينة يقصدون مسجداً أسسه محمود بديوي شحاته في وسطها، وأن هذا المسجد بحاجة إلى تعيين شخص يقوم بوظيفة الأذان والإمامة، فوافق المجلس بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ/ ١٦ نوفمبر ١٩٣٠م^(٥). واتخذ المجلس قراراً بتاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٤٩هـ/ ٢٦ مارس ١٩٣١م بتأجيل طلب قاضي ضباء بزيادة راتبه إلى حين إقرار الموازنة العامة^(٦).

(١) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٢، ص ٤٣٠-٤٣١.

(٢) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الشورى رقم (٧٥٢) تاريخ ٢٦ ذو القعدة ١٣٤٨هـ/ ٢٧ مارس ١٩٣٠م.

(٣) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الشورى رقم (١٤٧) تاريخ ٨ رمضان ١٣٤٩هـ/ ٢٧ يناير ١٩٣١م.

(٤) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الشورى رقم (١٤٥) تاريخ ٨ رمضان ١٣٤٦هـ/ ٢٩ فبراير ١٩٢٨م.

(٥) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الشورى رقم (٢٨٢) تاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ/ ١٦ نوفمبر ١٩٣٠م.

(٦) معهد الإدارة العامة، مركز الوثائق، قرار مجلس الشورى رقم (٥٧٧) تاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٤٩هـ/ ٢٦ مارس ١٩٣١م.

وكانت المحاكم في منطقة تبوك من المحاكم المستعجلة، حيث كان اختصاصها النظر في الدعاوى المالية التي لا تزيد عن ثلاثة آلاف وثلاثمائة قرش سعودي، وفي قضايا الجنح والتعزيرات الشرعية والحدود التي لا قطع فيها وفق الأحكام الشرعية، وكذلك النظر في قضايا الجنح، وفي أمور البادية وما يتعلق بها^(١).

وكان القضاء في محاكم منطقة تبوك، إذا ما أشكل عليهم أمر يحيلونه إلى رئاسة القضاء لإبداء رأيها فيه، وكانت رئاسة القضاء تحيل الموضوع إلى النيابة العامة والتي ترسله بدورها إلى مجلس الشورى، فقد أرسل قاضي محكمة ضباء مستوضحاً الرأي بشأن أراض باعها مشايخ الطقيقات في عهد الحكومات السابقة، وفي عهد الحكومة السعودية، وقد استأنس مجلس الشورى بقرار سابق كان قد اتخذ بشأن الأراضي الموات والمشاع، وقرر بالإجماع في ٨ شوال ١٣٥٥هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٩٣٦م بأن ما جرى التصرف فيه في عهد الحكومات السابقة يبقى على حكمه، وأن بيع الطقيقات يظل نافذاً، وخاصة أنه بيد المشتري تمسكات مرعية^(٢). وقد صدر مرسوم ملكي برقم ٣/٢/٨٢ تاريخ ٥ محرم ١٣٥٦هـ/ ١٨ مارس ١٩٣٧م بالموافقة على قرار مجلس الشورى بشأن الأراضي التي باعها مشايخ الطقيقات^(٣).

وكان الملك عبد العزيز قد أصدر أمراً ملكياً برقم ٨٧/٣/١٠٤ تاريخ ٧ رجب ١٣٥٥هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٩٣٦م بالموافقة على تعيين قضاة في كل من أملج وتبوك، ويكون بناءً على ترشيح رئاسة القضاة عن طريق النيابة العامة^(٤).

وكانت بعض القضايا المتعلقة بالمحاكم الشرعية في منطقة تبوك ترفع إلى مجلس الوكلاء للبت فيها، فأتى إحدى زيارات المجلس للمنطقة لتفقد الدوائر الحكومية فيها، قدمت له هيئة تفتيش الشمال بتاريخ ٢٥ رجب ١٣٥٦هـ/ الأول من أكتوبر ١٩٣٧م تقريراً عن

(١) مجموعة النظم: قسم القضاء الشرعي، نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي، صدر الأمر السامي بالموافقة عليه برقم ٣/١/٣٢، تاريخ ٣/١/٤١٣٥٧هـ.

(٢) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الشورى رقم (٣٠٦) تاريخ ٨ شوال ١٣٥٥هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٩٣٦م

(٣) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، المرسوم ملكي رقم ٣/٢/٨٢ تاريخ ٥ محرم ١٣٥٦هـ/ ١٨ مارس ١٩٣٧م.

(٤) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، المرسوم ملكي رقم ٨٧/٣/١٠٤ تاريخ ٧ رجب ١٣٥٥هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٩٣٦م

المحكمة الشرعية في ضباء، وبناءً على هذا التقرير رأى مجلس الوكلاء ضرورة لفت نظر المحكمة لتقوم بإيداع أموال القصر في المالية، وإعداد دفتر خاص للموارث، وتخصيص خزانة لحفظ أموال القصر^(١).

وقدمت هيئة الشمال إلى مجلس الوكلاء أيضاً تقريراً عن المحكمة الشرعية في أملج بتاريخ ١٣ شعبان ١٣٥٦هـ / ١٨ أكتوبر ١٩٣٧م^(٢).

ولم تتوان السلطات المختصة عن تلبية حاجات المحاكم الشرعية في منطقة تبوك من الكتبة والقضاة وغيرهم، فقد أكد رئيس القضاة حاجة كل من هذه المحاكم إلى كاتب، فأحدث مجلس الوكلاء هذه الوظيفة، وذلك سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م. وقد تم تعيين الشيخ محمد علي الدباغ قاضياً لمحكمة ضباء، وعبد الوهاب سرتي كاتباً في المحكمة بقرار من مجلس الوكلاء، وذلك في ١٨ ربيع الأول ١٣٥٧هـ / ١٨ مايو ١٩٣٨م، بناءً على طلب رئيس القضاة^(٣). وفي محكمة الوجه تم تعيين محمد حسين العيسوي كاتباً بعد أن كان يعمل في هذه الوظيفة في الإمارة، وقد صدر الأمر السامي بالموافقة على هذا التعيين بتاريخ ٧ رجب ١٣٥٧هـ / ٢ سبتمبر ١٩٣٨م، وذلك بناءً على طلب رفعه رئيس القضاة إلى النائب العام^(٤).

وكان مجلس الوكلاء يشدد على ضرورة تعاون جميع الأجهزة الإدارية في منطقة تبوك من أجل تطبيق الأحكام الشرعية بحق المخالفين، وقد اتخذ مجلس الوكلاء قراراً هو القرار رقم (٢٩٤) تاريخ ٣ رجب ١٣٥٧هـ / ٢٩ أغسطس ١٩٣٨م بإلزام كل من حقل وعلقان بالتعاون مع إمارة ضباء في إحالة كل من عليه قضية من المواطنين إلى المحكمة الشرعية. وقد جاء

(١) معهد الإدارة العامة، الرياض ، مركز الوثائق: قرار مجلس الوكلاء رقم (٦١) تاريخ ٣٠ رجب ١٣٥٦هـ / ١٦ سبتمبر ١٩٣٧م.

(٢) معهد الإدارة العامة، الرياض ، مركز الوثائق: قرار مجلس الوكلاء رقم (٧٠) تاريخ ١٣ شعبان ١٣٥٦هـ / ٢٩ يونيو ١٩٤٧م.

(٣) معهد الإدارة العامة، الرياض ، مركز الوثائق: قرار مجلس الوكلاء رقم (٣٩).

(٤) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، قسم الوثائق، وثنائق الغبان، وثيقة بلا رقم ، من قاضي الوجه إلى أمير الوجه، (من دون تاريخ).

هذا القرار بعد شكوى إمارة ضباء من أن نقطتي حقل وعلقان غير متعاونتين في هذا المجال^(١).

وكان لقضاة المحاكم الشرعية دور في مجال تثقيف القبائل، وتعليمها أصول الدين، فقد طلب قاضي تبوك من مجلس الوكلاء عن طريق الإمارة تعيين عدد من المطاوعة لإرشاد أهل البادية، وقد كتب مجلس الوكلاء إلى رئاسة القضاة للاستفسار من القاضي عن تحديد ما هو مطلوب من المطاوعة، وما هي آلية عملهم، وتحديد المواقع وكذلك أسماء القبائل التي سيذهبون إليها^(٢).

والجدير بالذكر أن وجود مرشدين إلى جانب شيوخ القبائل في حلها وترحالها كان أمراً متعارفاً عليه، وكان المرشد - إضافة إلى قيامه بواجبه يؤم المصلين، ويجري عقود الزواج^(٣).

ويبدو أن بعض الدعاوى المتعلقة بالقبائل في منطقة تبوك كانت تقدم في محكمة تبوك الشرعية، وتقدم في الوقت نفسه لمحاكم أخرى في المنطقة، يدل على ذلك أن معاملة قدمت من المقام السامي إلى مجلس الشورى، وكان رقمها (٨٠١٩) تاريخ ١٣ جمادى الآخرة ١٣٦٤هـ/ ٢٦ مايو ١٩٤٥م حول نخيل يحتاج إلى التلقيح، وكان أهله وهم من قبائل تبوك قد انتقلوا إلى مناطق قريبة من ضباء، وكان الأولى أن تنظر محكمة ضباء في هذا الموضوع، غير أنه قدم إلى محكمة تبوك، ولذلك عمل مجلس الشورى على تكليف مندوب من رئاسة القضاة، ومندوب من وزارة المالية، وناقشا الموضوع في ضوء مقترحات قدمها قاضي ضباء أخذها المندوبان باعتبارهم، وقررا إرسال مندوب من مالية ضباء لتلقيح النخيل الغائب أهله، على أن تحسم مصاريف التلقيح من قيمة التمر التي ستحفظ لدى المالية. وقد تم لفت انتباه رئاسة القضاء أن تطلب من محكمة تبوك عدم النظر في جميع دعاوى البادية، ومنها دعاوى المجاورين لضباء حتى لا يكون هناك تعارض أو ازدواجية^(٤).

(١) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الوكلاء رقم (٢٩٤) تاريخ ٣ رجب ١٣٥٧هـ/ ٢٩ أغسطس ١٩٣٨م.

(٢) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الوكلاء رقم (١٦٠) تاريخ ١٩-٥-١٣٥٨هـ/ ٧ يوليو ١٩٣٩م.

(٣) عبد الله بن كريم بن عطيه : الشيخ كريم بن عطيه سيرة وثلاث عهود، ص ١٥٥-١٥٦.

(٤) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الشورى رقم (١٨٣) تاريخ ١٩ شعبان ١٣٦٤هـ/ ٢٠ يوليو ١٩٤٥م.

وكانت مسألة غسل الموتى وتكفينهم ودفنهم من المسائل المهمة التي تهتم بها المحاكم الشرعية في منطقة تبوك، فقد خاطب قاضي محكمة ضباء رئاسة القضاة بتاريخ ٢ محرم ١٣٦٥هـ / ٧ ديسمبر ١٩٤٥م يطلب الإبراق إلى مالية ضباء بضرورة شراء عشر طاقات دوت قماش لتجهيز الطرحاء لعدم كفاية المخصص لهذه الغاية، والإيعاز للمالية أيضاً بدفع ثلاثة ريالات للغسل مقابل ماء وصابون، إذا كان الطريح كبيراً، ونصف ذلك إذا كان الطريح صغيراً، أو تقدير مصرف ذلك من القماش نفسه ودفعه لمستحقه عند الاقتضاء. ورفعت رئاسة القضاة للأمر السامي أيضاً التماساً بإحداث وظائف: غسالة موتى، وغسال موتى وشيال وحفار ليقوموا بما يلزم للطرحاء من غسل ونقل ودفن لقاء ما يصرف لهم من راتب شهري يقرر لكل منهم. هذا، وقد قرر مجلس الشورى ربط (الشرشورة) أي (مغاسل الموتى) بالماليات من حيث رواتبها ومخصصاتها^(١).

وكان قضاة المحاكم الشرعية في منطقة تبوك يتابعون أوقاف المساجد، وغير ذلك مما يتعلق بها، فقد كتب قاضي محكمة الوجه الشرعية، رئيس لجنة الأوقاف، إلى ناظر وقف مسجد أبي نبوت في ٦ شوال ١٣٦٧هـ / ١٢ أغسطس ١٩٤٨م، طالبا تشكيل لجنة للنظر في الأوقاف الخاصة بالمسجد، وقد جاء هذا الطلب بناء على كتاب ورد إلى القاضي من رئاسة القضاة، تُنفِذاً للأمر السامي الصادر برقم (٩١٨٥) تاريخ ١ رمضان ١٣٥٥هـ / ١٥ نوفمبر ١٩٣٦م المرفق به قرار مجلس الشورى المؤرخ ٢١ ذو الحجة ١٣٦٦هـ / ٥ نوفمبر ١٩٤٧م. وقد تم تشكيل اللجنة من القاضي ومدير المال ومدير الشرطة ورئيس البلدية وعضوين من أهل الخبرة والاستقامة وهما السيد أحمد عبد القادر ومحمد اسماعيل الفرشوط. وقد قررت اللجنة في ٢٩ ذو القعدة ١٣٦٧هـ / ٣ أكتوبر ١٩٤٨م وجوب موافاة الأوقاف بكشوفات حسابية توضح واردات ومنصرفات وموجودات أوقاف المساجد خلال الفترة من ١٣ ذو القعدة ١٣٥٩هـ إلى ٣٠ ذو القعدة ١٣٦٧هـ (١٣ ديسمبر ١٩٤٠م -

(١) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الشورى رقم (١٣) تاريخ ٢ محرم ١٣٦٥هـ /

٤ أكتوبر ١٩٤٨م^(١).

ويعتبر مسجد أبي نبوت من المساجد القديمة في الوجه، ويقع إلى الشمال من الزاوية السنوسية على طرف جرف صخري عال، ويؤدي إليه درج طويل من ساحل البحر^(٢).
والجدير بالذكر أن الإجراءات في بعض المحاكم الشرعية كانت بطيئة، مما يؤدي أحيانا إلى ظلم الناس، فقد كان بعض المساجين بسبب هذه الإجراءات يقضون في السجن مدة تزيد على مدة محكوميتهم، ولذلك أصدر النائب العام تعميماً وجه نسخة منه إلى أمير المقاطعة الشمالية بتاريخ ١٩ رمضان ١٣٦٩هـ / ٢٥ أغسطس ١٩٤٨م كان سببه تأخر الإجراءات المتعلقة بالمسجونين بين المحاكم الشرعية ورئاسة القضاة، أو بين دوائر الشرطة وأمراء الملحققات، وقد تقرر حلاً لهذا الإشكال ما يلي:

- على المحاكم الشرعية المختصة أن تبلغ إدارة الأمن العام في العاصمة، وأمراء الملحققات بمجرد صدور الحكم على أي سجين.
- يجب على السلطة التنفيذية المختصة إطلاق سراح السجين حالما تنتهي مدة سجنه المقررة من المحكمة الشرعية، وربطه بالكفالة الحضورية إلى أن تنهى إجراءات معاملته.
- يجب رفع معاملة السجين لاتخاذ الإجراءات الرسمية بين دوائر رئاسة القضاة وأمراء الملحققات والمقام السامي، إذا كان الوضع يستدعي ذلك، من أجل مناقشة حكم المحكمة وإقراره أو نقضه أو زيادة مدة محكوميته^(٣).

وقد اتبعت المحاكم الشرعية في منطقة تبوك في أحكامها المذهب الحنفي، وهو المذهب الذي كان سائدا في العهدين العثماني والشريفي. ولم يتغير الوضع في بداية العهد السعودي، إلا أن القضاة اختلفوا على أي مذهب يكون التقاضي؟ وخاصة أن الملك عبد العزيز الذي ضم المنطقة إلى حكمه، وكذلك أهل نجد إنما هم على المذهب الحنبلي. وحسماً للخلافات،

^(١) وثائق محمود أبو سالم محافظة الوجه بمنطقة تبوك.

^(٢) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٨١.

^(٣) وثائق محمود أبو سالم : المصدر السابق .

أصدر الملك أمراً بأن يبقى كل بلد على المذهب الذي كان عليه^(١).

وقد حرص الملك عبد العزيز على توحيد المذهب في الحجاز عامة بما في ذلك منطقة تبوك ولكن بالتدريج، حيث أدرك أن اختلاف المذهب يؤدي إلى طول الإجراءات القضائية، والبطء في إصدار الأحكام، وبالتالي لا يخدم المصلحة العامة. وهذه السياسة التي اتبعها الملك، هي التي جعلته يقاوم مطالب الإخوان الملحة بتغيير العادات والأنظمة السائدة في المنطقة حالما انضمت إلى الحكم السعودي^(٢).

وقد أصدر الملك عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م أمراً بتوحيد النظام القضائي حيث جعله وفقاً للمذهب الحنبلي، حيث وجد أن المصلحة تقضي بأن يكون أساس الأحكام واحداً دفعاً لتضاربها، ومنعاً لتعدد المرجعيات^(٣).

وأما القضاء البدوي أو القبلي الذي كان سائداً بين قبائل منطقة تبوك فقد حل محله الاحتكام إلى الشريعة، وذلك بمرور الوقت^(٤). وبمرور الوقت أيضاً ونتيجة لجهود الإخوان ومن ثم المرشدين الدينيين والمطاوعة انتهت المخالفات الشرعية، والممارسات التي كان الناس في منطقة تبوك وفي غيرها يظنون أنها من الدين، ومن هذه المخالفات: زيارة من كان الناس يطلقون عليه لقب شيخ للعلاج، وكان هذا الشيخ الذي ادعى الصلاح موجوداً في قلعة الوجه^(٥).

وكان الناس أيضاً جرياً على ما اعتادوا عليه - يزورون موقع الشيخ حميد على الشاطئ الشرقي لبداية خليج العقبة، وقد سمي الموقع باسم الشيخ حميد، وهو رجل صالح، أخذ الجهلة يزورون قبره تبركاً به، حيث كانوا يذبحون الذبائح لقضاء حوائجهم، وكان هناك موقع مشابه

(١) دارة الملك عبد العزيز، التاريخ الشفوي، رقم التصنيف (٢٧٣)، محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد

الريس: التعليم في منطقة تبوك، ج ٢، ص ٣٢؛ حسين محمد نصيف: ماضي الحجاز وحاضره، ص ١١٠.

(٢) فهد بن مرزوق اللحياي: المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٤٧.

(٣) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، ج ٢، ص ٤٣٢-٤٣٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) دارة الملك عبد العزيز، التاريخ الشفوي، رقم (٢٧٣).

في حالة عمار^(١). وكان يوجد في ضباء قبر لشخص يدعى الشيخ مرزوق، كان يخرج إليه الناس جماعات، ويحلقون رؤوس الأطفال إلا جزءاً قليلاً من أعلى الرأس، ويلبسوهم أثواباً جديدة، ويحملون معهم البخور والعطور والقهوة والشاي وماء الورد. وكانوا يمشون عند القبر مدة يتوسلون به ثم يضعون عنده ما حملوه من أشياء^(٢).

ووجدت في منطقة تبوك أيضاً بعض الفرق الصوفية، فقد وجدت زوايا للصوفية أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي، جد ملوك ليبيا خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي في كل من أملج والوجه وضباء والخريبة، كما أنشأ عدداً من المساجد، وألحق بكل منها أوقافاً يصرف ريعها على صيانة تلك المساجد^(٣). ووجدت في ضباء أيضاً زاوية للشاذلية، وهي إحدى الطرق الصوفية^(٤).

وقد عملت المحاكم الشرعية في منطقة تبوك، والهيئات الدينية الأخرى، وخاصة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على إنهاء كل ما يخالف الشرع في المنطقة من عادات وممارسات، وإزالة المزارات التي كان بعض الناس يلجأون إليها، ويتبركون بها مخالفين بذلك أحكام الشرع. وقد قامت المحاكم الشرعية بدور مؤثر في كل المجالات الشرعية، ونظراً لبعده هذه المحاكم عن المركز كانت تنظر في بعض القضايا الخاصة التي تعد من اختصاص المحاكم الكبرى، والمستعجلة^(٥).

وفيما يلي نبذة مختصرة عن كل من محاكم تبوك الشرعية تتناول مقرها وقضائها وبعض شؤونها الإدارية.

(١) حمود بن ضاوي القشامي: شمال الحجاز، ج ١، ص ١٨٣-١٨٥.

(٢) موسى مصطفى العبيدان: مدينة ضباء بين الماضي والحاضر، ص ٦٣-٧٤.

(٣) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٧٥، ٢٨٠.

(٤) مطلق بن صياح البلوي: تكوين تبوك الثقافي، بحث قدم في ملتقى تبوك الثقافي الأول، تبوك، النادي الأدبي بمنطقة تبوك، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ١٨٨.

(٥) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٢، ص ٤٣٠.

محكمة ضباء

اتخذت هذه المحكمة من البرج العثماني في ضباء مقراً لها ، وذلك منذ بدايات الحكم السعودي إلى حين إزالة البرج، وبناء القلعة السعودية مكانه^(١).

وقد تولى القضاء في محكمة ضباء كل من :

- محمد عبد الوهاب العقيل.
- ناصر بن محمد الوهبي ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.
- الشيخ حمد الجاسر وكانت مدة عمله عامين، وذلك في عهد أمير ضباء عبد العزيز بن عبد العزيز بن ماضي، وكان كاتب المحكمة في حينه هو الشيخ حسين خضير^(٢).
- عبد الرحيم كتوعة لمدة ثلاث سنوات.
- الشيخ محمد علي الدباغ، وكان الكاتب في عهده هو عبد الوهاب سرتي، وذلك منذ سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م^(٣).
- عمر بن إبراهيم، ست سنوات منذ عام ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م.
- عبد الغني مشرف المدني^(٤).

محكمة أمـلـج

تولى القضاء في محكمة أمـلـج الشيخ رشيد محمد سليمان القيسي عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م، وقد تم تعيين مدني أبو العُلا كاتباً أول للمحكمة سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م^(٥). وكان لمطوع إمارة أمـلـج الشيخ محمد علي عبد الله دور كبير في محاربة البدع والخرافات التي كانت منتشرة

(١) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب الجزيرة، ص ٢٧٧.

(٢) حمد الجاسر: من سوانح الذكريات، مراجعة وتعليق عبد الرحمن الشيبلي ، الرياض ، دار اليمامة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ج ١، ص ٤٩٤، ٤٩٦.

(٣) معهد الإدارة العامة، مركز الوثائق، الوثيقة رقم (٣٩) (قرار مجلس الوكلاء).

(٤) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ٥٠ ؛ عبد الله بن محمد بن عايض الزهراني: تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي، ١٣٤٤-١٤١٦هـ، مج ٣، ص ٤٨٨.

(٥) أم القرى، س ١٥، ع ٧١٩، تاريخ ٢٢ رجب ١٣٥٧هـ / ١٦ سبتمبر ١٩٣٨م، ص ٥.

في الإمارة آنذاك^(١).

وقد ازداد عدد سكان أملج في بدايات الحكم السعودي للمنطقة، ولم يعد مسجد أملج يتسع للمصلين، فكتب قاضي أملج الشيخ رشيد القيسي يطلب بناء مسجد للإمارة^(٢).

محكمة الوجه

وقد تولى القضاء في الوجه: محمد بن عبد الوهاب العقيل، ثم الشيخ محمد حسين عواد، ثم خلفه الشيخ مصطفى محمد سعيد سحلي عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، واستمر في منصبه حتى آخر عهد الملك عبد العزيز^(٣). وكان حسين العيسوي هو كاتب أول المحكمة سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م^(٤).

محكمة تبوك

وكان القاضي إبراهيم بن محمد المصري أول قاض في محكمة تبوك خلال الحكم السعودي، ثم تولى القضاء بعده الشيخ محمد الكابلي^(٥)، ثم تولى القضاء إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم السويح، ومن بعده الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله البدراني^(٦). ومن قضاة المحكمة أيضا حسين عربي، وكان آخرهم في عهد الملك عبد العزيز هو صالح التويجري^(٧). وكان رئيس كتاب المحكمة هو السيد علي رضا هاشم^(٨).

(١) خطاب من الأستاذ محمد بن حامد السناني إلى الباحث، بتاريخ ١٢ ذو القعدة ١٤٣٠هـ.

(٢) دارة الملك عبد العزيز، قسم التاريخ الشفوي، رقم التصنيف (١٥٢).

(٣) المصدر نفسه، رقم التصنيف (٣٩٩)؛ هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٥١٦-٥١٧؛ محمد أحمد الرويثي: الوجه، ص ١٣٦؛ عبد الله بن محمد بن عايض الزهراني: تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي ١٣٤٤-١٤١٦هـ، مج ٣، ص ٤٥٦-٤٥٧.

(٤) أم القرى، س ١٥، ع ٧١٩، تاريخ ٢٢-٧-١٣٥٧هـ / ١٦-٩-١٩٣٨م، ص ٥.

(٥) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح احمد الرئيس: التعليم في منطقة تبوك، ج ٢، ص ٣٠.

(٦) عبد الله بن عايض الزهراني: المرجع السابق، مج ٣، ص ٤٢٨-٤٣١.

(٧) مقابلة مع أحمد بن عبد الله الغريص بتاريخ ١٠ صفر ١٤٣١هـ بمقره بتبوك.

(٨) صوت الحجاز، ع ٥١١، الأحد ٢٧ شعبان ١٣٥٩هـ / ٢٩ سبتمبر ١٩٤٠م.

وكان إمام ما يسمى بمسجد الرسول في تبوك عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد الجربوع، وتولى الإمامة بعده المعلم عبد الله قاري البخاري، وكان المسجد المذكور حينذاك هو المسجد الوحيد في تبوك^(١).

وكان أول مبنى للمحكمة في تبوك عبارة عن غرفتين بجوار مسجد الرسول، ثم انتقلت إلى مبنى آخر داخل البلدة القديمة خلف بنك الرياض التجاري حالياً الواقع قرب جادة الأمير فهد بن سلطان^(٢).

محكمة حقل

تأسست المحكمة الشرعية في حقل عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م، وكان أول قضاها هو الشيخ حمد بن إبراهيم المسلم^(٣).

محكمة تيماء

تم تأسيسها في محرم من عام ١٣٧١هـ / أكتوبر ١٩٥١م، وكان أول قضاها هو الشيخ عبد العزيز الخلف^(٤).

(١) محمد عبد الله الغريص: حصاد السنين، تبوك، مؤسسة محمد بن عبد الله الغريص، ص ١١، ١٣.

(٢) مقابلة مع أحمد بن عبد الله الغريص بتاريخ ١٠ صفر ١٤٣١هـ بمقره بتبوك.

(٣) عبد الله بن عايض الزهراني: تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي، مج ٣، ص ٤٨١.

(٤) المرجع نفسه، مج ٣، ص ٤٦٩.

البرق والبريد

يعتبر البرق والبريد من وسائل الاتصال المهمة في العصر الحديث، وقد اهتمت الدولة العثمانية بهاتين الوسيلتين، وخاصة بعد مد سكة حديد الحجاز، حيث أقيمت أعمدة التلغراف، وأنشئت مكاتب البريد لربط محطات سكة الحديد الواقعة على طول الخط بين دمشق والمدينة المنورة عبر منطقة تبوك؛ وذلك لتسهيل المعاملات التجارية، وتمكين الحجاج والجنود من الاتصال بذويهم^(١).

وزادت أهمية الاتصال البرقي وكذلك البريدي أثناء الحرب العالمية الأولى، وأثناء ثورة الشريف حسين بن علي ضد الدولة العثمانية، وأثناء حرب الأشراف في الحجاز وشرق الأردن مع الملك عبد العزيز آل سعود.

وقد أدرك الملك عبد العزيز أهمية الاتصالات، وخاصة السريعة منها بعد توسع الدولة السعودية في أعقاب ضم الحجاز ومنطقة تبوك إلى حكمه، حيث أصبحت الدولة مترامية الأطراف، وهذه الأطراف بعيدة عن مركز الحكم في الحجاز ونجد، ولابد من إحكام السيطرة عليها، والبت في أمورها المختلفة بالسرعة المطلوبة، وليس من سبيل إلى التغلب على بعد المسافات إلا بالاعتماد على وسائل الاتصال الحديثة؛ فالاعتماد على الهجن في نقل البريد لم يعد مجدياً، والافتقار إلى وسائل النقل كالطائرات والسيارات، وكذلك الطرق المعقدة أمر لابد من التغلب عليه، ولذلك عمل على تطوير هذه الوسائل، وتزويد بلاده بكل جديد وحديث في مجال الاتصالات^(٢)، وكانت الخطوة الأولى الكبيرة في هذا المجال مبادرته في سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م إلى تشكيل لجنة إدارية لتنظيم إدارة البريد والبرق، وقد اختارت هذه اللجنة الشيخ عبد الله كاظم مديراً عاماً لدائرة البرق والبريد اللاسلكي في الحجاز ومنطقة تبوك^(٣).

(١) السيد محمد الدقن: سكة حديد الحجاز الحميدية، ص ٣٤.

(٢) فهد بن مرزوق اللحياي: المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٩٨-١٩٩.

(٣) أم القرى، س ٢، ع (٥٤)، ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/ ٨ يناير ١٩٢٦م، ص ٢؛ إبراهيم عبد العزيز المعارك: البريد والاتصالات بالملكة العربية السعودية، الرياض، مؤسسة رواي وهطان، ط ٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ٢، ص ١٩.

وتقسم هذه الدائرة إلى ثلاثة أقسام^(١):

- ١ - مديرية الأعمال اللاسلكية، ومهمتها تأمين المخابرات اللاسلكية داخل المملكة وخارجها.
 - ٢ - مديرية أعمال البريد، وتقوم بتأمين البريد في الداخل والخارج.
 - ٣ - مديرية أعمال البرق والتلفون، وتقوم بتأمين البرقيات بالقسم السلبي في الداخل ومع الخارج، وكذلك تأمين المخابرات التلفونية.
- ويلاحظ أن هذه الأقسام الثلاثة تنضوي تحت عنوانين هما: البرق، والبريد.

أولاً- البرق

تتميز منطقة تبوك باتساعها، وتعدد الإمارات فيها وتباعدها عن بعضها، وخاصة إمارات داخل المنطقة عن إمارات ساحلها، يضاف إلى ذلك أنها منطقة حدودية، حيث لها حدود برية وبحرية مع البلاد المجاورة، كما أنها بعيدة عن مركز الدولة في الحجاز ونجد. وقد كانت تبوك إحدى محطات سكة حديد الحجاز المهمة إضافة إلى محطات معان وعمان ودرعا ودمشق^(٢)، وقد تم استخدام البرق في منطقة تبوك الداخلية قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى وبعدها لأغراض أمنية وعسكرية، وكان أهم هذه الأغراض هو الحفاظ على سكة الحديد والقرى القريبة منها^(٣)، وكانت في كل من تبوك والمعلم محطة للبرق، وقد استخدمتا أثناء ثورة الحسين بن علي، ومن ثم هجوم قواته على القوات العثمانية، وكان الاتصال عبر هذه المحطات يتيح متابعة الأوضاع، وتبادل المعلومات بن القادة العسكريين^(٤).

وكانت أعمدة البرق تصل بين الخطتين المشار إليهما والمحطات الجنوبية حتى المدينة المنورة، والمحطات الشمالية حتى دمشق. وكان يوجد في محطة المعلم منزل صغير خاص بمدير مكتب

(١) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ٢٤٢؛ فؤاد رضا: مجلة المنهل، مج ١١، ج ٣، ربيع الأول ١٣٧٠هـ، ص ١٢٨.

(٢) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٨٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٨٢.

(٤) علي بن محمد النجعي: القوة الثالثة دراسة تاريخية عن دور اللاسلكي في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، المؤلف نفسه، ط ٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٨٩، السيد محمد الدقن: سكة حديد الحجاز الحميدية، ص ٦٣، مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ٨٥.

التلغراف^(١).

وأسست بريطانيا في عام ١٣٣٥هـ/١٩١٧م مركزاً لاسلكياً في الوجه، واستخدمته قوات الشريف حسين بن علي أثناء الحرب العالمية الأولى^(٢)، كما تم استخدام المركز أثناء الحرب بين قوات الشريف وقوات الملك عبد العزيز، وكانت هناك اتصالات مستمرة من خلال المراكز اللاسلكية في تبوك والوجه بين أمير شرق الأردن وملك الحجاز علي بن الحسين^(٣).

ونظراً لأهمية البرق كوسيلة للاتصال السريع، حثّ الملك عبد العزيز المسؤولين بعد إنشاء مديرية البرق والبريد على بدء المفاوضات مع الشركات في الخارج لشراء أجهزة لاسلكية من أجل ربط منطقة تبوك بالمناطق الأخرى في البلاد^(٤).

وقد أمر الملك عبد العزيز بافتتاح مدرسة لتعليم اللاسلكي في الوجه لتزويد المحطات والمراكز اللاسلكية بالمختصين، وقد تخرج من هذه المدرسة عدد من أهالي الوجه عمل بعضهم في منطقة تبوك، وعمل بعضهم الآخر في الرياض وغيرها من مدن المملكة، ومن هؤلاء الخريجين: محمد عيسى الخناني، ومحمد أحمد أبو صابر، وعبد العزيز بديوي، وإبراهيم التواقي، وحمدان سليم العرادي، وحسن أمين العلي، وحسين عبد الحميد، وصدقة المعلم. وقد أعيد افتتاح المدرسة مرة أخرى عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، والتحق بها عدد من الأهالي منهم: عبد الرحيم إسماعيل سنيور، وعلي محمود حميد، وسليمان عبد الرحمن سنيور^(٥).

وقد كانت المراكز اللاسلكية في منطقة تبوك تقدم خدمات اتصالية مهمة سياسياً وإدارياً وعسكرياً^(٦)، فعبر هذه المراكز تم ربط المنطقة بالسلطة السياسية بشكل أقوى من ذي قبل، وجعل

^(١) Alios Musil: Northern Hejaz, P. 142.

^(٢) توماس إدوارد لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ص ٢٠١.

^(٣) صلاح الدين مختار: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ٣١٢.

^(٤) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام، مج ١، ص ١٧٦.

^(٥) خطاب من السيد عبد الرحيم إسماعيل سنيور، مدير هاتف وبريد و برق الوجه إلى الباحث بتاريخ ١٤ صفر ١٤٣١هـ.

^(٦) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ٢٣٩.

أمراء المنطقة والمسؤولين وشيوخ القبائل والأفراد على اتصال فيما بينهم، ومع السلطة السياسية ممثلة بالملك ونائبه الأمير فيصل في مكة المكرمة. وكان الملك يؤكد باستمرار على ضرورة أن يتاح لأي من أبناء المنطقة الإبراق إليه أو إلى نائبه في أي وقت لعرض أي موضوع.^(١)

وقد لعبت المراكز اللاسلكية في منطقة تبوك دوراً حيويًا وفاعلاً أثناء حركة حامد بن سالم بن رفادة، حيث كان الملك ونائبه يتابعان تطورات الوضع مع أمراء المنطقة والقادة العسكريين، ويطلعان على مجريات الأمور، وقد كان لذلك أثره في تنفيذ التوجيهات المستمرة حتى القضاء على الحركة^(٢).

ولم يقتصر دور المراكز اللاسلكية على نقل التعليمات والأوامر العسكرية، وإنما كانت تؤدي أغراضاً أخرى، منها على سبيل المثال في مجال الأمن، قيام الملك عبد العزيز بتوجيه برقية إلى قائم مقام ضباء محمود بديوي، وكان في بداية الحكم السعودي، يأمره بالاجتهاد في منع قهريب المواشي من ميناء ضباء إلى الخارج. وأبرق الملك من مركز جدة إلى السيد مصطفى بديوي أحد أعيان الوجه - بتاريخ ١ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ / ١٧ ديسمبر ١٩٢٥م مستفسراً عن مكان الباخرة (رشدي)، وقد أمره بالتقصي عن الباخرة وعن أخبارها. وكانت بعض الاتصالات اللاسلكية بين محطة لاسلكي جدة والمركز اللاسلكي في الوجه تتناول أيضاً بعض الجوانب الإدارية^(٣).

وكانت المراكز اللاسلكية في أواخر العهد العثماني والعهد الهاشمي تستخدم أجهزة (تلفونكن) الألمانية التي تعمل على نظام الموجات الطويلة والمتوسطة، وقد استخدم نظام الموجات المتوسطة في كل من الوجه وضباء وتبوك^(٤)، ونظراً لأن الأجهزة اللاسلكية التي تعمل على نظام الموجة القصيرة ذات فعالية أكبر وأسرع، فقد تعاقد الملك عبد العزيز مع (شركة ماركوني)

(١) من وثائق أحمد السلطان: من عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى محمد بن سلطان، بتاريخ ٢ محرم ١٣٤٧هـ / ٢١ يونيو ١٩٢٨م.

(٢) علي بن محمد النجعي: القوة الثالثة، دراسة تاريخية عن دور اللاسلكي في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٧٨-١٧٩.

(٣) حسن أمين العلي: دراسات وحقائق عن شمال غرب المملكة العربية السعودية، ص ٢٤٥، ٢٨٩، ٢٨٧.

(٤) علي بن محمد النجعي: المرجع السابق، ص ١٠٤.

البريطانية لشراء عدد من الأجهزة التي تعمل على هذا النظام^(١).

هذا، وقد أمر الملك عبد العزيز سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٣م بإنشاء مركز لاسلكي برقي في الوجه، ومركز تليفوني في تبوك^(٢)، وتم بعد ذلك إنشاء مركز لاسلكي في أملج^(٣). ثم استحدثت محطة لاسلكية ذات موجه قصيرة وفق نظام ماركوني في الوجه وضباء إلى جانب المحطات السابقة ذات الموجات المتوسطة^(٤). وتم بعد ذلك توحيد الموجه، حيث ركبت أجهزة ماركوني ذات الموجه القصيرة في كل من محطات جدة والمدينة والوجه وضباء وتبوك^(٥).

وقد استكمل مع إعلان توحيد المملكة العربية السعودية سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م إنشاء محطات اللاسلكي في منطقة تبوك، وكان في كل محطة مأمور برق^(٦). وكان الملك عبد العزيز قد اتخذ من البرق وسيلة لرفع الظلم ونشر العدل بين الناس، حيث شدد على مأموري البرق بضرورة رفع كل برقية فيها مظلمة إليه، وهدد من يمتنع عن رفعها، أو يتسبب في عدم وصولها إليه بعقوبة صارمة^(٧).

وقد استمر استخدام أجهزة ماركوني البريطانية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث استبدلت بها أجهزة أمريكية وأخرى أوروبية متطورة^(٨).

وكان الملك عبد العزيز قد أظهر اهتمامه البالغ بالبرق والاتصالات اللاسلكية منذ توقيعه اتفاقية أتلانتك وملحقاتها وبروتوكولاتها الختامية في سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م^(٩)، وقد بلغت الاتصالات البرقية درجة من التطور والتوسع بعد مرور عشر سنوات من ذلك التاريخ، مما

(١) الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، ج ١٨، ص ٢٠٦.

(٢) أم القرى، س ٩، ع (٤٢٧)، تاريخ ٢٢ شوال ١٣٥١هـ، ١٧ فبراير ١٩٣٣م.

(٣) صوت الحجاز، ع (٥٣)، ٢٢ ذو الحجة ١٣٥١هـ/ ١٧ أبريل ١٩٣٣م.

(٤) صوت الحجاز، ع (٣١٠)، ربيع الثاني ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

(٥) علي بن محمد النجعي: القوة الثالثة، دراسة تاريخية عن دور اللاسلكي في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٠٤.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٦٨.

(٧) أم القرى، ع (٢٣٢)، تاريخ ٢٩ ذو الحجة ١٣٤٧هـ/ ٧ يونيو ١٩٢٩م، ص ٥.

(٨) علي بن محمد النجعي: المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٩) إبراهيم عبد العزيز المعارك: البريد والاتصالات بالمملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ٢٩.

استدعى وجود تشريع لضبط الأمور في هذا المجال، ولذلك أصدر الملك في سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م (نظام البرق)، وهو النظام رقم (٨٧٩٣) الذي أصدر بتاريخ ١٢ رمضان/ ١٦ نوفمبر من العام المذكور، وقد تم في هذا النظام تحديد مسؤولية العاملين في البرقيات وضرورة المحافظة على سريتها. كما تم فيه تحديد أسعار البرقيات، وما يتعلق بها من أمور^(١).

ولمواكبة التطور والتوسع في استخدام اللاسلكي تم تأسيس مدرسة اللاسلكي في جدة سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م للتدريب على أعمال اللاسلكي والميكانيك المتعلق بهذه الأعمال، ورفع مستوى العاملين في هذا المجال بما يكفل أداء عملهم على الوجه المطلوب، وكان المتقدمون إلى هذه المدرسة من العاملين في مجال البرق والبريد في المدينة المنورة، ومكة المكرمة، وجدة^(٢). ثم فتحت مدارس لاسلكية أخرى، في مكة المكرمة سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، وفي كل من الرياض والمدينة المنورة في سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م. وقد أرسل بعض خريجي تلك المدارس إلى بريطانيا ومصر للتخصص الدقيق في مجالات البرق والبريد^(٣). وكانت قبل ذلك قد أرسلت مجموعة من الأشخاص إلى بريطانيا في بعثته مدتها ستة أشهر للتخصص في أجهزة ماركوني^(٤).

وكان البرق من وسائل الاتصال المهمة للتجار، فقد كان تجار منطقة تبوك يتبادلون الاتصالات فيما بينهم، كما كانوا يتبادلونها مع التجار خارج المنطقة في الحجاز ومصر^(٥). فقد كتب التاجر محمود بدوي شحاتة بالسويس إلى التاجر محمود أحمد أبو صابر بالوجه يخبره بأنه اتفق مع سفينة لنقل أغنام من الوجه إلا أنها لم تتمكن من الوصول بسبب الرياح شمال جدة، حيث تقطعت الأشرعة مما اضطر السفينة للعودة إلى ضباء^(٦).

(١) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٢، ص ٤٤٤؛ إبراهيم عبد العزيز المعارك: البريد والاتصالات بالمملكة العربية السعودية، ج ٤، ص ٧٩، ٩٩.

(٢) أم القرى، س ٧، ع ٣٠٦، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ/ ١٧ أكتوبر ١٩٣٠م.

(٣) خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٥؛ إبراهيم المعارك: المرجع السابق، ج ٤، ص ١٨٣.

(٤) أم القرى، س ٧، ع ٣٤٣، ٢٤ صفر ١٣٥٠هـ/ ١٠ يوليو ١٩٣١م.

(٥) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، قسم الوثائق، وثائق أبو صابر، الوثيقة رقم (٢٠٠)، من محمود بدوي شحاتة بالسويس، إلى محمود أحمد أبو صابر بالوجه، في ٢٥ ذو القعدة ١٣٤٤هـ/ ٧ يونيو ١٩٢٦م.

(٦) موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضباء بين عام ١٢٨٢-١٣٨٢ هـ، تبوك، المؤلف نفسه، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٧٢-٧٤.

وحفاظا على الأمن، ولكي لا تعاود حركات التمرد، وتأكيداً على سيادة المملكة على موانئها ومياهها الإقليمية، أصدر الملك عبد العزيز في ربيع الآخر ١٣٥٤هـ/يوليو ١٩٣٥م أي في أعقاب القضاء على حركة حامد بن سالم بن رفادة، بلاغا رسميا يمنع استخدام الأجهزة اللاسلكية في المراكب والسفن الراسية في موانئ منطقة تبوك لإرسال المخبرات والإشارات أو التقاطها ما دامت موجودة في تلك الموانئ أو في المياه الإقليمية للمملكة، وحمل البلاغ مسؤولية ارتكاب أي مخالفة من هذا النوع ، للمراكب والسفن ووكلاء الشركات التي تتبعها، مهددا بمعاقبتها وفقا للأنظمة النافذة^(١).

ويلاحظ أن المراكز اللاسلكية التي أشار إليها البحث سابقا، إضافة إلى مركز لاسلكي ذات الحاج الذي أنشئ عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، ومركز لاسلكي حقل الذي أنشئ عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م^(٢)، قد استخدمت في مختلف المجالات الأمنية والعسكرية والتجارية والإدارية، وغيرها، وقد أفاد المركز الرئيسي في الحجاز والمؤسسات الحكومية في منطقة تبوك من هذه المراكز في إرسال التعليمات والتوجيهات إلى أنحاء المنطقة، وكذلك لمتابعة سير العمل في إماراتها، فقد أرسل مدير مصلحة خفر السواحل في جدة إلى مأمور مرفأ ضباء برقية بتاريخ ١٩ رجب ١٣٥٣هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٩٣٤م يطلب منه إصدار الرخص لسفینتين ستمران بميناء ضباء حسب النظام، وإبلاغه بذلك^(٣).

هذا، وقد كانت الاتصالات اللاسلكية بين السعودية وشرق الأردن إبان معاهدة الصداقة وحسن الجوار بينهما تتم بين محطتي تبوك والمدورة^(٤)، ثم قرر مجلس الوكلاء في ١٠ شعبان ١٣٥٨هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩م أن تكون هذه الاتصالات بين محطة تبوك ومعان بدلا من المدورة، وذلك بناء على طلب شرق الأردن^(٥).

(١) أم القرى، س ١١، ع ٥٥٢، ١١ ربيع الآخر ١٣٥٤هـ/ ١٢ يوليو ١٩٣٥م.

(٢) أم القرى، س ١٣، ع ٦٤٢، ١٣ محرم ١٣٥٦هـ/ ٢٦ مارس ١٩٣٧م؛ وثائق محمود علي أبو سالم، من مصطفى بديوي شحاتة إلى مأمور مرفأ الوجه.

(٣) المصدر السابق، من مدير مصلحة خفر السواحل إلى مأمور مرفأ ضباء.

(٤) وثيقة من إبراهيم خليل الشريف، من المدير العام للبرق والبريد إلى أمير الوجه، بتاريخ ٩ رمضان ١٣٥٧هـ/ ٢ نوفمبر ١٩٣٨م.

(٥) عبد اللطيف محمد الصباغ: بريطانيا ومشكلات الحدود، ص ١٧٩-١٨٠.

ثانياً - البريد

كانت وسائل نقل البريد من منطقة تبوك وإليها بدائية ومحدودة، وكانت الدواب وخاصة الجمال في مقدمة الوسائل البرية، حيث يقوم أشخاص معينون لهذا الغرض بنقل البريد من مكان إلى آخر على ظهور الجمال^(١)، وكان بعضهم يرافق قوافل الحجاج الشاميين والمصريين أثناء عبورهم المنطقة، وينقل الأخبار بين الدولة ومسؤوليها، والعكس^(٢). كما كان البريد ينقل بين موانئ المنطقة، وبينها وبين الموانئ خارجها بواسطة المراكب الشراعية^(٣).

وكانت تلاقي قافلة الحاج الشامي بعد عودتها من الديار المقدسة قافلة أخرى في تبوك، ومهمة هذه القافلة هي إيصال أخبار قافلة الحج الشامي، وتتمثل هذه الأخبار في البشرى بسلامتها، أو احتياجها لمساندة الدولة إذا ما تعرضت للاعتداء^(٤).

وقد اهتمت الدولة العثمانية بعد وصول سكة حديد الحجاز إلى المدينة المنورة، وانتظام المواصلات، بالبريد، وأنشأت مكاتب بريدية في المدن التي تمر بها سكة الحديد، ومنها تبوك^(٥)، كما أنشئت مكاتب بريدية في ساحل المنطقة في أملج، الوجه، وضباء، وكانت هناك قوافل تسمى (بريد الإبل) تقوم بنقل البريد بين هذه المحطات وبينها وبين محطات البريد خارج المنطقة مقابل أجر^(٦).

وكان يطلق على مسؤول البريد لقب (البسطجي) الذي استمر استخدامه في منطقة تبوك خلال العهد العثماني والعهد الشريف حتى بدايات حكم الملك عبد العزيز^(٧).

(١) موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضباء بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ، ص ٨٦-٨٨.

(٢) تشارلز دوتي: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، مج ١، ج ١، ص ٣٣٦.

(٣) موسى مصطفى العبيدان: المصدر السابق، ص ٩٦، ٩٨-١٠٠.

(٤) مأمون أصلان: قافلة الحاج الشامي، ص ٥٩-٦٠.

(٥) السيد محمد الدقن: سكة حديد الحجاز، ص ٢٨٣.

(٦) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية، مج ١، ص ١٦٠.

(٧) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، وثائق أبو صابر، الوثيقة رقم (٢٠٣) تاريخ ٤-١٢-١٣٤٤هـ / ١٥ يونيو ١٩٢٦م، من زارع الوحيان في ينبع إلى محمود أبو صابر في الوجه حول تأخر مسؤول البريد في إيصال الخطابات.

وكان البريد يستخدم كوسيلة اتصال بين أمراء المنطقة الذين لا تتوافر لديهم وسائل اتصال أخرى مثل البرق، حيث كانوا يستخدمون جمالاً لإيصال الخطابات الرسمية مقابل مبلغ من المال^(١)، وقد استخدم مدير مركز المويح هذه الوسيلة للاتصال مع إمارة ضباء، حيث لم يكن في المويح مركز لاسلكي^(٢).

وقد استخدم الجمالة من قبائل المنطقة لنقل الخطابات الشخصية والبضائع بين مدن المنطقة من ضباء شمالاً إلى مقنا والبدع والخريبة وشرما وتريم والمويح، وبين ضباء وتبوك. وكان الجمالة أيضاً ينقلون البضائع من مدن ساحل منطقة تبوك إلى معان في شرق الأردن، وفلسطين، ومن مدن الساحل: أملج والوجه وضباء وغيرها من القرى الساحلية إلى تبوك، والعكس. وكانت الخطابات الشخصية تنقل أيضاً بين الموانئ في منطقة تبوك والموانئ المصرية، وخاصة السويس والقصير^(٣).

وقد كان البريد البحري والبري في كثير من الحالات يكمل أحدهما الآخر؛ فالتعاون بينهما كان موجوداً، حيث ينقل البريد من جدة عن طريق البحر إلى الوجه، ثم ينقل منها إلى داخل منطقة تبوك بوساطة الجمال، كما كان ينقل من العلا وتبوك إلى الوجه، ومنها بجزراً إلى جدة في طريقه إلى مكة^(٤).

وكان البريد البحري الداخلي بين موانئ ساحل المنطقة في أملج والوجه وضباء يتم بوساطة السناييك التي تحمل إضافة إلى البريد البضائع والركاب^(٥). ففي ٢٧ ربيع الأول ١٣٥١هـ / ٣٠ يوليو ١٩٣٢م أبحر السنوك (الرشيدية) إلى ينبع وأملج حاملاً البريد وطرود البضائع والركاب،

(١) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويحي من المويح بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل، الوثيقة رقم (٢٥)، من أمير ضباء إلى مدير ناحية المويح، بتاريخ ٢٧-٣-١٣٤٩هـ / ٢٣ يونيو ١٩٣٠م.

(٢) المصدر نفسه، الوثيقة رقم (٢٤)، من أمير ضباء إلى مدير مركز المويح، بتاريخ ٢ صفر ١٣٤٨هـ / ١٠ يوليو ١٩٢٩م.

(٣) موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضباء بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ، ص ٨٦-٩٦.

(٤) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية، مج ١، ص ١٦٥.

(٥) المرجع نفسه، مج ١، ص ١٦٤-١٦٥.

وفي ربيع الثاني ١٣٥١هـ/ ٥ أغسطس ١٩٣٢م أبحر السنوك (السوسية) إلى ضباء وأملج والوجه^(١).

ولم تكن الخدمة البريدية منتظمة في بداية حكم الملك عبد العزيز، ولذلك اهتم بهذا الجانب الاتصالي منذ وقت مبكر، حيث عمل على أن ينقل البريد الداخلي بين الموانئ السعودية، وبينها وبين الموانئ المصرية بالسفن الشراعية والتجارية^(٢).

وكان البريد بين موانئ منطقة تبوك والموانئ المصرية يصل أسبوعياً بواسطة شركة بواخر البريد الفرعونية، غير أن الانتظام في مواعيد وصوله وتعطل خلال الحرب العالمية الثانية، وأدى ذلك إلى انقطاع البريد أكثر من مرة، وإلى تعطل بضائع التجار، ودفع ذلك صحيفة المنهل للكتابة إلى وزير الاتصالات الأمير طلال بن عبد العزيز تعلمه بالأمر^(٣).

وأصبحت المراكز البريدية في منطقة تبوك منذ عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م تتعامل بالمراسلات العادية والمسجلة^(٤). وكان مسمى الوظيفة في هذه المراكز (ملاحظ بريد)، وكان ملاحظو البريد يتبعون إدارياً مديرية البرق والبريد في مكة المكرمة^(٥).

وقد انتظم البريد العادي والمسجل، وخاصة بعد استخدام السيارات لنقله في بعض الأماكن، فقد كان ينقل من الوجه إلى جدة ثم ينقل بواسطة السيارات إلى الرياض ومنها إلى الكويت والبصرة كل أسبوع^(٦).

ومما لا شك فيه أن استخدام الجمال وسيلة لنقل البريد، إنما كانت وسيلة بطيئة، غير أنها كانت الوسيلة المتاحة، وقد كان هناك متعهدون لنقل البريد باستخدامها، فمنهم من كان ينقله بين أملج والوجه ثلاث مرات في الشهر. حيث تنتقل الجمال المحملة بالبريد من الوجه أيام الأول

(١) أم القرى، س ٩، ع ٤٥٠، ٥ ربيع الآخر ١٣٥٢هـ/ ٢٩ يوليو ١٩٣٣م.

(٢) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية، مج ١، ص ١٦٤، ٢٥٢، ٢٥٤.

(٣) المرجع نفسه، مج ١، ص ٢٥٢.

(٤) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ٢٣٤.

(٥) وثائق محمود بن علي أبو سالم، محافظة الوجه بمنطقة تبوك، من مدير أعمال البريد - مكة، إلى ملاحظ بريد الوجه، بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى ١٣٥٩هـ/ ٣ يوليو ١٩٤٠.

(٦) فؤاد حمزة: المصدر السابق، ص ٣٣٧.

والحادي عشر والحادي والعشرين إلى أملج، وتعود منها أيام السادس والسادس عشر والسادس والعشرين إلى الوجه، وكانت كل رحلة تستغرق أربعة أيام^(١)، وكانت رحلة البريد بين أملج والوجه في فترات سابقة تتم مرتين في كل شهر^(٢). وكانت رحلة البريد بين الوجه وضباء تقوم كل يوم سبت في الذهاب وكل يوم أربعاء في العودة أي أربع رحلات في الشهر. وتستغرق كل رحلة ثلاثة أيام. أما من ضباء إلى تبوك وبالعكس فكانت تستغرق أربعة أيام، وكانت تنطلق من ضباء ثلاث مرات أيام الأول والحادي عشر والحادي والعشرين، وتعود من تبوك أيام السادس والسادس عشر والسادس والعشرين^(٣).

أما البريد من الوجه إلى مكة المكرمة؛ فكان يستغرق أسبوعين كاملين، وهي مدة طويلة دفعت أعيان الوجه ورؤساء الدوائر الحكومية فيها إلى مخاطبة مدير البرق والبريد العام في مكة في عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م يطلبون منه إيصال سيارة البريد التي كانت تنقله بين مكة والمدينة إلى الوجه لنقله بدل الجمال^(٤).

وأما البريد الخارجي بين جدة والسويس مروراً بموانئ منطقة تبوك فكان ينقل مرة واحدة في الأسبوع، وقد تعهدت الشركة الخديوية بوساطة بواخرها^(٥).

وقد بدأ استخدام السيارات لنقل البريد في منطقة تبوك وبين مدنها ومدن المملكة الأخرى بعد عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م^(٦). وأصبحت سيارات البريد تنطلق من مكة كل يوم ثلاثاء إلى

(١) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ٣٣٧.

(٢) صوت الحجاز، ع ٥٣، تاريخ ٢٢-١٢-١٣٥١هـ/١٧ أبريل ١٩٣٣م.

(٣) فؤاد حمزة: المصدر السابق، ص ٣٣٨.

(٤) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية، مج ١، ص ٢٤٩.

(٥) صوت الحجاز، ع ٦٩، الثلاثاء ١٦ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ/٨ أغسطس ١٩٣٣م.

(٦) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المرجع السابق، مج ١، ص ١٦٥.

جدة فينبع فأملج فالوجه فضباء ثم تعود إلى مكة^(١).

وكان ظهور السيارات في منطقة تبوك بطيئاً، ففي عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م كانت هناك سيارة واحدة تتحرك من حقل إلى تبوك ومنها إلى ضباء؛ حاملة معها بعض الأشياء الخفيفة، ومنها البريد^(٢).

هذا، وقد ظل البريد والبرق، والسكة الحديدية، والطرق وغير ذلك من جهات النقل والاتصالات مؤسسات مستقلة عن بعضها، وعندما اتسعت أعمال الدولة وازدادت رأى الملك عبد العزيز جميع الجهات المتجانسة من حيث العمل في جهة واحدة، فأصدر عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م مرسوماً ملكياً باستحداث وزارة المواصلات، وتعيين الأمير طلال بن عبد العزيز وزيراً لها. وقد ضمت هذه الوزارة: البرق والبريد والهاتف والطرق والسكة الحديدية^(٣).

وقد تطورت وسائل المواصلات والاتصالات وكثرت السيارات في منطقة تبوك وغيرها، بعد ظهور النفط في المنطقة الشرقية من المملكة، وتحوله إلى سلعة تجارية، إذ تحسن دخل المملكة، وأدى ذلك إلى تحسن أوضاعها في مختلف المجالات بما فيها البرق والبريد^(٤).

(٤) أم القرى، س ٢٦، ع ١٢٧٦، ١٠ ذو القعدة ١٣٦٨هـ/ ٢ رمضان ١٩٤٩م.

(٥) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، وثائق الغبان، الوثيقة رقم (٤٧)، من محمود عبد القادر إلى السيد محمد عاشور عفاشة، تاريخ ٢ شوال ١٣٦١هـ/ ١٣ أكتوبر ١٩٤٢م.

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية، مج ١، ص ١٧٣.

(٢) ملكة بكر ناصر الطيار: تطور الأوضاع الاقتصادية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ١٣٥١-١٣٧٣هـ/١٩٣٢-١٩٥٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرئاسة العامة لتعليم البنات، وكالة الرئاسة لكليات البنات، كلية الآداب بالدمام، ١٤١٩-١٤٢٠هـ/١٩٩٨-١٩٩٩م، ص ٣٠١-٣٠٣، ٣٣٩-٣٤٠.

الجمارك

تشكل الرسوم الجمركية مورداً مالياً مهماً لخزينة الدولة، وخاصة عندما تشح مواردها الأخرى، ونظراً لأهمية هذا المورد، واعتماد الدولة العثمانية عليه، وخاصة في أواخر عهدها، أنشأت كثيراً من المراكز الجمركية على حدودها، وكان في ساحل منطقة تبوك عدد من هذه المراكز في موانئ أملج والوجه وضباء وقصارة والشيخ حميد، ومثلما كانت هذه الموانئ تستخدم لتصدير المنتجات المحلية القادمة من الظهير الجغرافي المجاور إلى أسواق مصر والسودان وأرتيريا والحجاز الجنوبي^(١)، كانت تستقبل البضائع القادمة، ويتم تحصيل الرسوم الجمركية في المراكز المذكورة^(٢). ونظراً لاعتماد الدولة العثمانية على هذا المورد المالي أنشأت في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م (مديرية الرسوم والجمارك) وكان مركزها جدة، وقد رأس المديرية الشيخ محمد الطويل الذي استمر في منصبه خلال عهد الشريف حسين بن علي^(٣). وكانت المراكز الجمركية في منطقة تبوك تتبع المركز الرئيسي للمديرية في جدة^(٤).

ويبدو أن المراكز الجمركية في منطقة تبوك في أواخر عهد الدولة العثمانية، وربما في العهد الشريف قد تم توحيدها في إدارة واحدة تسمى (مديرية الرسوم والجمارك)، فعندما دخل الملك عبد العزيز المنطقة وجد هذه الدائرة قائمة، وكانت تتبع للمديرية في جدة^(٥).

وقد أبقى الملك هذه المديرية على حالها باستثناء إجراء بعض التعيينات، حيث عين لها مديراً وأمين صندوق ورئيس كتاب^(٦). وعندما صدرت التعليمات الأساسية للمملكة في ٢١ صفر ١٣٤٥هـ/ ٣٠ أغسطس ١٩٢٦م كانت تتضمن فكرة إنشاء إدارة للجمارك، مع

(١) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٩٠؛ علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٩؛ مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٠٤؛ موسى مصطفى العبيدان: مدينة ضباء بين الماضي والحاضر، ص ٥٥.

(٢) مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٣) مبارك محمد المعبدي: النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني الثاني ١٢٥٦-١٣٣٥هـ/ ١٨٤٠-١٩١٦م، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ١٣/٥١٤١٣م، ص ١٥٣.

(٤) مطلق البلوي: المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٥) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ١٠٢.

(٦) أم القرى، س ٢، ع ٥٢، ١١ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥م.

تنظيم الأمور المالية، وقد ألحقت المراكز الجمركية بعد صدور التعليمات الأساسية بناظر عموم الرسوم (الجمارك)، وكان هذا الناظر يتبع إدارياً مديرية خفر السواحل التي تتبع بدورها وزارة الداخلية^(١).

وأصبح يطلق على الجمارك (نظارة عموم الرسوم) ومقرها جدة، وكانت النظارة تستخدم في معاملاتها نظاماً دقيقاً لضبط إدخال البضائع وشحنها وتخليصها^(٢).

وتحتل الإدارة الجمركية في الوجه الدرجة الثانية؛ إذ تأتي من حيث الأهمية بعد المركز الرئيسي في جدة، ثم تأتي بعد الوجه الإدارة الجمركية في كل من أملج وضباء^(٣).

وكانت إدارة الرسوم في مرافئ منطقة تبوك إذا ما أشكل عليها أي أمر يتعلق بالرسوم التي تحصلها من المراكب والسفن تخاطب مصلحة خفر السواحل في جدة، فقد أرسل مأمور مرفأ الوجه إلى مدير المصلحة في ١٦ صفر ١٣٥٢هـ/ ١١ يوليو ١٩٣٣م يسأله ماذا يفعل فيما يتعلق بالرسوم حيال حضور بارجتين إيطاليتين إلى ميناء الوجه^(٤).

وتعد مراقبة السفن في المرافئ من أهم واجبات إدارة المرافئ، إذ عليها تسجيل كل السفن بأرقامها التي تظهر عليها وأسماء أصحابها، وتطبيق الأنظمة المتعلقة بها، وتحصيل الرسوم المقررة عليها بمقتضى التعرفة. ومن واجبات إدارة المرافئ أيضاً الكشف على السفن الشراعية للتأكد مما إذا كانت صالحة للشحن، وإذا كانت كذلك تعطى رخصة (كوشان)، وقائمة بالبضاعة (المنافستو)، وتتقاضى الرسم المقرر، مع التأكد من أن السفينة لا تحمل أكثر من الوزن المسموح به حسب حمولتها، ويخول الكوشان السفينة الدخول إلى ميناء أو عدة موانئ شرط أن لا تزيد حمولتها من السفن الشراعية الأخرى، أو تزيد ركابها بنقل ركاب من الموانئ التي ترتادها. وكان يحصل على البضاعة التي تحملها السفينة الرسم المقرر بموجب التعرفة، وتسلم حاصلات

(١) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٣٢٧.

(٢) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ١٧٣.

(٣) أم القرى، س ٦، ع ٢٩٨، ٢٨ ربيع الأول ١٣٤٩هـ/ ٢٢ أغسطس ١٩٣٠م.

(٤) نظام مديرية مصلحة خفر السواحل وتوابعها، صدر الأمر السامي بالموافقة على هذا النظام بتاريخ ٢٩/١/١٣٥٣هـ، ورقم ٢١٨/٣١٨، المواد: ٤-٨؛ وثائق محمود بن علي أبو سالم، محافظة الوجه بمنطقة تبوك.

الرسوم إلى الجهات المالية المختصة في إمارات المنطقة^(١).

وقد شهد عقد الخمسينيات من القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي تأسيس إدارة جمركية في مرفأ كل من المويلح وحقل وذات الحاج وعلقان^(٢)، وكان للدوريات البرية دور في مساعدة مأموري الرسوم في هذه الإدارات على ضبط البضائع المهربة، حيث كان جنود المهجانة يلاحقون كل من يحاول التهريب، ويتأكدون من قانونية البضائع والأشياء الأخرى التي تدخل الأراضي السعودية عن طريق تقديمها إلى الإدارة الجمركية التي تفوضها، وتجري ما يلزم حسب الأنظمة النافذة^(٣).

وتم في عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م إحداث ديوان عام للجمارك في وزارة المالية، يرتبط بوزير المالية مباشرة. وألحقت بهذا الديوان جميع الدوائر الجمركية في المنطقة^(٤)، وبذلك أصبحت المراكز الجمركية في كل من أملج والوجه وضباء والمويلح والخريبة والصورة وحقل ذات مسمى واحد هو جمارك الحجاز، ومقرها جدة. أما المراكز الجمركية البرية في إمارات منطقة تبوك الأخرى فقد توحدت باسم جمارك الشمال ومقرها إمارة تبوك، والمراكز الجمركية التي تبتعها هي: تبوك والقريات والجوف والعلا وذات الحاج وعلقان وحقل ومغيرة والحماة^(٥).

وكانت مهمة الديوان العام للجمارك هي إدارة الشؤون الجمركية، ومتابعة تطبيق نظمها، وترتيب التعرف الجمركية، واقتراح الأنظمة التي تكفل تنظيم الواردات وتدريب الموظفين على الأساليب الجمركية الحديثة، وإعداد الميزانية السنوية لإدارات الجمارك. وكان في كل مركز

(١) نظام مديرية مصلحة خفر السواحل وتوابعها، المواد ٢٣-٣٢.

(٢) وثائق محمود بن علي أبو سالم، من سليمان النانية مدير مصلحة خفر السواحل إلى مأمور مرفأ ضباء، بتاريخ ١٠ شوال ١٣٥٩هـ؛ أم القرى، س ١٥، ع ٧١٥، ٢٣ جمادى الثاني ١٣٥٧هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٨٣م؛ جريدة الرياض، لقاء مع عواد سلامة الحامدي العمراني، ع (١٢٨٩٥)، س ٣٩، ١٤ شعبان ١٤٢٤هـ.

(٣) نظام مديرية مصلحة خفر السواحل وتوابعها، المواد ٥-٦.

(٤) إبراهيم بن عويص العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٦٢٣، ٣٢٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٢٨-٣٢٩؛ وثائق سداد محمد السعيد، كشف معاملات رسمية واردة إلى مأمور مرفأ ضباء سنة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م.

جمركي مفتش يرتبط بمدير عام الجمارك^(١).

وتدل كثرة المراكز الجمركية في منطقة تبوك على أن الحركة التجارية بين المملكة ودول الجوار قد أصبحت نشطة، وخاصة بعد ارتفاع المستوى الاقتصادي للدولة بسبب واردات النفط التي ازدادت مع نهاية الحرب العالمية الثانية^(٢). وكانت الدولة قد اهتمت بالجمارك؛ لأنها كانت قبل اكتشاف النفط تشكل المصدر الرئيسي للدخل^(٣).

وقد طُوِّر النظام الجمركي عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م، حيث صدر الأمر السامي رقم (١٤٠) بتاريخ ٢٩ محرم/١٩ أكتوبر من ذلك العام بتشكيل مديرية عامة للجمارك تابعة لوزارة المالية، وترتبط بها جميع أمانات الجمارك. وتتولى هذه المديرية الإشراف على تنفيذ الأنظمة والتعليمات الإدارية، والتعديلات التي تطرأ على التعرفة الجمركية. على أن يوضع لهذه المديرية النظام اللازم كما هو متبع في البلاد الأخرى^(٤).

وقد وضع النظام المطلوب وفق أحدث أنظمة الجمارك في البلاد المتقدمة، وروعي في وضعه حال البلاد السعودية وظروفها^(٥).

وقد أعيد تقسيم مناطق الجمارك وفقاً للنظام الجديد فأصبحت ثلاثاً بدلاً من أربع، وهي: أمانة جمارك المنطقة الغربية ويتبع لها جمرك أملج، وأمانة جمارك المنطقة الشرقية، وأمانة جمارك المنطقة الجنوبية. وأصبحت جمارك: حالة عمار وضباء والدرة وتبوك والصورة والخريبة بموجب النظام تراجع إدارياً المديرية العامة للجمارك^(٦).

ومن المعلوم أن إدارة الجمارك كانت من أوائل الإدارات التي وجدت في المملكة؛ وذلك

(١) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٣٢٩.

(٢) عبد الله بن محمد الفيصل: الإدارة المالية في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية في مائة عام، بحوث ودراسات، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج ٩، ص ١٣٦-١٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦٣.

(٤) أم القرى، س ٢٩، ع (٤٣٦)، ١٢ صفر ١٣٧٢هـ/٣١ أكتوبر ١٩٥٢م.

(٥) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ١٧٣.

(٦) إبراهيم بن عويض العتيبي: المرجع السابق، ص ٣٣٠، ٦٢٦.

لأهمية مواردها قبل اكتشاف النفط^(١)، وقد تم تطوير تلك الإدارة باستمرار لمواكبة التوسع في مجال التجارة الخارجية^(٢).

واستحدثت بعد تشكيل المديرية العامة للجمارك مركز جمركي في كل من حالة عمار والدرة بدلاً من ذات الحاج، ذلك أن حالة عمار تقع قرب الحدود البرية السعودية- الأردنية إلى الشمال من ذات الحاج، بينما تقع الدرة قرب الحدود البحرية السعودية- الأردنية على خليج العقبة إلى الشمال من حقل. وتم إلغاء جمرك المويلح، وجمرك علقان. وكان الهدف من ذلك هو وضع المراكز الجمركية في مواقع أكثر ملائمة لقرىها من الحدود، وتخفيف البيروقراطية الإدارية والروتين^(٣).

وأبقت المديرية العامة للجمارك عدداً من مأموري الرسوم في كل من أملج والوجه وضباء^(٤)؛ لأنهم تابعون لناظر عموم الرسوم في جدة^(٥). وكانوا يقومون باستقبال السفن، والإطلاع على ما تحمله من بضائع، وتحرير بيان بها، ومن ثم تطبيق قانون الدولة وتعليماتها فيما يتعلق بالبضائع الممنوعة، وتحصيل الرسوم المقررة على البضائع الأخرى. وكان يرافق مأمور الرسوم أثناء تفتيش السفينة مأمور المرفأ ومأمور المحجر الصحي ومدير الشرطة بإشراف الأمير، وكان دور مأمور المرفأ هو حل المشكلات التي ربما تكون قد حدثت بين ربان السفينة وبجارتها بغض النظر عن ماهية هذه المشكلات. أما مأمور المحجر الصحي فمهمته عزل المرضى أو المشتبه بأنهم مرضى من ركاب السفينة قبل خروجهم منها. وأما مأمور الرسوم فدوره فتح البضائع

(١) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز:، ص ٣٣٠، ٦٢٦.

(٢) ملكة بكر ناصر الطيار: تطور الأوضاع الاقتصادية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز ١٣٥١-١٣٧٣هـ/١٩٣٢-١٩٥٣م، ص ١٢٤.

(٣) عبد الله بن محمد الفيصل: الإدارة المالية في عهد الملك عبد العزيز، ج ٩، ص ١٦٤.

(٤) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، الوثيقة رقم (٢٢٧)، وهي قرار مجلس الشورى في ٢٢ شعبان ١٣٤٧هـ/ ٣ فبراير ١٩٢٩م.

(٥) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، الوثيقة رقم (٣٢٣)، تعميم مصلحة الجمارك بتاريخ ٢ ذو القعدة ١٣٤٤هـ - ١٤ مايو ١٩٢٦م.

وتقدير الرسوم عليها وفقاً لما سبق ذكره^(١).

وكانت السفن القادمة إلى سواحل منطقة تبوك ترسو عند إدارة الجمرک، فيقوم مأمور الرسوم بفحص الأوراق الرسمية، والتأكد من قانونيتها، ثم يقوم هو ومأمور المرفأ بمعاينتها على رصيف الجمرک، وفحص بضاعتها لمعرفة ما إذا كانت من الممنوعات، ثم تسجل الرسوم المستحقة عليها حسب النظام النافذ، وتستكمل بعد ذلك الإجراءات الرسمية، ويعطى ربان السفينة تصريحاً بالمغادرة، وتعود الأوراق الرسمية إلى مأمور الجمرک الذي يقوم بدوره بتسليمها إلى الربان. وفي حالة اكتشاف مخالفة، أو بضائع ومواد ممنوعة يكتب مأمور الجمرک إلى مديرية مصلحة خفر السواحل بجدة، وينتظر قرارها في هذا الشأن^(٢).

وعليه فقد كان يطلق على مأمور الرسوم في أمّـلـج لقب (أمير البحر)، وهو لقب محلي غير رسمي، وقد تولى هذه الوظيفة في عهد الملك عبد العزيز: محمد جمعه سعيد^(٣). وكان مبنى الجمرک في أمّـلـج من دورين، وهو مبنى بالحجر والطين، وبطل مباشرة على مرفأ أمّـلـج، ويقع قرب قصر الإمارة القديم ومبنى حرس الحدود القديم. وقد أزيل ذلك المبنى، وأقيم المبنى الحالي قرب مرفأ أمّـلـج الحديث في البلدة القديمة، بجوار سوق الرقعة^(٤).

وكان مبنى الجمرک في الوجه الذي أزيل يقع في منطقة الميناء القديم في الجهة الشمالية لرصيف الميناء^(٥)، أما مبنى إدارة مرفأ الوجه فيقع في الجهة الغربية من المرفأ بجوار مبنى خفر السواحل والجمارک^(٦).

ويتألف مبنى الجمرک في ضباء من طابقين: أرضي لخزن البضائع، وعلوي لمكاتب

(١) وثائق محمود بن علي أبو سالم، من نائب جلالة الملك إلى إمارة الوجه بتاريخ ١٤ رمضان ١٣٥٤هـ / ١٠ ديسمبر ١٩٣٥، بشأن تقرير مدير شرطة الوجه حول صعوده إلى البواخر.

(٢) نظام صيد الأسماك والحداد في سواحل البحر الأحمر، وزارة المالية، مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٣٦٩هـ، ص ٨-٩.

(٣) خطاب من الأستاذ محمد بن حامد السناني إلى الباحث بتاريخ ١٤ صفر ١٤٣١هـ.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) علي إبراهيم غبان : الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٨٢.

(٦) محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ٤٢٢.

الموظفين، وتعود ملكية المبنى لأسرة آل سحلة، ويقع على الساحل في بلدة ضباء القديمة بجوار رصيف الميناء^(١).

وكان في كل من أملج والوجه وضباء مأمور إحصاء، مهمته إحصاء البضائع، وكانت رواتبهم تتراوح بين ٥٠٠ و ٧٠٠ قرش، وقد تم ترشيحهم للتعين من قبل وكيل المالية العام بعد التشاور مع رئيس الأموال بجدة ومفتش عموم الرسوم، حيث كتب خطاباً بذلك إلى النائب العام الأمير فيصل، وهو الخطاب رقم (١٨٧) تاريخ ٢٤ شعبان ١٣٤٦هـ / ١٦ فبراير ١٩٢٨م، وهم: أحمد كركدان في أملج براتب (٥٠٠) قرش، وسليمان قرش في الوجه براتب (٧٠٠) قرش، ومحمد حسين غبان في ضباء براتب (٥٠٠) قرش^(٢).

والجدير بالذكر أن المرفأ يتميز بأنه عبارة عن منطقة مائية مقفلة جزئياً، فهو شرم أو خليج صغير يقدم للسفن مرسىً محمياً وآمناً، ومياهه عميقة بما يكفي لرسو السفن الصغيرة، ويوفر مجالا للتحرك الملاحى. وتتوافر هذه العوامل الجغرافية والجيولوجية والطبيعية في أملج والوجه وضباء، ولذلك أطلق عليها مرافئ، علماً بأن هذه المرافئ يمكن أن تكون موانئ، فهي واسعة وذات عمق مناسب^(٣).

وتتميز المرافئ على ساحل منطقة تبوك بأنها بعيدة عن بعضها؛ نظراً لأن ظهيرها الجغرافي الواقع إلى الشرق منها، وهو أراض شبه صحراوية، فقد اقتصر النشاط البشري فيها على التجارة وصيد الأسماك، مما أدى إلى نشأة مراكز عمرانية أصبحت بمرور الزمن مدناً صغيرة تتبع هذه المرافئ، ويعمل غالبية سكانها في الشحن والتفريغ، إضافة إلى الأعمال الأخرى الأقل أهمية مثل تربية الماشية والزراعة^(٤).

وكانت مرافئ المنطقة تستقبل السفن الشراعية فقط؛ وذلك بسبب كثرة الشعاب المرجانية، وبعدها عن خطوط المياه العميقة. وكانت السلع الواردة إلى هذه المرافئ ذات مردود جهمركي قليل. كانت هذه السلع تنقل إلى القرى والمدن المجاورة، وكذلك إلى داخل المنطقة بواسطة قوافل

(١) علي إبراهيم غبان، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٧١، ٢٧٩.

(٢) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، الوثيقة رقم (١٨٧)، خطاب وزارة المالية.

(٣) محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ١٨١-١٨٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٩١.

الإبل. وعندما بدأ استعمال السفن التجارية الكبيرة في النقل، لم تتمكن هذه السفن من الرسو في مرافئ المنطقة ، ولذلك كانت تتوقف في عرض البحر، وتترل حمولتها في سفن شراعية صغيرة لنقلها إلى المرافئ^(١).

ونظرا لأن بعض التجار كانوا يحاولون إخفاء البضائع للتخلص من دفع الرسوم الجمركية، حيث وجد مأمور رسوم الوجه الذي كان يرافقه الحارس أحمد عبد الرحيم الفوال في سفينة (المنصور الخديوية) القادمة من السويس إحدى عشرة طاقة قماش مخبأه في أحد الأكياس، فأبلغ أمير الوجه بذلك في ٧ ربيع الأول ١٣٤٦هـ/ ٤ سبتمبر ١٩٢٧م^(٢).

ونظرا لأن بعض الخصومات كانت تقع بين مأموري المرفأ ومأموري الرسوم لخلافات إدارية، أو بين مأموري الرسوم والتجار مما يدفع إلى إحالة المأمورين إلى المحاكم الشرعية لعدم وجود مجلس تدريبي مختص^(٣)، فقد استدعى كل ذلك وجود مفتشية لتابعة عمل المأمورين. فقد قرر مجلس الوكلاء بعد اطلاعه على تقرير هيئة تفتيش الشمال بأنه على مرجع مأموري الرسوم إيفاد مفتش من وقت لآخر للإشراف على سير العمل في عموم الجمارك، وإكمال النقص إن وجد، والتأكيد على اختيار الأشخاص الأكفاء لتعيينهم مكان من يظهر عليه القصور والعجز. كما يجب متابعة أعمال مأموري المرافئ ومراقبتها عن طريق المفتشية^(٤).

ولم تقتصر الرسوم الجمركية على البضائع الواردة عبر المرافئ، فقد كان بعض التجار السعوديين يستوردونها من شرق الأردن، وتكون أحيانا بكميات قليلة، ومع ذلك كانوا يدفعون عليها الرسوم المقررة، فقد أرسل أحد تجار حائل عاملاً له إلى معان ومعه جملان لشراء بضاعة، وعندما عاد العامل ومعه البضاعة طلب منه أمين أموال تبوك الرسم المقرر حسب قانون

(٢) محمد أحمد الرويشي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص ١٨٤.

(٣) وثائق الأستاذ أحمد السلطان ، من مأمور الرسوم بالوجه إلى أمير الوجه.

(٤) معهد الإدارة العامة الرياض، مركز الوثائق، الوثيقة رقم (٢٢٧) ، قرار مجلس الشورى، ٢٢ شعبان ١٣٤٧هـ/ ٣ فبراير ١٩٢٩م ؛ والوثيقة رقم (٤٤)، قرار مجلس الوكلاء، ٣ رجب ١٣٥٦هـ / ٩ سبتمبر ١٩٣٧م.

(١) معهد الإدارة العامة الرياض ، مركز الوثائق، الوثيقة رقم (٦١)، قرار مجلس الوكلاء، تاريخ ٣٠ رجب ١٣٥٦هـ/ ٦ أكتوبر ١٩٣٧م.

الجمارك^(١).

وكان يتم تقاضي الرسوم أيضاً من صيادي الحيتان سواء كانت للاستهلاك المحلي أم للتصدير، ثم رأى المفتش العام في وزارة المالية تقاضيتها عن الحيتان التي تصدر إلى الخارج فقط، إذ اقترح على الوزارة أن يقوم مأمور الرسوم في الوجه وضباء بمتابعة هذا الأمر، وأخذ الرسوم في حالة تصديرها إلى الخارج، أما إذا حصل الملتزم على رخصة من مديرية خفر السواحل تخوله صيد الحيتان، واصطادها لأجل الاستهلاك داخل البلاد فلا يدفع عليها رسوماً، وقد رفع وزير المالية هذا الاقتراح إلى النائب العام في ٧ ربيع الأول ١٣٥٦هـ/ ١٨ مايو ١٩٣٧م^(٢)، الذي رفعه بدوره إلى مجلس الوكلاء برقم ٤٧/٢/٦٥ تاريخ ٥ رمضان ١٣٥٦هـ/ ٩ نوفمبر ١٩٣٧م، الذي ناقشه، ثم حظي بموافقة الملك عبد العزيز^(٣).

وأصبح تكس البضائع في مستودعات المالية بعد نشاط حركة الاستيراد والتصدير أمراً مألوفاً، مما استدعى تعيين مأمورين لهذه المستودعات، فقد طلب أمين مالية تبوك تعيين مأمور مستودع للمالية بعد أن أصبح يحوي الكثير من البضائع والأرزاق، وقد تم استحداث هذه الوظيفة بعد موافقة الملك بناء على كتاب من وكيل وزارة المالية إلى النائب العام^(٤).

ويدل على كثرة البضائع الواردة إلى مرفئ منطقة تبوك وصول إحدى السفن التابعة للشركة الخديوية في مصر إلى مرفأ الوجه وعليها ألف وخمسمائة طرد بضاعة، وذلك في الحرم ١٣٥٨هـ/ فبراير ١٩٣٩م^(٥).

وكانت الرسوم الجمركية تجبى على أساس قيمة البضاعة الواردة مهما كان نوعها، ولتحديد هذه القيمة لم يكن يكتفى بالفواتير المقدمة من التجار، وإنما كان يتم تقدير ثمنها بناء

^(١) معهد الإدارة العامة الرياض ، مركز الوثائق، الوثيقة رقم (١٥٤)، تاريخ ٨ رمضان ١٣٥١هـ/ ٥ يناير ١٩٣٣م.

^(٢) معهد الإدارة العامة الرياض ، مركز الوثائق، الوثيقة رقم (٢٤٠)، خطاب وزارة المالية.

^(٣) معهد الإدارة العامة الرياض ، مركز الوثائق، الوثيقة رقم (٤٧/٢/٦٥)، خطاب المكتب الخاص، ٥ رمضان ١٣٥٦هـ/ ٩ نوفمبر ١٩٣٧م ؛ نظام صيد الأسماك والحد في سواحل البحر الأحمر، ص ٣.

^(٤) معهد الإدارة العامة الرياض ، مركز الوثائق، الوثيقة رقم (٨٢٤)، خطاب وزارة المالية في ٤ رجب ١٣٥٦هـ/ ١٠ سبتمبر ١٩٣٧م.

^(٥) وثائق محمود بن علي أبو سالم ، محافظة الوجه بمنطقة تبوك.

على أسعار الحاجيات في السوق^(١).

وقد تنوعت السلع والمواد التي كانت الرسوم تجبى عليها، ومن ذلك الوقود، فقد كانت السيارات القادمة من شرق الأردن حاملة البضائع أو الحجاج تدفع رسوماً جمركية على الوقود عند دخولها الأراضي السعودية عبر المراكز الجمركية مثل المركز الجمركي في حالة عمار^(٢).

ومن المواد التي كانت تجبى عليها الرسوم أيضاً الدخان الذي كان بعض الأهالي يزرعونه ، وخاصة أهالي القرى الواقعة إلى الشمال من المويلح، فقد كان أمير ضباء يوفد مندوباً من قبل مأمور الرسوم إلى المويلح وقراها الشمالية يرافقه مدير مركز المويلح للإطلاع على مزارع الدخان وتقديره، ومن ثم أخذ رسوم مصلحة الجمارك عليه^(٣). ويبدو أن بعض مزارعي الدخان كانوا يحددونه قبل الأوان تقريباً من دفع الرسوم، ولذلك أكد عليهم الأمير عبر مدير مركز المويلح بعدم التلاعب، وعدم حصاده إلا بعد مجيء مندوب الرسوم من قبل مالية ضباء، وطلب الأمير تزويده بأسماء المتلاعبين لاتخاذ الإجراءات القانونية بحقهم^(٤).

والجدير بالذكر أن الدخان الذي كان يزرعه أهالي قرى المويلح الشمالية كان يباع لتجار ضباء الذين يبيعونه بدورهم للأهالي من بادية وحاضرة، وكان يطلق عليه (الهيشي)^(٥). وقد تم منع زراعته في منتصف الستينيات الهجرية الأربعينيات الميلادية، وهو الأمر الذي أدى إلى محاولة تهريبه إلى داخل المملكة من شرق الأردن ومصر^(٦).

(١) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٣) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويلحي، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل، الوثيقة رقم (٣٦)، من: أمير ضباء إلى مدير المويلح، بتاريخ ١١ ذو القعدة ١٣٥٢هـ / ٥ مارس ١٩٣٤م.

(٤) المصدر نفسه، الوثيقة رقم (٣٩)، تاريخ ٥ شوال ١٣٥٢هـ / ٢٦ يناير ١٩٣٤م.

(٥) موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضباء بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ، ص ١٢٨، ١٤٥.

(٦) اتصال هاتفي مع علي الوكيل بتاريخ ١٤٣٠/١١/١هـ.

البلديات

تعتبر البلديات من أهم المؤسسات الإدارية في أي منطقة، وتتلخص وظائف البلدية في المحافظة على النظافة، ومتابعة الصحة العامة، والإشراف على تنظيم عمل المحلات التجارية، ومراقبة السلع التي تعرض فيها، وتنظيم أوقات فتحها وإغلاقها، ومتابعة ما يتعلق بالحرف من حيث السماح بمزاولةها أو لا. وقد تمت ممارسة هذه الوظائف في مدن منطقة تبوك وقراها الداخلية والساحلية على الرغم من أن هذا المصطلح: (البلدية)، لم يكن معروفاً. وكان نظام القلاع أو محافظو القلاع هم الذين يمارسون دور رئيس البلدية الذي يشرف على أداء الوظائف المشار إليها، كما هو الحال في قلعة الوجه التي كان ناظرها بمثابة رئيس بلدية^(١).

وقد تم تأسيس بلدية بالمعنى المعروف في تبوك، وعين رئيس لها بعد إنشاء سكة حديد الحجاز^(٢)، وازداد عدد البلديات في العهد الشريف، حيث تم تأسيس بلديات في مدن الساحل، وكانت تتبع في إدارتها رئاسة بلدية العاصمة في مكة المكرمة^(٣).

وبدأ التنظيم القانوني لعمل البلديات في عهد الملك عبد العزيز، وقد مهد لذلك صدور التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية حيث نصت على إنشاء إدارات محلية تعنى بالشؤون البلدية، وبهذا النص وضعت التعليمات الخطوط العريضة والملامح الأساسية لعمل البلديات والمجالس البلدية^(٤).

وقد تبلورت مهام البلدية بالعناية بالصحة العامة من حيث مراقبة نظافة الأطعمة و الصناعات الغذائية ووسائل نقل الأغذية، ونظافة الشوارع، و مكافحة القوارض والبعوض، وتخفيف المستنقعات، والعناية بالمحاري العامة، وإنارة الشوارع، والحراسة الليلية، ومراقبة اللحوم والمجازر، ورصف الشوارع وإصلاحها، وكذلك مراقبة المنازل والأبنية و مستودعات الكاز،

(١) هشام محمد عجمي: قلاع الأزمن والوجه وضباء، ص ٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٦-٢٢٨.

(٢) وثائق محمد بن عبد الله الغريص، من نظارتي مالية إلى سليمان أفندي سليم بشأن انتخابه بالمجلس البلدي بتاريخ ١٣٣٢هـ.

(٣) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ١١٢-١١٣.

(٤) أنظر: التعليمات الأساسية في أم القرى، س ١، ع ٩١، ٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ؛ فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ١٩١.

والعناية بكبار ضيوف الدولة، ومنع التعدي على الساحات العامة والشوارع والأراضي الخالية غير المملوكة، وإنشاء الأسواق، وتحديد أماكن لبيع الحطب والفحم والخضار، وتأسيس أفران خارج الامارة لحرق النفايات^(١). ومراقبة الموازين والمكاييل والمقاييس، والإشراف على المقابر والمغاسل، وتنظيم الذبح والمسالخ، وتحديد الحمولة المقبولة، وتعيين الجزاء على من يخالف^(٢).

وكانت البلدية من حيث الإيرادات والمصروفات دائرة قائمة بنفسها، أما من حيث الشؤون الإدارية فارتباطها بالإمارة، وليس هناك من علاقة بينها وبين الإدارة المالية إلا في جانب واحد هو إشراف الإدارة على حساباتها^(٣).

وتتمثل واردات البلدية في: الرسوم التي تفرضها على كل رأس من الماشية يباع، ورسوم الغاز والبترين، ورسم النظافة والإنارة الذي كان يحصل من المحلات التجارية بمختلف أنواعها^(٤)، ورسم رخص البناء حيث كانت تتقاضى قرشاً واحداً عن كل ذراع مربع، ورسم الترميمات، ورسوم المكاييل والموازين، ورسوم القنطارية والكوشان^(٥)، وأجور أملاك البلدية^(٦)، والرسوم التي تتقاضاها على الطرود البريدية الواردة^(٧).

أما مصروفات البلدية فكانت تشمل رواتب الموظفين، وأعمال النظافة والإنارة، والتعمير،

(١) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ١٩١؛ فؤاد رضا، مجلة المنهل، مجلد ٩، ج ٦، محرم ١٣٦٨هـ، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) نظام البلدية الصادر في ٢٠/٧/١٣٥٧هـ، أم القرى، س ١٥، ع ٧٢٧، تاريخ ١٩ رمضان ١٣٥٧هـ/ ١١ نوفمبر ١٩٣٨م.

(٣) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ١، ص ٤١٣.

(٤) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، وثيقة رقم (١٦٤) قرار مجلس الشورى، تاريخ ٢٠/٧/١٣٥٢هـ.

(٥) فهد بن مرزوق اللحياي: المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٧٧.

(٦) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، وثيقة رقم (٨٨)، قرار مجلس الشورى، تاريخ ٢٩/٧/١٣٤٦هـ.

(٧) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، وثيقة رقم (٣٦٠)، قرار مجلس الشورى، تاريخ ٥/١١/١٣٦٥هـ.

وإزالة المباني لتوسيع الشوارع، وإصلاح الطرق^(١). وكانت ميزانية البلدية تعرض على مجلس الشورى، وهناك هيئة تفتيشية في كل إمارة كان من واجباتها تدقيق حسابات البلدية الواردة والمصروفة^(٢).

وقد صدر نظام البلدية في ٢٠ رجب ١٣٥٧هـ / ١٥ سبتمبر ١٩٣٨م، فحدد مهامها وواجباتها، وكان أكثر تفصيلاً وشمولاً^(٣).

وتم تأسيس عدة دوائر للبلديات في إمارات منطقة تبوك، وأولى هذه الدوائر تم تأسيسها في الوجه وضباء وأملج^(٤)، وقد ظلت بلدية أملج تتبع بلدية ينبع، ثم استقلت^(٥). أما في تبوك فقد تم تأسيس دائرة للبلدية بعد توحيد المملكة^(٦). وقد تزامن مع تأسيس دوائر البلديات تشكيل مجلس لكل دائرة. ويذكر هنا أن مجلس الشورى وافق بقراره رقم (١٧٩) تاريخ ١٣ ذو القعدة ١٣٦٢هـ / ١١ نوفمبر ١٩٤٣م على تشكيل المجلس البلدي في إمارة أملج، وهيئة البلدية بعد انتخابهما^(٧).

وكان في كل بلدية مأمور لتحصيل القنطارية؛ وهي ضريبة تؤخذ على القنطار والقنطار

(١) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، وثيقة رقم (٨٨) قرار مجلس الشورى، تاريخ ٢٩ رجب ١٣٤٦هـ / ٣ يناير ١٩٢٨م.

(٢) فؤاد رضا: مجلة المنهل، مجلد ٩، ج ٦، محرم ١٣٦٨هـ، ص ٢٤٢.

(٣) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، الأمر السامي رقم (٨٧٢٣) تاريخ ٢٠ رجب ١٣٥٧هـ / ٥ سبتمبر ١٩٣٨م؛ أم القرى، س ١٥، ع ٧٢٧، ١٩ رمضان ١٣٥٧هـ / ١١ نوفمبر ١٩٣٨م.

(٤) وثائق مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، وثائق أبو صابر، الوثيقة رقم (٤٢)، سند استلام مبالغ مسلمة إلى صندوق بلدية الوجه من محمود أبو صابر، بتاريخ ٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ / ٧ سبتمبر ١٩٢٧م.

(٥) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، وثيقة رقم (٤١٧)، قرار مجلس الشورى، تاريخ ٦ صفر ١٣٤٨هـ / ١٤ يوليو ١٩٢٩م.

(٦) الإمامة، ع ١٥٠٥، س ٦٠، السبت ٢٠ محرم ١٤١٩هـ. لقاء مع الشيخ عناد بن غريض.

(٧) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، وثيقة رقم (٤١٧)، قرار مجلس الشورى، تاريخ ٦ صفر ١٣٤٨هـ / ١٤ يوليو ١٩٢٩م؛ وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ٩٧.

معيّار للوزن مختلف في مقداره إلا أنه يساوي كأساس مائة رطل وفي كل بلدية أيضاً مأمور لتحصيل رسم الحلقات أي محلات بيع الجملة. ولم يكن لمأمور الرسوم أي ارتباط مالي بالبلدية، حيث منع من التدخل في وارداتها ومصروفاتها؛ لأن لها صندوقاً يختلف عن صندوق المالية^(١).

وكانت بعض البلديات لا تتكمن من تغطية جميع مصروفاتها بسبب عجز موازنتها، فقد طلبت بلدية أمّالج اعتماد مبلغ خمسة وسبعين ريالاً لتنظيف ساحل البحر، ولا تستطيع تأمين هذا المبلغ من موازنة البلدية لوجود عجز فيها. وقد وافق مجلس الشورى بقراره رقم (٢٠٩) تاريخ ٨ شوال ١٣٦٤هـ/١٦ سبتمبر ١٩٤٥م على صرف المبلغ من صندوق المالية التابع لوزارة المالية^(٢).

وكان لدى بلديات أخرى من الأموال ما يمكنها من تنفيذ كل المشاريع التي تخدم سكانها. بما في ذلك المشاريع المكلفة مادياً، فقد قامت بلدية تبوك باستيراد أشجار الكافور، وقامت بزراعتها من أجل مكافحة الملاريا^(٣).

ولذا فقد أصبحت الأوامر والتعليمات ذات العلاقة بالبلديات في منطقة تبوك تبلغ بعد تأسيس إمارة المقاطعة الشمالية إلى الإمارة لتعميمها على جميع الإمارات التي تتوافر فيها دوائر بلدية، فقد أرسل نائب الملك الأمير فيصل - إلى أمير المقاطعة الشمالية (أمير تبوك) قرار مجلس الشورى الذي يقضي بأخذ رسوم لحساب البلدية على الدقيق الذي يرد إلى التجار، وذلك بتاريخ ٧ رجب ١٣٦٧هـ/١٦ مايو ١٩٤٨م^(٤). كما أرسل نائب الملك خطاباً للأمير المقاطعة الشمالية بتاريخ ١٩ شعبان ١٣٦٧هـ/٢٧ يونيو ١٩٤٨م لإلغاء تحصيل رسم القنطارية الذي كان يستوفي على الحبوب، وإبلاغ البلديات بذلك^(٥).

(١) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، وثيقة رقم (٩٠)، قرار مجلس الشورى، تاريخ ١ جمادى الآخرة ١٣٥٦هـ/٩ أغسطس ١٩٣٧م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ٢٣٣.

(٤) وثائق محمود بن علي أبو سالم، محافظة الوجه بمنطقة تبوك.

(٥) المصدر نفسه.

الفصل الرابع

مظاهر التطور الحضاري في منطقة تبوك

- أ- توطين البادية.
- ب- النهضة العلمية.
- ت- النهضة الزراعية.
- ث- الرعاية الصحية.
- ج- التجارة والصناعة.
- ح- طرق الحج والنقل.
- خ- المعالم التاريخية والأثرية.

توطین البادیة

يتضح من التحليل الاجتماعي والتاريخي لحياة البدو كجزء من المجتمع في البلاد السعودية أن التنافس وعدم التضامن هو الطابع الغالب على العلاقات بين أهل البادية وأهل الحضر، كما يتضح أن الجماعات البدوية لا تمثل مجتمعاً متجانساً، فهي قبائل متنافسة، ويصل حد التنافس بينها إلى درجة النزاع، وتبادل الغزو، والصراع المستمر^(١). وقد أدرك الملك عبد العزيز هذه الحقيقة منذ البداية، ولذلك رأى أن من الضروري العمل على استقرار البدو، وتجنيدهم لتحقيق وحدة البلاد، إلى جانب تحقيق أهداف أخرى أهمها تعميق مبادئ العقيدة الإسلامية، وتصفية ما علق بالجماعات والقبائل البدوية من تخاصم واقتتال وتفكك اجتماعي، والانتقال بها من حياة التنقل والترحال إلى حياة مستقرة^(٢).

وتعد منطقة تبوك من المناطق السعودية التي يشكل البدو أغلبية سكانها؛ وذلك أن معظم أراضيها صحراوية، تفرض على من يعيش فيها التنقل من مكان إلى آخر طلباً للكأ والماء، ولذلك كانت القبائل البدوية في حركة مستمرة لا تكاد تستقر في مكان، فهي لا تلبث إلا قليلاً حول واد أو غدير أو قرب مركز عمراني، لأنها عندما يشح الماء، أو يقل العشب تضطر إلى الرحيل، وقد تضطر إلى الانتقال إلى خارج المنطقة باتجاه الشمال أو الشمال الغربي حيث بلاد الشام وفلسطين ومصر^(٣). وقد كانت هذه القبائل البدوية تجد مبعثها من المراعي في شرق الأردن وفلسطين وسيناء والعريش أيام الربيع^(٤). وقد تصل بعض القبائل في تنقلها بما تمتلكه من

(١) مكي الجميل: البداوة والبدو في البلاد العربية دراسة لأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ووسائل توطينهم، القاهرة، سرس الليان، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص ٧٦.

(٢) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص ٨٦.

(٣) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك دراسة في الجغرافيا الإقليمية، ص أ، ج، ٣٧٢-٣٧٥؛ جورج أوغست فالين: رحلات فالين، ص ١٨٧-١٩٠، ١٩٨-٢١٢، ٢١٣٣؛ جون لويس بيركهات، رحلات في سورية والبلاد المقدسة، ترجمة شاهر حسن عبيد، دمشق، دار الطليعة الجديدة، ٢٠٠٧م، ص ٢٣٨-٢٤٢، ٢٨٢-٣٧١؛ محمد السيد غلاب: الجغرافية البشرية والتاريخية لشبه جزيرة سيناء، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م، ص ١٧-٢٥.

(٤) محمد عدنان البخيت وآخرون: الوثائق الهاشمية، القسم الأول، مج ١٠، ص ٣٠٥؛ خالد بن عبد الرحمن الجريسي: من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ج ١، ص ٨٣، ٩٠.

خيل وإبل وأغنام إلى دمشق وحلب، أو إلى وادي السرحان شرقاً، وذلك حسب فصول السنة^(١).

وكانت القبائل في حلها وترحالها تقوم بمقايضة ما تملكه من الثروة الحيوانية ومنتجاتها بما تحتاج إليه من تجار المراكز العمرانية المجاورة لها. وكانت هذه المقايضة تتم أيضاً مع قوافل الحج الشامي والمصري^(٢)، التي تضطرها الظروف أحياناً إلى نهبها، وأحياناً أخرى إلى حمايتها إذا ما أنيط بها ذلك مقابل المال^(٣).

وكانت بعض القبائل تضطر إلى الاستقرار فترة قصيرة لا تتجاوز موسماً واحداً مثل موسم جني التمور، وذلك خلال الفترة (يوليو - أغسطس) من كل عام، حيث كانت القبائل التي تمتلك مزارع نخيل في واحة مقنا - مثلاً - تقيم قربها تلك الفترة. وإذا احتاجت إحدى قبائل منطقة تبوك إلى الحبوب كانت ترسل إلى الكرك في شرق الأردن من يقايضها بالإبل^(٤). أما الزراعة فلم تكن من اهتمامات القبائل البدوية إلا في حالات نادرة وأماكن محدودة، ويقتصر ذلك على المواسم المطرية الجيدة^(٥)، وكثيراً ما كانت هذه القبائل تتحين فرصة موسم الحج حيث يؤم البدو أسواق المراكز العمرانية الساحلية والداخلية للبيع والشراء^(٦)، وقد تلجأ بعض القبائل البدوية إلى فرض الخاوة أو الخوة على هذه المراكز العمرانية لقاء حمايتها من هجمات قبائل أخرى^(٧).

ولهذا يلاحظ أن عدم الاستقرار كان هو السمة الغالبة على الأوضاع الحياتية للقبائل البدوية في منطقة تبوك، وهم إما بدو رحل لا يستقرون في مكان، وإما شبه رحل يزرعون عندما تجود المواسم المطرية بعض الزراعات مثل الشعير والحبوب الأخرى، أو النخيل في الواحات قرب

(١) جورج أوغست فالين: رحلات فالين، ص ٢٣٤؛ محمد الخطيب: المجتمع البدوي، دمشق، منشورات دار

علاء الدين، ٢٠٠٨ م، ص ٢٣-٢٤.

(٢) الليدي آن بلنت: رحلة إلى نجد، ص ٢٧٩؛ حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٤٥؛ محمد صادق

باشا: الرحلات الحجازية، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) أويليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص ٧١؛ محمد صادق باشا: المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٤) ماكس فراهيرفون أوبنهايم وآخرون: البدو، ج ٢، ص ٤٨٠-٤٨١، ٤٨٦-٤٨٧.

(٥) جورج أوغست فالين: المصدر السابق، ص ٢٣٢.

(٦) ماكس فراهيرفون أوبنهايم وآخرون: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١٠.

(٧) الليدي آن بلنت: المصدر السابق، ص ٢٧٩-٢٨٠.

المراكز العمرانية، وما إن ينتهي موسم الحصاد حتى يعودوا سيرتهم الأولى من التنقل والترحال^(١).

لذلك فإن مسألة توطين البادية كانت بعض اهتمامات الدولة العثمانية في أواخر عهدها، وخاصة بعد مد سكة حديد الحجاز، فقد حاول بعض المسؤولين العثمانيين الدفع باتجاه التوطين في تبوك والعلا وتيماء والحجر، إلا أن المشكلات الكثيرة التي عانت منها تلك الدولة حالت دون تنفيذ المشروع، وكانت سكة الحديد قد حفزت بعض شيوخ القبائل إلى حفر آبار للمياه قرب تبوك وزراعة الأرض قربها إلا أنهم لم يعملوا على الإقامة الدائمة، بل لم يفكروا في ذلك، وظلوا شبه رحل^(٢).

وقد طالب أحد المسؤولين العثمانيين بتشجيع التوطين في منطقة تبوك قرب سكة الحديد والمراكز العمرانية مثل البدع إلا أن ظروف الدولة في حينه حالت دون سماع صوته^(٣).

وكان الملك عبد العزيز في تلك الأثناء، أي حوالي عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٣م قد ضم الأحساء إلى حكمه، وأنشأ أول هجرة زراعية في البلاد لإسكان البدو، وهي هجرة (الأرطاوية) التي تبعد عن الرياض شمالاً نحو ثلاثمائة كيلومتر. وقد شجع الملك إحدى القبائل البدوية على ترك حياة الارتحال والتنقل إلى حياة الاستقرار والعمل بالزراعة. ولإنجاح هذا المشروع وجه عدداً من الوعاظ إلى تلك القبيلة لتعليم مبادئ الدين، مما نجم عنه أن أصبحت القبائل البدوية مطيعة لله، وأصبحت الروابط الدينية بينها أقوى من الروابط القبلية^(٤).

وقد استطاعت عملية التوطين التي تواصلت في عهد الملك عبد العزيز، وما رافق العملية من تنقيف للبدو، أن تضع حداً للبداءة، وتقضي على الفوضى التي كانت تجتاح إليها القبائل، وقد انتقل الولاء البدوي تدريجياً من شيوخ القبائل إلى الحاكم الإمام، وتلاشت المنازعات القبلية، وأن عملية التوطين اعتمدت أساساً مهماً، وهو صهر القبائل العديدة في هجرة زراعية واحدة،

(١) حسن عبد القادر صالح: توطين البدو في عهد الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، ص ٤٢٦-٤٢٧ ؛ محمد الخطيب: المجتمع البدوي، ص ٢٢-٢٣.

(٢) عبد الناصر إحسان كعدان: أشهر الرحالة من الأطباء العرب الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ القرن العاشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، ج ٢، ص ٨٠٠-٨٠٢ ؛ أنطونان جوسين ورفائيل سافيناك: رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية، ج ١، ص ٦٧-٧٣، ٤٩٩-٥٠٠.

(٣) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٠٤، ١١٩-١٢١.

(٤) عبد الفتاح حسن أبو عليه: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ص ٢٣-٣٠.

وبذلك ضعف مفهوم وحدة القبيلة، واستبدل بمجتمعها مجتمع الدولة^(١).

وأدى سكن البدو في الهجر الزراعية إلى تغيير وظيفتهم الاقتصادية ، حيث انتقلوا من الرعي إلى الزراعة. وتغير أيضاً وضعهم الاجتماعي، فقد أخذ البدوي المقيم في الهجرة علاقات اجتماعية واقتصادية مع جماعات أخرى غير جماعته الأولى.

وكان تشجيع التوطين عاملاً مؤثراً في زيادة عدد السكان في المراكز العمرانية في منطقة تبوك، فمثلاً بينما كان عدد سكان الوجه في بداية القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي نحو ٥٠٠ نسمة يسكنون في ١٥٠ بيتاً^(٢)، وعدد سكان تبوك أربعين نسمة فقط^(٣) أصبح عدد سكان الوجه في فترة الخمسينيات الهجرية/ الثلاثينيات الميلادية نحو ألفي نسمة، وسكان تبوك نحو ثمانمائة نسمة^(٤). وليس من شك في أن هذا الإقبال على التوطن لم يقتصر على مركز عمري أو اثنين، وإنما طال جميع المراكز العمرانية في الساحل والداخل.

وهكذا أخذ البدوي يتخلص من حياة الصحراء، ويسكن الهجر الزراعية، ويعتمد على العمل في الزراعة، وعلى ما تقدمه الدولة من عطايا ومنح ومساعدات، ثم ما لبث أن عمل في التجارة وغيرها من مجالات اقتصادية، وبهذا أخذ يفقد اهتمامه بالقبيلة والشيخ، وتبدلت نظرته إلى الحياة، وأصبحت القبيلة بالنسبة له أمراً ثانوياً، وأصبح انتسابه إلى الدولة أقرب، وأقوى من انتسابه إلى القبيلة. وقد زاد من هذا التحول ما بدأ يكتسبه البدوي من ثقافة المجتمع الجديد وعاداته^(٥).

ونظراً لأن البدو كانوا يشكلون في بداية عهد الملك عبد العزيز نحو ٦٠% من السكان فقد سعى إلى توطينهم، فهم غالبية السكان في معظم مناطق المملكة بما فيها منطقة تبوك؛ ولذلك فإن سياسته من أجل تطوير هذا المجتمع وتحديثه إنما انطلقت من قاعدة سليمة، هي تنمية وتحسين

(١) عبد الفتاح حسن أبو عليه: الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب، الدارة، العدد الأول،

ربيع أول ١٣٩٥هـ/مارس ١٩٧٥م، ص ١١٨-١١٩.

(٢) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، مج ١، ص ٤٩٠.

(٣) تشارلز دوتي: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، مج ١، ج ١، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٤) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ١٨-٢٠.

(٥) عبد الفتاح حسن أبو عليه: المقالة السابقة، الدارة، العدد الأول، ربيع أول ١٣٩٥هـ/مارس ١٩٧٥م،

أحوال غالبية الشعب^(١).

- وقد نجح مشروع توطین البادية نجاحاً كبيراً، ومن أهم العوامل التي ساعدت على ذلك:
- ١ - الدور الكبير الذي قام به علماء الدين والمرشدون والمطوعون، وخاصة أن هؤلاء رغبوا البدو في بناء القرى الزراعية وممارسة الزراعة.
 - ٢ - تمكن الملك عبد العزيز من إقناع شيوخ القبائل البدوية بالحضور إلى الرياض من أجل الدراسة في مسجدها الكبير على يد مجموعة من علماء الدين هناك، وكان هؤلاء العلماء قد خصصتهم الدولة للقيام بتعليم شيوخ القبائل الأمور الدينية، وحثهم على ترك حياة البداوة والترحال، والاستقرار حول موارد المياه^(٢).
 - ٣ - المرونة التي تعامل بها الملك عبد العزيز مع البدو لإنجاح مشروعه، فقد سمح لكل قبيلة بدوية دخلت في مشروع التوطین أن تبقي بعض أفرادها في الصحراء للعمل في الرعي، ومن هنا فإن مرونة نظام التوطین كانت من العوامل المهمة التي شجعت البدو وأقنعتهم بقبول المشروع^(٣).
 - ٤ - نجاح الملك في إرساء فكرة بيع القبائل البدوية إبلها التي تعد رمز البداوة، وذلك بمساعدة علماء الدين الذين جاؤوا بالتاريخ وبأخبار السلف، فسلحوا بها المطاوعة الذين حاربوا بها البطالة والكسل، وعلموا البدو أن الزراعة والتجارة والصناعة لا تنافي الدين، وأن المؤمن الغني خير من الفقير^(٤).
 - ٥ - كثرة المنح والعطايا التي كان يقدمها الملك عبد العزيز للبدو من أموال ومواد غذائية، والتسهيلات اللازمة للزراعة^(٥).

(١) بنواميشان: عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة عبد الفتاح يس، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص ١٢٠.

(٢) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ص ٢٦١.

(٣) هـ . ر . ب . ديكسون: الكويت وجاراتها، ترجمة فتوح عبد المحسن الخترش، الكويت، ذات السلاسل، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٣٣٠.

(٤) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ص ٢٦٢.

(٥) عبد الفتاح حسن أبو عليه: الجذور الأولى لمشروعات توطین البدو في جزيرة العرب، السدارة، العدد الأول، ربيع أول ١٣٩٥هـ / مارس ١٩٧٥م، ص ١١٧.

لقد استمر الملك عبد العزيز على سياسته الرائدة في تشجيع أبناء البادية على الاستقرار، فقد جعل من كل قبيلة مجاورة لإحدى الإمارات في منطقة تبوك إمارة قبلية ترتبط إداريا بالإمارة القريبة منها^(١). ومما شجع البدو على الاستقرار أيضاً التحاق أبنائهم بالمدارس في المراكز العمرانية الساحلية والداخلية^(٢).

وشجع البدو على الاستقرار أيضاً توزيع الأراضي مجاناً عليهم، فقد كان البدوي الذي ارتحل للإقامة في الهجرة الزراعية، أو قرب المركز العمراني، تشجيعاً له على البقاء حيث أقام، وقد أشعرته الملكية الخاصة بأن وضعه المعيشي أصبح مختلفاً عما كان عليه، عندما كان شريكاً في الملكية العامة مع أبناء القبيلة جميعهم، حيث كانت ملكية الأراضي حسب النظام القبلي ملكية عامة وليست ملكية فردية. ونظراً للفوائد الجمة التي حصل عليها البدوي من مشروع التوطين، فإنه عمل على دعمه وتأييده، مما أدى إلى نجاح هذا المشروع^(٣).

وقد كان لتأسيس إمارة المقاطعة الشمالية، وعاصمتها تبوك، أثر كبير في تسريع توطين البدو، فقد أصبحت هذه المدينة تستقطب أبناء البادية للعمل في الوظائف الحكومية، للإفادة من الخدمات الكثيرة التي كانت تقدم لهم في مجال التعليم والصحة، وهو الأمر الذي أدى إلى توسع المدينة، وتنوع مرافقها تدريجياً لاستيعاب الأعداد المتزايدة من القادمين من البادية إليها^(٤). ومما لا شك فيه أن الإقبال لم يقتصر على مدينة تبوك وحسب، وإنما على جميع المراكز العمرانية في داخل المنطقة وساحلها. ويشار في هذا المجال إلى أن (البدع) قد تم تأسيس إمارة فيها سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م؛ لتكون مكاناً لتوطين البدو واستقرارهم، وقد رحلت إليها قبائل المساعيد والعميرات التي استقرت أول الأمر في عشاش بسيطة، ثم أخذ الناس ينون بيوهم من الطين والطوب. وقد بلغ عدد سكانها عند الإنشاء حوالي ٦٠٠ نسمة^(٥).

(١) ك.س. تويتشل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، ص ١٤٤؛ فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص ٧٨.

(٢) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: التعليم في منطقة تبوك، ج ٢، ص ٥٢.

(٣) عبد الفتاح حسن أبو عليه: الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب، ص ١١٧.

(٤) عمر الفاروق السيد رجب: المدن الحجازية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص ١٥٤.

(٥) موزي بنت منصور بن عبد العزيز: الحجر وننائجها في عصر الملك عبد العزيز، ص ١٦٧.

ويدل ما آل إليه الوضع في أواخر عهد الملك عبد العزيز على أن مشروع توطين البادية الذي بدأ في منطقة تبوك ببداية عهده قد أتى أكله، وخاصة أن هجرة أبناء البادية إلى المراكز العمرانية الساحلية والداخلية استمرت طوال هذا العهد، ففي عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥١م أصبح عدد سكان أملج (٢٠٠٠) نسمة، والوجه (١٥٠٠) نسمة، وضباء (٢٠٠٠) نسمة، وتبوك (٢٠٠٠) نسمة، وتيماء نحو (١٠٠٠) نسمة^(١).

وهذا لا يعني أن التوطين شمل البادية كلها، فقد فضل بعض أنبائها البقاء على الحياة التي ألفوها، وظلوا على ولائهم للقبيلة يتنقلون بأنعامهم من مكان إلى آخر، ولكنهم أصبحوا قلة قليلة بالمقارنة مع من استقروا في الهجر والمراكز العمرانية.

وقد أدى مشروع توطين البادية الذي بدأه الملك عبد العزيز، واستمر طوال عهده إلى نتائج كثيرة أهمها^(٢):

١. استبدل التوطين بالمجتمع البدوي مجتمعاً حضرياً، وهذا يعني ببساطة أن تغيراً اجتماعياً واقتصادياً كبيراً حدث في منطقة تبوك وغيرها من البلاد السعودية، وفتح هذا التغير الباب أمام تحول اجتماعي نوعي واسع مما أثر على حياة الشعب السعودي إيجابياً.
٢. أوجد الملك عبد العزيز مجتمعات زراعية دينية مستقرة تدين بولائها للدولة بدلاً من الولاء للقبيلة، وأخذ البدوي يدرك ما يعنيه مفهوم الدولة المنظمة وسيادتها بدلاً من سيادة القبيلة.
٣. نقل التوطين المجتمع البدوي من حالة الفوضى والمنازعات القبلية إلى حالة الاستقرار والوضع الطبيعي للشعوب المتحضرة، وبذلك عم السلام، وأصبحت طرق التجارة مأمونة.
٤. حلّ شعور المواطن محل الشعور الفردي والقبلي التقليديين اللذين كانا يسودان المجتمعات البدوية، فالبدوي الذي كان مولعاً بالحرية أصبح جزءاً من مجتمع كامل، وليس فرداً في قبيلته وحسب.
٥. حدّ التوطين من هجرات القبائل البدوية من منطقة تبوك إلى خارجها وخاصة إلى شرق الأردن، حيث فضلت حكم الملك عبد العزيز الذي يعتمد على الشريعة الإسلامية على الحكم الخاضع للانتداب الأجنبي.

(١) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ١٧٤، ٢٣١، ٥١٣، ٥٢٩.

(٢) عبد الفتاح حسن أبو عليه: الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب، الدارة، العدد الأول، ربيع أول ١٣٩٥هـ / مارس ١٩٧٥م، ص ١٢٠-١٢١؛ عبد الفتاح حسن أبو عليه: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ص ٣١؛ عمر الفاروق السيد رجب: المدن الحجازية، ص ٣٦-٣٩.

ويمكن القول باختصار إن مشروع توطين البادية الذي بدأه الملك عبد العزيز كان مشروعاً رائداً، فهو يدل على أنه كان يتمتع بذكاء خارق، وأفق واسع، وبعد نظر، فبهذا المشروع تمكن من وضع حجر الأساس الذي بُنيت عليه الدولة السعودية الحديثة.

النهضة العلمية

بدأ التعليم في منطقة تبوك منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري أواخر القرن التاسع عشر الميلادي^(١)، وكانت بدايته متواضعة تتمثل في الكتاتيب التي كانت تقام في بيت المعلم أو في زاوية من زوايا المسجد حيث تعقد حلقة يدرس فيها أحد المعلمين العلوم الشرعية لمجموعة من الطلاب^(٢). وقد وجدت في القلاع العسكرية في قرى ساحل المنطقة: الوجه وضباء والمويلح قاعات دراسية، ربما كانت مخصصة لتعليم الجنود العثمانيين مبادئ القراءة والكتابة^(٣).

وقد وُجدت كتاتيب في عدد من المراكز العمرانية في ساحل منطقة تبوك، وساعد على ذلك وجود الحاميات العسكرية فيها، فكل حامية كانت تتوفر على واعظ يقوم بدور المعلم في المركز، حيث يعلم الناس أمور الدين، ويعلم الأطفال القرآن الكريم^(٤). ففي أملج كان لكل من الشيخ محمود محمد عطى الحربي والشيخ عبد السلام السبحي كتاب لتعليم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم^(٥).

وكانت في الوجه خلال الفترة ١٢٩٥-١٣٤٠هـ/١٨٧٩-١٩٢١م ثلاثة كتاتيب: هي كتاب الشيخ سعيد شيخ، وكتاب الشيخ محمد بن أحمد عيسى الفقيه، وكتاب الشيخ محمد أحمد العربي، ثم جمعت هذه الكتاتيب الثلاثة في كتاب واحد يديره الشيخ محمد أحمد العربي. ثم أسست في الوجه مدرسة باسم (مدرسة الوجه الخيرية) سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، وكانت في البداية مدرسة خاصة، ثم حولت إلى مدرسة أميرية^(٦).

(١) محمد عبد الرحمن الشامخ: التعليم في مكة والمدينة المنورة آخر العهد العثماني، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٣٩٣هـ، ص ٢٧.

(٢) مسيرة التعليم في مدينة الوجه، محاضرة ألقاها المعلم علي عيسى الفقيه في صالة النادي الخالدي بالوجه، بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢١هـ.

(٣) هشام محمد عجيمي: قلاع الأزعم والوجه وضباء، ص ٢١.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٢٠؛ موسى مصطفى العبيدان: مدينة ضباء بين الماضي والحاضر، ص ٦٢-٦٣.

(٥) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: التعليم في منطقة تبوك، ج ٢، ص ٣٨.

(٦) مسيرة التعليم في مدينة الوجه، محاضرة أعدها وألقاها عمر علي عيسى الفقيه في صالة النادي الخالدي بالوجه بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢١هـ، محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٥.

ووجد في ضياء كتاب واحد كان يدرس فيه الشيخ حسن خضير بن أحمد بن عبد الكريم بن إبراهيم، الذي كان يشغل في الوقت نفسه منصب القاضي. وقد درس في هذا الكتاب بعض العلوم الشرعية كالفقه، إضافة إلى تعليم القرآن الكريم، ومادة المهجاء. وكان التلاميذ آنذاك يستخدمون للدراسة ألواحاً من الخشب .

وانتقل التعليم في آخر العهد العثماني من نظام الكتاتيب إلى التعليم النظامي، وقد ألحقت أول مدرسة نظامية تم افتتاحها في ضياء بمسجد الزاوية، وكانت هذه المدرسة تضم مقاعد خشبية كبيرة يتسع كل منها لعشرة تلاميذ، أما المعلم في هذه المدرسة فقد كان مغربياً اسمه محمد العربي، وكان يدرس التاريخ والحساب والإملاء^(١).

ولم تلبث الدولة العثمانية التي أسست هيئة للمعارف، وحددت مهام مدير المعارف ومفتشية أن أضافت إلى العلوم الشرعية مواد أخرى مثل الحساب والجبر، وكانت تدرس باللغة التركية^(٢). وقد عينت هيئة المعارف في تبوك معلماً قدم من دمشق، وأجرت عليه راتباً قدره خمسمائة قرش^(٣)، وكان يدرس داخل مسجد الرسول (مسجد تبوك)، وقد انتظم لديه عدد من أبناء الحاضرة وأبناء البادية^(٤).

ووجد في تيماء كتاب درس فيه قاضي البلدة: مبادئ الدين العامة، وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، حيث التحق بالكتاب في أحد مساجد البلدة عدد من التلاميذ^(٥).

ولم تكن الوسائل التعليمية الحديثة في أواخر العهد العثماني متيسرة، إذ كانت تقتصر على لوح خشبي يستعاض به عن الورق والسبورة معاً، حيث تكتب عليه المادة التعليمية، ويرافق التلميذ في الكتاب وفي البيت أيضاً^(٦).

(١) موسى مصطفى العبيدان : مدينة ضياء بين الماضي والحاضر ، ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) محمد عبد الرحمن الشامخ: التعليم في مكة والمدينة المنورة آخر العهد العثماني، ص ٢٧، ٣٤ - ٣٥.

(٣) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١١٨.

(٤) عبد الناصر إحسان كعدان، أشهر الرحالة من الأطباء العرب الذين زاروا شبه الجزيرة العربية منذ القرن العاشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، ج ٢، ص ٧٩٧.

(٥) محمد بن حمد التيمائي: تيماء، ص ١٥٧.

(٦) مسيرة التعليم في مدينة الوجه، محاضرة أعدها وألقاها المعلم عمر علي عيسى الفقيه في صالة النادي الخالدي بالوجه، بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢١هـ.

وكان تطور التعليم في عهد الشريف حسين بن علي بطيئاً ومحدوداً، فقد أسست في عهده وكالة للمعارف، وأصبح التعليم باللغة العربية بدلاً من التركية^(١). وأخذ تلاميذ مدرسة الوجه يبدأون حياتهم الدراسية بمرحلة ابتدائية كانت تسمى (المرحلة الراقية)، حيث يدرسون القرآن مجوداً، وعلم التجويد، وأصول التفسير، وعلم الفقه، والحساب، ومبادئ الهندسة. وأنشئت في ضباء خلال عهد الشريف حسين مدرسة سميت: المدرسة التحضيرية الهاشمية، حيث كان التلاميذ يدرسون القرآن الكريم، ومبادئ التجويد، ومبادئ العلوم الدينية، والإملاء، والقراءة والخط. وكانت مدة الدراسة في هذه المدرسة عامين فقط .

ويلاحظ أن الحركة التعليمية في منطقة تبوك قبل ضمها إلى حكم الملك عبد العزيز لم تكن قوية، أو ذات تأثير ملموس؛ وذلك بسبب قلة الموارد المالية، والمشكلات السياسية والعسكرية، وبعد المنطقة عن مركز الدولة^(٢).

وظلت مدرسة الوجه هي المدرسة الوحيدة في منطقة تبوك التي يوجد فيها مرحلتان هما: المرحلة التحضيرية والمرحلة الابتدائية (الراقية)، ولذلك أوكل إلى مديرها بعد ضم المنطقة إلى الحكم السعودي - الإشراف على المدارس فيها.

وقد بدأ التعليم النظامي في منطقة تبوك في عهد الملك عبد العزيز بعد إنشاء مديرية المعارف^(٣)، وكان مدير المعارف العام حافظ وهبة، قد عين عبد المنعم أفندي الفرشوطي مفتشاً للمعارف في منطقة تبوك براتب شهري قدره ثلاثة وعشرون جنيهاً إنكليزياً وذلك عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م^(٤). إلا أنه - كما يبدو - لم يستمر طويلاً في منصبه، حيث أصبح مدير مدرسة الوجه هو المسؤول الإداري عن مدارس المنطقة، وكان على اتصال مباشر مع مدير المعارف العام في مكة المكرمة^(٥)، والذي كان يعين المعلمين^(٦).

(١) أحمد السباعي: تاريخ مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ط٦، ص ٦٢٢-٦٢٣.

(٢) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ٣٧١، ١٢١.

(٣) موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، مطابع الشرق الأوسط، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، مج ١، ص ١٦٤.

(٤) وثائق حسين بن حمزة الفرشوطي، مجلس المعارف برئاسة الشيخ حافظ وهبة، مدير المعارف، القرار رقم (١٨) في ١٩ شوال ١٣٤٧هـ.

(٥) المصدر السابق، مجلس المعارف عام ١٣٤٧هـ، مذكرة مدير مدرسة الوجه رقم ٤٧/٦/٢٣/٨٣ بخصوص حمزة أحمد الذي يراد تعيينه معلماً ثانياً لمدينة ضباء.

(٦) المصدر نفسه، كتاب سماحة الشيخ حافظ وهبة بخصوص الأساتذة الستة الذين عينهم فضيلته لمدارس الحجاز.

وكان لمدير المعارف العام معتمدون في المناطق، وكل منهم مسؤول أمامه عن الشؤون التعليمية في منطقته، وأما منطقة تبوك فلم تؤسس فيها معتمدية للتعليم، حيث اكتفت مديرية المعارف بجعل مدير مدرسة الوجه مشرفاً على مدارس المنطقة. هذا مع العلم بأن مجلس المعارف أصدر قراره رقم (١٥) في ٢٣ شوال ١٣٧٠هـ بإنشاء معتمدية في الوجه غير أن هذا القرار لم ينفذ^(١).

ولم يقتصر اهتمام مديرية المعارف على التعليم، فقد اهتمت أيضاً بصحة التلاميذ وغيرهم ممن لهم علاقة بالمدرسة، وذلك تطبيقاً لنظام الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية الذي صدر بأمر ملكي عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، حيث ينص هذا النظام على ضرورة قيام مدير المدرسة وإداريها ومعلميها بإجراءات احتياطية حال وقوع أي مرض، ومن ذلك: التبليغ عن المرض، وعزل المصابين ومنعهم من الحضور إلى المدرسة، ومنع التجمع والازدحام^(٢).

وقد طبقت مدارس منطقة تبوك هذا النظام، حيث طلب مدير مدرسة الوجه في شهر ربيع الآخر ١٣٥٦هـ/يونيو ١٩٣٧م من مأمور الحجر الصحي في الوجه زيارة المدرسة للاطلاع على الوضع الصحي لبعض تلاميذها. وعندما زار المدرسة وجد أن معظم طلاب السنة الأولى تحضير يصابون بمرض السعال الديكي، فطلب تعطيلهم لمدة أربعين يوماً، وهي مدة انتهاء المرض المذكور، وأبرق إلى المديرية العامة لإرسال الأدوية اللازمة، فيما أبلغ مدير المدرسة مديرية المعارف العامة برأي مأمور الحجر الصحي لتتخذ قرارها بتعطيل الفصلين الأول والثاني من فصول السنة الأولى لإصابتهم بالمرض^(٣).

وفي مجال الطب الوقائي لتلاميذ المدارس في منطقة تبوك اهتمت الجهات المختصة أيضاً بالتطعيم ضد الأمراض، وخاصة المعدية، فقد طلب طبيب مستوصف الوجه من مدير مدرستها إرسال الطلاب الذين يأتون من البادية والطلاب من البلدة نفسها لتطعيمهم ضد مرض الجدري. فاستجاب المدير فوراً، وأرسل الطلاب مع المعلم مصطفى حسين بديوي^(٤). كما أن طبيب

(١) هناء أيوب العوهلي: مديرية المعارف العامة وجهودها في تطوير التعليم في المملكة العربية السعودية (١٣٤٤-١٣٧٣هـ/١٩٢٦-١٩٥٣م)، ص ٧٧-٧٨.

(٢) موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، مج ٢، ص ١٩٧.

(٣) وثائق حسين بن حمزة الفرشوطي، من مأمور الحجر الصحي بالوجه إلى مدير مدرسة الوجه، تاريخ ١٢ ربيع الآخر ١٣٥٦هـ/٢٢ يونيو ١٩٣٧م.

(٤) المصدر السابق، من طبيب مستوصف الوجه إلى مدير مدرسة الوجه، في ٣٠ رجب ١٣٥٦هـ/٦ أكتوبر ١٩٣٧م.

المستوصف أرسل بعض الأدوية ومعها كشف بأسمائها وطريقة استعمالها إلى مدير المدرسة لاستعمالها عند اللزوم^(١).

ولمعرفة ما شهدته التعليم من تطور في عهد الملك عبد العزيز لا بد من الإشارة إلى أن هذا التعليم في منطقة تبوك قبل عهده كان محدوداً؛ وذلك بسبب انشغال الأهالي بالبحث عن لقمة العيش، وخاصة أبناء البادية، وبسبب الاضطرابات التي شهدتها المنطقة خلال الفترة منذ أواخر العهد العثماني حتى نهاية عهد الشريف حسين.

وقد شهدت منطقة تبوك في مجال التعليم خلال تلك الفترة ثلاث مراحل :

- ١ - التعليم التقليدي الموروث في الكتاتيب، وفي زوايا المساجد، أو في بيت المعلم.
- ٢ - التعليم الحكومي النظامي الذي وجد في العهد العثماني، وكانت اللغة التركية هي لغة التعليم.

٣ - التعليم الذي كان تقليدياً في جوهره مع أنه حاول التجديد عن طريق إدخال بعض العلوم المعاصرة، وكان في عهد الشريف حسين.

ومع بدايات حكم الملك عبد العزيز أصدرت مديرية المعارف العامة في الحجاز نظام المدارس الذي صادق عليه مجلس الشورى بتاريخ ١٣ رجب ١٣٤٧هـ / ٢٦ ديسمبر ١٩٢٨م، وقد حدد هذا النظام الذي يتألف من (٨٨) مادة دور مدير المدرسة ومعاونيه، فعلى معاون مساعدة المدير فيما عهد إليه القيام به من مسؤوليات، ومن ذلك ملاحظة الأمن، وصيانة أثاث المدرسة، ونظافتها. كما حدد النظام أنواع الامتحانات وأوقاتها، حيث حدد امتحانين تحريري وشفوي يتم إجراؤها في نهاية كل ثلاثة أشهر في جميع المدارس التحضيرية والابتدائية، وذلك في جميع المواد ما عدا القرآن الكريم، والمحفوظات، والمطالعة^(٢).

وقد واجه التعليم في منطقة تبوك صعوبات جمة، فأولياء الأمور من البدو والحضر كانوا يرفضون أن يلتحق أبناءهم بالمدارس بسبب حاجتهم إليهم للمساعدة في الأعمال اليومية، وخاصة الرعي. وإذا ما اضطر ولي الأمر إلى السماح لابنه بالذهاب إلى المدرسة فإنه كان يشترط ألا

^(١) وثائق حسين بن حمزة الفرشوطي، من الطبيب إلى مدير مدرسة الوجه، (د.ت)، كشف بأسماء الأدوية وطريقة استعمالها.

^(٢) موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، مج ١، ١٥٦، مج ٣، ص ٧٨.

يقضي فيها سوى فترة قصيرة من النهار، وإلا فإنه سيسحبه من المدرسة^(١).

وقد ازداد عدد المدارس الابتدائية في منطقة تبوك بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أصبحت مديرية المعارف قادرة على ذلك بعد أن ارتفعت ميزانيتها من ٥٦٦٥ جنيها ذهباً أي ما يعادل ٥٦.٦٥٠ ريالاً سعودياً في عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م إلى ٧٠.٢٢.٤٢٢ ريالاً في عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، وكان قد أدى إلى هذه الزيادة التي استمرت في الارتفاع عاماً بعد عام زيادة عائدات النفط^(٢).

وكان قد تم إنشاء مجلس للمعارف بأمر من الملك في ٢٧ محرم ١٣٤٦هـ/٢٧ يوليو ١٩٢٧م، وكان هذا المجلس برئاسة مدير المعارف، وقد تم تحديد مهامه وصلاحياته، ومنها^(٣):

١- الموافقة على ميزانية المعارف العمومية.

٢- الموافقة على تعيين المعلمين وعزلهم عند الضرورة.

٣- وضع برامج ومناهج التعليم وإقرارها، والعمل على توحيدها.

٤- الإشراف على الامتحانات الخاصة بالمعلمين.

٥- وضع الأنظمة المختلفة المتعلقة بالتعليم.

وكان معظم المعلمين في قرى الداخل من منطقة تبوك من خريجي مدارس المدينة المنورة؛ وذلك لقربها من المنطقة^(٤)، أما قرى الساحل فكان معلمو مدارسها من خريجي المدارس نفسها، ذلك أن المدارس أسست فيها منذ فترة مبكرة^(٥).

ولقيت المدارس في عهد الملك عبد العزيز اهتماماً متواصلاً، إذ كان المسؤولون يعملون على أن تكون دائماً صالحة كمقر للدراسة، وكانت البلدية هي المسؤولة عن إدامة هذه الصلاحية، فإذا ما احتاجت المدرسة إلى ترميم أو صيانة بادرت إلى ذلك^(٦).

(١) موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، مج ٣، ص ٣٩٨.

(٢) المرجع نفسه، مج ١، ص ١٦٠.

(٣) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش: التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز نشأته وتطوره، مكة المكرمة، مكتبة الطلاب الجامعيين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٣٧-٣٨.

(٤) صالح الإمام: تاريخ وادي القرى، الرياض، مطابع بحر العلوم، ١٤١٨هـ، ص ٢٥١.

(٥) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الرئيس: التعليم في منطقة تبوك، ج ٢، ص ٢٩-٣٠.

(٦) دائرة الملك عبد العزيز، رقم السجل (٨٠٢٥)، رقم الوثيقة (٧١٧)، من رئيس بلدية الوجه إلى أمير الوجه،

أما الحركة التعليمية، وما يتعلق بها من معلمين ومناهج ومبان وصحة فكان يتابعها مدير المعارف مع مدير مدرسة الوجه، وأحياناً مع مديري المدارس في المنطقة أو مع الأمراء^(١).

ولم يكن تعليم البنات غائباً عن تفكير الأهالي في تبوك، فقد حاولوا ذلك منذ وقت مبكر، إذ كتبوا إلى مدير المعارف يطلبون افتتاح مدرسة للبنات غير أنه اعتذر عن عدم تلبية هذا الطلب محتجاً بعدم توافر معلمة^(٢). وعلى الرغم من التحفظات الاجتماعية السائدة فيما يتعلق بتعليم البنات، إلا أن إمارة ضبا أقدمت على هذه التجربة، حيث كان أهلها في العهد العثماني يرسلون التلميذات الصغيرات ليدرّسن مع التلاميذ في فصل واحد على يد معلم^(٣).

وافتح في أملج مدرسة أملج التحضيرية عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، وكانت الدراسة فيها حتى الصف الرابع، وقد بلغ عدد طلابها عند التأسيس ستين طالبا^(٤)، وكان أول مدير لها هو الشيخ حمزة رسلان، وجاء بعده مباشرة الشيخ عثمان بكري القصيبي. وقد ازداد عدد المعلمين في مدرسة أملج من خمسة عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م إلى تسعة في عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م. وقد افتتح صف خامس في المدرسة عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م على يد مديرها الشيخ محمد البيومي^(٥).

والجدير بالذكر أن بعض أهالي أملج كانوا يحجمون عن إرسال أبنائهم إلى المدرسة، مفضلين إرسالهم إلى الكتاب، ولعل السبب هو أنهم تعودوا على ذلك من فترات سابقة، وهو ما دفع مجلس الوكلاء إلى إصدار قرار يطلب من مدير المدرسة ضرورة إقناع الأهالي بتوجيه أبنائهم إلى المدرسة بدلاً من الكتاب^(٦).

(١) دارة الملك عبد العزيز، قسم الوثائق، رقم السجل (٨٤٩٠)، رقم الوثيقة (١١٨٢)، من مدير المعارف، إلى أمير الوجه، (د.ت).

(٢) الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، بحوث ودراسات، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٩هـ، بحث: التعليم في منطقة تبوك في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ١٣٧٣-١٣٨٤هـ، مج ١، ٣٠٤. إعداد: مطلق بن صيَّاح البلوي

(٣) موسى مصطفى العبيدان: مدينة ضباء بين الماضي والحاضر، ص ٧٦.

(٤) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: التعليم في منطقة تبوك، ج ٢، ص ٣٩.

(٥) موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ٣٨-٤٠.

(٦) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الوكلاء رقم ٢٦/١/٩٢، في ١٩ رمضان ١٣٥٦هـ/٢٣ نوفمبر ١٩٣٧م.

وتشمل الدراسة في مدرسة الوجه الأميرية^(١) التي كان يطلق عليها أحيانا : المدرسة الابتدائية الأميرية^(٢) مرحلتين، هما: المرحلة التحضيرية ومدتها ثلاث سنوات، والمرحلة الابتدائية ومدتها أربع سنوات^(٣). وقد كانت المدرسة تقع في بلدة الوجه القديمة بجوار الميناء، إلا أنها أزيلت لإنشاء مشاريع جديدة في المنطقة^(٤).

وقد تولى إدارة مدرسة الوجه خلال فترة الدراسة كل من الأستاذ محمد علي النحاس، والشيخ عبد الخالق عامر، والشيخ مصطفى سحلي الخناني والشيخ مصطفى حسين بديوي، والشيخ محمود عبد الحميد بديوي، والشيخ عثمان بكرى القصياتي، وكانت الهيئة التدريسية في عهد مدير المدرسة الشيخ مصطفى سحلي الخناني تتألف من: معاون المدير الشيخ عبد القادر سنور، والمعلمين: حسن حسين بديوي، ومصطفى حسين، ومحمد إسماعيل فرشوطي، وعلي إبراهيم الفقي، وأحمد إبراهيم الفقي، وأحمد إبراهيم فرشوطي، ومحمد مصطفى سحلي. وهؤلاء جميعا من أهالي الوجه الذين كانوا قد التحقوا بالكتاتيب ومن ثم بالمدرسة نفسها. وقد كان راتب مدير المدرسة ١١٠٠ قرش سعودي، ومعاونه ٨٠٠ قرش. أما المعلمون فكانت رواتبهم مختلفة^(٥).

هذا وقد تم انتداب بعض مديري مدرسة الوجه للعمل في مجال التعليم في مناطق أخرى من المملكة، ومنهم المعلم محمد علي النحاس الذي انتقل إلى الأحساء، وكان له دور ملموس أثناء توليه معتمدية الأحساء، والحركة التعليمية في سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م^(٦).

هذا، وقد استبدل باسم المدرسة اسم جديد هو (المدرسة السعودية الابتدائية)، وذلك

(١) وثائق الأستاذ حسين بن حمزة الفرشوطي، (كشف بيان الدرجات التي حصل عليها التلميذ حسين أحمد أبو صابر).

(٢) المصدر نفسه، ميزانية موظفي المدرسة الابتدائية الأميرية بالوجه لعام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م.

(٣) مسيرة التعليم في مدينة الوجه محاضرة أعدها وألقاها المعلم عمر علي عيسى الفقيه في صالة النادي الخالدي بالوجه، بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢١هـ.

(٤) اتصال هاتفي بالأستاذ إبراهيم خليل الشريف بتاريخ ٨ ذو القعدة ١٤٣٠هـ.

(٥) وثائق حسين بن حمزة الفرشوطي: وثيقة فيها بيان تسليم واستلام الكتب والأثاث الموجود في المدرسة بين المدير الشيخ مصطفى حسين بديوي (المستلم)، والمعاون الشيخ عبد القادر سنور (المسلم)، مع توقيع المدير والمعاون وعدد من الأساتذة بتاريخ ٢٥ محرم ١٣٧٣هـ/٤ أكتوبر ١٩٥٣م ؛ وأنظر: الوثائق نفسها: ميزانية موظفي المدرسة الابتدائية الأميرية بالوجه لعام ١٣٥٦هـ.

(٦) هناء أيوب العوهلي: مديرية المعارف العامة وجهودها في تطوير التعليم في المملكة العربية السعودية ١٣٤٤ -

بعد توحيد البلاد باسم المملكة العربية السعودية^(١).

وكان حول إمارة الوجه عدد من المهجر مثل الكر، وأبو القزاز، وبدا التي استوطنها البدو، وقد كان التلاميذ يأتون من هذه المهجر، ومن البادية المجاورة للإمارة للإلتحاق بالمدرسة، وتشجيعا لهم كانت الإمارة تؤمن لهم الطعام لكي ينتظموا في الدراسة^(٢).

وكان بعض خريجي مدرسة الوجه الابتدائية يلتحقون بالمدرسة اللاسلكية في البلدة لتعلم فن اللاسلكي^(٣).

ومن المدارس في منطقة تبوك مدرسة ضباء التي تم تغيير اسمها عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م من (مدرسة ضباء التحضيرية الهاشمية) إلى (المدرسة التحضيرية الأميرية)^(٤). وتقع المدرسة بجوار البرج الجنوبي الغربي لقلعة الملك عبد العزيز، وهي عبارة عن مبنى صغير أقيم في بداية عهد الملك عبد العزيز، ويتكون من ممر طويل تفتح عليه ست حجرات ثلاث من كل جانب^(٥). وقد كان عدد طلابها عند تأسيسها في العهد السعودي ٧١ طالباً^(٦).

وأسست أول مدرسة في الخريبة عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، وكان مديرها الأستاذ عبد الله حامد الفيلاي^(٧). أما في حقل فقد أسست أول مدرسة بتاريخ ٨ جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ/ ١٧ مارس ١٩٥١م، وكان مديرها عند التأسيس الأستاذ محمد علي حسين الغيثي، وقد بلغ عدد

(١) مسيرة التعليم في مدينة الوجه، محاضرة أعدها وألقاها الشيخ عمر علي عيسى الفقيه في صالة النادي الخالدي بالوجه، بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢١هـ.

(٢) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: التعليم في منطقة تبوك، ج ٢، ص ٣٦.

(٣) خطاب من الأستاذ عبد الرحيم إسماعيل سنيور، مدير هاتف وبريد وبرق الوجه إلى الباحث بتاريخ ١٠ صفر ١٤٣١هـ.

(٤) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: التعليم في منطقة تبوك، ج ٢، ص ٣٢.

(٥) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٧٧.

(٦) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٣.

(٧) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٣٣.

طلابها عند الافتتاح سبعة فقط ، إلا أنهم ازدادوا إلى ١٣٧ طالبا بعد شهرين فقط^(١).

وافتح في تبوك عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م مدرسة اسمها المدرسة الأميرية التحضيرية، وكان مديرها هو الشيخ عبد الله عبد الصمد قاري، وقد استبدل باسمها اسم (المدرسة السعودية) عام ١٣٦٠هـ/١٩٤١م. وكان موقع المدرسة في حي البلدة القديمة، ثم نقلت إلى حي المنشية الجديد^(٢).

وكانت المدرسة في عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م عبارة عن بيت مستأجر، وقد استأجره مدير المدرسة الشيخ عبد الله قاري، وكان هو الذي يعلم الطلاب الذين بلغ عددهم آنذاك عشرة طلاب^(٣). ولم تلبث المدرسة أن انتقلت إلى بيت آخر استأجرته مديرية المعارف^(٤). وقد بلغ عدد طلابها عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م (٩٥) طالباً^(٥).

وأما المويلح فلم يكن فيها من الطلاب ما يستدعي افتتاح مدرسة ، فقد أرسل مدير المعارف العام خطابا إلى مدير مدرسة الوجه بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٦٠هـ/ ١ أكتوبر ١٩٤١م مستفسرا عن المويلح هل هي بحاجة إلى مدرسة أم يكفي افتتاح كتاب فيها، وقد أجاب مدير المدرسة بأن الكتاب يكفي؛ لأن عدد الطلاب لا يتجاوز العشرين^(٦)، وقد تم تأسيس الكتاب في المويلح بمعلم واحد هو أحمد محمد أبو حسبو .

ثم أسست مديرية المعارف مدرسة نظامية في المويلح عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، وعين أول مدير لها الأستاذ حمزة بن علي الحجيري^(٧)، مما يدل على أن الطلاب الذين التحقوا بالكتاب قد ازداد عددهم مما استدعى تأسيس المدرسة. وكانت تقع غرب القلعة بجوار مركز حرس

(١) موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، مج ٣، ص ٣٩٨.

(٢) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: التعليم في منطقة تبوك، ج ٢، ص ٣٠.

(٣) محمد بن عبد الله الغريص: حصاد السنين، ص ٣٠.

(٤) وثائق محمد بن عبد الله قاري: من مدير مدرسة تبوك عبد الله قاري إلى مدير المعارف العامة، بتاريخ ١٣ ذو القعدة ١٣٧٢هـ/ ٢٢ يوليو ١٩٥٣م.

(٥) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٠.

(٦) وثائق حسين بن حمزة الفرشوطي: من مدير المعارف إلى مدير مدرسة الوجه.

(٧) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٣.

الحدود القديم^(١).

وفي تيماء أسست المدرسة السعودية الأولى عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، وكان عدد طلابها عشرة فقط^(٢)، وقد ذكر أحد الباحثين أن عدد طلابها كان أربعمئة يدرسون في ستة عشر فصلاً^(٣)، وهو الأقرب إلى الصواب، وخاصة أن الباحث المذكور من أهالي تيماء. وقد افتتحت المدرسة في منزل محمد سعيد دفتر دار، وكان الأستاذ عبد الحميد خير الدين كسراوتي أول مدير لها^(٤).

(١) اتصال هاتفي مع علي الوكيل بتاريخ ١٩ ذو القعدة ١٤٣٠هـ.

(٢) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الرئيس: التعليم في منطقة تبوك، ج ٢، ص ٤١-٤٢؛ محمد بن حمد التيمائي: تيماء، ص ١٥٩.

(٣) محمد بن حمد التيمائي: المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٤) محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الرئيس: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤١-٤٢.

النهضة الزراعية

لم تكن الزراعة ضمن اهتمامات الأهالي في منطقة تبوك، ولم تكن لها الأولوية كمورد اقتصادي يعتمدون عليه، وذلك لسببين، أولهما أن معظم هؤلاء الأهالي من البدو الرحل، الذين يعتمدون في حياتهم المعيشية على ما تنتجه مواشيهم من اللحوم والألبان ومشتقاتها، أو البدو أشباه الرحل الذين يجمعون بين الرعي والزراعة المحدودة المعتمدة على الأمطار التي غالباً ما تكون شحيحة، وهم في هذه الحالة إنما يعتمدون على زراعة الواحات القريبة من ديارهم غير المستقرة، والتي كثيراً ما تتعرض لاعتداءات القبائل الأخرى. والسبب الثاني هو ندرة الأراضي الزراعية الخصبة، أن معظم مساحة المنطقة، إنما تندرج تحت تصنيف الصحراء، ومع أن هذه الصحراء تختزن في جوفها كميات كبيرة من المياه، إلا أن أحداً من البدو الرحل لم يفكر في استخراجها بما يتيح له الاستقرار والتحول عن حياته المتنقلة التي ألفها^(١).

وكانت الزراعة في الواحات تكاد تقتصر على النخيل الذي زاد الاهتمام به بعد مد سكة حديد الحجاز، حيث أخذ الأهالي في منطقة تبوك يعيدون زراعته، ويسوقون ما ينتجون منه من التمور في محطات السكة، وخاصة محطة تبوك الأقرب إليهم^(٢).

وقد بلغ عدد شجر النخيل في تبوك، خلال عهد الشريف حسين بن علي نحو ثلاثة آلاف شجرة، كما كان يزرع فيها خلال هذا العهد القليل من أشجار الدراق والليمون الحلو والعنب والتين^(٣).

وكانت الزراعة في منطقة تبوك إضافة إلى قلتها، تعتمد الأساليب التقليدية المتوارثة عن الآباء والأجداد^(٤)، وتستخدم الآلات البدائية، ومنها المحراث اليدوي، وبعض الآلات التي تجرها الدواب^(٥).

^(١) ملكة بكر ناصر الطيار: تطور الأوضاع الاقتصادية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ١٣٥١-١٣٧٣هـ/١٩٣٢-١٩٥٣م، ص ٣٧؛ أنطونان جوسين ورفائيل سافيناك: رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية، ج ١، ص ٤٩٩-٥٠٠.

^(٢) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١٢٣-١٢٤.

^(٣) محمد بهجة البيطار: الرحلة النجدية الحجازية، ص ١٥.

^(٤) عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ٣٤٢.

^(٥) عبد الفتاح حسن أبو عليه: الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، ص ٣٤.

وبدأت الزراعة في منطقة تبوك تشهد تحولاً إيجابياً في عهد الملك عبد العزيز الذي استهدف تطوير البلاد تطويراً اقتصادياً عن طريق إيجاد قرى زراعية يمكن بواسطتها تحسين الأحوال الاقتصادية لسكان البادية^(١)، وذلك دفعاً لهم إلى الاستقرار، وترك حياة التنقل والترحال، وتحقيقاً لهذه الغاية بدأ بإنشاء المهجر الزراعية^(٢)، على النحو الذي سبقت الإشارة إليه في المبحث الأول من هذا الفصل، كما أنه أخذ يشجع على الإقبال على الزراعة، فأصدر في عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م أمراً بإعفاء الأدوات الزراعية من الرسوم الجمركية^(٣)، ثم أخذت الحكومة السعودية منذ عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م تستورد الآلات والمعدات الزراعية وتبيعها للمزارعين وإذا ما شح هذا الإنتاج كان المزارعون يعفون من تسديدها^(٤).

وتشكلت في عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م مديرية للزراعة ألحقت بوزارة المالية^(٥)، ثم ألحقت المديرية بوزارة الداخلية عند تشكيلها عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م^(٦). وقد تولت مديرية الزراعة منذ تشكيلها استصلاح الأراضي البور وتوزيعها على المزارعين، وإصلاح السدود القديمة، وإقامة سدود جديدة، وحفر الآبار الارتوازية^(٧).

ولم يكتف الملك عبد العزيز بالاعتماد على الجهود المحلية في مجال الزراعة، وإنما عزز هذه الجهود باستقدام بعثات من الخارج لدراسة مصادر المياه، والعمل على تطوير وتحديث الزراعة في المملكة بمختلف مناطقها، ومنها منطقة تبوك، فقد قدمت بعثة فنية وأخرى زراعية من العراق، وبعثة زراعية من مصر، وبعثة زراعية من الولايات المتحدة الأمريكية، وجابت هذه البعثات البلاد طولاً وعرضاً، وقدمت توصيات كثيرة كانت الأساس الذي بنيت عليه النهضة

(١) عبد الفتاح حسن أبو عليه: الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب، الدارة، السنة الأولى، العدد الأول، ربيع أول ١٣٩٥هـ/مارس ١٩٧٥م، ص ١١٧.

(٢) George Antonius, Arab Awakening, New York, 1939, P.348.

(٣) أم القرى، س ٣، ع ١٤٩٤، ٢٦ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ/٢٢ أكتوبر ١٩٢٧م.

(٤) إبراهيم بن عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٣٢١.

(٥) أم القرى، س ٢٧، ع ١٣٢٠، ٤ شوال ١٣٦٩هـ/١٩ يوليو ١٩٥٠م؛ خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٣، ص ١٠١٩.

(٦) إبراهيم بن عويض العتيبي: المرجع السابق، ص ٣٢٢.

(٧) أم القرى، س ٢٩، ع ١٤٣٦، ١٢ صفر ١٣٧٢هـ/٣١ أكتوبر ١٩٥٢م.

الزراعية في البلاد^(١).

وقد كانت منطقة تبوك إحدى مناطق المملكة التي طالها التطوير في المجال الزراعي، وخاصة أن داخل المنطقة يتوافر كميات كبيرة من المياه الجوفية، كانت قد أقيمت حولها المراكز العمرانية منذ القدم عندما استخرج أهلها المياه بحفر الآبار، وزرعوا النخيل، وخاصة في تبوك وتيماء . أما ساحل منطقة تبوك ففتقر مراكزه العمرانية إلى الأراضي الزراعية، فهذه الأراضي لا توجد إلا بعيداً عنها عند مجاري الأودية، حيث توجد مياه جوفية ولكن بكميات قليلة^(٢). وأهم الواحات الزراعية في ساحل المنطقة: شغب، وشواق، ومقنا، والبدع، والخريصة، وشرما، وتريم، والمويلح. وكان يزرع في هذه الواحات إضافة إلى النخيل: الليمون، والدوم، والنبق، وبعض الخضراوات والدخان (المهيشي)، وخاصة في المويلح^(٣).

وقد تمت أولى المحاولات للكشف عن الأراضي الزراعية في منطقة تبوك في عهد الشريف حسين بن علي، حيث حاول مسح الأراضي القريبة من مركز سلطته في مكة المكرمة للتعرف على ما يصلح منها للزراعة^(٤).

ويرى بعض الباحثين أن من أسباب افتقار منطقة تبوك للتنوع الزراعي هو افتقار البدو، الذين يشكلون غالبية السكان إلى القوة الشرائية، إضافة إلى تعودهم على الثروة الحيوانية كمصدر للغذاء، فهم لا يعتمدون في هذا المجال على الخضراوات، ورغبتهم محدودة في تناول الفواكه^(٥). ولذلك كان الإنتاج الزراعي للواحات القريبة من الساحل يصدر عبر الموانئ إلى مصر، وليس إلى الداخل^(٦).

^(١) عبد الله بن صالح السدحان وعبد العزيز بن سالم الغامدي: الزراعة والمياه في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، ص ١٠-١٥.

^(٢) صالح بن سليمان الخضير: منطقة تبوك، دراسة في الجغرافيا الإقليمية، ص ٣٠.

^(٣) موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضباء بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ، ص ٨٦-٨٨؛ حمد محمد القحطاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز، ١٢٩٧-١٣٢٣هـ/١٨٨٠-١٩٠٥م، الكويت، المؤلف نفسه، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٨٣.

^(٤) وهيم طالب محمد، تاريخ الحجاز السياسي، ص ١٢٤-١٢٥.

^(٥) حمد محمد القحطاني: المرجع السابق، ص ٢٨٧.

^(٦) موسى مصطفى العبيدان: المصدر السابق، ص ١٠٥-١٠٧.

ويلاحظ -بشكل عام- أن الاهتمام بالزراعة في منطقة تبوك وغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية قد بدأ ببداية حكم الملك عبد العزيز، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الاهتمام الذي واكبه اختراع الآلات الحديثة في مجال الزراعة، أو في مجال استخراج المياه الجوفية. مما عزز الجهود المبذولة في هذا الاتجاه.

وقد بدأ الإنتاج الزراعي لمنطقة تبوك، وخاصة من التمور التي كانت لا تكاد تكفي أهلها^(١) يزداد عاماً بعد عام، وذلك من خلال تحسين طرق الزراعة، ورفع مستوى معيشة المزارعين^(٢)، وتوطين البدو، واستقرارهم في أكثر من مكان من الداخل والساحل. وهو الأمر الذي أدى إلى زيادة الإنتاج على الاستهلاك المحلي، وخاصة لدى الظهير الزراعي لكل من أملج والوجه وضباء والمويلح، وتصدير الفائض من هذا الإنتاج^(٣).

وقد أدى اهتمام الملك عبد العزيز بتطوير الزراعة إلى تحسين وسائلها، وتوسيع رقعتها، وتوفير المياه لها ببذل الجهد من أجل استخراجها بالوسائل الحديثة، كما أنه شجع المزارعين ماليًا دعماً لاستقرارهم^(٤).

وكانت الزراعة في بعض المواقع في منطقة تبوك تعتمد في الري على الينابيع، وقد لاحظ فيلي Philpy أثناء زيارته للمنطقة في ربيع الآخر ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م هذا الأمر، حيث ذكر أن هناك عدداً من القطع الزراعية الصغيرة قرب مدينة تبوك تعتمد في الري على عين ماء هناك^(٥). والعين المذكورة هي عين السكر المجاورة لقلعة تبوك، وحولها عدد من البساتين^(٦). والجدير بالذكر أن هناك آباراً في تبوك لا يتجاوز عمقها أربع قامات كانت تستخدم -إضافة إلى عين

(١) عبد الرحمن سبيت السبيت وآخرون: رجال وذكريات مع عبد العزيز، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٢) ملكة بكر ناصر الطيار: تطور الأوضاع الاقتصادية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز، ص ٣٧.

(٣) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، وثائق الوجه، رقم ١١٦-١، تعميم للمأمور مرفأ ضباء باعتماد تصدير التمر إلى السودان بتاريخ ٦ ذو الحجة ١٣٥٩هـ/ ٥ يناير ١٩٤١م؛ موسى مصطفى العبيدان، الحركة التجارية في ضباء بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ، ص ٨٦-٨٧.

(٤) عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ٣٤٢-٣٤٣.

(٥) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٦) محمد بن عبد الله الغريص: حصاد السنين، ص ٤٢.

السكر - لري النخيل وحقول الذرة^(١).

وكانت الزراعة في تبوك تتعرض أحيانا لبعض الآفات مثل الجراد، وهو أمر اعتادت عليه المنطقة؛ ففي كثير من المواسم كان يأتي الجراد على كل ما هو أخضر مما يؤدي إلى وقوع أزمات غذائية شديدة مما يضطر الأهالي الذين اعتادوا على الزراعة إلى التوجه شمالاً، غير أن الدولة السعودية التي تبتهت لهذا الخطر منذ بداية عهدها أخذت تكافح هذه الآفة الخطيرة، وتتصدى لها كلما وقعت^(٢).

وتعتبر زراعة النخيل والرمان والتين والليمون الحلو من أهم الزراعات التي اهتم بها أهل تيماء، وكانوا يعتمدون في ربيها على بئر هداج^(٣).

وتعد الثروة الحيوانية ركناً مهماً من أركان الزراعة، وتتمثل هذه الثروة في الجمال التي لم تكن تربيتها ناجحة في ساحل المنطقة والواحات القريبة منه، إلا أنها كانت كثيرة في الجهات الداخلية إضافة إلى الأبقار وخاصة في تيماء، والخيل والأغنام وكذلك الحمير التي كانت توجد في أماكن عديدة من بوادي المنطقة وقراها^(٤).

وتعد المراعي أيضاً من أركان الزراعة، فهي ضرورية لتربية الماشية، وتكثر المراعي في منطقة تبوك في الجبال والأودية إلى الشرق من الساحل، وبجوار تيماء والعلا، وفي بادية حسمى الواقعة إلى الشمال الشرقي من تبوك^(٥).

وقد كانت القبائل في داخل منطقة تبوك التي ظلت على بداوتها رغم جهود التوطين تقايض منتجاتها الحيوانية من سمن وإقط بالمنتجات الزراعية وخاصة التمر مع أبناء الحضر في تبوك وتيماء وغيرهما^(٦). أما القبائل المجاورة لقرى الساحل فكانت تقايض منتجاتها بما في أسواق

^(١) هاري سانت جون فيليبي: المرجع السابق، ص ٢٣٤-٢٣٥.

^(٢) تشارلز دوتي: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج ١، مج ١، ص ٤٧٦.

^(٣) تشارلز دوتي: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج ١، مج ١، ص ٤٩٩-٥٠٠، ٥١١-٥١٢.

^(٤) تشارلز دوتي: المصدر السابق، ج ١، مج ١، ص ٥٠١-٥٠٣، ٥١٢؛ جورج أوغست فالين: رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص ٢٣٤.

^(٥) Alis Musil: Northern Hejaz, P. 144.

أنطونان جوسين ورفائيل سافيناك: رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية، ج ١، ص ٤٩٩-٥٠٠.

^(٦) تشارلز دوتي: المصدر السابق، مج ١، ج ١، ص ٥١٠-٥١٢.

الساحل من الرز والسكر والقهوة وغير ذلك^(١).

والجدير بالذكر أن أهالي منطقة تبوك الذين أقبلوا على الزراعة، وأدركوا فوائدها، تنبهوا إلى ضرورة الإفادة من دعم الدولة في هذا المجال، ولذلك اتجهوا إلى تنظيم أنفسهم في جمعيات زراعية، فقد تقدم أهالي الوجه بطلب الموافقة على إنشاء جمعية زراعية مساهمة بتاريخ ١٠ صفر ١٣٥٠هـ/ ٢٥ يونيو ١٩٣١م، وهو الأمر الذي كانت تدعمه الدولة وتشجعه^(٢).

وقد ظلت الزراعة محلّ عناية خاصة من لدن الملك عبد العزيز الذي كان يوليها جل رعايته واهتماماته، فقد كان يتابع أحوال المزارعين متابعة مستمرة، فقد كان يوجه المسؤولين التنفيذيين للعمل على توفير كل ما من شأنه تحقيق الحماية للمزارعين، وتقديم المساعدات والتسهيلات اللازمة لهم، وحل ما يعترضهم من مشكلات^(٣).

وقد أنيط الاهتمام بالزراعة بمديرية الزراعة العامة التي أنشئت عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م، واتسع نشاطها في مجال المياه والزراعة، مما استدعى إنشاء وزارة لهذه الغاية، وقد أنشئت باسم (وزارة الزراعة والمياه). بموجب الأمر الملكي الذي صدر برقم ٤٩٥١/١/١/٢١/٥ تاريخ ١٨/٤/١٣٧٣هـ، وكان الأمير سلطان بن عبد العزيز أول وزير لها^(٤). وبإنشاء هذه الوزارة أخذت الزراعة تتطور بشكل حثيث في مختلف القطاعات والمناطق، بما فيها منطقة تبوك.

(١) موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضباء بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ، ص ١٠٢-١٠٤؛ جورج أوغست فالين: رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ص ٢٣٥.

(٢) دارة الملك عبد العزيز، قسم الوثائق، رقم السجل ٧٩٠٧، رقم الوثيقة ٥٩٩.

(٣) أم القرى، العدد ١٤٨، تاريخ ١٨-٤-١٣٤٦هـ، والعدد ٣٨٧ تاريخ ١٧-١-١٣٥١هـ.

(٤) أم القرى، العدد ١٤٩٦ تاريخ ٢٦-٤-١٣٧٣هـ.

الرعاية الصحية

اعتمدت الرعاية الصحية في منطقة تبوك، مثل غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، على الوسائل البدائية التقليدية، وهي الوسائل المتوارثة لعلاج المرضى التي تقوم على الرقي، والأعشاب، والكي، والحجامة، وتجبير الكسور، أي ما يعرف بالطب الشعبي. وإذا ما استعصى مرض على هذه الوسائل، فإن المريض من أهل المنطقة كان يلجأ إلى شرق الأردن أو فلسطين أو مصر للعلاج^(١).

ولم يقتصر الطب الشعبي على الوسائل المذكورة، وإنما أصبح السحر والشعوذة أيضاً من وسائل العلاج لبعض الأمراض، ثم أصبحت المعالجات التقليدية تتأثر بما هو متوافر لدى الآخرين في البلاد المجاورة، ولم يكن المتوافر فيها، وخاصة في بلاد الشام ومصر أفضل كثيراً^(٢).

وأخذت الرعاية الصحية في تبوك نفسها تأخذ منحىً جديداً بعد إنشاء سكة حديد الحجاز، في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي؛ فاستخدام الحجاج القادمين من الشام لهذا الخط، ونزولهم أثناء سفرهم إلى الحجاز في محطات السكة، ومن أهمها محطة تبوك، دفع الدولة العثمانية إلى إنشاء محجر صحي ومستشفى يحتوي عدداً من الأسرة وصيدلية فيها بعض الأدوية؛ وذلك لعزل المصابين بالأمراض الوبائية، وعلاجهم، وعلاج الأمراض الأخرى حماية للحجاج^(٣). أما في الوجه فكان قد أنشئ محجر صحي للحجاج قبل إنشاء سكة الحديد، بفترة وجيزة^(٤). وكان هذا المحجر يراقب الأحوال الصحية للقادمين بوساطة السفن حيث يكشف عليهم، ويتابع أحوالهم^(٥). وقد انتدب أحد الأطباء في عهد الملك عبد العزيز للعمل في هذا المحجر^(٦).

وازداد الاهتمام قليلاً برعاية الحجاج صحياً في عهد الشريف حسين بن علي، فقد أنشئ في قرى ساحل منطقة تبوك عدد من المحاجر الصحية، لمتابعة صحة الحجاج القادمين إلى الأماكن المقدسة، وخاصة إذا كانت هناك أمراض سارية منتشرة كالطاعون، والجذري، في البلاد التي

(١) تشارلز دوتي: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، مج ١، ج ١، ص ٤٤٥-٤٤٦، ٤٥٢-٤٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤٩-٥٥٢، ٥٤٧.

(٣) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ١١٦-١١٨.

(٤) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٨.

(٥) وثائق أحمد السلطان، من مدير شرطة الوجه إلى أمير الوجه، شعبان ١٣٤٦هـ / فبراير ١٩٢٨م؛

وأنظر: خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج ٣، ص ٨٨٢.

(٦) صوت الحجاز، ع ٢٦٤، ٢٧ ربيع الآخر ١٣٥٦هـ / ٩ يونيو ١٩٣٧م.

قدموا منها^(١).

وظلت المحاجر الصحية في منطقة تبوك تقدم الرعاية الصحية، ولكن بشكل محدود وقليل الفاعلية حتى بداية عهد الملك عبد العزيز، ومنذ بداية هذا العهد حدثت قفزة نوعية في هذا المجال، ذلك أن الملك الذي اهتم بتطوير البلاد في كل المجالات، لم يكن ليغفل الجانب الصحي، ولذلك أنشأ في ٢٧ شعبان ١٣٤٤هـ/ ١٢ مارس ١٩٢٦م مديرية الصحة العامة والإسعاف، وأناط بها إدارة المستشفيات والمستوصفات التي كانت قائمة في الحجاز بما في ذلك منطقة تبوك، وتطويرها وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من أطباء وفنيين وأدوية، وتأسيس مستشفيات جديدة، وربطها بنائب الملك في الحجاز، وكلف طبيباً اسمه محمود حمدي بإدارتها^(٢). وقد بدأ منذ ذلك بذل الجهود الكبيرة من أجل تأسيس خدمات طبية متكاملة ومتميزة^(٣).

وصدر في ١٤ رجب ١٣٤٥هـ/ ١٨ يناير ١٩٢٧م نظام مصلحة الصحة العامة والإسعاف^(٤)، وأصبحت مديرية الصحة بموجب هذا النظام هي الجهة المسؤولة عن جميع الأمور الصحية العامة، كما تم تشكيل مجلس صحي برئاسة النائب العام. ومن أهم أعمال المديرية: تأسيس المستشفيات والمستوصفات، والمستشفيات السيّارة، وتعيين الأطباء الاختصاصيين، والمساهمة والاشتراك في المؤتمرات الصحية العامة، وتطبيق الأنظمة المحلية والقوانين الدولية، وتقديم المشورة والمساهمة في المشاريع العامة مثل مشاريع المياه^(٥).

وأصبحت مديرية الصحة العامة انطلاقاً من مركزها في مكة المكرمة^(٦)، تعمل على تحسين الوضع الصحي، وخاصة بعد أن أصبح للمديرية ميزانية خاصة بها، حيث مكنها ذلك من النمو، وساعدها على تطوير الرعاية الصحية^(٧).

(١) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ١٢٢-١٢٣.

(٢) أم القرى، س ١، ع ٣٠، ٢ محرم ١٣٤٤هـ/ ٢٤ يوليو ١٩٢٥م.

(٣) يوسف الحميدان ومحمد احمد العيسى: الإنجازات الصحية في عهد الملك عبد العزيز، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، شوال ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٥٩٠-٦٠١.

(٤) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص ٤٤٣.

(٥) أديب الحبال: مجلة المنهل، مج ٨، ع ١١-١٢، ذي القعدة وذو الحجة ١٣٦٧هـ، ص ٤٣٧-٤٣٨.

(٦) خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٢.

(٧) يوسف الحميدان ومحمد احمد العيسى: المرجع السابق، ص ٦٠١.

ونظراً لما للمديرية من أهمية ودور في الرعاية الصحية، أصدر الملك عبد العزيز مرسوماً برقم ٨٦٩٧/١١/٥، في ١٦ شعبان ١٣٧٠هـ/ ٢٢ مايو ١٩٥١م قضى بتحويل مديرية الصحة العامة والإسعاف إلى وزارة الصحة، وتعيين الأمير عبد الله الفيصل وزيراً لها، وقد عمل الأمير عبد الله على تطوير الرعاية الصحية، حيث شكل لجنة من خمسة خبراء لدراسة الوضع الصحي العام في المملكة، والتخطيط للمشاريع الصحية^(١).

وقد أعيد تنظيم العمل الإداري في مجال الرعاية الصحية بعد استحداث وزارة الصحة، حيث قسمت البلاد صحياً إلى ثلاث مندوبيات، وهي مندوبية المنطقة الوسطى، ومقرها الرياض، ومندوبية المنطقة الغربية التي شملت تبوك، إضافة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، والباحة، وعسير، ونجران، ومقرها مكة المكرمة، ومندوبية المنطقة الشرقية. وبذلك أصبحت الرعاية الصحية في منطقة تبوك تدار من مكة المكرمة، وأصبحت تتوجه إليها فرق الطبابة المتحولة التي تجوب قرى المنطقة وبواديها بشكل دوري، وتقوم بمهام العلاج والتطعيم الوقائي. وكانت كل فرقة تضم جراحاً، وطبيباً معالجاً، ومجموعة من الفنيين. كما كانت مزودة بالعقاقير الطبية والأمصال ومتطلبات الجراحة من أدوات وأدوية^(٢).

وأنشئ - بالإضافة إلى الحجر الصحي في الوجه - محجر صحي في كل من أملج وضباء^(٣)، والمويلح^(٤)، كما أنشئت في الوجه وضباء عدة مستوصفات، وفي أملج مركز صحي^(٥) يعد محمد قنديل أول طبيب فيه^(٦). وأنشئ مستوصف جديد في ضباء عام

^(١) يوسف الحميدان ومحمد احمد العيسى: الإنجازات الصحية في عهد الملك عبد العزيز، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، شوال ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٥٩٧.

^(٢) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٥٩٤.

^(٣) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، قرار مجلس الوكلاء رقم (٧٠)، تاريخ ١٣ شعبان ١٣٥٦هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٩٣٧م. وقرار مجلس الوكلاء رقم (٦١)، تاريخ ٣٠ رجب ١٣٥٦هـ/ ٢٥ سبتمبر ١٩٣٧م.

^(٤) وثائق سداد محمد السعيد، كشف بيان رسمي بتاريخ ١٨ ذو الحجة ١٣٦٢هـ.

^(٥) يوسف الحميدان ومحمد العيسى: المقالة السابقة، ج ٢، ص ٥٩٤؛ أم القرى، س ١٩، ع ٩١٧، ١١ رجب ١٣٦١هـ/ ٢٤ يوليو ١٩٤٢م.

^(٦) خطاب من الأستاذ محمد بن حامد السناني إلى الباحث بتاريخ ١٢ ذو القعدة ١٤٣٠هـ.

١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م^(١). أما في تيماء فقد أنشئ مستوصف صغير بطبيب وممرضة^(٢). وفي مستوصف تبوك وجد طبيب اسمه صديق مصلي^(٣).

وكان من مهام مأموري الصحة في قرى الساحل مراقبة الحالة الصحية لركاب السفن القادمة إلى موانئ المنطقة، وكانت المراكز الصحية والمستوصفات التي تم افتتاحها في المنطقة تراقب الصحة العامة، وتعالج الأهالي وطلاب المدارس.

والجدير بالذكر أن أهالي تبوك كانوا يعانون من بعض الأمراض التي انتشرت في المنطقة بسبب الآبار الضحلة غير النظيفة مثل الملاريا، ولذلك قامت حملة رسمية بمكافحة هذه الأمراض بوسائل عديدة، وعملت على زراعة عدد كبير من أشجار الكافور لهذا الغرض. ومن الأمراض الخطيرة التي عرفت المنطقة أيضاً: البلهارسيا التي نجمت عن الاستحمام بمياه العيون غير النظيفة^(٤).

ولم تنشأ المستوصفات والمراكز الصحية في جميع المراكز العمرانية في منطقة تبوك، غير أن المراكز العمرانية الخالية من هذه الخدمة لم تهمل صحياً، حيث كانت فرق الطبابة السيارة تقوم بمهمة العلاج والتطعيم الوقائي بصفة دورية^(٥).

(١) أم القرى، س ٢٧، ع ١٣٣٤، ١٥ محرم ١٣٧٠هـ/ ٢٧ أكتوبر ١٩٥٠م.

(٢) محمد بن حمد التيمائي: تيماء، ص ١٨٧، ١٨٩.

(٣) لقاء مع عبدالله بن أحمد الغريص بتاريخ ١٠ صفر ١٤٣١هـ.

(٤) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ٢٣٣، ٢٤١.

(٥) محمد حسن مفتي: النهضة الصحية في المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية في مائة عام، بحوث ودراسات، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٨هـ، مج ١٠، ص ٥٧٨.

التجارة والصناعة

ساعد موقع منطقة تبوك المتوسط بين بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية ومصر، وامتداد سواحلها على البحر الأحمر حيث توجد موانئ أمّالج والوجه وضباء، جعل ذلك هذه المنطقة ذات حضور تجاري عبر التاريخ، وقد أدت حاجة المنطقة لوسائل تنقل تجارتها، أو لممارسة حرفة الصيد البحري إلى ازدهار صناعة السفن بأنواعها، وصناعة ما يتعلق بالسفن وبحرفة الصيد، إضافة إلى صناعات أخرى توافرت موادها الخام في المنطقة، ودعت إليها حاجة أهلها. وسيتناول هذا المبحث كلاً من التجارة والصناعة، باعتبارهما من مظاهر التطور الحضاري في منطقة تبوك.

التجارة:

شهدت موانئ منطقة تبوك حركة تجارية نشطة في عهد الأنباط الذين اعتمدت حضارتهم اعتماداً أساسياً على التجارة، ومنذ عهد الأنباط حتى آخر عهد الملك عبد العزيز ظلت هذه الحركة تتفاوت نشاطاً وركوداً بين عصر وآخر، وفقاً للظروف السياسية والاقتصادية التي تحيط بالمنطقة، وقد كانت في أواخر القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي نشطة إلى حد ما، فخلال هذه الفترة كانت موانئ المنطقة تستخدم لنقل منتجاتها إلى أسواق مصر والسودان وأرتيريا والحجاز الجنوبي بوساطة السفن الشراعية، وترد إليها البضائع التي تحتاجها من تلك البلاد^(١).

وكان التبادل التجاري، قبل الفترة المشار إليها، يتم بين أهالي المراكز العمرانية في المنطقة مثل: أمّالج والوجه وضباء والمويلح والخريبة والبدع وتبوك والعلا وتيماء وشغب وشواق^(٢)، فقد مثلت الموانئ دور الوسيط التجاري بين سكان الظهير والساحل المقابل له، وكذلك بين سكان الساحل وأبناء البادية الرحل الذين كانوا يرتادون الموانئ للتزود بما يحتاجون إليه، وبيع ما يفيض عن حاجتهم مما ينتجون^(٣).

وكانت البضائع المختلفة تنقل أيضاً من الموانئ على ساحل منطقة تبوك عبر الطرق البرية بوساطة الجمال إلى معان في شرق الأردن، وإلى فلسطين^(٤)، كما كانت هناك حركة تجارية بينية

(١) علي ابراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٥، ١٥٩.

(٢) موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضباء بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ، ص ٨٦.

(٣) محمد احمد الرويثي: الوجه، ص ٧٦؛ موسى مصطفى العبيدان: المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٤) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٢٤٦)، من حسين بن رشيد القبلي- معان، إلى محمود أبو صابر- الوجه، بتاريخ ٢٥ رمضان ١٣٤٥هـ/ ٢٩ مارس ١٩٢٧م؛ موسى مصطفى العبيدان: المصدر السابق، ص ٢٠٠؛ دار الملك عبد العزيز، الرياض، التاريخ الشفوي، رقم التصنيف

أي بين الموانئ نفسها في كل من أملج والوجه وضباء^(١). وأهم البضائع التي كانت محور هذه الحركة التجارية هي السمن، والإبل، والأغنام^(٢).

وكانت البضائع المحلية تنقل من موانئ منطقة تبوك إلى ميناء جدة^(٣)، وكذلك إلى ميناء ينبع^(٤)، وكانت بعض البضائع أيضاً تنقل من السويس إلى الوجه^(٥)، وبالمقابل كان تجار تبوك يمارسون التجارة مع غزة وبئر السبع في فلسطين، والعريش في مصر، حيث يبيعون هناك: الماشية والإبل والسمن^(٦).

وهناك بضائع كانت تنقل عبر منطقة تبوك من أراضي الجزيرة العربية الأخرى لبيعها في مصر، فتجار القصيم كانوا يعبرون إلى مصر عن طريق العقبة لبيع جمالهم^(٧)، وكان بعض التجار يبيعون الإبل والغنم والسمن في موانئ ساحل المنطقة، حيث يبيعها التجار بدورهم في فلسطين ومصر وأما الفحم فكان يباع في السويس، حيث تأتي السفن إلى موانئ ساحل المنطقة أسبوعياً لنقله^(٨).

(١) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٢٤٤)، من علي محمد سلامة بضباء، إلى محمود أحمد أبو صابر بالوجه بشأن الدقيق والعدس والدخان، بتاريخ ٢٠ رمضان ١٣٤٥هـ / ٢٤ مارس ١٩٢٧م.

(٢) دارة الملك عبد العزيز، التاريخ الشفوي، رقم التصنيف (١٥٢).

(٣) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٢٥٧)، من عبد الرحمن وعبد الرزاق حسب الله وشركاه بجدة إلى محمود أبو صابر بالوجه بتاريخ ٢٩ ذو القعدة ١٣٤٥هـ / ٣١ مايو ١٩٢٧م.

(٤) المصدر نفسه، وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٣٠٣)، من حمدان أبو صابر ينبع البحر إلى محمود أبو صابر بالوجه يخبره بوصول الخشب، بتاريخ ٥ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ / ١ أكتوبر ١٩٢٧م.

(٥) المصدر نفسه، رقم الوثيقة (٣٢٣)، من مصطفى الخناني بالسويس، إلى محمود أبو صابر بالوجه، بتاريخ ١٠ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ / ٦ أكتوبر ١٩٢٧م.

(٦) محمد بن عبد الله الغريص: حصاد السنين، ص ١٤.

(٧) محمد بن علي بن عبد الله العبيد: النجم اللامع للنادر، دارة الملك عبد العزيز، مخطوط رقمه (١٨٩)، ص ٣٦٥.

(٨) دارة الملك عبد العزيز، التاريخ الشفوي، رقم التصنيف (٢٧٢).

وكانت محطات سكة الحديد في منطقة تبوك تشكل مراكز تجارية يرتادها أبناء المنطقة من بادية وحاضرة للبيع والشراء، وكانت البضائع التي تباع في هذه الأسواق بعضها محلي، وبعضها يصل إلى المنطقة من بلاد الشام عبر سكة الحديد^(١).

وتتمثل البضائع والسلع التجارية الواردة إلى منطقة تبوك عبر موانئها في: الرز، والشاهي، والعدس الذي كان يرسل إلى العلا وتيماء، وتبوك^(٢). أما البضائع المحلية فكانت تتمثل في: الفحم النباتي، والسمن، والعسل، والصمغ، والحناء، والسمنك المجفف، والأصداف، والقواقع البحرية^(٣).

وقد شهدت منطقة تبوك منذ بداية عهد الملك عبد العزيز نشاطاً تجارياً متزايداً، ذلك أنه تشجيعاً للتجارة قام بإلغاء بعض الضرائب التي كانت تجبى في العهد السابق، ووحّد الرسوم التي تؤخذ من التجار^(٤)، وعمل على تخفيض الرسوم الجمركية من ١٥% إلى ١٢%، وألغى بعض الرسوم مثل: رسم المنافع العمومية الذي كان يؤخذ على البضائع الواردة إلى موانئ المنطقة والصادرة منها^(٥).

وشهدت التجارة في منطقة تبوك منذ إنشاء مديرية للمالية العامة في ١٧ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ / ١٣ أكتوبر ١٩٢٧م، وتحويلها إلى وزارة للمالية في ١١/٤/١٣٥١هـ — ١٣/٨/١٩٣٢م نقلة نوعية، حيث تم تشجيع الشركات الوطنية، وحث التجار على استيراد كل ما تحتاجه البلاد من ضروريات وكماليات من مناطق إنتاجها. وأخذت المديرية تيسر للتجار المعاملات النقدية، وتيسر لهم كل الأسباب من أجل تنشيط الحركة التجارية^(٦). وقد نشطت فعلاً بين موانئ الوجه والسويس والطور والقصير^(٧).

(١) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٩٤.

(٢) دارة الملك عبد العزيز، التاريخ الشفوي، رقم التصنيف (٣٩٩).

(٣) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٩-١٦٦.

(٤) صالح محمد الشعيبي: السياسة المالية في عهد الملك عبد العزيز، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، شوال ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٦١٩.

(٥) أم القرى، س ١، ع ٥٤، ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ.

(٦) سليمان بن حميد بن سليمان: مجلة المنهل، مجلد ٩، ع ١١-١٢، ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٨هـ، ص ٤٥٦.

(٧) مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (١٦١)، من أحمد صابر حسن إلى محمود أبو صابر، بتاريخ ٨ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ / ٢٤ نوفمبر ١٩٢٥م، والوثيقة رقم (١٧٥) بتاريخ ١٧ شعبان ١٣٤٤هـ / ٢ مارس ١٩٢٦م؛ والوثيقة رقم (١٧٨)، بتاريخ ٢٢ شعبان ١٣٤٤هـ / ٧ مارس ١٩٢٦م.

وساهم في تنشيط التجارة أيضاً اتفاقية الصداقة السعودية - الأردنية التي وقعت عام ١٣٥١هـ/١٩٣٣م، فقد سمحت للقبائل القاطنة في كلا البلدين بحرية التنقل بينهما لممارسة الأعمال التجارية. ويذكر في هذا الصدد أن المراسلات المتبادلة بين الدولتين في ربيع الآخر ١٣٤٧هـ/أكتوبر ١٩٢٨م، و ربيع الأول ١٣٤٨هـ/أغسطس ١٩٢٩م قد نصت على تحديد الأماكن التي تمر بها البضائع بين البلدين، وهي تيماء وتبوك وضباء^(١).

وكانت العملة المستخدمة في منطقة تبوك هي المجيدي العثماني^(٢)، ثم استخدمت النقود العربية الهاشمية في عهد الشريف حسين بن علي^(٣)، وكانت هذه العملات في بداية عهد الملك عبد العزيز قد اختلطت بالعملات السعودية، ثم تم إصدار العملة السعودية الخاصة للبلاد^(٤).

هذا وقد ألغت الحكومة السعودية عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م رسوم الأرضية التي كانت الجمارك تستوفيها من التجار على البضائع الواردة أو المصدرة، وذلك تشجيعاً للتجارة، وللغرض نفسه أقامت مخازن خاصة لتخزين البضائع في موانئ المنطقة^(٥). وقد تنبّهت الحكومة إلى ضرورة اتخاذ هذه الإجراءات وغيرها مثل تخفيض الرسوم الجمركية بنسبة ٢٠%، والسماح للتجار باستيراد كل ما تحتاجه البلاد وذلك لظهور بوادر الحرب العالمية الثانية، حيث تخوفت من توقف وصول المواد الغذائية، مما سيؤدي إلى أزمة غذائية. وقد حاولت الحكومة باتخاذها الإجراءات المذكورة تحقيق الأمن الغذائي للبلاد بما فيها منطقة تبوك^(٦).

(١) ملكة بكر ناصر الطيار: تطور الأوضاع الاقتصادية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ١٣٥١-١٣٧٣هـ/١٩٣٢-١٩٥٣م، ص ٢٨٦.

(٢) مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (١٧٣)، من عبد الرحمن إلى أحمد أبو صابر، شعبان ١٣٤٤هـ/فبراير ١٩٢٦م.

(٣) وهيم طالب محمد: تاريخ الحجاز السياسي، ص ٣١٧.

(٤) ملكة بكر ناصر الطيار: المرجع السابق، ص ١٤٧.

(٥) أم القرى، س ١٥، ع ٧٤٣، ١٩ محرم ١٣٥٨هـ/١٠ مارس ١٩٣٩م.

(٦) أم القرى، س ١٥، ع ٧٤٩، ١ ربيع الأول ١٣٥٨هـ/٢١ أبريل ١٩٣٩م؛

وس ١٦، ع ٧٧٠، ١ شعبان ١٣٥٨هـ/١٥ سبتمبر ١٩٣٩م؛

وس ١٦، ع ٧٩٢، ١٥ محرم ١٣٥٩هـ/٢٣ فبراير ١٩٤٠م.

وقد أثرت الحرب العالمية الثانية سلباً على الحركة التجارية في منطقة تبوك، وخاصة منطقة الساحل، حيث قلت حركة البضائع بين موانئها والموانئ المصرية^(١)، مما أدى إلى انخفاض مستوى المعيشة، وازدياد الفقر، وقد دفع ذلك الملك عبد العزيز إلى تأسيس مبرة ملكية لمساعدة الأهالي، ويدل على هذا الوضع الذي آل إليه حال الناس بسبب الحرب إرسال أمير الوجه أحمد اليحيا خطاباً إلى رئيس لجنة المبرة الملكية لتزويد إحدى العائلات بالخبز^(٢).

ونظراً لعدم توافر وسائل النقل الحديثة في داخل منطقة تبوك مثل السيارات، فقد كان البدو الرحل ينقلون ما يرغبون في بيعه مثل السمن واللبن على الجمال إلى أسواق المراكز العمرانية حيث تتوافر السلع التي يحتاجونها، وقد ينقلون على الجمال ما يرغبون في بيعه خارج المنطقة في الأردن، وفلسطين، ثم تعود محمله بما يتاعونه من تلك الأسواق^(٣). وعندما استخدمت السيارات لنقل البضائع في أواخر عهد الملك عبد العزيز نشطت الحركة التجارية في المنطقة .

وقد شهد آخر عهد الملك عبد العزيز نشاطاً في مجال التجارة بالوقود، وكان البتزين والزيوت تنقل من ضباء إلى تبوك، وكان بعض تجار الوجه، ومنهم مصطفى بديوي يخزنون وقود الطائرات لتزويدها بها أثناء رحلات الحج الجوية، حيث كانت الطائرات العائدة من جدة إلى القاهرة تهب إلى الجنوب من ميناء الوجه في مهبط أنشئ خصيصاً؛ وذلك للتزويد بالوقود^(٤).

وتنظيماً للحركة التجارية، وحفاظاً على مصلحة الأهالي كانت حكومة الملك تمنع تصدير المواد التي يحتاجها السكان إذا شحت لديهم، فقد منعت تصدير الأغنام من الوجه إلى الموانئ المصرية لتوفير اللحم والسمن، وسمحت بتصدير الفحم النباتي إلى ميناء السويس. وعندما قلت الأغنام في المنطقة شجعت الحكومة استيرادها من الصومال وغيرها^(٥). أما الإبل فقد استمر بيعها

(١) مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٤٤٨)، من إبراهيم فتوح إلى أحمد محمود أبو صابر، بشأن وصول أغنام مهربة وبيعها بسبب رداءة السوق، بتاريخ ٣٠ جمادى الأولى ١٣٥٩هـ / ٢ مايو ١٩٤٦م.

(٢) مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٤٤٤)، تاريخ ١١ شعبان ١٣٦٤هـ / ٢٢ يوليو ١٩٤٥م.

(٣) محمد عبد الله الغريص: حصاد السنين، ص ٤٢.

(٤) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٥١٥-٥١٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٠١.

خارج منطقة تبوك، حيث كان أهل المنطقة يبيعونها في الرياض، وفي شرق الأردن^(١).

أما البضائع الأخرى فقد كثرت في أسواق منطقة تبوك في أواخر عهد الملك عبد العزيز، فسوق أملج خلال تلك الفترة كانت تمتلئ بالسلع التي ترد إليها من السويس وجدة، وبالمقابل كانت السلع تصدر من ميناء أملج إلى مناطق مختلفة، فالحم النباتي إلى السويس، وأصداً الكوكيان إلى بورسودان ومنها إلى إيطاليا^(٢).

ونظراً للتوسع في حركة الاستيراد والتصدير، وازدهار الحركة التجارية، أمر الملك عبد العزيز في عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م بالموافقة على إنشاء الغرف التجارية لخدمة التجار، ولبحث الشؤون التجارية المتعلقة بهم، وحل المشكلات التي قد تحدث بينهم^(٣).

وقد تم تأسيس غرفة تجارية في جدة، انضم تجار المنطقة إلى عضويتها^(٤). ثم أحدث اكتشاف النفط ومن ثم تصديره بكميات تجارية تحولات في المجالات المختلفة، ومنها الاقتصاد، فقد تطورت الحياة بشكل عام، وانتعشت الأسواق المتمثلة في المراكز العمرانية الداخلية مثل تبوك وتيماء، والساحلية مثل أملج والوجه وضباء وخاصة أن التواصل بين هذه المراكز، وبينها وبين مناطق المملكة الأخرى أصبح أكثر يسراً. وأدى إلى انتعاش الأسواق أيضاً النمو والتطور الذي شهدته المملكة في مجال الخدمات الصحية والتعليمية والبلدية، وغيرها^(٥).

وأدت التحولات المشار إليها إلى تبدل الحياة من شطف العيش إلى الرخاء الاقتصادي، وهو الأمر الذي يدل عليه استيراد الماشية واللحوم والمنتجات الأخرى التي كانت تصدرها المنطقة إلى الخارج، وذلك ابتداءً من عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٠م^(٦). كما تم استيراد المواد الغذائية، وإيصالها إلى أسواق المنطقة، وخاصة تلك المتعلقة بالزراعة من حضروات وحبوب، غير أن استيراد المواد من هذه الأنواع بدأ يقل اعتباراً من سنة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م نتيجة للتطور الزراعي الذي نجم عنه توافر إنتاج زراعي يكفي المنطقة^(٧).

(١) محمد عبد الله الغريص: حصاد السنين، ص ٤٠.

(٢) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٥٢٩-٥٣٠.

(٣) معهد الإدارة العامة، الرياض، مركز الوثائق، الأمر الملكي رقم ١٧٨/٤/٣، تاريخ ٢٤ محرم ١٣٦٣هـ / ٣ يناير ١٩٤٤م.

(٤) ملكة بكر ناصر الطيار: تطور الأوضاع الاقتصادية للمملكة العربية السعودية، ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٥) عمر الفاروق السيد رجب: المدن الحجازية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص ٢٩-٣٠، ٤٠-٤٥.

(٦) عبد الله بن محمد الفيصل: الإدارة المالية في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٨هـ، المملكة العربية السعودية في مائة عام، دراسات وبحوث، مج ٩، ص ١٣٩.

(٧) ملكة بكر ناصر الطيار: المرجع السابق، ص ٢٧٢.

الصناعة

تحتاج الصناعة في أي منطقة إلى توافر مواد خام واستخراجها، وقد سبقت الإشارة إلى أن منطقة تبوك تزخر بهذه المواد التي أفادت منها بعض الأمم والشعوب السابقة التي حكمتها، مثل الأنباط. غير أن تلك المواد مثل النحاس والرمل الزجاجي لم تستغل خلال فترة الدراسة في أي من الصناعات، وقد حالت دون ذلك طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية التي أحاطت بالمنطقة؛ فساكن الداخل معظمهم بدو رحل يعتمدون في معيشتهم على ما تنتجه مواشيهم، وساكن الساحل يعتمدون على التجارة وصيد السمك. وقد اكتفى ساكن الداخل والساحل بصناعة ما يحتاجون إليه في حياتهم اليومية مما توفره لهم البيئة التي يتعايشون معها، وما يحتاجون إليه في حياتهم كصيادين وتجار يتعاملون مع البحر^(١). ومن هنا فقد ارتبطت صناعة أهل الساحل بالسفن والقوارب وشباك الصيد، وارتبطت صناعة أهل الداخل بما تنتجه مواشيهم، وما يلزمهم في التنقل والترحال^(٢). ولا بد من الإشارة هنا إلى أن أي صناعة بمعناها المعروف، تحتاج إضافة إلى المواد الخام إلى الاستقرار، والقوة الشرائية وهما أمران لم يكونا متوافرين في المنطقة^(٣).

ويمكن القول أن أهم الصناعات التي وجدت في منطقة تبوك هي صناعة السفن والقوارب، وما يتعلق بها. وتعتمد هذه الصناعة على: الخشب والقماش والليف والمسامير. وقد كان يتم استيراد هذه المواد من مصر. ويستعمل الخشب لبناء هيكل السفينة، وعمل الدقل، بينما يستخدم القماش السميكة للأشرعة، والمسامير لتثبيت الألواح التي تكسو الهيكل، والليف للقلقطة، أي ستر الفراغات بين الألواح وتسقيتها بالشحم ثم بالسندروس (هو مادة صمغية تستخرج من النبات)^(٤).

(١) حمد محمد القحطاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز ١٢٩٧-١٣٢٣هـ/١٨٨٠-١٩٠٥م، ص ١٥٩.

(٢) موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضباء بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ، ص ٧٢.

(٣) حمد محمد القحطاني: المرجع السابق، ص ١٥٩-١٦٠.

(٤) موسى مصطفى العبيدان: المصدر السابق، ص ٧٢.

وهذه السفن والقوارب التي كان بعض أهالي ساحل منطقة تبوك يصنعونها^(١)، تختلف من حيث الأحجام والأسماء، ومنها:

١- السنبوك: وهي سفينة شراعية كبيرة الحجم، تستعمل للنقل التجاري، ولها شراعان: كبير يفرد البحارة عندما يكون السنبوك في عرض البحر؛ وذلك لزيادة سرعته نتيجة لاصطدام الرياح به، وصغير يفرد عندما يقترب السنبوك من المرفأ لتخفيف سرعته واندفاعه. وعدد بحارة السنبوك بين ١٠-١٢ بحاراً .

٢- القطيرة: وهي سفينة أصغر حجماً من السنبوك، ولها شراع واحد، وتستخدم في الصيد، ونقل البضائع وسمك الفسيخ لتصديره إلى الخارج، وعدد بحارة القطيرة ما بين اثنين وثلاثة، وقد يزيدون إذا زاد حجمها.

٣- البوت: وهو قارب أصغر حجماً من القطيرة، يبحر باستخدام المجداف، ويستعمل لإلقاء الشباك في البحر وصيد السمك من الأعماق القريبة من الشاطئ. ويصنع بأحجام وأشكال مختلفة^(٢).

٤- الهوري: وهو قارب أصغر حجماً من البوت إلا أنه أطول منه، وجوفه أقل انبعاجاً، ولا يكاد يتسع إلا لرجلين مقعد أحدهما في المقدمة، والثاني في المؤخرة، ويستعمل للصيد في المياه الضحلة قرب الشاطئ.

٥- الزعيمة: وهي عبارة عن بوت صغير، يحمل على ظهر السنبوك أو القطيرة، ويستخدم عند رسوهما خارج المرسى للوصول إلى اليابسة، ومن أجل جلب الماء أو بعض الحاجات التي يحتاجها البحارة، أو لوضع آلة من أجل الرسو فوق الشعب المرجانية، أو التزول على الجزر.

٦- الدنقي: بوت صغير الحجم يتم قطره خلف السنبوك أو القطيرة، ويستخدم لقضاء الحاجة^(٣).

هذا، وقد كانت القوارب تصنع في أمّالج التي تخصصت بهذه الصناعة^(٤).

ومن الصناعات التي اعتمدت على الخشب كمادة أولية - إضافة إلى السفن - صناعة

(١) موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضباء بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ، ص ٧٢؛ حسن أمين

العلي: دراسات وحقائق في شمال غرب المملكة العربية السعودية، ص ١٣٤.

(٢) موسى مصطفى العبيدان: المصدر السابق، ص ٧٣-٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٤-٧٥.

(٤) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٥٢٩.

النجارة، فقد كان النجارون يصنعون من الخشب: الأبواب والنوافذ والسقوف والصناديق، وأشددة الجمال التي كانت تصنع من خشب الأثل، وتوضع على ظهر الجمل ليسهل ركوبه، وتحمله بالأطعمة والأمتعة^(١).

ومن الصناعات المتعلقة بالجمال أيضاً: الشقذ، ويصنع من خشب الخيزران، ويستخدم للركوب على ظهر الجمل.^(٢) وكان النجارون في ساحل منطقة تبوك يصنعون الأبواب المزخرفة للمساجد، وكذلك المناير والشبابيك^(٣).

وعرفت منطقة تبوك صناعة الفخار، ومادته الأساسية هي الطين، أما الأدوات التي استخدمت في هذه الصناعة فهي: دولاب يدار بالقدمين، ومشط خشبي صغير للزخرفة، وفرن لشيء الفخار. وقد كانت الصناعات الفخارية تستخدم في المراكز العمرانية لدى الحضرة، أما البدو فكانوا يستخدمون الأدوات المصنوعة من الجلود والأخشاب والمعادن التي تقاوم الكسر، لأن هذه الأدوات تلائم حياتهم المتنقلة^(٤).

أما الصناعات المعدنية في منطقة تبوك فقد اعتمدت على الذهب والفضة والنحاس والحديد، ومن هذه الصناعات: الدبل، والخواتم، والخلاخيل، والأساور الذهبية، والحلق، والرشرش (الذي تترين به المرأة بوضعه على الصدر)، والقلائد لتزيين العنق^(٥). ومن هذه الصناعات أيضاً: أدوات القهوة مثل الدلة والحماس، وأدوات الزراعة مثل: الحاش

(١) حمد محمد القحطاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز ١٢٩٧-١٣٢٣هـ/١٨٨٠-١٩٠٥م، ص ١٦٠-١٦١؛ عباس محمد زيد العيسى: موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية

السعودية، وزارة المعارف، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج ١، ص ٥٣؛ عبد الفتاح الرئيس: البدع، ص ٨٢.

(٢) محمد صادق باشا، الرحلات الحجازية، ص ٨٥.

(٣) حمد محمد القحطاني: المرجع السابق، ص ١٦٢؛ علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٧٦.

(٤) حمد محمد القحطاني: المرجع السابق، ص ١٦٦؛ عبد الفتاح احمد الرئيس: البدع، ص ٨٢.

(٥) محمد علي مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، جدة، دار العلم للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٨٨.

والمناجل والفؤوس، وأدوات الحرب مثل السيوف والخنجر^(١).

وازدهرت في منطقة تبوك صناعة الفحم الحشبي نظراً لوجود مساحات واسعة من الأشجار الحرجية فيها^(٢)، ويعد الفحم من أهم صادرات المنطقة حيث كان يتم تجميعه في الخريبة تمهيداً لتصديره إلى السويس^(٣).

كما عرفت منطقة تبوك صناعة شباك الصيد، وخاصة شباك الصيد الكبيرة التي تسمى محليا (الأشورة)، وتستخدم لصيد السمك^(٤).

وعرفت البادية في منطقة تبوك عدداً من الصناعات اليدوية، مثل: غزل الصوف، والخيوط اللازمة لصنع بيوت الشعر، وكذلك صناعة السجاجيد والبسط، وما تزين به سروج الإبل. وكذلك صناعة المقاطف والسلال لحفظ التمور، والمراوح اليدوية، والحصر وغيرها من سعف وخوص النخيل. يضاف إلى ذلك صناعة الجلود، وخاصة القرب لنقل الماء وحفظه^(٥).

وكانت النساء في المراكز الحضرية في منطقة تبوك يصنعن الحصر والمكاتل (المقاطف) والمراوح والمكانس من سعف النخيل وسعف شجر الدوم^(٦). وذلك إضافة إلى طحن الغلال والخياطة^(٧).

هذا، وقد استخدم أهل البادية الصباغة لإضفاء ألوان زاهية على منسوجاتهم، وكانوا يستخرجون مواد الصباغة من الأعشاب الصحراوية ومن لحاء الأشجار. وقد كانوا يصبغون خيوط الصوف أو الوبر أو الشعر قبل نسجها، ومن الألوان التي استخدموها بكثرة: الأحمر والأخضر والأصفر إضافة إلى الألوان الطبيعية: الأبيض والأسود التي يتميز بها وبر الإبل

(١) محمد أحمد الرويثي: الوجه، ص ٨١.

(٢) ك.س. تويتشل: الزراعة والماشية في المملكة العربية السعودية، ترجمة أحمد علي، مجلة المنهل، ربيع الأول ١٣٦٩هـ/ديسمبر ١٩٤٩م، ج ٣، ٤، مج ١٠، ص ١١٤.

(٣) موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضباء بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ، ص ١٠٠.

(٤) موسى مصطفى العبيدان: مدينة ضباء بين الماضي والحاضر، ص ٦٦.

(٥) عبد الفتاح أحمد الرئيس: البدع، ص ٨٢؛ حسن أمين العلي: دراسات وحقائق عن شمال غرب المملكة العربية السعودية، ص ١٠٢-١٠٣.

(٦) موسى مصطفى العبيدان: المرجع السابق، ص ٦٧.

(٧) محمد أحمد الرويثي: المرجع السابق، ص ٨١.

وصوف الغنم^(١).

ويلاحظ أن الصناعة في منطقة تبوك خلال عهد الملك عبد العزيز لم تشهد تطوراً أو تبديلاً، فقد ظلت عبارة عن صناعة تقليدية. أما الصناعات التحويلية بالمعنى الحديث فلم تعرفها المنطقة خلال عهده.

^(١) حسن أمين العلي: دراسات وحقائق عن شمال المملكة العربية السعودية، ص ١٠٣.

طرق الحج والنقل

أصبحت منطقة تبوك منذ أوائل القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد ممراً لقوافل الحج الشامي والمصري، وذلك بحكم موقعها الجغرافي بين هذه البلاد الحجاز حيث يقع الحرمان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة، فقد كانت قافلة الحج الشامي والقوافل التي تنضم إليها قادمة من آسيا الصغرى تدخل منطقة تبوك فتبدأ بحالات عمار، وهي مركز حدودي يدعى في الوقت الحاضر: حالة عمار؛ ويقع على الحدود الأردنية السعودية. ويعد هذا المركز الذي أصبح يمرور الزمن مدينة صغيرة، عن مدينة تبوك شمالاً حوالي ١٠٢ كم، وعن المدورة المركز الحدودي الأردني جنوباً حوالي ١٩ كم^(١). وقد كان المركز الحدودي بين الأردن والسعودية قبل حالة عمار هو: ذات الحاج التي كان يصلها المسافرون إلى تبوك قادمين من الحدود الأردنية^(٢). وقد أصبحت حالة عمار بعد إنشاء سكة حديد الحجاز إحدى محطات السكة، وأصبح الحجاج يصلون إليها بوساطة القطار بدلاً من الجمال^(٣).

وتصل طريق الحج بعد حالة عمار إلى ذات الحج (أصبحت تسمى ذات الحاج)، الواقعة جنوب حالة عمار على بعد ٣٠ كم، والتي تبعد عن تبوك ٨٤ كم. وتوجد في ذات الحج قلعة عثمانية، وقد أصبحت إحدى محطات سكة حديد الحجاز^(٤). أما المحطة التالية على طريق الحج من بلاد الشام إلى الحجاز فهي تبوك التي بنيت فيها أيضاً قلعة عثمانية، وأصبحت من محطات سكة الحديد^(٥).

وكانت قوافل الحج الشامي بعد تبوك تصل إلى قلعة المعظم التي أصبحت أيضاً من محطات سكة الحديد. وبالقرب من القلعة مركز المعظم التابع لمنطقة تبوك^(٦).

(١) حمود بن ضاوي القنامي: شمال الحجاز، ج ٢، ص ٤٦.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ق ١، ص ٣٦٩-٣٧٠؛ سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٩٦.

(٣) محمد ليب البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ٣٦٣.

(٤) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ق ١، ص ٣٦٩-٣٧١؛ محمد ليب البتنوني: المصدر السابق، ص ٣٦٣.

(٥) هشام محمد عجيبي: قلعة تبوك، مجلة أم القرى، س ١، ع ٢، ١٤٠٩هـ، ص ١٤١-١٤٣.

(٦) حمد الجاسر: المصدر السابق، ق ١، ص ٦٣-٦٦.

أما طريق الحج المصري فكانت تنطلق من القاهرة إلى السويس، وتعتبر شبه جزيرة سيناء بين رأس خليج السويس ورأس خليج العقبة، وتصل من هناك إلى العقبة نفسها، ومنها إلى حقل فالبدع، ثم تسير باتجاه الجنوب الغربي إلى عينونا، ومنها بموازاة ساحل البحر الأحمر إلى شرمة فتريم فالمويلح فضباء فالوجه ثم أملج^(١). وقد ظلت قوافل الحاج المصري تستخدم هذه الطريق حتى عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م حيث استبدلت بها طريق البحر من السويس إلى جدة، إذ أصبح الحاج يقدمون إلى الديار المقدسة بالسفن التجارية والشرعية^(٢).

وظلت طريق الحج الداخلية في منطقة تبوك مستخدمة منذ عصر صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر، باستثناء فترة مؤقتة هي تلك التي سبقت ضم المنطقة إلى حكم الملك عبد العزيز، وذلك خلال فترة صراع الحدود بينه وبين أمير شرق الأردن، الأمير عبد الله بن الحسين^(٣).

ولم يقتصر استخدام الطرق في منطقة تبوك على مرور قوافل الحج، ونقل الحاج، فقد استخدمت منذ القدم لنقل البضائع والمسافرين، فقد كانت تمر عبرها الطريق التجارية القديمة بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها، وكانت القوافل التجارية تمر بتيماء وتبوك إذا استخدمت الطريق الداخلية^(٤)، وبموانئ ساحل البحر الأحمر مثل عينونا وحقل وحوراء إذا استخدمت الطريق الساحلية^(٥).

وكانت تخدم حركة النقل المحلية داخل منطقة تبوك طرق تربط بين المراكز العمرانية الداخلية والساحلية، وتربط هذه المراكز بالطرق التجارية الرئيسة^(٦). وقد أصبحت موانئ ساحل

(١) مطلق البلوي: العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٥٢-٥٣، ٥٦؛ علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢١٢-٢١٥.

(٢) محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، ص ٢٣٥.

(٣) علي الطنطاوي: ذكريات، جدة، دار المنارة، ١٤١٨هـ، ج ٢، ص ٩٤؛ عبد الرحمن الأنصاري وآخرون: الإتصالات والمواصلات، مج ٢، ص ٦٤٢؛ الملك عبد العزيز آل سعود وسيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، مج ١٨، ص ٣٥٧.

(٤) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ٢٣٠؛ عبد الرحمن الطيب الأنصاري: لحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية، الدارة، ع ١، س ١، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص ٧٤-٧٥.

(٥) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، دراسة في الجغرافيا الإقليمية، ص ٣٧٢؛ سيد أحمد علي الناصري: الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالة، الرياض، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٤٠١-٤١١.

(٦) سليمان بن صالح الخضير المرجع السابق، ص ٣٧٢؛ علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥٩-١٦١.

المنطقة تمثل دور الناقل التجاري بين الموانئ المصرية والإفريقية الأخرى وجنوب الحجاز المراكز العمرانية الداخلية مثل العلا وتيماء وتبوك وأبناء البادية في المنطقة ومعان والكرك والعقبة، حيث كانت البضائع تنقل من الموانئ بواسطة الجمال عبر الطريق البرية إلى تلك المراكز^(١).

وإضافة إلى حركة النقل التجاري استخدمت الطرق في منطقة تبوك لهجرة بعض قبائل المنطقة إلى بلاد الشام ومصر والسودان^(٢).

وقد ظلت الجمال هي وسيلة النقل الرئيسية المستخدمة للنقل برّاً، بينما ظلت السفن الشراعية هي الوسيلة المستخدمة بحراً^(٣)، واستخدمت للنقل أيضاً سكة حديد الحجاز بعد افتتاحها عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م التي حد استخدامها كثيراً من استعمال الجمال في النقل. غير أن هذه الوسيلة الأخيرة استعادت أهميتها أثناء الحرب العالمية الأولى، وخاصة بعد تدمير أجزاء كبيرة من سكة الحديد أثناء الحرب^(٤).

وقد بدأت وسائل النقل التقليدية المتمثلة في الجمال والسفن الشراعية تتحول تدريجياً إلى الوسائل الحديثة المتمثلة في السيارات والسفن التجارية السريعة نسبياً، وقد ازدادت حركة النقل بالسيارات في أواخر عهد الملك عبد العزيز ليس في داخل منطقة تبوك وحسب، وإنما بين المنطقة وخارجها جنوباً وشمالاً وشرقاً^(٥).

وقد أحدث التحول الاقتصادي للمملكة العربية السعودية الذي نجم عن تصدير النفط نقلة نوعية في مجال النقل من حيث الوسائط والطرق، فالرحالة البريطاني هاري سانت جون فيلي كان يستخدم في تنقلاته عبر طرق منطقة تبوك سيارة لاندروفر تجر مقطورة، وقد سافر بها من تيماء إلى تبوك فضباء والمويلح والبدع والوجه وأملج. وقد اقترح فيلي شق طريق للسيارات بين ضباء وتبوك^(٦)، وطريق أخرى بين أملج والوجه وضباء والمويلح وحقل^(٧).

(١) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ١٥١-١٥٣.

(٢) عبد المعطي محمد سمسم: العلاقات بين شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين، ص ١٠-١١.

(٣) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ٢٣٠-٢٣١؛ علي إبراهيم غبان: المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٤) سليمان بن صالح الخضير: منطقة تبوك، دراسة في الجغرافيا الإقليمية، ص ٣٧٥.

(٥) محمد بن عبد الله الفريضة: حصاد السنين، ص ٣٠-٣١، ٣٥-٣٧؛ علي الطنطاوي: ذكريات، ج ٣، ص ٩٤.

(٦) هاري سانت جون فيلي: المصدر السابق، ص ١٩، ١٠٠، ١٤٩، ٢٣٢، ٤٣٥، ٥١٢، ٥١٥؛ عمر الفاروق السيد رجب: المدن الحجازية، ص ٣٤-٣٥.

(٧) ك. س. تويتشل: المملكة العربية السعودية وتطوراتها مصادرها الطبيعية، ص ١٦٣.

وكان بعض أبناء البادية، قبل شق الطرق البرية وتوضيح معالمها، يرشدون السيارات الحكومية في تنقلها بين المراكز الداخلية والساحلية^(١). ثم بدأت المنطقة، مع بداية مشاريع إنشاء الطرق البرية، تشهد حركة نقل بين المدن الداخلية، وبينها وبين مناطق الدولة الأخرى^(٢).

وبدأت صعوبات التنقل والسفر داخل المنطقة، وبينها وبين المناطق الأخرى في المملكة، ومع الدول المجاورة وخاصة شرق الأردن تخف تدريجياً، وذلك في آخر عهد الملك عبد العزيز عندما بدأ إنشاء الطرق الحديثة، ومما لا شك فيه أن هذه الطرق ساهمت في تعزيز وحدة الدولة السعودية، وقوت الروابط بين أبنائها^(٣).

هذا، وقد سعى الملك عبد العزيز لإعادة بناء سكة حديد الحجاز المارة بمنطقة تبوك لتسهيل حركة النقل على أبناء المنطقة وغيرهم، وأجرى العديد من الاتصالات في هذا الشأن مع الحكومة البريطانية ومع الأردن وسوريا، غير أن هذا المسعى لم يؤد إلى النتيجة المطلوبة^(٤). وكانت أسباب ذلك كثيرة ليس في هذه الدراسة مجال لذكرها.

(١) وثائق أسرة الشريف الوكيل المويحي من المويلح بمنطقة تبوك، إعداد علي بن عبد الرحيم الوكيل، وثيقة رقم (٢٨)، من أمير ضباء إلى مدير مركز المويلح بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٣٥٠هـ / ٢٦ يوليو ١٩٣١م.

(٢) عمر الفاروق السيد رجب: المدن الحجازية، ص ٣٦-٣٧.

(٣) ناصر بن محمد السلوم: النقل والمواصلات والاتصالات ودورها في تعزيز وحدة المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية في مائة عام، بحوث ودراسات، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، مج ١٤، ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٤) ك. س. تويتشل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، ص ١٦٤-١٦٥.

المعالم التاريخية والأثرية

تعاقبت على منطقة تبوك عبر تاريخها أمم وشعوب كثيرة ترك كل منها معالم وآثاراً في المنطقة، وقد حاول بعض المختصين الأجانب مسح المنطقة للتعرف على تلك المعالم والآثار، ومنهم وليام ريد (William Reed)، وفريد وينت (Fred Wiunett)، وهاري سانت جون فيلي وغيرهم، وقد دون بعضهم نتائج ما اكتشفه مثل فيلي الذي يعد كتابه (أرض مدين) حول منطقة مدين والحجاز من أهم الكتب والبحوث التي نشرت حول الموضوع^(١).

وقد ازداد اهتمام الرحالة والمستشرقين باستكشاف منطقة تبوك وما فيها من معالم تاريخية وأثرية بعد مد سكة حديد الحجاز، حيث أصبح الوصول إليها أيسر من ذي قبل. وقد جاب هؤلاء المستكشفون المناطق الممتدة من الحدود الأردنية في المدورة والعقبة حتى الوجه جنوباً على شاطئ البحر الأحمر، ومن هناك إلى خط طريق تبوك - تيماء شرقاً^(٢).

وقد تبين أن هذه المنطقة تضم العديد من المعالم التاريخية والأثرية، وخاصة في مدن المنطقة وموانئها وجزرها، وقد سبق أن تناولت هذه الدراسة في الفصل الأول أهم المدن والموانئ والجزر، وسيتناول هذا المبحث ما فيها وحولها من معالم تاريخية وأثرية.

وتعتبر بئر هداغ التي تقع في وسط محافظة تيماء من أبرز المعالم الأثرية في منطقة تبوك، وهي من أكبر الآبار وأشهرها في الجزيرة العربية. ويعود تاريخ هذا البئر - على الأغلب - إلى القرن السادس قبل الميلاد^(٣). ويبلغ قطر هذا البئر خمسين قدماً، وعمقها أربعين قدماً، وهي مطوية بالحجارة^(٤). وتعد مصدراً مهماً للمياه العذبة^(٥).

وقد وصف فيلي بئر هداغ فذكر أنها حفرة هائلة مستديرة تقريباً، ولها معين لا ينضب من الماء الذي يصل سطحه إلى حوالي ست قامات أسفل حافة البئر^(٦). وقد كان الماء يستخرج من

(١) عدنان الحديدي: الحاجة إلى مسح أثري شامل في مناطق شمال الجزيرة العربية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٣، ٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥.

(٣) محمد بن حمد السميّر وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ١٦٥.

(٤) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، الرياض، ٣٠٧-٣٠٨.

(٥) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٣٠٥.

(٦) هاري سانت جون فيلي: أرض مدين، ص ١٧٠-١٧١.

البئر بوساطة بكرات يسندها هيكل خشبي فوق الحافة، وتتدلى من البكرات حبال مربوطة بها قرب مختلفة الأحجام، مصنوعة من جلود الماعز والإبل، ويسحب الجمل هذه القرب إلى الخارج إلى أن تصل فوهاها إلى مستوى الأحواض المنشأة قرب البئر، فتصب الماء فيه^(١). وكانت هذه المياه المستخرجة من بئر هداج تستخدم للشرب وللري أيضاً، حيث كانت تنقل في قنوات صغيرة ضيقة، مبنية من الحجارة بصورة غير منتظمة^(٢).

ويدل على غزارة المياه التي كانت تستخرج من بئر هداج أن تسعة وتسعين جملاً كانت تسحب الماء في وقت واحد خلال الصيف.

غير أن هذا العدد كان يقل إلى سبعة وسبعين جملاً في مواسم الجفاف^(٣). وتحيط ببئر هداج من الجانبين الشرقي والغربي آكام صخرية، ومن الجهة الشمالية أرض سبخة، ربما كانت في الزمن القديم بحيرة صغيرة، وبعد جفافها أصبحت مملحة، أما الأرض الصالحة للزراعة التي تروى بماء البئر فتقع في الجهة الجنوبية التي تعد مجرىً للسيول^(٤).

ويعد سور مدينة تيماء من أبرز معالمها، ويحيط هذا السور بها من الجهات الغربية والجنوبية والشرقية، ويمتد أكثر من عشرة أكيال ليحمي الجهات الثلاث، أما الجهة الشمالية فتوجد فيها سبخة كانت توفر حماية طبيعية للمدينة^(٥). ويختلف عرض السور الذي يرجع تاريخ بنائه إلى منتصف القرن السادس قبل الميلاد من مكان إلى آخر، ويتراوح بين متر ومترين، بينما يبلغ ارتفاعه في بعض الأجزاء نحو عشرة أمتار، ويقل في بعضها الآخر إلى نحو متر واحد، وقد تم تشييده من الحجر والطين^(٦). وترتفع فوق السور أبراج للدفاع، مبنية من اللبن^(٧). ولسور تيماء في جهته الغربية بوابتان عرض كل منهما اثنا عشر متراً، وفي جهته الجنوبية

(١) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين ، ص ١٧١ ؛ حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٠٩.

(٢) هاري سانت جون فيليبي: المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٣) هاري سانت جون فيليبي: المصدر نفسه، ص ١٧١ ؛ حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٠٩.

(٤) حمد الجاسر: المصدر السابق، ص ٤٠٩.

(٥) محمد بن حمد السميير وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ١٦٣.

(٦) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، ص ٣٠٦.

(٧) حمد الجاسر: المصدر السابق، ص ٤٠٤.

بوابتان عرض كل منهما ما بين خمسة و عشرة أمتار، وفي جهته الشرقية بوابة واحدة يبلغ عرضها ثمانية أمتار ونصف المتر. وقد تم تشييد هذا السور خلال الفترة (٥٥٥ - ٥٣٩ قبل الميلاد)^(١)، وذلك في عهد الملك الكلداني البابلي نابونيدوس^(٢)، الذي اتخذ من تيماء عاصمة له.

والجدير بالذكر أن نابونيدوس - كما يعتقد بعض الباحثين - كان من اليهود المأسورين ببابل، وقد هرب إلى تيماء واحتبأ فيها مع عدد من اليهود الذين انتشروا في عدد من المناطق في الجزيرة العربية منها: تبوك ويثرب وخيبر، ثم عاد نابونيدوس إلى بابلون فوقع في قبضة الإمبراطور الفارسي قورش الذي أعدمه سنة ٥٣٩ قبل الميلاد^(٣).

وتعتبر مسلة تيماء من أبرز المكتشفات الأثرية في محافظة تيماء، ويرجع تاريخ هذه المسلة التي تسمى أيضاً (حجر تيماء) إلى القرن السادس قبل الميلاد، وقد عثر عليه الرحالة الفرنسي تشارلز هوبر سنة ١٨٨٤م، وتم نقله إلى متحف اللوفر في باريس^(٤). وكان حجر تيماء يشكل جزءاً من حجارة البناء التي استخدمت لبناء منزل يعرف باسم (بيت الطليحان).

ثم دمر المنزل أثناء الاقتتال بين أمراء المنطقة^(٥). وقد كتب نقش الحجر باللغة الآرامية، ويشير إلى "أن أحد الكهنة استقدم إلهاً جديداً إلى تيماء يدعى (صلم هجم)، فأنشأ لهيكل الإله المعبود وقفاً، وعين له كهانة وراثية، ولقد مثل الإله في زي الأشوريين، وظهر في أسفل النقش رسم الكاهن الذي شيّد هذا النصب"^(٦).

والجدير بالذكر أن مسلة تيماء منحوتة من الحجر الجيري، ويبلغ وزنها مائة وخمسين كيلو غراماً، أما أبعادها فهي ١١٠ سم طولاً، و ٤٣ سم عرضاً، و ١٢ سم سمكاً، ويتألف

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، ص ٣٠٦.

(٢) أحمد حسين شرف الدين: المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ص ٢٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٢-٢٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٣؛ هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ١٦٧؛ حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٣٥٥؛ محمد بن حمد السميّر وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ٢٨.

(٥) هاري سانت جون فيليبي: المصدر السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

(٦) حمد الجاسر: المصدر السابق، ص ٣٥٥.

النقش المكتوب عليها من ثلاثة وعشرين سطراً^(١).

ومن آثار تيماء أيضاً: قصر الحمراء، ويقع على تلة مرتفعة مشرفة على المدينة من جهة الغرب، وقد سمي قصر الحمراء بهذا الاسم لأن الحجارة التي شيد بها تميل إلى اللون الأحمر. ويتكون القصر من عدة أجزاء، فالأول يقع في شماله وكان مخصصاً للعبادة، وفي هذا الجزء معبد يعود تاريخه إلى فترة تشييد القصر خلال الفترة بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. وفيه أيضاً ثلاثة مذابح منحوتة من الحجر للقرايين. وعثر في داخل القصر على كتلة صخرية مكعبة الشكل عرفت باسم: حجر تيماء المكعب، وعلى هذا الحجر نحت بارز ذو وجهتين، يمثل أولهما رأس ثور يظهر بين قرنيه قرص الشمس، ويمثل الثاني ثوراً يتجه إلى اليسار ويحمل قرص الشمس بين قرنيه، وأمامه امرأة ترتدي ثوباً طويلاً، وتقدم طعاماً للثور. أما الأجزاء الأخرى من قصر الحمراء فعبارة عن غرف تهدم معظمها، ولم يبق منها إلا أساسات الجدران^(٢).

ومن آثار تيماء أيضاً قصر الأبلق الذي ينسب إلى السموأل بن حيا بن عادي الذي عاش في القرن السادس الميلادي، وهو عربي النسب، يهودي الديانة^(٣). وقد سبق تناول هذا القصر في الفصل الأول من هذه الدراسة.

ومن المعالم التاريخية والأثرية في منطقة تبوك قلعة تبوك التي ما تزال المعلم التاريخي الأبرز في المدينة، وقد أنشئت في العصر العباسي^(٤)، وأعيد بناؤها في عصر السلطان سليمان القانوني عام ٩٦٧هـ/١٥٥٩م، وجدد هذا البناء في عصر السلطان محمد الرابع عام ١٠٦٤هـ/١٦٥٣م، وجدد مرة أخرى في عهد السلطان عبد المجيد خان بن محمود سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م^(٥).

^(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، ص ٣١١.

^(٢) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المرجع السابق، ص ٣٠٦-٣٠٧.

^(٣) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، ص ٣٠٦-٣٠٧.

^(٤) محمد بن حمد السميّر وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ١٦٠.

^(٥) هشام محمد عجمي: قلعة تبوك، مجلة أم القرى، ص ١، ع ٢، ١٤٠٩هـ، ص ١٥٠؛ محمد بن حمد السميّر وآخرون: المرجع السابق، ص ١٦٠.

وقد وضحت أعمال تحديد القلعة في عصر السلطان محمد الرابع كتابات عثر عليها منقوشة على بلاطات خزفية موجودة فوق عقد المدخل^(١). أما تجديدها في عهد السلطان عبد المجيد فيوضحه نقش فوق محراب مسجد القلعة^(٢). وكان آخر تجديد لعمارة القلعة في عهد الملك عبد العزيز عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م^(٣).

وتتكون قلعة تبوك من ثلاثة طوابق بنيت من الحجر المشذب، وتحيط بفناء مستطيل الشكل، يبلغ عرضه عشرة أمتار وطوله واحد وسبعون ومئة متر. وتطل الحجيرات على الفناء من الجهات الأربعة، وتتوسط الفناء بئر للمياه. وكان العسكر يقيمون في الطابق الأول، ويصلون في المسجد الذي يقع في الطابق الثاني^(٤).

وقد اقتطع من فناء قلعة تبوك جزء صغير لاستخدامه سجنًا، بينما أنشئ فوق الطابق العلوي برج للحراسة والمراقبة^(٥).

وتأتي بعد قلعة تبوك شهرة وأهمية كموقع تاريخي: عين السكر التي يرتبط تاريخها بغزوة تبوك التي قادها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد كثر بها الماء بعد أن غسل - صلى الله عليه وسلم - وجهه فيها، وكان معسكر الجيش في تلك الغزوة قد بني حولها^(٦).

وكانت عين السكر تتدفق في بركة صغيرة محاطة بسور من الحجر، وهو سور دائري فيه فتحة من الجهة الغربية تسمح للماء بالتدفق منها إلى خزان مسور، ومنه يسيل الماء إلى أرض مزروعة نخيلاً. ويوجد في الناحية الشمالية من البركة الرئيسية خزان آخر مخصص لسحب مياه الشرب، وقد يستخدم لري النخيل أيضاً^(٧). والجدير بالذكر أن عين السكر لم تعد كما كانت في السابق دفاقة غزيرة المياه، فقد ذكر الشيخ حمد الجاسر الذي زار المنطقة عدة مرات

(١) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ١٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٤.

(٣) هشام محمد عجيبي: قلعة تبوك، مجلة أم القرى، س ١، ع ٢، ١٤٠٩هـ، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٤) هشام محمد عجيبي: المقالة السابقة، ص ١٤٢-١٤٩.

(٥) هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ٢٣٧.

(٦) محمد بن حمد السميير وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ١٦٢.

(٧) هاري سانت جون فيليبي: المصدر السابق، ص ٢٣٤.

خلال الفترة ١٣٦٧ - ١٣٩٠هـ أن مياها نضبت .

ومن المواقع الأثرية المهمة القرية من تبوك: معبد روافة، الذي يقع إلى الجنوب الغربي منها على بعد ١١٥ كم، وهو معبد قديم فيه كتابات نبطية ويونانية

يرجع تاريخ بعضها إلى سنة ١٦٥م^(١). وقد تمت إقامة هذا المعبد على يد الرومان بعد احتلالهم دولة الأنباط عام ١٠٦م بنحو نصف قرن^(٢). وقد وجد على واجهة المعبد نقش إغريقي تنص ترجمته على ما يلي: "خلال الحكم الأبدي القوي لحكام الأرض المؤهلين: أغسطس الشديد العظمة قاهر الأرمان، ومالكوس أوليوس أنطونيوس، وتوسيوس أوريلوس فيروس الأب الروحي الكبير أقام الشعب التيمائي هذا المعبد عن أمر واقتناع كرنثيوس أنتيس دموس.."^(٣).

وأبرز الآثار الأخرى في تبوك هي مسجد الرسول-صلى الله عليه وسلم- الذي بني في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز^(٤) من الطين، وسقف بجريد النخل، وظل كذلك حتى جدد بناؤه في عام ١٠٦٢هـ/١٦٥١م، وهو الذي أصبح معروفاً باسم مسجد التوبة. ويقع هذا المسجد في قلب سوق تبوك^(٥).

وتقع البدع التي كانت تعرف باسم مدين في وادي عفال^(٦)، حيث تحتل سهلاً يتصل بالوادي المتفرع من وادي الأبيض وينتهي بالجانب الشرقي من خليج العقبة، وتبعد عن تبوك ١٦٠ كيلومتراً^(٧). وقد كانت البدع من أهم المدن في مملكتي مدين وأدوم، وهما من الممالك العربية التي ظهرت خلال الفترة من الألف الثاني قبل الميلاد حتى منتصف القرن الأول قبل الميلاد.

(١) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٥١٨.

(٢) أحمد حسن شرف الدين: المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ص ٢٨؛ حمد الجاسر: المصدر السابق، ص ٥١٨، ٥٣٧.

(٣) أحمد حسن شرف الدين: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٤) حمد الجاسر: المصدر السابق، ص ٤٣٦.

(٥) محمد بن حمد السميّر وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ١٦٢.

(٦) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، ص ٣١١.

(٧) أحمد حسن شرف الدين: المرجع السابق، ص ٢٦.

وكانت البدع إحدى المحطات الرئيسية على طريق التجارة بين جنوبي الجزيرة العربية والشمال، وقد شهدت ازدهاراً اقتصادياً وحضارياً كبيراً في عهد الأنباط^(١).

وتكثر في البدع الآثار النبطية، وخاصة الأضرحة المنحوتة في الصخر^(٢). وتقسم هذه المدافن التي تقع على الضفة الغربية لوادي عفال إلى أربع مجموعات: تضم الأولى واجهة لمقبرة واحدة، وتضم الثانية سبع مقابر، والثالثة خمس مقابر، والرابعة ثلاث مقابر، ويطلق على هذه المقابر اسم: مقابر شعيب، أو مغاير شعيب^(٣).

ويوجد في البدع موقع لمدينة إسلامية من الفترة المبكرة تقع على الضفة الشرقية لوادي عفال، ويحتوي هذا الموقع على بقايا مدينة تمتد لمسافة ٥٠٠م، وتنتشر فيه الكثير من كسر الأواني الزجاجية والخزفية التي يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين القرن الأول والقرن الخامس الهجريين / السابع والحادي عشر الميلاديين. وقد اندثرت هذه المدينة الإسلامية في أعقاب توقف طريق الحج البري القادم من مصر نتيجة لاستيلاء الصليبيين على ميناء أيلة (العقبة)^(٤). وتعرف المدينة الإسلامية المذكورة محلياً باسم (الملقطة)^(٥).

وتكثر في البدع الرسوم الصخرية والنقوش الكتابية التي ترجع إلى فترات تاريخية متعاقبة، وتمثل بعض الرسوم: الأسود والأبقار والوعول والجمال، والطيور كالنعام، وهناك أيضاً رسوم آدمية. أما النقوش فكثير منها بالخط الكوفي، إضافة إلى مجموعة من النقوش اللحيانية والثمودية^(٦) ومن المعالم الأثرية في البدع أيضاً: ديسة البدع، وهي مستوطنة إسلامية تحتوي على بقايا أساسات وجدران مبان متهدمة، وبركة، وقنوات ماء. وبئر السعيدني، وهي بئر محفورة في الصخر، وبقايا لثلاث برك تم تشييدها من الحجارة، ومخصصة من الداخل. هذا إضافة إلى آثار

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، ص ٣١١.

(٢) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٥٣.

(٣) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المرجع السابق، ص ٣١٢؛ أحمد حسن شرف الدين: المدن والأماكن الأثرية، ص ٢٧.

(٤) عبد الرحمن الطيب الأنصاري ومجيد خان ومحمد بن حمد السميز: البدع تاريخها وآثارها، الرياض، وكالة الآثار والمتاحف، ٢٠٠٢م، ص ٤١-٤٢.

(٥) علي إبراهيم غبان: المرجع السابق، ص ٥٣.

(٦) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المرجع السابق، ص ٤١-٤٢.

البرج والرديدة، وهي عبارة عن أساسات مبان ومنشآت سكنية مبنية من الحجارة الكلسية والجرانيتية والبازلتية على قمة هضبة صغيرة تقع على بعد ستة كيلومترات إلى الجنوب من محافظة البدع. وقد عثر في الموقع أيضاً على كسر فخارية مدينية^(١).

ومن آثار منطقة تبوك: قرية، التي تعد من أهم المواقع الأثرية في المنطقة، وتقع قرية إلى الشمال الغربي من تبوك بحوالي ٧٦ كيلومتراً، ويحيط بها سور ضخمة ذو دعامات وأبراج، وفي داخله مبان ومنشآت حجرية. وفي قرية أيضاً آثار لشبكة ري معقدة ومتقنة، ومواقع لتخزين المواد الزراعية، وأفران لصناعة الفخار، ومعبد حوله بعض الأكوام الحجرية. ويرجع تاريخ قرية إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد^(٢). وقد عثر فيها على نقوش ثمودية ونبطية وكوفية^(٣).

وتعد القلاع الواقعة على طريقي الحج المصري والشامي من أبرز المواقع التاريخية في منطقة تبوك، ومن هذه القلاع: قلعة الأزمن الواقعة على بعد ٤٥ كم جنوب مدينة ضباء، وتسميتها الأزمن إنما هي تسمية محلية عرفت القلعة بها عند سكان المنطقة، أما اسمها الصحيح الذي ترد به في المصادر فهو (الأزمن) باللام. وقد أنشأها السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون. وأعيد بناؤها في عهد السلطان المملوكي قانصوه الغوري سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م^(٤).

وتعد قلعة الأزمن القلعة المملوكية الوحيدة على طريق الحج المصري، وهي مربعة الشكل، طول ضلعها أربعون متراً، ولها أبراج فيها فتحات. ويقع مدخلها في الضلع الشمالي الشرقي. وتتكون من فناء أوسط تفتح على ضلعين من أضلاعه حجرات مستطيلة مسقوفة بأقبية، وعلى الضلع المقابل لمدخل القلعة إيوان كبير. والقلعة مبنية بالحجر الجيري المشذب، وإلى جوارها بئران مطويتان^(٥).

وتتكون أبراج القلعة من الداخل من مستويين: أرضي وعلوي، والأرضي مسقوف بقبة ضحلة، أما العلوي فذو شكل مثنى فيه ثلاث فتحات كبيرة للمدافع. ويمكن الوصول إلى

(١) محمد بن حمد السميّر وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ١٦٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٧٣.

(٣) أحمد حسن شرف الدين: المدن والأماكن الأثرية، ص ٢٩.

(٤) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، ص ٣١٣.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣١٣.

المستوى العلوي بواسطة ممشى يدور على جدران القلعة من الداخل^(١).

ومن معالم منطقة تبوك قلعة ذات الحاج الواقعة على بعد ٨٤ كم شمال تبوك، وذات الحاج أو (ذات حج) كانت منزلاً من منازل طريق الحج الشامي، وكانت تتوافر فيها المياه من أحساء غير عميقة^(٢). وقد بنى القلعة فيها السلطان العثماني سليمان القانوني، وهي قلعة صغيرة في داخلها عين ماء عذب، وحولها بركتان: كبيرة وصغيرة، وتحيط بها أشجار نخيل^(٣). والقلعة مستطيلة الشكل، تبلغ أبعادها: ٢٣.٥٠ متراً لكل من ضلعها الشمالي والجنوبي، و ٢٢ متراً لكل من ضلعها الشرقي والغربي، ويبلغ ارتفاع جدرانها الخارجية ١٠.٢٥ أمتار. ويقع مدخلها في منتصف ضلعها الغربي تقريباً. ويؤدي المدخل إلى فناء متوسط تحيط بها حجرات^(٤).

ويوجد على واجهة القلعة نقش يؤرخ لبناء القلعة أو ترميمها بعام ٩٧١هـ/١٥٦٣م، ونقش آخر يشير إلى تجديد عمارتها وعمارة البركة سنة ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م^(٥).

ويقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة تبوك منزل من منازل الحج الشامي اسمه (المعظم)، وقد سمي كذلك باسم السلطان الأيوبي الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل بن أيوب الذي أنشأ في الموقع بركة كبيرة، وهي أكبر بركة ما تزال باقية، وقد تم ترميمها سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م في عهد السلطان المملوكي أشرف شعبان^(٦).

وتقع بجوار بركة المعظم قلعة أنشئت في عهد السلطان العثماني عثمان الثاني سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، وهي قلعة مربعة، ولها أبراج دائرية في كل ركن من أركانها، ويتكون داخلها من فناء يحيط به دوران من الحجرات^(٧). كما توجد قرب القلعة بئران مطويتان، وثلاثة

(١) عبد المنعم رسلان: الأزمنه خاناً وبرجاً، مجلة البحث العلمي، ع ٤، ١٤٠١هـ، جامعة أم القرى، ص ٣٦٧-

٤١٠ ؛ علي ابراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٤٣.

(٢) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٤٥.

(٣) حمد الجاسر: المصدر السابق، ص ٤٤٥.

(٤) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، ص ٣١٣.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣١٣. ؛ علي ابراهيم غبان: المرجع السابق، ص ١١٥-١١٦.

(٦) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المرجع السابق، ص ٣١٣ ؛ هاري سانت جون فيليبي: أرض مدين، ص ١٩٦.

(٧) عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: المرجع السابق، ص ٣١٣-٣١٤.

مبان لسكة الحديد^(١).

وتعد قلعة الوجه أو قلعة الزريب وهو الاسم الذي أصبحت تعرف به من أهم الآثار الإسلامية في منطقة الوجه، وتقع القلعة على بعد عشرة كيلومترات إلى الشرق من مدينة الوجه، وهي قلعة عثمانية، شيدت من الحجر الجيري المشذب على شكل مستطيل يبلغ طول كل من ضلعها الشرقي والغربي ٥٥.٣٠ م، وطول ضلعها الشمالي والجنوبي ٥١.٣٠ م، وفي كل ركن من أركانها برج، ويقع مدخلها في ضلعها الغربي، ويفضي هذا المدخل عبر دهليز إلى فناء تحيط به الحجرات من جميع الجهات. وعلى الضلع الشرقي للفناء وحدتان سكنيتان إحداهما صغيرة تتكون من حجرتين، والأخرى كبيرة متهدمة تتكون من أربع حجرات^(٢).

ويوجد في الجهة الشمالية لفناء قلعة الزريب بئر ومسجد، وسبع حجرات صغيرة متجاورة لكل منها باب مستقل، يبدو أنها كانت سكناً للجنود. وبجوار هذه الحجرات ثلاث حجرات أخرى تفتح كل منها على الأخرى. وللقلعة مئذنة بجوار مدخلها^(٣).

ويرجع تاريخ بناء قلعة الزريب إلى القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، ويرجح بعض الباحثين أنها بنيت عام ١٠٢٦هـ / ١٦١٧م^(٤).

وقد أشار الرحالة المسلمون إلى قلعة الزريب، ومنهم كبريت الذي مر بها في مطلع عام ١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م، إذ ذكر أن فيها "قلعة لطيفة، فيها بئر، وخارجها بئران، وكلها مطوية"^(٥)، وذكر العباسي أنها "حصن حصين في جوف واد كبير، يخرج من بين جبلين"^(٦). وأشار الخياري إلى موقعها بين الجبال بحيث لا ترى إلا عند الوصول إليها، فقد وصفها بقوله: "قلعة صغيرة قائمة البناء، غير ظاهرة الإشراف والسَّناء"^(٧).

وهناك مواقع مهمة أخرى في منطقة الوجه مثل موقع القصير، وهو على بعد ٤٥ كم جنوب مدينة الوجه قرب مصب وادي الحمض، وهذا المعبد عبارة عن معبد نبطي الطراز، مبني بالحجر المشذب، ويظهر من المعبد بقايا أعمدة بديعة الصنع، وكرانش تزين مداмик الجدران

(١) محمد بن حمد السميز وآخرون: آثار منطقة تبوك، ص ١٨٦.

(٢) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ٦٤-٦٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٧-٦٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٨٥-٩١.

(٥) محمد بن عبد الله الحسني المدني: رحلة الشتاء والصيف، ص ١٦.

(٦) عبد الله بن محمد العياشي: رحلة العياشي - ماء الموائد، فاس، د.ن، ١٣١٦هـ، ج ١، ص ١٧٤.

(٧) إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني: تحفة الأديباء وسلوة الغرباء، ج ٣، ص ١٩٧.

تظهر من بين الرمال^(١).

وتوجد في منطقة الزريب أحد عشر بئراً قديمة يقع معظمها إلى الشرق من قلعة الزريب^(٢)، وقد طويت جميعها بالحجر الجيري الأبيض، وكان طيها على شكل مداميك دائرية تبدأ من الصخر الذي ينبع الماء من تحته، وترتفع نحو متر عن سطح الأرض، وهذه الآبار هي: بئر المويلحية^(٣)، وبئر المقدمة الجنوبية، وبئر المنصورة^(٤)، وبئر العمارة^(٥)، وبئر البخارية، وبئر العجوة^(٦)، وبئر الشادوف، وبئر التدلاوي^(٧)، وبئر المقرونة^(٨)، وبئر القلعة^(٩).

وهناك معالم تاريخية وأثرية مشهورة تتبع منطقة تبوك، منها مقنا التي تقع بالقرب من مدخل خليج العقبة بين حقل والشيخ حميد وتبعد عن واحة البدع إلى الغرب منها ٣٥ كم، ففي مقنا آثار مدينية فوق ربوة تطل على البحر، وكذلك آثار إسلامية. ويعد جبل العوايشة الذي يبعد خمسمائة متر جنوب مقنا على ساحل البحر من أهم المواقع الأثرية هناك^(١٠).

وهناك أيضاً عينونة التي تقع على بعد مائة كيلومتر شمال ضباء، وهي من مواقع الاستقرار القديمة في منطقة تبوك، وبها آثار نبطية وإسلامية مبكرة. ومن المواقع الأثرية في عينونة: جبل صفراء، وجبل عريق، والمسيوق، والقببية^(١١).

(١) علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ٢١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٨.

(٣) عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة، ج ٢، ص ١٣٩٧.

(٤) عبد الله بن محمد العياشي: ماء الموائد، ج ١، ص ١٧٤؛ علي إبراهيم غبان: بحوث في التاريخ والآثار، ص ٤١-٤٣.

(٥) عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٩٧.

(٦) علي إبراهيم غبان: المرجع السابق، ص ٤٥.

(٧) المرجع نفسه، ص ٤٦-٤٨.

(٨) عبد الله محمد بن محمد الحياحي العبدري: الرحلة المغربية، ص ١٦١.

(٩) محمد بن عبد الله الحسن المديني: رحلة الشتاء والصيف، ص ١٦؛ عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٨٠.

(١٠) علي إبراهيم غبان: المرجع السابق، ص ٣٦.

(١١) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي: الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٩ م، ص ٣٠٧؛ عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون: البدع، تاريخها وآثارها، ص ٤٥-٤٨.

وتزخر مدينة ضباء بالعديد من المعالم التاريخية التي يعد السوق القديم الذي يقع في نقطة متوسطة من الحي الساحلي، ويتكون من مجموعة محلات تحيط بمنطقة واسعة خالية من البناء، وقد كانت هذه المنطقة الخالية مناخاً لجمال البادية التي تجلب إلى السوق: الأغنام والسمن والفحم والخطب، وتحمل منه الحبوب، والقهوة، والملابس، والعطارات والبهارات. وقد كانت هذه السوق القلب النابض للمدينة القديمة^(١).

ويقع في ضباء أيضاً معلم تاريخي مهم آخر هو المسجد الجامع الذي يعود تاريخ بنائه إلى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وقد بني في منطقة السوق على شاطئ البحر قرب رصيف الميناء. وهناك أيضاً مسجد صغير يسمى مسجد الزاوية، يقع في الطرف الشرقي للحي الساحل، على تلة تشرف على شرم ضباء المعروف باسم (الكراع)^(٢).

والجدير بالذكر أن منطقة تبوك تزخر بالمعالم الأثرية والتاريخية، ولا يكاد يخلو من هذه المعالم أي موقع من مواقعها الداخلية أو الساحلية. وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا الحشد الكبير من المعالم كان نتيجة لموقع المنطقة المتوسط بين مواطن الحضارات القديمة وعلى دروب الحج في العصر الإسلامي^(٣).

ولعل واحداً من أهم الأسباب التي أدت إلى استيطان منطقة تبوك منذ أقدم العصور هو وجود خامات الذهب والفضة والنحاس والحجر الصابوني فيها^(٤) وقد وجدت مناجم الذهب والفضة في المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشرق من البدع وعينونة وضباء وغيرها، وأنشئت في تلك المواقع مستوطنات تعدينية، وخاصة قرب الوجه^(٥)، وشرق مدينة ضباء، وقرب مدينة أملج^(٦).

(١) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٧١-٢٧٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٧٥.

(٣) أنطونان جوسين ورفائيل سافيناك: رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية، ج ١، ص ٦٧- وما بعدها؛ أطلال، ع ٧، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، ص ٤٣-٥٣.

(٤) أطلال، ع ٧، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية ص ٦٠-٦٤.

(٥) أحمد بن واضح اليعقوبي: البلدان، ص ٩٩؛ محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٩٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٦) حمد الجاسر: المعادن القديمة في بلاد العرب، العرب، ع ٩، ص ٢، ربيع الأول ١٣٨٨هـ/ يونيو ١٩٦٨م، ص ٧٩٨-٨٤٦.

الخاتمة

تناول هذا البحث منطقة تبوك في عهد الملك عبد العزيز خلال الفترة ١٣٤٤-١٣٧٣هـ/١٩٢٦-١٩٥٣م، وهي فترة دقيقة من تاريخ المنطقة، حافلة بالأحداث الجسام المتلاحقة، وخاصة أنها أي المنطقة ذات موقع متوسط بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر، وهو موقع استراتيجي كانت تمر عبره طرق التجارة بين الجنوب والشمال وكذلك طرق الحج، إضافة إلى تحكمه عسكرياً بسواحل البحر الأحمر، حيث ازدادت أهميته من هذه الناحية بعد شق قناة السويس وافتتاحها أمام الملاحة بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب.

وقد استقطبت منطقة تبوك عبر تاريخها أنظار الدول المتزامنة والمتعاقبة على مر العصور، إذ كانت أهميتها تجتذب العسكريين للسيطرة عليها من أجل تأمين طرق التجارة لدولهم، ولذلك خضعت على سبيل المثال لا الحصر للبابليين والأنباط والرومان والبيزنطيين في العصور القديمة، وحاول الأشراف بمساعدة بريطانيا إخضاعها في العصور الحديثة، غير أن الملك عبد العزيز آل سعود عمل على إبقاء المنطقة التي تشكل الشمال الغربي لبلاد الحجاز ضمن هذه البلاد، وعدم سلخها عنها، باذلاً كل الجهود السياسية والعسكرية التي مكنته من ذلك، محققاً النجاح في توحيدها مع باقي أنحاء شبه الجزيرة العربية التي أصبحت تعرف باسم (المملكة العربية السعودية).

لقد مرت منطقة تبوك قبيل ضمها لحكم الملك عبد العزيز بفترة عصيبة، فقد كانت سياسياً تخضع لحكم الدولة العثمانية التي أصبحت في أواخر عهدها دولة ضعيفة غير قادرة على توفير الأمن والاستقرار الضروريين للتقدم والازدهار، وكانت قوافل الحجاج خلال تلك الفترة تتعرض لكثير من المخاطر على أيدي

بعض القبائل البدوية التي امتهنت الغزو والسلب والنهب، ولم تكن حال المنطقة أفضل في عهد الهاشميين، وهم من اعتمدوا في تحركاتهم الهادفة إلى توحيد بلاد العرب وإحياء الخلافة الإسلامية على المستعمرين الإنجليز، فقد كانوا يتبعون سياسة مناقضة تماماً، وهي سياسة (فرق تسد).

وعمل الملك عبد العزيز آل سعود بعد ضم منطقة تبوك إلى حكمه على تطوير المنطقة في مختلف المجالات، وذلك بعد أن وفر أسباب ذلك؛ وأهمها الأمن والاستقرار، ولذا بدأت المنطقة منذ أوائل عهده تشهد تقدماً في مجالات التعليم، والصحة، والزراعة، والنقل، والتجارة، وغيرها. ويمكن القول إن منطقة تبوك بدأت منذ أوائل عهد الملك عبد العزيز تشهد - في مجال التطور والازدهار - ما لم تشهده من قبل عبر تاريخها الطويل، وقد هيأ لها ذلك - إضافة إلى موقعها -

ما تزخر به من معالم أثرية وموانئ على امتداد ساحلها على البحر الأحمر، وجزر استراتيجية، وخاصة جزيرة تيران التي ازدادت أهميتها العسكرية بعد تمكن القوى الصهيونية من احتلال فلسطين وكان من مظاهر التطور الذي شهدته منطقة تبوك تنظيمها إدارياً، حيث أصبحت مدنها ومراكزها العمرانية إمارات يديرها أمراء معينون من قبل السلطة المركزية، وانتشرت فيها الأجهزة الأمنية والمحاكم الشرعية، ومكاتب البرق والبريد، والمؤسسات الجمركية والبلدية. ولم تلبث المنطقة أن حققت نهضة ملحوظة في مجالات توطين البدو، والتعليم، وحققت نهضة زراعية وصحية، وأصبحت تتوفر على طرق ووسائل حديثة للنقل.

لقد حاولت هذه الدراسة تناول تاريخ منطقة تبوك في عهد الملك عبد العزيز، وتغطية جوانب هذا التاريخ السياسية والعسكرية والحضارية، غير أن هذا البحث الذي اقتصر على فترة محددة، لم يغط تفصيلات تاريخ المنطقة عبر العصور السابقة، ولذلك لا بد من تناول تاريخها في العصور القديمة، ويقترح البحث لهذه الغاية إجراء دراسات متخصصة عميقة حول: منطقة تبوك في عصور ما قبل التاريخ، ومنطقة تبوك في عهد الأنباط، ومنطقة تبوك في صدر الإسلام، ومنطقة تبوك في العهد العثماني، ومنطقة تبوك في العهد السعودي وهذه العناوين التي يوصي بها البحث، إضافة إلى عناوين أخرى يمكن أن تتمحور حول الآثار، ليس من شك في أنها إذا ما تمت، ستجلب الكثير من الحقائق التاريخية والحضارية، وستكشف تفاصيل مهمة من تاريخ منطقة تبوك، وما تكتنزه من معالم وآثار خلقتها الأمم المتعاقبة على أرضها عبر الزمن.

الملاحق

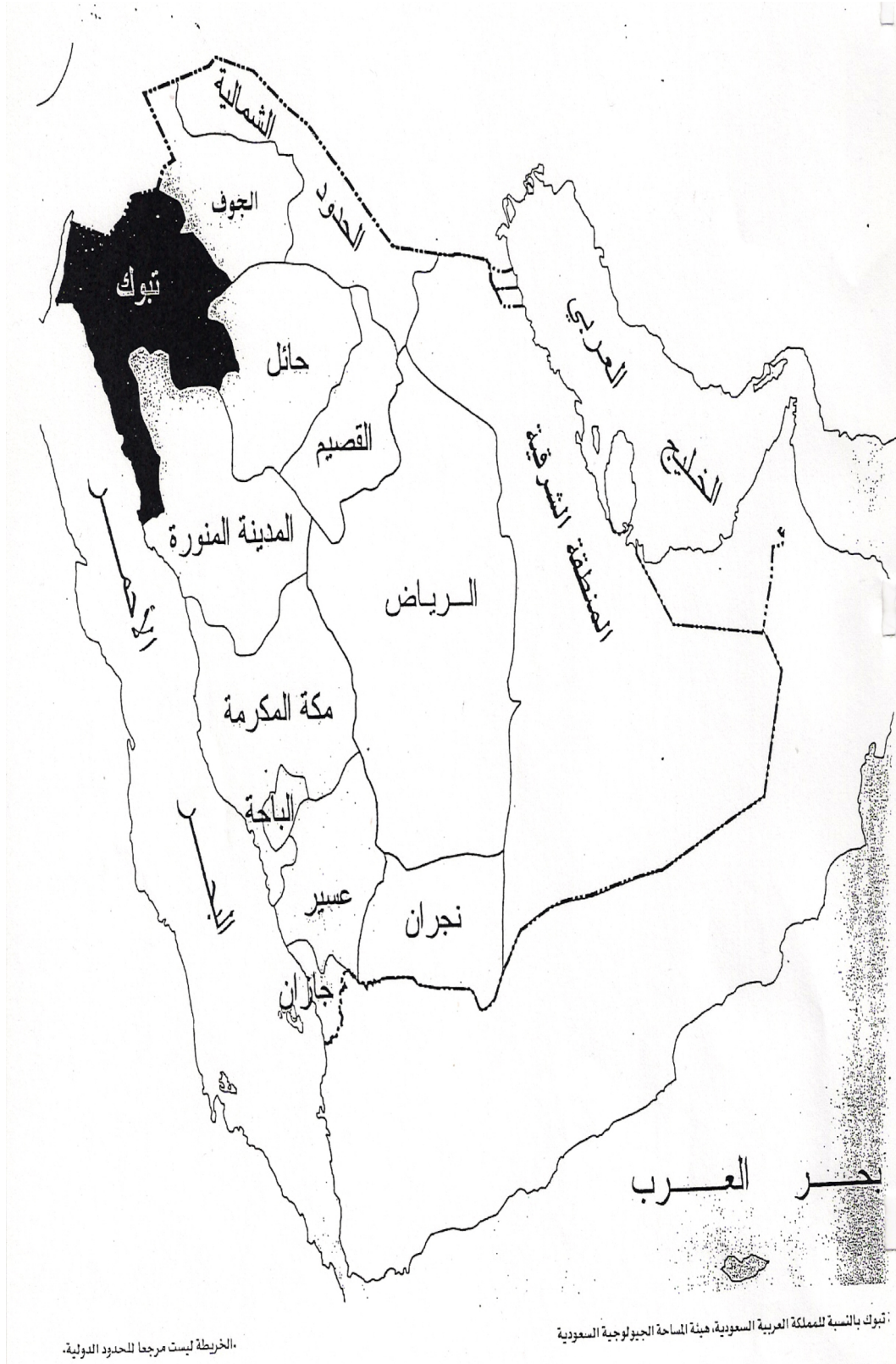
_ الوثائق.

_ المصادر والمراجع.

_ الفهرس

الوثائق

خريطة منطقة تبوك (٥)



(٥) محمد بن حمد السميّر وآخرون : آثار منطقة تبوك ، ص ٢٠ .

من رسائل الملك عبد العزيز (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن ال فيصل الى جناب الاخ المكرم الافخم عبدالله بن محمد ال عقيل سلمه الله تعالى وابقاه امين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم احوالنا بحمد الله جميله من قبل اخبارنا الحمد لله تسرّم نعرفكم بما من الله على المسلمين في ١٩ جمادى الاولى فتح الله المدينه على يد الابن محمد وبعد ما فتحها الله ذهبت قوة الشريف واتباعه وصار معهم رهب عظيم وطاحت^(١) العلا والوجه وتبوك والحجر على الابن محمد وامنهم وقبض جميع المهمات والقوات التي عندهم وبعد ذلك صار بيننا وبين بعض القواد الذي^(٢) في جده بعض اخباره وعزّنا على الهجوم على جده وفي هذا^(٣) الاثناء خرجنا الى الموقع الذي فيه مخيم الأخ عبدالله والابن فيصل ووافقنا مندوب المعتمد الحكومة^(٤) بريطانيا في جده وعرفنا ان الحالة حرجة في جدة ويخشى من فتنه تصير على رعاياهم ورعايا الدول الاجنبية وبموجب ذلك^(٥) احببنا مراجعتكم خوفا من المضار التي تتولد من ذلك^(٦) واحببنا عرض وساطتنا عليكم وذلك^(٧) لا يمس شرفكم ونتعهد بجميع الموجودات والمهمات الحربية تسلم لكم فقط اذا تفضلون باصدار عفو عام على جميع المجرمين الموجودين في جده وتسمحون لعل^(٨) بترك ما يخصه له فقط الذي ليس للحكومة من شيء منها ولا تعلق بها ولما رأينا^(٩) ذلك موجب محبتنا للسلم وعدم سفك الدماء وما هو حال باهل جده من الضعف والضييق وخوفا من حدوث فتنه يحصل منها مضرة على الرعايا الاجنبية لهذا اجبناهم على ذلك^(١٠) وحال التاريخ سلمت جده وينبع وقبضنا جميع المهمات التي فيها من اسلحة ومدافع ورشاشات وطائرات ودبابات ومراكب بحرية وجميع الذخائر العائده^(١١) للحكومة وسافر على^(١٢) من جده والعسكر تفرقوا كلا لمحله والبلاد الحمد لله جرة^(١٣) فيها العدالة والأمنية والاطمئنان والحقيقة ان المدينه وجده وينبع يرثا^(١٤) هن مما جرى فيهن من الظلم والظنك ولكن الله سبحانه وتعالى حلیم لا يخشى الفوت^(١٥) والظالم من ظلم نفسه واساء الى عباد الله نرجو الله ان ينصر دينه ويعلى كلمته وياخذ بنواصينا عن موجبات غضبه ويعافينا مما ابتلاهم ويوزعنا شكر نعمه ولا يكلنا الى انفسنا طرفه عين فلما رأينا^(١٦) ما من الله احببنا بشارتكم بذلك^(١٧) هذا ما لزم تعريفه ودمتم محروسين والسلام ١٠ ج ١٣٤٤/٢

(٥) عبد الرحمن بن سبيت السبيت وآخرون: من وثائق الملك عبد العزيز، ص ٢٥٢.

(*) خطاب من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم إبراهيم النشمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ديوان جلالة الملك

عدد ١٠١

في ١٩ سلك سنة ١٣٤٦

من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم إبراهيم النشمي
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أخا أفاضل عن خاتمتكم أحوالنا من كرم الله جليلة واحسانا ساء ولم يحدث
ما يوجب الأذى سوى دأب الحذر والعافيه بعد واصلكم بطيه خطين واحد لمحضر سلطان بالوجه
والثاني لعبه بن محمد بن عقيل بفضا والخطوط ~~التي~~ للكفايه حال وصبر من يسكنهم
في أسرع واحفظ طريقه الذي توصلوا اليهم بأيديهم ونحرص على ذلك غاية ما يكون ونعرفنا
سرليا وبالله ثم بك الكفايه والله دس

٦٨٨

(*) مكتبة الملك فهد الوطنية.

خطاب من نائب جلالة الملك إلى أمير المقاطعة الشمالية (*)

الملك عبدالعزيز بن سعود
علا

الرقم : ١٦٩٩

التاريخ : ١٦٩٩

الموضوع : عدم السماح بدخول أي شخص مالم يكن بيده وثائق
تصرح له بالدخول

حفظه أدام أمير المقاطعة الشمالية

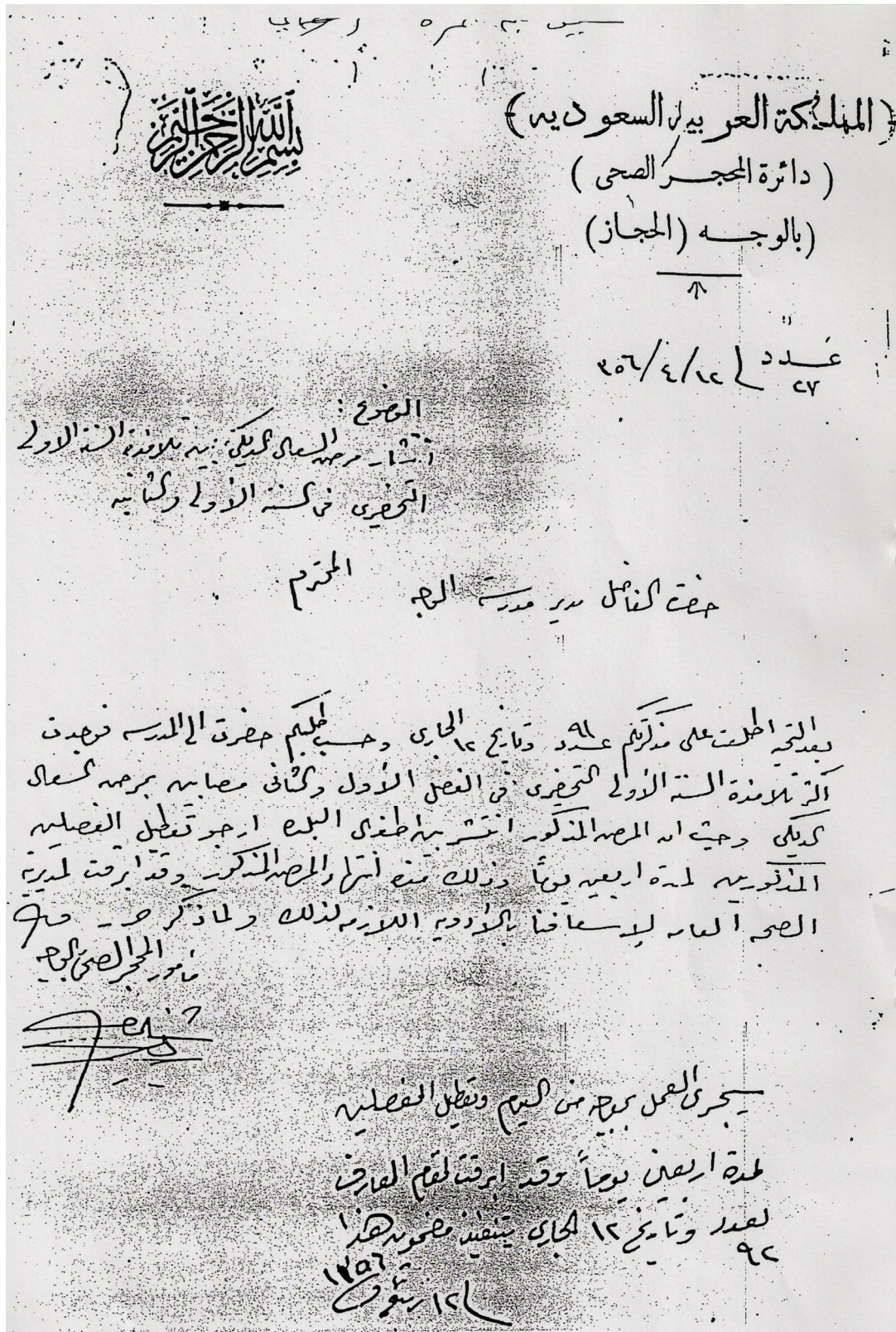
تقدمت مديرية الاسم العام بكتاب لخطفت فيه لثمة قدوم السجانب الى هذه البلاد في
السنوات الماضية وابتدأت في تحصيل قديمهم . وبما ان ذلك الاقتراح الوزارة
الخاصة بليبيا له مطالعة في حوزة اجابت بذكره رقم ٥٦ لسنة ١٣٤٠ في ١٦/٥/١٣٤٠ بانظر
انه مما يخفف ذلك اموراً منه ضمن اصدار التعليمات الى كافة المراكز على الحدود وبالاخص في
الجنوب بالتشديد من عدم السماح لأي شخص في الدخول الى هذه البلاد مالم يكن حاملاً لوثائقه
مصرح له بالدخول فيلزم حيث انتقد واقفا على هذا الرأي لما فيه مصلحة فائنا ببلغكم بانفاذه
بكل رقة وحرص وانتباه وابدأه ليه يلزم منه قبلكم ، ولذا احمر»

نائب جلالة الملك

مدير الوزارة الخارجية - للمعاطة

للمدارة الاسم العام - للمعاطة بمرقم ١٧٦٥ في ١٣/٥/١٣٤٠

خطاب من مأمور المحجر الصحي بالوجه إلى مدير مدرسة الوجه (*)



(*) وثائق حسين بن حمزة الفرشوطي.

المصادر والمراجع

المخطوطات :

محمد بن علي بن عبد الله العبيد: النجم اللامع للواد، دار الملك عبد العزيز ، مخطوط رقمه ١٨٩.

مقبل بن عبد العزيز الذكر: تاريخ الذكر ، نسخة خاصة بالباحث.

الوثائق :

أ) الوثائق غير منشورة:

١- وثائق دار الملك عبد العزيز :

- الأمر الملكي (٢٤٤) بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٣٤٩هـ / ١٤ أغسطس ١٩٣٠م.
- رقم السجل (٧٩٠٧)، رقم الوثيقة (٥٩٩)، من رئيس الجمعية الزراعية بالوجه إلى أمير الوجه بتاريخ ١٠ صفر ١٣٥٠هـ / ٢٥ يونيو ١٩٣١م.
- رقم السجل (٨٠٢٥) ، رقم الوثيقة (٧١٧)، من رئيس بلدية الوجه إلى أمير الوجه، (د.ت).
- رقم السجل (٨٤٩٠)، رقم الوثيقة (١١٨٢)، من مدير المعارف إلى أمير الوجه، (د.ت).
- التاريخ الشفوي ، رقم التصنيف (١٥٢).
- التاريخ الشفوي ، رقم التصنيف (٢٧٢).
- التاريخ الشفوي ، رقم التصنيف (٢٧٣).
- التاريخ الشفوي ، رقم التصنيف (٣٩٩).

٢- وثائق مكتبة الملك فهد الوطنية :

- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٤٢)، سند استلام مبالغ مسلمة إلى صندوق بلدية الوجه من محمود أبو صابر بتاريخ ٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ / ٧ سبتمبر ١٩٢٧م.
- وثائق الغبان، رقم الوثيقة (٤٧)، من محمود عبد القادر إلى السيد محمد عاشور عفاشة بتاريخ ٢ شوال ١٣٦١هـ / ١٣ أكتوبر ١٩٤٢م.
- وثائق الغبان ، رقم الوثيقة (٧٢)، مراسلات ما بين أحد التجار بضياء وقريه بتبوك بشأن مسائل تجارية بتاريخ ١٨ رمضان ١٣٦٤هـ / ٢٧ أغسطس ١٩٤٥م.

- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (١٦١)، من أحمد صابر حسن إلى محمود أبو صابر بتاريخ ٨ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ / ٢٤ نوفمبر ١٩٢٥م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (١٧٣)، من عبد الرحمن إلى أحمد أبو صابر بتاريخ شعبان ١٣٤٤هـ / فبراير ١٩٢٦م.
- وثائق أبو صابر رقم الوثيقة (١٧٥)، مراسلات تجارية ما بين تجار الوجه وتجار الموانئ المصرية بتاريخ ١٧ شعبان ١٣٤٤هـ / ٢ مارس ١٩٢٦م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (١٧٨)، مراسلات تجارية بين تجار الوجه وتجار الموانئ المصرية بتاريخ ٢٢ شعبان ١٣٤٤هـ / ٧ مارس ١٩٢٦م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٢٠٠)، من محمود بديوي شحاته بالسويس إلى محمود أحمد أبو صابر بالوجه بتاريخ ٢٥ ذو القعدة ١٣٤٤هـ / ٧ يونيو ١٩٢٦م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٢٠٣)، من زارع الوحيان بينبع البحر إلى محمود أبو صابر بالوجه بشأن تأخر مسؤول البريد في إيصال الخطابات.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٢٤٤)، من محمد علي سلامة بضياء إلى محمود أحمد أبو صابر بالوجه بشأن الدقيق والعدس والدخان بتاريخ ٢٠ رمضان ١٣٤٥هـ / ٢٤ مارس ١٩٢٧م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٢٤٦)، من حسين بن رشيد القبلي بمعان إلى محمود أبو صابر بالوجه بتاريخ ٢٥ رمضان ١٣٤٥هـ / ٢٩ مارس ١٩٢٧م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٢٥٧)، من عبد الرحمن وعبد الرزاق حسب الله وشركاه بجدة إلى محمود أبو صابر بالوجه بتاريخ ٢٩ ذو القعدة ١٣٤٥هـ / ٣١ مايو ١٩٢٧م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٣٠٣)، من حمدان أبو صابر بينبع البحر إلى محمود أبو صابر بالوجه يخبره بوصول الخشب بتاريخ ٥ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ / ١ أكتوبر ١٩٢٧م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٣٢٣)، من مصطفى الخناني بالسويس إلى محمود أبو صابر بالوجه بتاريخ ١٠ ربيع آخر ١٣٤٦هـ / ٦ أكتوبر ١٩٢٧م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٣٤٩)، تذكرة سفر مروورية من مأمور الجوازات بتاريخ ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م.

- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٣٥٦)، من سنوسي حمدان أبو صابر إلى أحمد محمود أبو صابر بتاريخ ١١ ذو القعدة ١٣٥٣هـ / ١٥ فبراير ١٩٣٥م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٣٦١)، رخصة لطلوع البحر بتاريخ ٩ ذو الحجة ١٣٥٤هـ / ٤ مارس ١٩٣٦م.
- وثائق الوجه، رقم الوثيقة (٤٢٨)، من أمير الوجه إلى رئيس لجنة احصاء الميرة الملكية بالحاضرة بتاريخ ١٠ ربيع الآخر ١٣٦٣هـ / ٥ أبريل ١٩٤٤م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٤٤٤)، من أمير الوجه إلى رئيس لجنة الميرة الملكية بتاريخ ١١ شعبان ١٣٦٤هـ / ٢٢ يوليو ١٩٤٥م.
- وثائق أبو صابر، رقم الوثيقة (٤٤٨)، من إبراهيم فتوح إلى أحمد محمود أبو صابر بشأن وصول أغنام مهربة وبيعها بسبب رداءة السوق بتاريخ جمادى الأولى ١٣٥٩هـ / ٢ مايو ١٩٤٦م.
- وثائق الوجه، رقم الوثيقة (١١٦-١)، تعميم للأمور مرفأ ضباء باعتماد تصدير التمر إلى السودان بتاريخ ٦ ذو الحجة ١٣٥٩هـ / ٥ يناير ١٩٤١م.
- وثائق الغبان، رقم الوثيقة (بدون)، من قاضي الوجه إلى أمير الوجه، (د.ت)

٣- وثائق معهد الإدارة العامة :

- مرسوم ملكي رقم ٣/٢/٨٢ بتاريخ ٥ محرم ١٣٥٦هـ / ١٨ مارس ١٩٣٧م.
- أمر ملكي صادر من الديوان الملكي بتاريخ ١٤ شوال ١٣٥٦هـ / ١٨ ديسمبر ١٩٣٧م من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى المعتمد السعودي بدمشق.
- مرسوم ملكي رقم (٨٧/٣/١٠٤) وتاريخ ٧ رجب ١٣٥٥هـ / ٢٣ سبتمبر ١٩٣٦م.
- أمر نائب جلالة الملك رقم (٩٣٩) وتاريخ ٢٣ ذو الحجة ١٣٥٥هـ / ٢١ فبراير ١٩٣٧م.
- خطاب المكتب الخاص الوثيقة رقم (٤٧/٢/٦٥) وتاريخ ٥ رمضان ١٣٥٦هـ / ٩ نوفمبر ١٩٣٧م.

- أمر ملكي من الديوان الملكي رقم (١٧٨/٤/٣) وتاريخ ٢٤ محرم ١٣٦٣هـ / ٦ يناير ١٩٤٤م.
- أمر ملكي من الديوان الملكي رقم (١١/٦/٨٩) وتاريخ ١٩ شعبان ١٣٥٥هـ / ٤ نوفمبر ١٩٣٦م.
- قرار مجلس الشورى رقم (١٣) وتاريخ ٢ محرم ١٣٦٥هـ / ٧ ديسمبر ١٩٤٥م.
- قرار مجلس الشورى رقم (٩٠) وتاريخ ١ جمادى الآخر ١٣٥٦هـ / ٩ أغسطس ١٩٣٧م.
- قرار مجلس الشورى رقم (١٤٥) وتاريخ ٨ رمضان ١٣٤٦هـ / ٢٩ فبراير ١٩٢٨م.
- قرار مجلس الشورى رقم (١٤٧) وتاريخ ٨ رمضان ١٣٤٩هـ / ٢٧ يناير ١٩٣١م.
- قرار مجلس الشورى رقم (١٦٤) وتاريخ ٢٠ رجب ١٣٥٢هـ / ٣٠ أكتوبر ١٩٣٣م.
- قرار مجلس الشورى رقم (١٨٣) وتاريخ ١٩ شعبان ١٣٦٤هـ / ٢٠ يوليو ١٩٤٥م.
- قرار مجلس الشورى رقم (٢٢٧) وتاريخ ٢٢ شعبان ١٣٤٧هـ / ٣ فبراير ١٩٢٩م.
- قرار مجلس الشورى رقم (٢٨٢) وتاريخ ٢٥ جمادى الآخر ١٣٤٩هـ / ١٦ نوفمبر ١٩٣٠م.
- قرار مجلس الشورى رقم (٢٨٨) وتاريخ ٢٩ رجب ١٣٤٦هـ / ٤ يناير ١٩٢٨م.
- قرار مجلس الشورى رقم (٣٠٦) وتاريخ ٨ شوال ١٣٥٥هـ / ٢٢ ديسمبر ١٩٣٩م.
- قرار مجلس الشورى رقم (٣٦٠) وتاريخ ٥ ذو القعدة ١٣٦٥هـ / ٧ أكتوبر ١٩٤٦م.
- قرار مجلس الشورى رقم (٤١٧) وتاريخ ٦ صفر ١٣٤٨هـ / ١٤ يوليو ١٩٢٩م.
- قرار مجلس الشورى رقم (٥٧٠) وتاريخ ١٣ شعبان ١٣٤٨هـ / ١٤ يناير ١٩٣٠م.
- قرار مجلس الشورى رقم (٥٧٧) وتاريخ ٧ ذو القعدة ١٣٤٩هـ / ٢٦ مارس ١٩٣١م.
- قرار مجلس الشورى رقم (٧٥٢) وتاريخ ٢٦ ذو القعدة ١٣٤٨هـ / ٢٧ مارس ١٩٣٠م.
- قرار مجلس الوكلاء رقم (٢٦/١/٩٢) وتاريخ ١٩ رمضان ١٣٥٦هـ / ٢٣ نوفمبر ١٩٣٧م.
- قرار مجلس الوكلاء رقم (٨) وتاريخ ٣ ربيع الأول ١٣٥٩هـ / ١٩ أبريل ١٩٤٠م.
- قرار مجلس الوكلاء رقم (٣٩) .

- قرار مجلس الوكلاء رقم (٤٤) وتاريخ ٣ رجب ١٣٥٦هـ / ٩ سبتمبر ١٩٣٧م.
- قرار مجلس الوكلاء رقم (٦١) وتاريخ ٣٠ رجب ١٣٥٦هـ / ٦ أكتوبر ١٩٣٧م.
- قرار مجلس الوكلاء رقم (٧٠) وتاريخ ١٣ شعبان ١٣٥٦هـ / ١٧ أكتوبر ١٩٣٧م.
- خطاب وزارة المالية رقم (٨٢٤) وتاريخ ٤ رجب ١٣٥٦هـ / ١٠ سبتمبر ١٩٣٧م.

٤- وثائق محمود بن علي أبو سالم:

- من نائب جلالة الملك إلى إمارة الوجه بتاريخ ١٤ صفر ١٣٥٤هـ / ١٠ ديسمبر ١٩٣٥م.
- من نائب جلالة الملك إلى إمارة الوجه بتاريخ ١٤ رمضان ١٣٥٤هـ / ١٠ ديسمبر ١٩٣٥م.
- من نائب جلالة الملك إلى أمير المقاطعة الشمالية بتاريخ ١٦ شعبان ١٣٦٧هـ / ٢٤ يونيو ١٩٤٨م.
- من نائب جلالة الملك إلى أمير المقاطعة الشمالية بتاريخ ٢٦ رمضان ١٣٦٧هـ / ٢ أغسطس ١٩٤٨م.
- من أمير المقاطعة الشمالية إلى أمير الوجه بتاريخ ٢ شعبان ١٣٦٨هـ / ٣٠ مايو ١٩٤٩م.
- من أمير ضباء إلى مأمور صحي ضباء بتاريخ ١٩ ذو القعدة ١٣٦٦هـ / ٤ أكتوبر ١٩٤٧م.
- من أمير الوجه إلى مأمور مرفأ الوجه بتاريخ ١٥ رمضان ١٣٥٤هـ / ١٠ ديسمبر ١٩٣٥م.
- من مدير مصلحة خفر السواحل إلى مأمور مرفأ ضباء بتاريخ ١٩ رجب ١٣٥٣هـ / ٢٨ أكتوبر ١٩٣٤م.
- من مفتش الحدود الغربية إلى أمير المقاطعة الشمالية بتاريخ ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ / ٤ مايو ١٩٤٨م.
- من رئيس بلدية الوجه إلى أمير الوجه بتاريخ ٤ ربيع الآخر ١٣٥٨هـ / ٢٩ مايو ١٩٣٩م.

٥- وثائق الشريف الوكيل المويلحي :

- وثيقة رقم (١) من محافظ السواحل إلى مدير مركز المويلح بتاريخ ٨ ذو الحجة ١٣٤٥هـ / ٩ يونيو ١٩٢٧م.
- وثيقة رقم (٢٤) من أمير ضباء إلى مدير مركز المويلح بتاريخ ٢ صفر ١٣٤٨هـ / ١٠ يوليو ١٩٢٩م.

— وثيقة رقم (٢٥) من أمير ضباء إلى مدير مركز المويلح بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٣٤٩هـ — /
٢٣ يوليو ١٩٣٠م.

— وثيقة رقم (٢٨) من أمير ضباء إلى مدير مركز المويلح بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٣٥٠هـ — /
٢٤ أغسطس ١٩٣١م.

— وثيقة رقم (٣٠) من أمير ضباء إلى مدير مركز المويلح بتاريخ ٢٠ صفر ١٣٥١هـ — /
٢٥ يونيو ١٩٣٢م.

— وثيقة رقم (٣٤) من أمير ضباء إلى مدير مركز المويلح بتاريخ ٢ ربيع الأول ١٣٥١هـ — /
٦ يوليو ١٩٣٢م.

— وثيقة رقم (٣٦) من أمير ضباء إلى مدير مركز المويلح بتاريخ ١١ ذو القعدة ١٣٥٢هـ — /
٢٣ فبراير ١٩٣٤م.

— وثيقة رقم (٥٦) من أمير ضباء إلى مدير ثغر المويلح بتاريخ ٩ ذو القعدة ١٣٦١هـ — / ٨
نوفمبر ١٩٤٢م.

٦- وثائق أحمد السلطان .

— من عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى محمد بن سلطان بتاريخ ٢ محرم ١٣٤٧هـ — /
٢٨ يونيو ١٩٢٨م.

— من مدير شرطة الوجه إلى أمير الوجه بتاريخ ٢١ شعبان ١٣٤٦هـ — / ١٣ فبراير ١٩٢٨م.

٧- وثائق حسين بن حمزة الفرشوطي.

— مجلس المعارف برئاسة الشيخ حافظ وهبه، قرار رقم (١٨) وتاريخ ١٩ شوال ١٣٤٧هـ — /
٢١ مارس ١٩٢٩م.

— من مأمور المحجر الصحي بالوجه إلى مدير مدرسة الوجه بتاريخ ١٢ ربيع الآخر
١٣٥٦هـ — / ٢٢ يونيو ١٩٣٧م.

— من طبيب مستوصف الوجه إلى مدير مدرسة الوجه بتاريخ ٣٠ رجب ١٣٥٦هـ — /
٦ أكتوبر ١٩٣٧م.

ب) الوثائق المنشورة:

١. خالد بن عبد الرحمن الجريسي: من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، الرياض، مطابع الحميضي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م
٢. عبد الرحمن السبيت وعبد العزيز الشعيل ومحمد التوبة: رجال وذكريات مع عبد العزيز، الرياض، مطابع الحرس الوطني، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٣. عبد الرحمن سبيت السبيت وعبد العزيز بن عبد الرحمن الشعيل وإبراهيم بن رشود العود وسعود بن عبد الله الرومي: من وثائق الملك عبد العزيز، الرياض، رئاسة الحرس الوطني، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
٤. عبد الله بن ثاني: وثائق الملك عبد العزيز إلى قبائل عترة، الرياض، ب د . ن . ١٤٢٤هـ.
٥. الكتاب الأخضر النجدي، نشر بأمر من سلطان نجد.
٦. محمد عدنان البخيت، وهند غسان أبو الشعر، ونوفان رجا السوارية، وبكر خازر المجالي: الوثائق الهاشمية أوراق عبد الله بن الحسين (العلاقات الأردنية السعودية) ١٣٤٤-١٣٧١هـ/١٩٢٥-١٩٥١م، عمان، جامعة آل البيت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٧. الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، الرياض، دار الدائرة للنشر والتوثيق، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٨. نجده فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، بيروت، دار الساقى، ط ٢، ٢٠٠٠م.

ج) اتصالات شخصية:

١. خطاب من الأستاذ محمد بن حامد السناني إلى الباحث بتاريخ ١٢ ذو القعدة ١٤٣٠هـ.
٢. خطاب من الأستاذ عبد الرحيم بن إسماعيل سنيور إلى الباحث بتاريخ ١٤ صفر ١٤٣١هـ.
٣. لقاء مع الأستاذ علي بن عبد الرحيم الوكيل ٢٣ شوال ١٤٣٠هـ .
٤. لقاء مع الأستاذ أحمد بن عبد الله الغريص بتاريخ ١٠ صفر ١٤٣١هـ.

المصادر العربية :

١. إبراهيم بن اسحق الحربي : المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، دار اليمامة ، ١٣٨٩هـ .
٢. إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري: تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، تحقيق رجاء محمود السامرائي، بغداد ، وزارة الثقافة، ١٩٨٠م.
٣. إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن : تذكرة أولي النهي والعرفان، الرياض، (د.ت).
٤. إبراهيم بن محمد الاصطخري : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، القاهرة ، ١٩٦١م.
٥. إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين الشريفين، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
٦. أحمد السباعي : تاريخ مكة المكرمة ، مكة ، نادي مكة الثقافي، ط٦، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٧. أحمد بن واضح اليعقوبي: البلدان، بيروت ، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م.
٨. أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة العربية ، جدة ، مطابع المؤسسة العربية ، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
٩. أحمد عبد الغفور عطار: ابن سعود وقضية فلسطين، مكة المكرمة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
١٠. أحمد عسه : معجزة فوق الرمال، بيروت ، المطابع الأهلية اللبنانية، ١٩٦٥م.
١١. أمين الريحاني : ملوك العرب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٦م.
١٢. أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٠م.
١٣. أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، بيروت ، (د.ت).
١٤. تبوك : المؤلف نفسه، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
١٥. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت.
١٦. جواد علي: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٩٧٢، ٢م.

١٧. حافظ وهبه: جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة ، دار الآفاق العربية، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٨. حافظ وهبه: خمسون عاماً في جزيرة العرب ، القاهرة ، دار الآفاق العربية، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٩. حسن أمين العلي : دراسات وحقائق عن شمال غرب المملكة العربية السعودية ، تبوك ، مطابع الشمال الكبرى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
٢٠. الحسين بن محمد السعيد الورثياني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والآثار، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٧٤م.
٢١. حسين محمد نصيف: ماضي الحجاز وحاضره ، القاهرة ، مطبعة خضير، ١٣٤٩هـ.
٢٢. حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية، الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٣. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة إمارات: حائل والجوف وتبوك وعرعر والقريات)، الرياض، منشورات دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
٢٤. حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، الرياض، دار الإمامة للنشر والبحث والترجمة ، ط٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٢٥. حمد الجاسر: من سوانح الذكريات، مراجعة وتعليق عبد الرحمن الشيبلي، الرياض ، دار الإمامة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
٢٦. خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٢٧. خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
٢٨. خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م.
٢٩. خير الدين الزركلي: عامان في عمان، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.

٣٠. ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٦٥م.
٣١. سالنامه دولة عليية عثمانية لسنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، مطبعة إحسان.
٣٢. سعود بن هذلول : تاريخ ملوك آل سعود ، الرياض ، مطابع المدينة ، ط٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٣٣. سليمان موسى : غريون في بلاد العرب ترجمته واقتباسه وتأليفه، مراجعة عبد الرحمن بوشناق وعبد الحميد ياسين وهنري مطر ، عمان، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٦٦م.
٣٤. سليمان موسى: الثورة العربية الكبرى وثائق وأسانيد، عمان، دائرة الثقافة والفنون، ١٩٦٦م.
٣٥. سليمان موسى: الحرب في الحجاز، عمان، د.ن، ١٩٨٩م .
٣٦. سليمان موسى: إمارة شرقي الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن، ١٩٢١-١٩٤٦م، عمان، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٠م.
٣٧. سليمان موسى: تأسيس الإمارة الأردنية ١٩٢١-١٩٢٥م، دراسة وثائقية، عمان، مكتبة المحتسب، ط٣، ١٩٨٩م.
٣٨. سليمان موسى: صفحات مطوية - مفاوضات المعاهدة بين الشريف حسين وبريطانيا ١٩٢٠-١٩٢٤م، عمان، المطبعة الأردنية، ١٩٧٧م.
٣٩. صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، بيروت، دار مكتبة الحياة.
٤٠. عبد الحميد الخطيب: الإمام العادل جلاله الملك عبد العزيز آل سعود، الرياض ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
٤١. عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري: لسراة الليل هتف الصباح، بيروت ، دار رياض الريس للنشر، ١٩٩٧م.
٤٢. عبد الغني بن إسماعيل النابلسي : الحقيقة والحجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق رياض عبد الحميد مراد ، دمشق ن دار المعرفة ، ١٩٨٩م.

٤٣. عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري: درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٤هـ.
٤٤. عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني: كتاب الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٤٥. عبد الله بن الحسين : الآثار الكاملة، بيروت، دار المتحدة للنشر ، ط٢، ١٩٧٩م.
٤٦. عبد الله بن الحسين: مذكراتي عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٨م.
٤٧. عبد الله بن عبد العزيز البكري: معجم ماستعجم من أسماء البلاد والمواضع، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١م.
٤٨. عبد الله بن محمد العياشي : رحلة العياش - ماء الموائد ، فاس ، (د.ن)، ١٣١٦هـ.
٤٩. عبد الله محمد بن محمد الحيحي العبدري: الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط، وزارة الثقافة ، ١٩٦٨م.
٥٠. عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة: المسالك والممالك، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩١م.
٥١. عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه محمد ناصر الشثري، الرياض، دار الحبيب، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٥٢. عماد الدين إسماعيل أبو الفدا: تقويم البلدان، بيروت، دار صابر، د.ت.
٥٣. فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٥٤. فؤاد حمزة: في بلاد عسير، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، ط٢، ١٩٦٨م.
٥٥. فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، ط٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٥٦. فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية، دمشق ، مطبعة الترقى، ١٩٧٠م.
٥٧. قدامة بن جعفر : كتاب الخراج وصناعة الكتابة، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٥٨. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي : القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٥٩. محب الدين محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ.

٦٠. محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٩م.
٦١. محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٤م.
٦٢. محمد بن عبد الله الحسيني المدني: رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد طنطاوي، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ.
٦٣. محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م.
٦٤. محمد بن محمد الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم المكتبة، ١٩٨٩م.
٦٥. محمد بن ناصر الياسر الأسمرى: الجيش السعودي في حرب فلسطين ١٩٤٨م، الرياض، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٦٦. محمد بهجة البيطار: الرحلة النجدية الحجازية، دمشق، المطبعة الجديدة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
٦٧. محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، إعداد وتحرير محمد همام فكري، بيروت، بدر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
٦٨. محمد عبد الله الغريص: حصاد السنين، تبوك، مؤسسة محمد بن عبد الله الغريص.
٦٩. محمد عبد الله ماضي: النهضة الحديثة في جزيرة العرب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.
٧٠. محمد علي المغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، جدة، دار العلم للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
٧١. محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط٨، ١٤١٩هـ / ١٩٨٨م.
٧٢. محمد ليبب البتوني: الرحلة الحجازية، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ب. ت.
٧٣. محمد يونس العبادي: الرحلة الملوكية الهاشمية من مكة المكرمة إلى عمان والبيعة الكبرى بالخلافة للشريف حسين بن علي، عمان، مجدلاوي.

٧٤. مسيرة التعليم في مدينة الوجه ، محاضرة أعدها وألقاها المعلم عمر علي عيسى الفقيه في صالة النادي الخالدي بالوجه ، بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢١هـ.
٧٥. منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ١٩٥٩م.
٧٦. موسى مصطفى العبيدان: الحركة التجارية في ضبا بين عامي ١٢٨٢-١٣٨٢هـ.
٧٧. نعوم شقير : تاريخ سيناء، القاهرة، المركز العربي للبحث والنشر، ١٩٨٦م.

المراجع العربية

١. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عهد البطالة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٦م .
٢. إبراهيم بن عويض العتيبي : تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
٣. إبراهيم السايح : مدائن صالح ، من مملكة الأنباط إلى قبيلة الفقراء ، القاهرة ، دار البستاني للنشر والتوزيع .
٤. إبراهيم بن عويض العتيبي : الأمن في عهد الملك عبد العزيز تطوره وآثاره ، الرياض ، مطابع جامعة الملك سعود للنشر العلمي ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م .
٥. إبراهيم المسلم : العقيلات ، الرياض ، مكتبة العقيلات ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
٦. إبراهيم عبد العزيز المعارك : البريد والاتصالات بالمملكة العربية السعودية ، الرياض ، مؤسسة روابي وهطان ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .
٧. إبراهيم فوزان الفوزان : إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، الرياض ، مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .
٨. إبراهيم محمد العواحي : الإبداع في مجال الإدارة المحلية (المفاهيم والتطبيق) ، عمان شركة الشرق الأوسط للطباعة ، ١٩٨٦م .
٩. أحمد حسين شرف الدين : المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية ، الرياض ، مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
١٠. أحمد عويدي العبادي : الأردن في كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين حتى عام ١٨٨١م ، بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م .

١١. أحمد عويدي العبادي : العشائر الأردنية (الأرض والإنسان والتاريخ) ، عمان ، ١٩٨٨ م.
١٢. أسعد عبده : معجم الأسماء الجغرافية ، جده مكتبة المدني ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
١٣. أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، بيروت، د. ن ، د.ت .
١٤. جبار يحيى عبيد : التاريخ السياسي لإمارة حائل ١٨٣٥-١٩٢١ م، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م.
١٥. جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين، ط ٢ ، ١٩٧٢ م.
١٦. جواهر بنت عبد المحسن بن جلوي: عبد الله بن جلوي آل سعود ودوره في تأسيس الدولة السعودية الثالثة ١٢٧٨-١٣٥٤هـ ، د.ن، د.ت.
١٧. حامد إبراهيم أبو درك: دراسة نقدية ومقارنة لبعض المعالم الأثرية في تيماء بشمال غرب الجزيرة العربية من خلال نتائج الاستكشافات الأثرية، الرياض، مطبوعات الإدارة العامة للآثار والمتاحف ، ١٤٠٦ هـ .
١٨. حامد سلطان : مشكلة خليج العقبة (محاضرات) ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ٦٦ - ١٩٦٧ م .
١٩. حسن بن سعد بن سعيد : وزارة الداخلية (أمن وتنمية) ، الرياض، (د.م) ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
٢٠. حسن سيد أحمد أبو العينين : أصول الجيومورفولوجيا : دراسة الأشكال التضاريسية لسطح الأرض ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ط ٥ ، ١٩٧٩ م .
٢١. حسن عبد الحي قزاز : الأمن الذي نعيشه ، جدة ، مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٢٢. حسين النجار : السياسة والإستراتيجية في الشرق الأوسط ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣ م .
٢٣. حسين خلف الشيخ خزعل : تاريخ الكويت السياسي ، بيروت ، ١٩٦٢ م .

٢٤. حسين محمد علي جلال : طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي ، ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٨-١٥١٧ م ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
٢٥. حمد محمد القحطاني : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز ، ١٢٩٧ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٨٠-١٩٠٥ م ، الكويت ، المؤلف نفسه ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
٢٦. حمود بن ضاوي القثامي : شمال الحجاز ، بيروت ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .
٢٧. خالد حمود السعدون : أحداث في تاريخ الخليج العربي ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي ٢٠٠١ م .
٢٨. خالد عزام حمد الخالدي : تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي ١٣٢-٦٥٦ هـ / ٧٥٠-١٢٥٨ م ، الرياض ، الجمعية التاريخية السعودية ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، الإصدار الرابع .
٢٩. خالد بن ثيان بن محمد آل سعود : العلاقات السعودية البريطانية ١٩٢٢ - ١٩٣٢ م ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ط ٣ ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
٣٠. خلف بن حديد آل مبارك : من وقائع وأحداث البدو ن الكويت ، مطبعة سفين العالمية ، ط ٢ ، ١٩٩٧ م .
٣١. رابح لطفي جمعه : حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز ، الرياض ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
٣٢. زينب عبد المجيد البطوش : تاريخ قضاء العقبة ١٨٩٢ - ١٩٢٤ م ، عمان ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م .
٣٣. سالم العيسى : تاريخ الغساسنة ، دمشق ، دار النمير ، ٢٠٠٧ م .
٣٤. سعد أبو دية وعبد المجيد مهدي : الجيش العربي الأردني ودبلوماسية الصحراء ، دراسة في نشأته ، وتطور دوره ، عمان ، الثقافة العسكرية ، ١٩٨٧ م .
٣٥. سعد بن عودة الرداددي : المؤسسات الأمنية في المملكة العربية السعودية (التأسيس والبناء) ، المدينة المنورة ، المؤلف نفسه ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

٣٦. سعود آل دريب : التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية ، الرياض ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م.
٣٧. سعود آل دريب : الملك عبد العزيز ووضع التنظيم القضائي في المملكة ، جدة ، دار المطبوعات الحديثة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٣٨. سلامة محمد الهرفي : أضواء على دور قبيلة بلي في الحضارة العربية الإسلامية ، القاهرة ، مؤسسة المختار ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
٣٩. سليمان الغنام : البيئة السياسية الإقليمية والدولية في شبه الجزيرة العربية إبان نهوض الملك عبد العزيز لتأسيس الدولة السعودية الحديثة ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
٤٠. سهيل سليمان الصبحي : أملج ، الرياض ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
٤١. السيد أبو حسين علي الحسني الندوي : السيرة النبوية ، صيدا، المطبعة العصرية للطباعة والنشر .
٤٢. سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، جده ، قحامة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
٤٣. السيد محمد الدقن : سكة حديد الحجاز الحميدية : دراسة وثائقية ، القاهرة ، مطبعة الجبلاوي ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٤٤. صالح الإمام : تاريخ وادي القرى ، الرياض ، مطابع بحر العلوم ، ١٤١٨ هـ .
٤٥. صبحي أحمد السعيد : نمط التوزيع المكاني والتركيب الوظيفي لمراكز الاستيطان البشري في منطقة نجد ، الرياض ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
٤٦. صلاح الدين بحيري : جغرافية الصحارى العربية : القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٩ م .
٤٧. صلاح الدين مصطفى الدباغ : السيادة العربية على خليج العقبة ومضيق تيران ، دراسة قانونية ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٧ م.

٤٨. عاتق بن غيث البلادي : رحلات في بلاد العرب في شمال الحجاز والأردن ، جده ، دار الجمع العلمي ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

٤٩. _____ : معجم معالم الحجاز ، مكة المكرمة ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٥٠. عايض الروقي : حروب البلقان وأثرها على الحركة العربية في المشرق العربي العثماني ١٣٣٠-١٣٣٢ هـ / ١٩١٢-١٩١٣ م ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

٥١. عبد الفتاح حسن أبو عليه : الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ، الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٩٦ م .

٥٢. عباس محمد زيد العيسى : موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية ، وزارة المعارف ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

٥٣. عباس مراد : الدور السياسي للجيش الأردني ١٩٢١ - ١٩٧٣ م ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

٥٤. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، المدينة المنورة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

٥٥. نبيل عبد الحي رضوان : الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس ١٢٨٦-١٣٢٦ هـ / ١٨٦٩-١٩٠٢ م ، جدة ، قهامة ، ١٤٠٣ هـ .

٥٦. عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون : الحضارة العربية والإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مؤسسة التراث ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .

٥٧. عبد الرحمن الطيب الأنصاري وآخرون : البدع تاريخها وآثارها ، الرياض ، وكالة الآثار والمتاحف ، ٢٠٠٢ م .

٥٨. عبد الرحمن الطيب وآخرون : المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام ، دراسة توثيقية ، الرياض ، مطابع التريكي ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .

٥٩. عبد الرحمن نصر : عاهل الجزيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، د. ط ، د. ن ، د. ت .

٦٠. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الدولة السعودية الأولى ١١٥٨-١٢٣٣ هـ / ١٧٤٥-١٨١٨ م ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعي ، ط ٦ ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

٦١. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعي ، ط٦ ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .
٦٢. عبد العزيز آل الشيخ : لمحات حول القضاء في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
٦٣. عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، القاهرة ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٩٨٣ م .
٦٤. عبد العزيز طريح شرف : الجغرافيا المناخية والنباتية (الأسس العامة) ، القاهرة ، دار الجامعات المصرية ، ط٨ ، ١٩٧٨ م .
٦٥. عبد الفتاح بن أحمد الريس : البدع ، الرياض ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م .
٦٦. عبد الفتاح حسن أبو عليه : دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .
٦٧. عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش : التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز نشأته وتطوره ، مكة المكرمة ، مكتبة الطلاب الجامعيين ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
٦٨. عبد اللطيف محمد الصباغ : بريطانيا ومشكلات الحدود بين السعودية وشرق الأردن القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٩ م .
٦٩. عبد الله الصالح العثيمين : نشأة إمارة آل رشيد ، الرياض ، مطابع الشريف ، ط٢ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
٧٠. عبد الله العلي الزامل : أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود ، بيروت ، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ م .
٧١. عبد الله بن راشد السندي : مراحل تطور تنظيم الإدارة الحكومية في المملكة العربية السعودية ولمحات من إنجازاتها ، الرياض ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط٣ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .
٧٢. عبد الله بن كريم بن عطية : الشيخ كريم بن عطية سيرة وثلاث عهود ، الرياض ، المؤلف نفسه ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

٧٣. عبد الله بن محمد بن عايض الزهراني : تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي ١٣٤٤-١٤١٦ هـ ، مكة المكرمة ، مطابع بهادر ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
٧٤. عبد الله بن ناصر الوليعي : جيولوجية و جيومورفولوجية المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مؤسسة المنار للطباعة والتجليد ، ط ٢ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
٧٥. عبد الله صالح العثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ط ٤ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
٧٦. عبد المحسن بن صالح اليوسف : سلطان نجد والحجاز وملك المملكة العربية السعودية في صحافة عصره ، الرياض ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
٧٧. عبد المعطي بن محمد سمسم : العلاقات بين شمال الجزيرة العربية وبلاد الرافدين منذ أقدم العصور وحتى القرن السادس ق.م، القاهرة ، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م .
٧٨. عبد المعطي محمد عساف : التنظيم الإداري في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دار الكتب للنشر والتوزيع ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
٧٩. عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود ، الرياض ، مطبعة سفير ، ط ٣ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
٨٠. عبد الوهاب محمد وهيبه : في جغرافية السكان، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٩ م .
٨١. علي إبراهيم غبان : الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة ، الرياض ، مطبعة سفير ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
٨٢. علي إبراهيم غبان : بحوث في التاريخ والآثار ، الرياض ، مطبعة سفير ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
٨٣. علي بن محمد النجعي : القوة الثالثة دراسة تاريخية عن دور اللاسلكي في عهد الملك عبد العزيز ، الرياض ، المؤلف نفسه ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
٨٤. علي محافظة: العلاقات الأردنية البريطانية، بيروت، دار النهار للنشر والتوزيع، ١٩٧٣ م .
٨٥. علي محافظة : تاريخ الأردن المعاصر ، عهد الإمارة ١٩٢١ - ١٩٤٦ م، عمان ، مركز الكتب الأردني ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م .

٨٦. عمر الفاروق السيد رجب : المدن الحجازية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ م .
٨٧. عمر الفاروق السيد رجب : المدن الحجازية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ م .
٨٨. عمر رضا كحالة : قبائل العرب القديمة والحديثة ، د.ن ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
٨٩. عمر الفاروق السيد رجب : المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ، أرضه وسكانه دراسة أيكولوجية ، جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٩ / ١٩٧٩ م .
٩٠. عواطف بنت أديب بنت علي سلامة : أهل مدين ، دراسة للخصائص والعلاقات ١٣٥٠ - ١١٠٠ ق.م ، الرياض ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٢ هـ .
٩١. غالب أبو جابر : مجموعة المعاهدات والاتفاقيات الأردنية ١٩٢٣-١٩٧٣ م ، عمان ١٩٧٥ م
٩٢. فؤاد شاكر : دليل المملكة العربية السعودية ، (د.ن) ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
٩٣. كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن (مارس ١٩٢١ - مارس ١٩٤٨ م) طرابلس ، ليبيا، ١٩٨٣ م .
٩٤. لطفي عبد الوهاب يحي : العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ م .
٩٥. لطيفة عبد العزيز السلوم : التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ - ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ، دراسة تاريخية وثائقية ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ .
٩٦. مأمون أصلان : قافلة الحج الشامي ، عمان ، دار الكندي ، ٢٠٠٠ م .
٩٧. مبارك محمد المعدي : النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني الثاني ١٢٥٦ - ١٣٣٥ هـ / ١٨٤٠ - ١٩١٦ م ، جدة ، النادي الأدبي الثقافي ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
٩٨. محمد منير أحمد البديوي : المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود ، الرياض ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٧٧ م .

٩٩. محمد إبراهيم رحمو : أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروب به ، الرياض ، دار الملك عبد العزيز ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦ م .
١٠٠. محمد أحمد الرويثي : الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، مكتبة التوبة، ١٤١٦هـ .
١٠١. محمد أحمد الرويثي : الموانئ السعودية على البحر الأحمر ، دراسة في الجغرافيا الاقتصادية، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
١٠٢. محمد أحمد الرويثي : الوجه، الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، مطابع الملك سعود .
١٠٣. محمد الخطيب :المجتمع البدوي ، دمشق، منشورات دار علاء الدين ، ٢٠٠٨ م .
١٠٤. محمد الزعاريير : إمارة آل رشيد في حائل، بيروت ، بيسان للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧ م .
١٠٥. محمد السيد غلاب : الجغرافية البشرية والتاريخية لشبة جزيرة سيناء ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ م .
١٠٦. محمد بن حمد التيمائي : تيماء ، الرياض ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، ط٢، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
١٠٧. محمد بن حمد السميز وآخرون : آثار منطقة تبوك ، الرياض ، وزارة المعارف ، وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م .
١٠٨. محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤ م .
١٠٩. محمد توفيق صادق : تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، معهد الإدارة العامة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
١١٠. محمد جلال كشك : السعوديون والحل الإسلامي ، المطبعة الفنية ، القاهرة، ط٤ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
١١١. محمد حسين الشريف : المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية ، جدة ، دار الأندلس الخضراء ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
١١٢. محمد خليل الحجيري وعبد الفتاح أحمد الريس : التعليم في منطقة تبوك ، إدارة تعليم منطقة تبوك، ١٤٢٠هـ .

١١٣. محمد سالم الطراونة ومحمد عدنان البخيت : منطقة البلقاء الكرك ومعان ١٢٨١ - ١٣٣٧ هـ — ١٨٦٤-١٩١٨ م، عمان، منشورات لجنة تاريخ الأردن، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
١١٤. محمد سليمان الخضيرى : جذور الإدارة المحلية في المملكة العربية السعودية ودور الملك عبد العزيز في تطويرها ، الرياض ، الجمعية التاريخية السعودية ، الإصدار السابع ، صفر ١٤٢١ هـ / مايو ٢٠٠٠ م.
١١٥. محمد سيف الدين العجلوني : معركة الحرية في شرق الأردن ، دمشق، مطبعة جودة بايبل، ١٩٤٧ م .
١١٦. محمد صبري محسوب ، ومحمد إبراهيم أرباب ، وعبد الله أحمد الغامدي : دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية الجوانب الطبيعية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
١١٧. محمد عبد الرحمن الشامخ : التعليم في مكة والمدينة المنورة آخر العهد العثماني ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٣٩٣ هـ .
١١٨. محمد عبد القادر خريسات : تقارير عن شرق الأردن عام ١٩٣٤ ، عمان ١٩٧٨ م .
١١٩. محمد عبد الهادي صالح الجازي : بادية جنوب الأردن ١٩٢١-١٩٤٦ م ، دراسة سوسيولوجية اقتصادية ، عمان ، دار كنوز المعرفة، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
١٢٠. محمد عبده يماني : الجيولوجية الاقتصادية ، جدة دار الشروق ، ١٩٨٠ م .
١٢١. محمد علي محمد : البحث الاجتماعي ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ م.
١٢٢. محمد علي مغربي : ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ، جدة ، دار العلم للطباعة والنشر ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م .
١٢٣. محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة ، ١٩٧٦ م .
١٢٤. محمد نصر مهنّا وفتحيه النبراوي : الخليج العربي ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، (د.ت)
١٢٥. محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب ، المملكة العربية السعودية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٤ ، ١٩٧٩ م.

١٢٦. محمود عبد الله أمين : الجغرافيا التاريخية لحوض البحر الأحمر ، أسيوط ، المطبعة الحديثة ، ١٩٧١م .
١٢٧. مختصر الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية ، إعداد وتنفيذ دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، دار الملك عبد العزيز ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م .
١٢٨. مطلق البلوي : العثمانيون في شمال الجزيرة العربية ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٧ م .
١٢٩. مكى الجميل : البداوة والبدو في البلاد العربية دراسة لأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ووسائل توطئهم ، القاهرة ، سرس الليان ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
١٣٠. موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام ، الرياض ، مطابع الشرق الأوسط ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
١٣١. موسى مصطفى العبيدان : مدينة ضباء بين الماضي والحاضر ، الرياض ، مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤٠٧ هـ .
١٣٢. موزي بنت منصور بن عبد العزيز : الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز ، بيروت ، دار الساقى ، ١٩٩٣ م .
١٣٣. موزي بنت منصور بن عبد العزيز : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ - ١٩٢٤ م ، بيروت ، دار الساقى ، ط ٢ ، ١٩٩٢ م .
١٣٤. نايف علي الشراري : محافظة القريات دراسة إقليمية ، القريات ، المؤلف نفسه ، ١٤٢٢ هـ .
١٣٥. نعمان شحادة : فصيلة الأمطار في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وآسيا العربية ، قسم الجغرافيا ، جامعة الكويت ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت سلسلة رقم ٨٩ (شعبان ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) .
١٣٦. هشام محمد عجمي : قلاع الازم والوجه وضبا بالمنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية، دراسة معمارية حضارية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٢١ هـ .
١٣٧. وهيم طالب محمد : تاريخ الحجاز السياسي ١٩١٦-١٩٢٥ م ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م .

١٣٨. يحيى عبد الله المعلمي : الأمن في المملكة العربية السعودية ، القاهرة ، شركة فن للطباعة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

١٣٩. يوسف بن علي الثقفي : الهدف الأرعن لمعاهدة فيصل - وايزمن العام ١٣٣٨ هـ - ١٩١٩ م ، دراسة تحليلية نقدية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤١٤ هـ .

١٤٠. يوسف درويش غوانمة : أيلة (العقبة) والبحر الأحمر ، عمان، دار هشام للنشر والتوزيع ١٩٨٤ م .

المصادر الأجنبية :

1- Alios musul : Notherh Hijaz , New York Ams press .1926 .

2- Georje Anto nius, Arab Awakening, New York, 1939, .

المصادر الأجنبية العربية :

١. إليكسي فاسيليف: تاريخ العربية السعودية، بيروت ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٢، ٢٠٠٠م.

٢. انطونان جوسين ورفائيل سافيناك : رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية ، ترجمة صبا عبد الوهاب الفارس، مراجعة سليمان بن عبد الرحمن الذيب وسعيد بن فائز السعيد ، الرياض، دار الملك عبد العزيز ، ١٤٢٤ هـ.

٣. أويليا جلي: الرحلة الحجازية ، ترجمها عن التركية وقدم لها الصفصافي أحمد المرسى، القاهرة، دار الآفاق العربية ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

٤. أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق أحمد فؤاد متولي ، والصفصافي أحمد المرسى ، القاهرة ، دار الآفاق العربية ، ١٩٩٩ م.

٥. بنواميشان: عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة، ترجمة عبد الفتاح يس، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

٦. بير ديستيريا : من السويس إلى العقبة ، ترجمة يوسف مزاحم ، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٤ م.

٧. تشارلز دوتي: ترحال في صحراء الجزيرة العربية ، ترجمة صبري محمد حسن، مراجعة وتقديم جمال زكريا ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥ م.

٨. توماس إدوارد لورنس: أعمدة الحكمة السبعة ، ترجمة محمد نجار ، عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٩٨م.
٩. جمال باشا (الكبير) :مذكرات جمال باشا ترجمة على أحمد شكري، تحقيق عبد المجيد محمود ، بغداد، دار البصري، ١٩٦٣م.
١٠. جورج انطونيوس : يقظة العرب، ترجمة إحسان عباس وناصر الدين الأسد ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٨، ١٩٨٩م.
١١. جورج أوغست فالين : رحلات فالين إلى جزيرة العرب، ترجمة سمير سليم شبلي ومراجعة إبراهيم يزبك، بيروت، دار الوراق للنشر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
١٢. جورج أوغست فالين : صور من شمالي جزيرة العرب، ترجمة سمير سليم شبلي ومراجعة يوسف إبراهيم يزبك ، بيروت ، أوراق لبنانية ، ١٩٧١م.
١٣. جورج فضل حوراني : العرب والملاحية في المحيط الهندي في العصور الوسطى ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٩٥٨م.
١٤. جون س. حبيب: الإخوان السعوديون في عقدين ١٣٢٨-١٣٤٩هـ / ١٩١٠-١٩٣٠م، ترجمة صبري محمد حسن ، الرياض ، دار المريخ للنشر، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
١٥. جون لويس بوركهارت : البدو والوهابيين ، ترجمة محمد الأسيوطي ، د.ن، ١٩٨٨م.
١٦. جون لويس بيركهارت ، رحلات في سورية والبلاد المقدسة ، ترجمة شاهر حسن عبيد، دمشق، دار الطليعة الجديدة، ٢٠٠٧م.
١٧. جيمس موريس : الملوك الهاشميون، ترجمة يوسف المقدادي ، مراجعة خالد دحبور، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩م.
١٨. دي لانسي اوليري: جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة وعلق عليه موسى على الغول، عمان ، منشورات وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٩٠م.
١٩. راندال بيكر : مملكة الحجاز - الصراع بين الشريف حسين وآل سعود ، ترجمة صادق عبد علي الركابي، عمان ، المكتبة الأهلية ، ٢٠٠٤م.
٢٠. س.ب . فوست : جغرافية الحدود (القواعد والسياسات التي تراعي في تعيينها) ، ترجمة سيد محمد نصر ، النهضة المصرية ، د. ت.

٢١. سانت جون فيلي: الذكري العربية الذهبية ، ترجمة مصطفى كمال فايد ، مطبعة الاعتماد، القاهرة ، ١٩٥٣م.
٢٢. سانت جون فيلي: تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، ترجمة عمر الديراوي ، بيروت ، د.ت .
٢٣. عوض البادي: الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية ، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٢٤. فردريك بيك : تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، تعريب بهاء الدين طوقان ، عمان ، الدار العربية للتوزيع والنشر ، د.ت .
٢٥. ك.س . تويتشيل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية، مساهمة إدوارد .ج، ترجمة شكيب الأموي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٥م.
٢٦. كنت وليمز : ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز، تعريب كامل صموئيل مسيحه ، بيروت، المطبعة الأدبية ، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م.
٢٧. الكولونيل لورنس: ثورة في الصحراء ١٩١٦ - ١٩١٨م، ترجمة، رشيد أكرم ، ١٩٤٩م.
٢٨. الليدي آن بلنت : رحلة إلى نجد ترجمة وتعليق أحمد إيش ، دمشق، ٢٠٠٥م.
٢٩. ماكس فرايهر فون أوبنهايم وآرش برونيلش وفرنر كاسكل : البدو، تحقيق وتقديم ماجد شبر، ترجمة محمود كيبو، لندن، دار الوراق للنشر المحدودة، ٢٠٠٤م.
٣٠. مايكل آشرف : لورنس ملك العرب غير المتزوج ، ترجمة فاطمة نصر ، القاهرة ، إصدارات سطور ، ٢٠٠٠م.
٣١. مذكرات غلوب باشا ١٨٩٧ - ١٩٨٣م، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد ، الفجر للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨م.
٣٢. مذكرات غلوب باشا: حياتي في المشرق العربي ، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م.
٣٣. مضايي الرشيد: تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث ، ترجمة عبد الإله النعيمي، بيروت ، دار الساقى، ٢٠٠٢م.

٣٤. موزل : شمال الحجاز ، ترجمة عبد المحسن الحسيبي، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨٨م.

٣٥. ناصر خسرو علوي : سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة ، مطبوعات معهد اللغات، كلية الآداب، جامعة فؤاد ، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.

٣٦. هـ. ر . ب . ديكسون: الكويت وجاراتها، ترجمة فتوح عبد المحسن الخترش، الكويت، ذات السلاسل ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٣٧. هاري سانت جون فيلي : العربية السعودية، ترجمة عاطف فالح يوسف، الرياض ، مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٣٨. هاري سانت جون فيلي: أرض مدين ، تعريب يوسف مختار الأمين ، مراجعة وتدقيق عبد الله بن محمد المنيف، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٣٩. والطون، كنيث: الأراضي الجافة، ترجمة عبد الوهاب شاهين، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

الدوريات :

١- الجرائد :-

أ) جريدة أم القرى:

- س ١، ع ٢٩، ٢٥ ذو الحجة ١٣٤٣هـ / ١٧ يوليو ١٩٢٥م.
- س ١، ع ٥٢، ١١ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ / ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥م.
- س ١، ع ٢٣، ٦ ذو القعدة ١٣٤٣هـ / ٢٩ مايو ١٩٢٥م.
- س ١، ع ٣٠، ٢ محرم ١٣٤٤هـ / ٢٤ يوليو ١٩٢٥م.
- س ١، ع ٤٥، ربيع الآخر ١٣٤٤هـ / ٦ نوفمبر ١٩٢٥م.
- س ١، ع ٥٤، ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ.
- س ١، ع ٩١، ٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ / ١٠ سبتمبر ١٩٢٦م.
- س ٢، ع ٥٢، ١١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ / ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥م.
- س ٢، ع ٥٤، ٢٣ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ / ٨ يناير ١٩٢٦م.
- س ٢، ع ٥٧، ١٥ رجب ١٣٤٤هـ / ٢٩ يناير ١٩٢٦م.
- س ٢، ع ٦٠، ٦ شعبان ١٣٤٤هـ / ١٩ فبراير ١٩٢٦م.
- س ٣، ع ١٤٩، ٢٦ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ / ٢٢ أكتوبر ١٩٢٧م.
- س ٣، ع ١٤٠، ٢١ صفر ١٣٤٦هـ .
- س ٣، ع ٢٣٢، ٢٩ ذو الحجة ١٣٤٧هـ.
- س ٤، ع ١٦٤، ١١ شعبان ١٣٤٦هـ / ٣ فبراير ١٩٢٨م .
- س ٦، ع ٢٥٤، الأول من نوفمبر ١٩٢٩م.
- س ٦، ع ٢٦٥، ١٠ شعبان ١٣٤٨هـ / ١٠ يناير ١٩٣٠م.
- س ٦، ع ٢٩٠، ١ صفر ١٣٤٩هـ / ٢٧ يونيو ١٩٣٠م.
- س ٧، ع ٣٠٦، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ / ١٧ أكتوبر ١٩٣٠م.
- س ٧، ع ٣٤٦، تاريخ ١٥-٣-١٣٥٠هـ / ٣١-٧-١٩٣١م.
- س ٧، ع ٣٣٩، ٢٥ محرم ١٣٥٠هـ / ١٢ يونيو ١٩٣١م.
- س ٧، ع ٣٤٣، ٢٤ صفر ١٣٥٠هـ / ١٠ يوليو ١٩٣١م.
- س ٨، ع ٣٩٤، ٢٦ صفر ١٣٥١هـ / ١ يوليو ١٩٣٢م.
- س ٨، ع ٣٨٧، ٧ محرم ١٣٥١هـ / ١٣ مايو ١٩٣٢م.

- س ٨، ع ٣٩٠، ٢٨ صفر ١٣٥١هـ / ٣ يونيو ١٩٣٢م.
- س ٨، ع ٣٩٩، ٢ ربيع الثاني ١٣٥١هـ / ١٥ أغسطس ١٩٣٢م.
- س ٩، ع ٤١٦، بتاريخ ٤/٨/١٣٥١هـ - ٢/١٢/١٩٣٢م.
- س ٩، ع ٤٢٧، تاريخ ٢٢ شوال ١٣٥١هـ، ١٧ فبراير ١٩٣٣م.
- س ٩، ع ٤٣٤، ١١ ذو الحجة ١٣٥١هـ / ٦ أبريل ١٩٣٣م.
- س ٩، ع ٤٣٨، ١٠ محرم ١٣٥٢هـ / ٥ مايو ١٩٣٣م.
- س ٩، ع ٤٥٠، ٥ ربيع الآخر ١٣٥٢هـ / ٢٩ يوليو ١٩٣٣م.
- س ١٠، الأعداد ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، تاريخ ٨/٤/١٣٥٣ - ٢٢/٤/١٣٥٣هـ —
١٩٢٤/٧/٢٠ - ١٩٣٤/٨/١٣م.
- س ١٠، ع ٤٩٦، تاريخ ٣-٣-١٣٥٣هـ / ١٥-٦-١٩٣٤م.
- س ١١، ع ٥٥٢، ١١ ربيع الآخر ١٣٥٤هـ / ١٢ يوليو ١٩٣٥م.
- س ١٣، ع ٦٣٢، تاريخ ٢-١١-١٣٥٥هـ / ١٥-١-١٩٣٧م.
- س ١٣، ع ٦٤٢، ١٣ محرم ١٣٥٦هـ / ٢٦ مارس ١٩٣٧م.
- س ١٥، ع ٧١٥، ٢٣ جمادى الثاني ١٣٥٧هـ / ١٩ أغسطس ١٩٨٣م.
- س ١٥، ع ٧١٩، تاريخ ٢٢-٧-١٣٥٧هـ / ١٦-٩-١٩٣٨م.
- س ١٥، ع ٧٤٣، ١٩ محرم ١٣٥٨هـ / ١٠ مارس ١٩٣٩م.
- س ١٥، ع ٧٤٩، ١ ربيع الأول ١٣٥٨هـ / ٢١ أبريل ١٩٣٩م.
- س ١٥، ع ٧٢٧، تاريخ ١٩ رمضان ١٣٥٧هـ / ١١ نوفمبر ١٩٣٨م.
- س ١٦، ع ٧٧٠، ١ شعبان ١٣٥٨هـ / ١٥ سبتمبر ١٩٣٩م؛
- س ١٩، ع ٩١٧، ١١ رجب ١٣٦١هـ / ٢٤ يوليو ١٩٤٢م.
- س ١٩، ع ٩٥٤، ٤ ربيع الآخر ١٣٦٢هـ / ٩ أبريل ١٩٤٣م.
- س ٢٦، ع ١٢٧٦، ١٠ ذو القعدة ١٣٦٨هـ / ٢ رمضان ١٩٤٩م.
- س ٢٧، ع ١٣٢٠، ٤ شوال ١٣٦٩هـ / ١٩ يوليو ١٩٥٠م.
- س ٢٧، ع ١٣٣٤، ١٥ محرم ١٣٧٠هـ / ٢٧ أكتوبر ١٩٥٠م.
- س ٢٩، ع ٤٣٦، ١٢ صفر ١٣٧٢هـ / ٣١ أكتوبر ١٩٥٢م.

(ب) جريدة صوت الحجاز:

١. ع ٥٣، ٢٢ ذو الحجة ١٣٥١هـ / ١٧ أبريل ١٩٣٣م.
٢. ع ٦٣، ٤ ربيع الأول ١٣٥٢هـ / ٢٧ يوليو ١٩٣٣م.
٣. ع ٦٩، الثلاثاء ١٦ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ / ٨ أغسطس ١٩٣٣م.
٤. ع ١١٢، ٦ ربيع الأول ١٣٥٣هـ / ١٨ يونيو ١٩٣٤م.
٥. ع ١٢٧، ٢٢ جمادى الثانية ١٣٥٣هـ / ١ أكتوبر ١٩٣٤م.
٦. ع ٢٤٩، بتاريخ الثلاثاء ١٠ محرم ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.
٧. ع ٢٦٤، ٢٧ ربيع الآخر ١٣٥٦هـ / ٩ يونيو ١٩٣٧م.
٨. ع ٣١٠، ربيع الثاني ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م.
٩. ع ٥١١، الأحد ٢٧ شعبان ١٣٥٩هـ / ٢٩ سبتمبر ١٩٤٠م.

٢- المجالات :

(أ) مجلة المنهل :-

١. أديب الحبال: مج ٨، ع ١١-١٢، ذي القعدة وذو الحجة ١٣٦٧هـ.
٢. سليمان بن حميد بن سليمان: مجلد ٩، ع ١١-١٢، ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٦٨هـ.
٣. عبد القدوس الأنصاري: مجلد ١٤، ج ٣، ربيع الأول ١٣٧٣هـ.
٤. فؤاد علي رضا: تعريف بوضعنا الإداري (مديرية مصلحة خفر السواحل)، س ١٥، م ١٠، ع ٨، شعبان ١٣٦٩هـ / مايو ١٩٥٠م.
٥. ك.س. تويتشل: الزراعة والماشية في المملكة العربية السعودية، ترجمة أحمد علي، ربيع الأول ١٣٦٩هـ / ديسمبر ١٩٤٩م.

(ب) مجلة العرب :-

١. حمد الجاسر: المعادن القديمة في بلاد العرب، ع ٩، س ٢، ربيع الأول ١٣٨٨هـ / يونيو ١٩٦٨م.
٢. حمد الجاسر: في رحاب الحرمين، ج ٩-١٠، س ١٠، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
٣. موزل: تاريخ ابن رشيد، ج ٧، س ١٠، محرم وصفر ١٣٩٦هـ / يناير وفبراير ١٩٧٦م.

٤. حمد الجاسر: كتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب، س١٢، عدد القعدة والحجة ١٣٩٧هـ.

٥. موزل: تاريخ ابن رشيد، ج٧، س١٠، محرم وصفر ١٣٩٦هـ/يناير وفبراير ١٩٧٦م.

(ج) مجلة الدارة :-

١. عبد الفتاح حسن أبو عليه: الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب، السنة الأولى، العدد الأول، ربيع أول ١٣٩٥هـ/مارس ١٩٧٥م.

٢. عبد الرحمن الطيب الأنصاري: لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية، ع١٤، س١، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٣. صالح العمرو: النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية ١٨٨٤-١٩٠٦م، ع١٤، س٥، ربيع الثاني ١٣٩٩هـ/مارس ١٩٧٩م.

٤. خالد سعيد الدريس: دراسة إقليمية لمنطقة تبوك، س٥، ع٤، رجب ١٤٠٠هـ/يونيو ١٩٨٠م.

٥. خالد السعدون: موقف إمارة حائل من الحرب العالمية الأولى كما صورتها الوثائق البريطانية، السنة التاسعة، العدد الثاني، ١٩٨٣م.

٦. جمال محمود حجر: الآثار السلبية للسياسة الغربية في شمال شبه الجزيرة العربية، ع١٤، س١١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧. خالد السعدون: مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز أسبابها وتطوراتها، ع٢، س١٤، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٨. عبد الرحمن صادق الشريف وحسن عبد القادر صالح: موارد المياه الجوفية، في حوض النفوذ الرسوبي الكبير بالملكة العربية السعودية، القسم الأول، الرياض، ع٤، س٣، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٩. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر: أسلوب الملك عبد العزيز في الإدارة، س١١، ع٤، رجب ١٤٠٦هـ/مارس ١٩٨٦م.

١٠. فايز السعيد: نقوش أثرية من تبوك، ع٤، س٢٩، ١٤٢٤هـ.

د) مجالات متفرقة :-

١. محمد كرد علي: رحلة إلى المدينة المنورة، مجلة المقتبس، مج ٧، ج ٧، ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.
٢. جمال حمدان : في العلاقة بين السكان والتضاريس: دراسة في جغرافية السكان، مجلة كلية الآداب، المجلد التاسع، الجزء الأول، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٧م.
٣. عبد الله الوهبي: الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مج ١، س ١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
٤. فيليب رفة: الحدود الدولية ومشكلاتها السياسية، المجلة العربية الجغرافية، س ٣، ع ٣، ١٩٧٠م.
٥. عبد المنعم رسلان: الأزمن خانا وبرجاً، مجلة البحث العلمي، ع ٤، ١٤٠١هـ، جامعة أم القرى.
٦. أطلال ، ع ٧، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية .
٧. هشام محمد عجمي : قلعة تبوك ، مجلة أم القرى ، السنة الأولى ، ع ٢، ١٤٠٩هـ.
٨. سعد أبو دية: استراتيجية الخط الحديدي الحجازي والأمن بالبحر الأحمر، المجلة التاريخية للدراسات العثمانية، ع ٩-١٠، ١٩٩٤.
٩. عبد اللطيف محمد الحميد: من رجال الملك عبد العزيز، إبراهيم بن عبد الرحمن النشمي ١٣١٣-١٣٩٨هـ، حياته وأعماله، الرياض، الدرعية، ع ٢، ربيع الآخر ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م
١٠. عمر عبد الماجد سيد: مناسيب وإحداثيات مدينة تبوك، أفنان، النادي الأدبي بمنطقة تبوك، ع ١٤، ١٤٢٩هـ.

٣- البحوث :-

١. سيد أحمد علي الناصري: الرومان والبحر الأحمر، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، القاهرة، ١٩٨٠م.
٢. سيد أحمد علي الناصري: الصراع على البحر الأحمر في عصر البطلمة، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني.

٣. رشيد سالم الناضوري : حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التراجيحي المبكر، الرياض ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، مطابع جامعة الملك سعود ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م الكتاب الثاني.
٤. عدنان الحديدي: الحاجة إلى مسح أثري شامل في مناطق شمال الجزيرة العربية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٥. لطفي عبد الوهاب يحيى: الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي، الرياض، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، الكتاب الثاني.
٦. بول بونفان: الهيكل العمراني للمدن والقرى في عهد الملك عبد العزيز، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩-٢٣ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/١-٥ ديسمبر ١٩٨٥م.
٧. عبد الله بن صالح السدحان وعبد العزيز بن سالم الغامدي: الزراعة والمياه في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز.
٨. البحر الأحمر عبر التاريخ، الرياض ، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية، بحوث ندوة البحر الأحمر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٩. حسين الساعاتي: سياسة الملك عبد العزيز في حفظ الأمن في المملكة العربية السعودية، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
١٠. أحمد الشبول: علاقة الأمة الإسلامية في العصر النبوي مع بلاد الشام وبيزنطة، الرياض، ندوة تاريخ الجزيرة العربية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، الكتاب الثالث.
١١. عبد العزيز الدوري: الجزيرة العربية في عصر الخلفاء الراشدين، الرياض، ندوة تاريخ الجزيرة العربية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، الكتاب الثالث.
١٢. صالح محمد الشعيبي: السياسة المالية في عهد الملك عبد العزيز، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، شوال ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

الرسائل الجامعية

١. صالح عون هاشم عدنان الغامدي : علاقة إمارة شرق الأردن بسلطنة نجد وملحقاتها ، ١٣٣٩-١٣٥٢ هـ / ١٩٢٠ - ١٩٣٣ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
٢. هشام محمد عجمي : قلعة المويلح ، دراسة معمارية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
٣. فهد بن سعود بن عبد الله بن سعود : الأهمية الإستراتيجية لخليج العقبة من ١٩٤٨ إلى ١٩٨٧ م ، دراسة في الجغرافيا السياسية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
٤. سليمان بن صالح الخضير منطقة تبوك دراسة الجغرافيا الإقليمية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
٥. محمد هزاع خلف الشلول : العلاقات النجدية الحجازية بين عام ١٩٠٨ - ١٩٢٦ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٦ م .
٦. ملكة بكر ناصر الطيار : تطور الأوضاع الاقتصادية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز ١٣٥١ - ١٣٧٣ هـ / ١٩٣٢ - ١٩٥٣ م ، دراسة تاريخية ، وكالة الرئاسة العامي لكليات البنات ، كلية الآداب بالدمام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ١٤١٩ - ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٨ - ١٩٩٩ م .
٧. هناء أيوب العوهلي : مديرية المعارف العامة وجهودها في تطوير التعليم في المملكة العربية السعودية (١٣٤٤ - ١٣٧٣ هـ / ١٩٢٦ - ١٩٥٣ م) ، دراسة وثائقية تحليلية ، وزارة المعارف ، وكالة كليات البنات ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
٨. أحمد بن يحيى آل فائع: صنم الحجاز في عهد الملك عبد العزيز ١٣٣٣-١٣٤٤ هـ/١٩١٤-١٩٢٥ م ، (دراسة تاريخية) ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ، عمادة الدراسات العليا ، جامعة الملك سعود ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .

٩. فهد بن مرزوق اللحياي : المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٤-١٣٧٣ هـ /
١٩٢٦-١٩٥٣ م، رسالة ماجستير غير منشورة ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ،
١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م .

١٠. أمل علي عايد البلادي : النشاط الاقتصادي لميناء ضياء وأثره في الحياة الاجتماعية من
خلال الوثائق المحلية ، ١٣٤٣-١٣٧٣هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،
جامعة الملك عبد العزيز ، كلية التربية للبنات ، الأقسام الأدبية ، قسم التاريخ ، ١٤٢٩هـ
/ ٢٠٠٨ م .

الفهرس

أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
ج	الملخص
د	ملخص باللغة الإنجليزية
هـ	تمهيد
٦	(أ) جغرافية منطقة تبوك
٣٤	(ب) تاريخ المنطقة قبيل العهد السعودي

الفصل الأول

٤٨	دخول منطقة تبوك تحت حكم الملك عبد العزيز
٤٩	(أ) مدن المنطقة وموانئها وجُزورها
١٠٠	(ب) أوضاع المنطقة بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى
١١٢	(ج) ضم الملك عبد العزيز حائل والجوف وأثر ذلك على المنطقة
١٢٨	(د) ضم الملك عبد العزيز منطقة تبوك

الفصل الثاني

١٣٩	الحالة السياسية والعسكرية في منطقة تبوك بعد ضم المنطقة
١٤٠	(أ) العلاقة بين الملك عبد العزيز وأمير شرق الأردن وأثرها على المنطقة
١٧٥	(ب) موقف الملك عبد العزيز من حركة ابن رفاة
١٩٦	(ج) أهمية منطقة تبوك العسكرية

الفصل الثالث

٢١٤	التظيم الإداري في منطقة تبوك
-----	------------------------------

٢١٥	----- (أ) الإمارة-----
٢٤٣	----- (ب) الأمن-----
٢٥٦	----- (ج) المحاكم الشرعية-----
٢٧٣	----- (د) البرق والبريد-----
٢٨٦	----- (هـ) الجمارك-----
٢٩٧	----- (و) البلديات-----

الفصل الرابع

٣٠٢	----- مظاهر التطور الحضاري في منطقة تبوك-----
٣٠٣	----- (أ) توطين البادية-----
٣١٢	----- (ب) النهضة العلمية-----
٣٢٤	----- (ت) النهضة الزراعية-----
٣٣١	----- (ث) الرعاية الصحية-----
٣٣٦	----- (ج) التجارة والصناعة-----
٣٤٨	----- (ح) طرق الحج والنقل-----
٣٥٣	----- (خ) المعالم التاريخية والأثرية-----
٣٦٦	----- الخاتمة-----
٣٦٨	----- الملاحق-----
٣٦٩	----- الوثائق-----
٣٧٥	----- المصادر والمراجع-----
٣٧٦	----- المخطوطات-----
	----- الوثائق-----

----- (أ) الوثائق غير منشورة: -----

١- وثائق دارة الملك عبد العزيز:

٢- وثائق مكتبة الملك فهد الوطنية :

٣٧٨ ٣- وثائق معهد الإدارة العامة :

٣٨٠ ٤- وثائق محمود بن علي أبو سالم:

٥- وثائق الشريف الوكيل المويلحي :

٣٨١ ٦- وثائق أحمد السلطان :

٧- وثائق حسين بن حمزة الفرشوطي :

٣٨٢ ----- (ب) الوثائق المنشورة: -----

----- (ج) اتصالات شخصية: -----

٣٨٣ ----- المصادر العربية : -----

٣٨٨ ----- المراجع العربية : -----

٣٩٩ ----- المصادر الأجنبية : -----

----- المصادر الأجنبية العربية: -----

٤٠٠ ----- الدوريات: -----

٤٠٣ ١- الجرائد: -----

----- (أ) جريدة أم القرى: -----

٤٠٥ ----- (ب) جريدة صوت الحجاز: -----

----- ٢-المجلات: -----

----- (أ) مجلة المنهل. -----

----- (ب) مجلة العرب. -----

٤٠٦	----- (ج) مجلة الدارة.
٤٠٧	----- (د) مجلات متفرقة.
٤٠٨	----- ٣- البحوث .
٤٠٩	----- الرسائل الجامعية .
٤١١	----- الفهرس